موسوعة العلامة الكبير

الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله

المؤلفات

سيرة الأئمة الإثني عشر (ع)

القسم الثاني

المجلد الرابع

دار المؤرخ العربي
بيروت

موسوعة العلامة الكبير
الشيخ محمد حسن آل ياسين

والكاظمين الغيظ

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

موسوعة العلامة الكبير

الشيخ محمد حسن آل ياسين

المؤلفات

(٤)

موسوعة العلامة الكبير

الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله

المؤلفات

سيرة الأئمة الإثني عشر (ع)

القسم الثاني

المجلد الرابع

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

دار المؤرخ العربي

بيروت - بئر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاد العربية - بناية مخللاتي
تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ١ - ٠ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ١ - ٠ - ص.ب: ٢٤/١٢٤
البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com

دليل موسوعة العلامة الكبير
الشيخ محمد حسن آل ياسين
المؤلفات

المجلد صفر (٠): سيرته الدراسية والعلمية

المجلد الأول: أصول الدين

- ـ الله بين الفطرة والدليل
- ـ العدل الإلهي بين الجبر والاختيار
- ـ النبوة
- ـ الإمامة
- ـ المعاد

المجلد الثاني: في رحاب الرسول (ص)

المجلدات الثالث والرابع والخامس: (سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام)

المجلدان السادس والسابع: من المؤمنينَ رجالٌ (سيرة ٢٩ صحابياً).

المجلد الثامن: مفاهيم إسلامية

- ـ في رحاب القرآن
- ـ عباد الرحمن
- ـ نهج البلاغة.. لمن؟
- ـ المهدي المنتظر(عج) بين التصور والتصديق

المجلد التاسع: في رحاب الإسلام

- ـ المادة بين الأزلية والحدوث
- ـ الإنسان بين الخلق والتطور
- ـ هوامش على كتاب نقد الفكر الديني

المجلد العاشر: الأعمال الفقهية

- ـ على هامش كتاب العروة الوثقى
- ـ مذكرات في الفقه الإستدلالي (١ و٢)
- ـ مناسك العمرة المفردة
- ـ بين يدي «المختصر النافع»

المجلد الحادي عشر: أعلام من التراث

- الصاحب بن عبّاد حياته وأدبه
- محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)
- منهج الطوسي في تفسير القرآن
- السيد علي بن طاووس (حياته، مؤلفاته، خزانة كتبه)

المجلد الثاني عشر: دراسات وصنعات

● **شعر تراثي:**

- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب في صنعتين
- من المستدرك على ديوان الخبزارزي المتوفى سنة ٣٣٠ هـ
- ديوان متمم بن نويرة
- ديوان مالك بن نويرة

● **الأعمال اللغوية:**

- صيغة (فَعَّلَ) في العربية
- (فَيْعِلٌ) أم (فَعِيْل)
- ملاحظات في المعجمات المحققة المطبوعة
- المعجم الذي نطمح إليه
- جوهرة الجمهرة للصاحب إسماعيل بن عبّاد ٣٢٦ ـ ٣٨٥ هـ
- مسائل لغوية في مذكرات مجمعية
- (إبريق) لفظ عربي فصيح
- السلسبيل لفظ عربي فصيح

المجلد الثالث عشر: دراسات تاريخية

- تاريخ المشهد الكاظمي
- المعمى والأحاجي والألغاز
- تاريخ الحكم البويهي في العراق
- الأرقام العربية : فوائدها، نشأتها، تطورها
- تاريخ الصحافة الكاظمية
- لمحات من تاريخ الكاظمية
- لمحات من تاريخ الطبري

المجلدان الرابع عشر والخامس عشر: تاريخ الشعر الكاظمي ١/٣

المجلدان السادس عشر والسابع عشر: معجم النبات ١/٢

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ستعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرضٍ موجز لسيرة الإمام الخامس من أئمة الحق الأصفياء المطهّرين، باقر العلم؛ ومشعل الهداية؛ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الإمام (بين ولادته وإمامته)، متحدّثاً فيه عن جوانب من حياته الشخصية وشؤونه الذاتية؛ كالولادة والنشأة والأزواج والأولاد، ومشيراً إلى بعض ما شاهد في إبّان صباه وعانى في عنفوان شبابه من كوارث عصره الحافل بالمآسي؛ والمشحون بالأرزاء.

وعقدتُ الفصل الثاني على تاريخ الإمام (بين إمامته وشهادته) شارحاً فيه الأدلة على إمامته؛ نصاً لمن يطلب النص ويؤمن أنْ لا إمامة إلاّ به؛ وأهليّة وكفايةً لمن يُعنى بذلك ويكتفي به، مع بيانٍ مقتضب لمجمل سِيَر من ادّعى الخلافة الشرعية والولاية العامة في عصره؛ لغرض التنبيه والمقارنة والتذكير بحقائق الأمور.

ثم وقفتُ متمهّلاً عند ما رواه المؤرخون من علاقاته بحكّام تلك السنين؛ في شتى ألوانها المختلفة وحالاتها المتقلّبة؛ قرباً وبُعداً وسِلماً وعنفاً وسلباً وايجاباً. ثم ختمتُ هذا الفصل بذكر وفاة الإمام وتاريخها وما ورد في سبب الوفاة من شكوك واتهامات وظنون.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الإمامة) الذي ورثته الأُمّة عن

الإمام، فاستعرضتُ فيه أمثلة مما أُثِرَ عنه في علوم القرآن وفروع الشريعة وسُننها وأحكامها، وما أُسند إليه في سائر المعارف الإسلامية الأخرى كمسائل الكلام والاحتجاج الديني وشؤون اللغة والشعر والأدب. كما أوردتُ في هذا الفصل جريدة بأسماء طلاّب الإمام والرواة عنه والمتلقّين منه؛ مع النص والتعيين على مَنْ كان منهم صاحب أصلٍ مؤلف أو كتابٍ مصنّف، لأن هؤلاء في الحقيقة هم الطليعة التي نفتخر بها من السلف المتقدم؛ بحكم كونهم أوائل المصنِّفين وروّاد التأليف في تاريخ الإسلام.

وفي الختام ـ كما في البدء ـ أحمد الله تعالى على آلائه ونعمائه، وأبتهل إليه عزَّ وجلَّ أن يسدد الخُطى على الطريق؛ ويمدَّ بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدد وموفق ومعين.

الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)
بين ولادته وإمامته

«وكان هذا المولود المبارك أول من اجتمعت له من ذرية النبوة ولادة الحسن والحسين، فأبوه علي بن الحسين زين العابدين، وأمه السيدة فاطمة بنت الحسن السبط، فهو الهاشمي من هاشميين، والعلوي من علويين».

«وعاصر في خلال هذه المدة التي امتدت تسعة وثلاثين عاماً حقبة من أعجب الحقب وأشدّها سوءاً وبطشا وقهراً، فقد ضجت أيامها بالفجائع وازدحمت لياليها بالفظائع، ولم يعرف الناس فيها من عطاء سلاطينهم سوى الظلم والجور والعسف والهمجية».

❀ ❀ ❀

في يوم ناصع القسمات دافق الأنوار ـ ربما كان يوم الثلاثاء كما هو الأعرف بين المؤرخين[1]؛ أو الجمعة كما في بعض المصادر[2] ـ؛

---

(١) المناقب: ٢/ ٢٩٥ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٢ و٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٢) المناقب: ٢/ ٢٩٥ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٢ و٢١٣ و٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ وعمدة الزائر: ٤٩ و٣٠٤. وفي البحار والعمدة: «وقيل: يوم الاثنين».

ولعلَّه ثالث صفر كما اشتهر[١]؛ أو غرّة رجب كما روى بعضهم[٢]، وُلد محمد بن علي؛ سليل النبوة؛ ونبعة الإمامة؛ وفرع الدوحة السماوية السامقة، فغمرت الفرحة الجميع، وعمَّت البهجةُ أهل البيت خاصةً وجميعَ المؤمنين قاطبة، وتردَّدت أصداء البشرى في آفاق المدينة المنورة[٣] وجنباتها الفسيحة الواسعة.

واختلف المؤرخون في تحديد سنة الولادة على أقوال ثلاثة: فمنهم من اختار سنة ٥٦ هـ[٤]، وبعضهم رجَّح سنة ٥٧ هـ[٥] وروى فريق ثالث أن ذلك كان في سنة ٥٩ هـ[٦]. ولعل سنة ٥٧ هـ هي الأقوى بين تلك الأقوال وهي الأوْلى بالرجحان والتفضيل، لكثرة رواتها وتقدُّم زمان

---

(١) المناقب: ٢/ ٢٩٥ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٠ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ والفصول المهمة: ١٩٣ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٢ و٢١٣ و٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ ونور الأبصار: ١٣٠. وفي عمدة الزائر ٤٩: ثالث وعشرين من صفر، ولعل كلمة «وعشرين» من الزيادات.

(٢) المناقب: ٢/ ٢٩٥ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٢ و٢١٣ و٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ وعمدة الزائر: ٤٩ و٣٠٤.

(٣) نصّت جميع المصادر ـ ما تقدّم منها وما يأتي ـ على ولادته بالمدينة المنورة.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠١ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤ والعبر: ١/ ١٠٩ وغاية النهاية: ٢/ ٢٠٢ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢ والنجوم الزاهرة: ١/ ٢٧٣ وشذرات الذهب: ١/ ١٤٩ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٩ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٥) الكافي: ١/ ٤٦٩ والإرشاد: ٢٧٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٧٧ وسر السلسلة العلوية: ٣٢ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ وكفاية الطالب: ٣٠٧ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٠ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ والفصول المهمة: ١٩٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٣ و٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ وتاج العروس (بقر) ونور الأبصار: ١٣٠ وعمدة الزائر: ٤٩ و٣٠٤.

(٦) سر السلسلة العلوية: ٣٢ وعمدة الطالب: ١٨٤، وزهرة المقول: ٥٨ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ و٢١٧ و٢١٨.

بعضهم، ولمطابقة ذلك لما رُويَ عن الإمام الباقر نفسه في قوله: «قُتِل جدي الحسين ولي أربع سنين»[١]، ولما رواه عدد من المؤرخين من كون عمره يوم مقتل جدِّه الحسين (ع) ثلاث سنين أو أربع[٢].

وكان هذا المولود المبارك أول من اجتمعتْ له من ذريَّة النبوة ولادةُ الحسن والحسين (ع)، فأبوه علي بن الحسين زين العابدين، وأُمه السيدة فاطمة بنت الحسن السبط، المعروفة لدى عامة المؤرخين بكنيتها «أُمّ عبدالله»[٣]، فهو الهاشمي من هاشميَّين، والعلويّ من علويين؛ والفاطميّ من فاطميين. وكانت أُمُّه سيدة جليلة الشأن عظيمة القدر، وصفها حفيدها الإمام الصادق جعفر بن محمد (ع) وقد ذكرها يوماً فقال: «كانت صِدِّيقةً لم تُدرك في آل الحسن امرأة مثلها»[٤]، وكان ابنها

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦١.

(٢) المناقب: ٢/ ٢٩٥ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٠ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ والفصول المهمة: ١٩٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٢ و٢١٦ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ ونور الأبصار: ١٣٠ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٥ وطبقات خليفة: ٢/٦٣٨ وتاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦٠ وذيل المذيَّل: ٦٤١ والكافي: ١/ ٤٦٩ وسر السلسلة العلوية: ٣٣ والإرشاد: ٢٧٩ والمناقب: ٢/ ٢٩٤ و٢٩٥ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٠ وصفة الصفوة: ٢/ ٦٠ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٣ وتذكرة الخواص: ٣٤٦ والبداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ والفصول المهمة: ١٩٣ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥٠ وعمدة الطالب: ١٨٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وزهرة المقول: ٥٨ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٢ و٢١٣ وتاج العروس/ بقر وينابيع المودة: ٣٦٠ و٣٧٦ و٣٨٠ ونور الأبصار: ١٣١.

وكُنيتْ في تهذيب الطوسي: ٦/ ٧٧ «أم عبده» ولعله من أوهام النّسخ. وفي وفيات الأعيان وتذكرة الخواص والأئمة الإثنا عشر: «أم عبدالله» بنت الحسن بن الحسن بن علي»، ولعل تكرار «الحسن» من سهو النسّاخ أيضاً.

(٤) الكافي: ١/ ٤٦٩ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٥ و٢١٧و٣٦٦.

الباقر كثير الاحترام لها والبرِّ بها، حتى رُوي عنه أنه ربما «كان يفلي رأس أُمّه»[١].

وعُرِف هذا الوليد السعيد منذ نعومة أظفاره بكنيته الزاكية «أبي جعفر»[٢]، ثم شاع ذلك بين الناس على الأفواه وفي مصادر التاريخ والتراث حتى اكتُفيَ بها عن اسمه في كثير من الموارد.

أمّا ألقابه ـ فيما ذكر مترجموه ـ فقد كانت متعددة، ومنها «الشاكر» لله؛ ومنها «الهادي»؛ و«الأمين»[٣]. و«الشبيه» لأنه كان يُشبه رسول الله (ص)[٤].

وكان أشهر لقبٍ عُرِف به حتى التصق باسمه أو كاد يكون بمثابة الاسم له هو «الباقر»[٥]، وقد لقّبه بذلك جدُّه رسول الله (ص)» ولم يُخلق بعدُ، وبشَّر به، ووعد جابر بن عبدالله برؤيته»[٦]، وقد أخرج ذلك الرواة والمحدِّثون؛ وتناقله المؤرخون والباحثون[٧]، ومنها ما رواه ابن

---

(١) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٦.

(٢) تهذيب الطوسي: ٦/ ٧٧ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠١ وسائر المصادر التي ترجمت له أو روت عنه.

(٣) المناقب: ٢/ ٢٩٥ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٠ والفصول المهمة: ١٩٣ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٢٢ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ ونور الأبصار: ١٣٠.

(٤) المناقب: ٢/ ٢٩٥.

(٥) جميع مصادر ترجمته قاطبة.

(٦) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٧٧.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦٠ ـ ٦١ والكافي: ١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠ والإرشاد: ٢٨٠ وذيل المذيّل: ٦٤٢ وسر السلسلة: ٣٢ والمناقب: ٢/ ٢٨٥ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٣ ـ ٥٤ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٤ وتذكرة الخواص: ٣٤٧ (عن المدائني) والفصول المهمة: ١٩٧ ـ ١٩٨ وعمدة الطالب: ١٨٣ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥٢ والصواعق المحرقة: ١٢٠ (عن ابن المديني) وزهرة المقول: ٥٨ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٢٢ و٢٢٧ وينابيع المودة: ٣٣٣ (عن المدائني) و٣٦٠ (عن ابن المديني والطبراني) ونور الأبصار: ١٣٠.

قتيبة الدينوري عن الصحابي المعروف جابر بن عبدالله الأنصاري: أن النبي (ص) قال له يوماً: «يا جابر؛ إنك ستُعمَّر بعدي حتى يُولَد لي مولودٌ اسمه كاسمي؛ يبقر العلمَ بقراً، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام. فكان جابر يتردّد في سكك المدينة بعد ذهاب بصره وهو ينادي: يا باقر، حتى قال الناسُ: قد جُنَّ جابر. فبينا هو ذاتَ يومٍ بالبلاط إذ بجارية يتورَّكها صبي، فقال لها: يا جارية مَنْ هذا الصبي؟ قالت: هذا محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقال: أدنيه مني، فأدْنَتْه منه فقبَّل بين عينيه وقال: يا حبيبي؛ رسولُ الله يُقْرِئك السلام»[1].

ولعل من أفظع مهازل الدنيا وفضائح التاريخ أن نقرأ ما حدّث به ابنُ قتيبة نفسُه تعقيباً على الحديث النبوي المتقدم: أن زيد بن علي بن الحسين (ع) دخل يوماً على هشام بن عبد الملك، فقال له هشام: «ما فعل أخوك البقرة؟!! قال زيد: سمّاه رسول الله (ص) باقراً وتسميه بقرة!! لقد اختلفتما»[2].

وفي لفظ ابن عنبة الداوودي: أن زيداً قال لهشام: «لشَدَّ ما خالفتَ رسولَ الله (ص)، سمّاه الباقر وسمَّيته أنت البقرة، [و] لتخالفنّه يوم القيامة، يدخل هو الجنة وتدخل أنت النار»[3].

وعلى كل حال، فإن المتّفق عليه لدى جمهور رجال الحديث ونَقَلَته أن رسول الله (ص) قد منح حفيده هذا اللقب المقدّس المبارك

(١) عيون الأخبار: ١/ ٢١٢ ـ ٢١٣ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٣.
وأخرج ابنُ شهراشوب حديث جابر هذا عن «سعيد بن المسيب وسليمان الأعمش وأبان بن تغلب ومحمد بن مسلم وزرارة بن أعين وأبي خالد الكابلي» وقال: «رواه فقهاء المدينة والعراق كلهم» المناقب: ٢/ ٢٨٤ و٢٨٥. وقال الزَّبيدي في تركيب بقر في تاج العروس تعليقاً على هذا الحديث: «خرّجه أئمة النسب».
(٢) عيون الأخبار: ١/ ٢١٢.
(٣) عمدة الطالب: ١٨٣.

لعلمه بأنه سيبقر العلم ـ على رغم أنف هشام وأتباعه المستهزئين ـ وأجمع الرواة على أن صاحب هذا اللقب كان أهلاً له، فإنه بَقَرَ العِلمَ حقاً ـ وصدق رسول الله (ص) ـ أي شَقّه؛ وعرف أصلَه؛ وعَلِمَ خَفيَّه؛ واستنبط فرعه؛ وتوسَّع فيه[١].

وانفرد ـ بل شَذَّ ـ سبط ابن الجوزي بالقول: بأنه «سُمِّي الباقر من كثرة سجوده، بَقَرَ السجودُ جبهته: أي فَتَحها ووسَّعها، وقيل: لغزارة علمه»[٢]، ورَبْطُ هذا اللقب عند السبط المذكور بكثرة السجود غريبٌ منه كل الغرابة، بعد النصِّ النبوي على كونه «يبقر العلم بقراً» وقد تواترت روايته كما تقدم، ولذلك ردَّ ابن تيمية هذا الزعم وقال: «إنما سُمِّيَ الباقر لأنه بقر العلمَ؛ لا لأجل بَقْر السجود جبهته»[٣].

وقد استشهد الشاعر القرظي بهذا اللقب الرفيع المبارك فيما مدح به الإمام محمد بن علي من الشعر، فقال من جملة أبياتٍ له فيه:

يا باقر العلم لأهل التقى ... وخير مَنْ لَبّى على الأجْبُلِ[٤]

❀ ❀ ❀

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦١ وصحاح الجوهري (بقر) وغريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ٨١ والعباب الزاخر: (بقر) ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٢ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤ والعبر: ١/ ١٠٩ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ والبداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٣ ولسان العرب (بقر) والبحر المحيط: ١/ ٢٤٨ ومرآة الجنان: ١/ ٢٤٧ والفصول المهمة: ١٩٣ وغاية النهاية: ٢/ ٢٠٢ والقاموس المحيط (بقر) والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وشذرات الذهب: ١/ ١٤٩ وينابيع المودة: ٣٨٠ ونور الأبصار: ١٣٠ وإسعاف الراغبين: ٢١٤.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٤٦.

(٣) منهاج السنة: ٢/ ١٢٣.

(٤) الإرشاد: ٢٧٩ وسر السلسلة العلوية: ٣٣ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وسير أعلام =

وما إن بلغ هذا الفتى ريعان الصبا؛ وتربَّع على أريكة الشباب؛ حتى كان ملء العيون والأفئدة؛ حسناً وجمالاً؛ وبهاءً وهيبة؛ وكمالاً وتلؤلؤاً، وقد وصفه واصفوه فقالوا:

كان «ربع القامة، رقيق البشرة، جعد الشّعر، أسمر، له خال على خدِّه وخال أحمر في جسده، ضامر الكشح، حسن الصوت، مطرق الرأس»[١].

كما ذكروا أن «على جبهته وأنفه أثر السجود»[٢].

واقترن في عنفوان نشأته ومطلع رجولته بالسيدة الجليلة أُمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر؛ وامُّها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[٣].

ثم اقترن بعد ذلك بالسيدة أُمّ حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي[٤].

وذكر بعض المؤرخين أنه تزوَّج امرأة ثقفية ثم طلَّقها بعد ذلك بحينٍ لمّا سمعها تبرأ من جدّه عليّ (ع)[٥]، وأظنها أُمّ حكيم المتقدمة نفسها. كما ذكر بعضهم أنه خطب سكينة بنت حنظلة[٦]، ولم نقف على تفصيل ذلك.

= النبلاء ٤/ ٤٠٤ ومرآة الجنان: ١/ ٢٤٨ وعمدة الطالب: ١٨٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ ونور الأبصار: ١٣١.

(١) المناقب: ٢/ ٢٩٥. ويراجع في هذه الأوصاف والملامح: الفصول المهمة: ١٩٣ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٢٢ و٣٤٥ ونور الأبصار: ١٣١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٧.

(٣) نسب قريش: ٦٣ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٥ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٦.

(٤) نسب قريش: ٦٣ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦

(٥) بحار الأنوار: ٤٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ و٢٩٨.

(٦) البحر المحيط: ٢/ ٢٢٥.

وكان له من الأولاد فيما روى معظم المؤرخين سبعة[١]، وقيل: ستة[٢]، وهم:

١ ـ جعفر بن محمد (ع).

٢ ـ عبدالله بن محمد.

وأُمّهما أمّ فروة بنت القاسم السالفة الذكر[٣].

٣ ـ إبراهيم.

٤ ـ عبيد الله.

وأُمّهما أم حكيم الثقفية[٤] التي سبق ذكرها.

٥ ـ علي.

٦ ـ زينب.

وكلاهما لأمّ ولد[٥].

٧ ـ أُمُّ سلمة.

---

(١) الإرشاد: ٢٨٥ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ وكفاية الطالب: ٣٠٧ والفصول المهمة: ٢٠٣ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٦٥ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ ـ ٦٦ وتاج العروس (بقر) ونور الأبصار: ١٣٢.

(٢) صفة الصفوة: ٢/ ٦٠ وتذكرة الخواص: ٣٥١ والفصول المهمة: ٣. والصواعق المحرقة: ١٢٠ وينابيع المودة: ٣٦٠ ونور الأبصار: ١٣٢.

(٣) نسب قريش: ٦٣ والمعارف: ٢١٥ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٥ والإرشاد: ٢٨٨ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ وصفة الصفوة: ٢/ ٦٠ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٦٥ وعدة الرجال: ١/ ٦٥.

(٤) نسب قريش: ٦٣ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٥ (ولم يذكر عبيدالله) والإرشاد: ٢٨٨ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ وصفة الصفوة: ٢/ ٦٠ (ولم يذكر عبيدالله) وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٦٥ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ ـ ٦٦.

(٥) نسب قريش: ٦٣ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٦ والإرشاد: ٢٨٨ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ وصفة الصفوة: ٢/ ٦٠ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٦٥. وعدة الرجال: ١/ ٦٦.

وهي أُمّ وَلدٍ أيضاً[١].

وقيل: كان له ثلاثة من البنين وبنت واحدة[٢]، وقيل: له ستة أبناء وثلاث بنات[٣]، وذكر بعضهم أن له خمسة من الذكور[٤]، ولم يشر إلى البنات، وقيل إن له من غير الأبناء ابنة واحدة فقط هي زينب وتُكنى أُمّ سلمة[٥].

ومهما يكن من أمر ذلك فقد اتفق الجميع على أنه (ع) لم يخلّف إلاّ من ابنه جعفر (ع)[٦]؛ وأن الباقين درجوا[٧].

❀ ❀ ❀

عاصر الإمام الباقر (ع) كلَّ أحداث عصره الحافل بالفجائع والفظائع، واحتمل منذ نعومة أظفاره آلامَ المآسي الرهيبة الدامية التي واكبت تلك العهود السوداء المظلمة، سواءً منها ما حلَّ بأهل البيت خاصة؛ أو التي عمَّت المجتمع الإسلامي كله.

وقد روى اليعقوبي عنه (ع) قوله في بعض ذلك: «قُتِل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت»[٨].

ولا أريد أن أكرر الكلام في وصف ما حدث في كربلاء من

---

(١) المصادر المذكورة في الهامش السابق.
(٢) مطالب السؤول: ٢/ ٥٤ وبحار الانوار: ٣٦٦/٥٦.
(٣) ينابيع المودة: ٣٨٠.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦١ ـ ٦٢.
(٥) بحار الأنوار: ٣٦٥/٤٦.
(٦) المناقب: ٢/ ٢٩٥ وتذكرة الخواص: ٣٥١ وعمدة الطالب: ١٨٤.
(٧) المناقب: ٢/ ٢٩٥ وبحار الأنوار: ٣٦٦/٤٦.
(٨) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦١.

مجازر ومصائب وأهوال، بعد أن استعرضتُ ذلك بالتفصيل في كتابي «الإمام الحسين بن علي (ع) وأجملتُ بعضه في كتابي «الإمام علي بن الحسين (ع)».

ثم عاصر الإمام أيضاً في أيام طفولته ومطلع فتوَّته ـ في جملة ما عاصر من مسلسل جرائم سلاطين الجور ـ جميعَ أحداث وقعة الحرَّة، بفظائعها الهائلة التي لا يبلغها وصف؛ وملابساتها المخزية التي سوَّدت وجه التاريخ وأبرزت أدعياء الإسلام وزاعمي الأصالة العربية عراةً من كل برقع وستر، بعد أن تمزقت عنهم ورقة التوت وظهرت السوءات بادية للعيان.

كذلك عاصر جريمة أولئك الغَدَرَة الفجرة في اجتياحهم مكة المكرمة؛ وفي هدمهم جانباً من الكعبة الشريفة، تنفيذاً لأمر سيدهم الذي يزعم أنه أمير المؤمنين وخليفة رسول ربّ العالمين!!!

ولكي لا يكون حديثنا عما تحمّله الإمام وقاساه؛ مجردَ دعوى متخيّلة؛ أو محضَ تصوّرٍ عاطفي؛ يجدر بنا أن نقرأ بإمعان ما قاله الإمام نفسه في شرح معاناته لوقائع عصره؛ وبيان ما كان يحمل في أعماقه من آلام وأحاسيس تجاه كل ذلك عامّة، وتجاه ما أصاب أهلَ البيت وأصحابهم ومحبّيهم على وجه الخصوص؛ من ألوان الحيف والظلم وضروب المطاردة والاضطهاد. وقد أفرغ ذلك كله في «وثيقة» تاريخية قيمة تعكس لنا مجمل ما نطلب معرفته عن تلك الأيام السود؛ مأثورة على لسان الإمام مخاطباً بعض أصحابه، قال:

«يا فلان؛ـ ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبُّونا من الناس! إن رسول الله (ص) قُبِض وقد أخبر أنّا أوْلى الناس بالناس، فتمالأتْ علينا قريش حتى أخرجت الأمرَ عن معدنه،

واحتجَّتْ على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثم تداوَلَتْها قريش واحد بعد واحد، حتى رجعتْ إلينا، فنكثتْ بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحبُ الأمر في صعودٍ كؤودٍ حتى قُتِل. فبويع الحسنُ ابنُه وعُوهِد ثم غُدِر به وأُسْلِم، ووثب عليه أهلُ العراق حتى طُعِنَ بخنجرٍ في جَنبِه؛ ونهبتْ عسكره؛ وعُولجتْ خلاخيلُ أُمّ أولاده، فوادع معاوية وحقن دمَه ودماءَ أهل بيته، وهم قليل حقُّ قليل. ثم بايع الحسين (ع) من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به، وخرجوا عليه ـ وبيعته في أعناقهم ـ وقتلوه».

«ثم لم نزل ـ أهلَ البيت ـ نُستذَلُّ ونُستَضام؛ ونُقصى ونُمتَهن؛ ونُحرم ونُقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا. ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعُمّال السوء في كل بلدة، فحدَّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نَقُلْه وما لم نفعله ليُبَغِّضونا إلى الناس، وكان عُظْم ذلك وكُبْره زمن معاوية بعد موت الحسن (ع)، فقُتِلتْ شيعتُنا بكل بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظِّنّة، وكان مَنْ يُذكر بحُبِّنا والانقطاع إلينا سُجِن أو نُهِبَ مالهُ أو هُدِمت دارُه».

«ثم لم يزل البلاءُ يشتدُّ ويزداد؛ إلى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسين (ع)، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قِتْلة؛ وأخذهم بكل ظِنّة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحبُّ إليه من أن يقال شيعة عليّ، وحتى صار الرجل الذي يُذكَر بالخير ـ ولعله يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدِّث بأحاديث عظيمة عجيبة؛ من تفضيل بعض مَنْ قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنها حقٌّ لكثرة مَنْ قد رواها»[١].

(١) شرح نهج البلاغة: ١١/٤٣ ـ ٤٤.

ولسنا بعد هذا البيان الشافي الذي استوعب بايجاز جميع ما يراد قولُه في هذا الصدد؛ بحاجة إلى زيادة شرح أو إيضاح، وقد وصف لنا الإمام (ع) تلك الحقبة النكراء المظلمة من الزمن خير وصف، وهو الذي عاش منها ـ منذ ولادته في سنة ٥٧ هـ إلى وفاة أبيه في سنة ٩٥ هـ ـ قرابة تسع وثلاثين سنة؛ كانت من عجائب الحقب وأشدها سوءاً وبطشاً وقهراً وطغياناً، فقد ضجَّت أيامها بالفجائع، وازدحمت لياليها بالفظائع، ولم يعرف الناس فيها من عطاء سلاطينهم غير الظلم والجور وإلاّ ما حفل به تاريخ الطواغيت في الأرض من استبداد وعسف وهمجية.

الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام)
بين إمامته وشهادته

«ولقد كان هو المتعيِّن للإمامة يوم وفاة أبيه، بل لم يكن في الساحة الإسلامية مؤهَّل لها غيره، سواء أقلنا بأن الإمامة لن تكون إلاّ بالنص النبوي على نحو مباشر أو غير مباشر، أو ذهبنا إلى رأي من يرى الاكتفاء بتوفُّر الشروط والصفات المطلوبة شرعاً في المرشح لذلك المركز الديني الخطير».

❁ ❁ ❁

في الشهر المحرَّم من سنة ٩٥ هـ اختار الله تعالى لجواره الإمامَ عليّ بن الحسين (ع)، فخفَّ نحو جنة الخلد ودار النعيم؛ ليتبوأ مقعده هناك بين الأنبياء والصدِّيقين وأسلافه الطيبين الطاهرين، واتجهت أنظار المسلمين على أثر ذلك نحو خَلَفِهِ محمدٍ باقر العلم، لأنه المشهود له عند جميع عارفيه باجتماع شروط الإمامة فيه؛ والوحيد الذي لم يشاركه غيره فيما عُرِف به من صفات الفضل والكمال؛ والشرف والجلال؛ والزهد والورع، والخلق الرسالي العظيم؛ والهَدْي النبوي الكريم.

وكان بفضل اجتماع كل تلك الخلال فيه؛ هو المتعيِّن للإمامة يوم وفاة أبيه، بل لم يكن في الساحة الإسلامية مؤهّل لها غيره، سواء أقلنا بأن الإمامة لن تكون إلاّ بالنصِّ النبوي ـ على نحو مباشر أو غير مباشر ـ

أو ذهبنا إلى رأي من يرى الاكتفاء بتوفر الشروط والصفات المطلوبة شرعاً في المرشَّح لذلك المركز الديني الخطير وإن لم يكن هناك نصٌّ أو تعيين.

وكان أحدث النصوص وآخرها تاريخاً ذلك الذي رواه الرواة عن الإمام زين العابدين (ع)[١]؛ حين جمع أولاده قبل وفاته «وأوصى إلى ابنه محمد بن علي» «وجعل أمرهم إليه»[٢]، وقال أيضاً: «إنه الإمام أبو الأئمة»، فلما سُئل: «فكم الأئمة بعده؟ قال: سبعة؛ ومنهم المهدي الذي يقوم بالدين في آخر الزمان»[٣].

والحقُّ أن هذا النص الصريح من الأب على ابنه كافٍ كل الكفاية لمن يبحث عن ذلك، لأنه بمثابة النصّ النبوي عليه، بعد أن ثبت نصُّه (ص) على إمامة علي (ع) وعلى الحسن والحسين (ع) من بعده ـ كما تقدّم منّا في كتبنا السابقة المعنية بهؤلاء الأئمة الثلاثة (ع) ـ؛ وبعد أن تواترت الرواية عن هؤلاء الأئمة المنصوصين في تسمية من سيكون إماماً من بعدهم؛ بالنصّ الشامل لهم جميعاً في بعضها، وفي نصّ كل واحدٍ منهم على خلفه في بعضٍ آخر.

ومع ذلك كله فقد روى المحدّثون عدداً غير قليل من النصوص النبوية الشريفة المعنيّة بقضية الإمامة وقد وردت فيها أسماء الأئمة الإثني عشر كلهم، وهي مبثوثة في المصادر المعروفة عند رجال الحديث

(١) يراجع في نصوص الإمام السجاد (ع) على ابنه وأسماء بعض رواة ذلك: الإرشاد: ٢٨٠ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦.
(٢) بحار الأنوار: ٤٦/ ٢٣٠.
(٣) بحار الأنوار: ٣٦/ ٣٨٩.

والأثر، مثل قوله (ص) الذي أخرجه الحمويني والموفق بن أحمد الخوارزمي بسندهما عن سلمان الفارسي قال: «دخلتُ على النبي (ص) فإذا الحسين على فخذيه؛ وهو يقبّل خدّيه ويلثم فاه ويقول: (أنت سيد ابن سيد أبو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة، أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهديّ)»(١)، وكقوله (ص) الذي أخرجه الحمويني أيضاً بسنده عن ابن عباس قال: «سمعتُ رسول الله (ص) يقول: (أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهَّرون معصومون)»(٢).

كما كان من جملة تلك النصوص النبوية المتفق عليها لدى المسلمين عامّة قوله (ص) ـ واللفظ لأبي نعيم(٣) ـ: «أيها الناس؛ إني فرطكم، وإنكم واردون عليّ الحوض فإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله؛ سَبَبٌ طَرَفُه بيد الله وطَرَفُه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»(٤).

ثم كان من جملة تلك النصوص المتفق عليها أيضاً قول النبي (ص): «الأئمة من قريش» أو «من بني هاشم»(٥)، وقد ورد النصُّ فيه

(١) ينابيع المودة: ٤٤٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) حلية الأولياء: ١/ ٣٥٥.

(٤) ورد هذا النص بهذا المضمون وإن اختلفت بعض ألفاظه في: صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢ ومسند أحمد: ٤/ ٣٦٧ و٣٧١ و٥/ ١٨٢ و١٨٩ وسنن الترمذي: ٥/ ٦٦٢ وطبقات ابن سعد: ٤/ ٨ والصواعق المحرقة: ١٣٦.

(٥) ينابيع المودة: ٤٤٤ و٤٤٥.

على كونهم إثني عشر[١]، وهذا الحصر العددي غير قابل للتفسير والتأويل، ولا ينطبق بأي نحوٍ من الأنحاء على مَنْ تولّى شؤون الحكم في التاريخ الإسلامي ممن يطلق عليهم اسم (الخلفاء)، إذ «لا يمكن أن يُحْمَل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن إثني عشر، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأمويّة لزيادتهم على إثني عشر... ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور»[٢].

وإذا لم يكن أولئك الحكّام أئمة ولم يكونوا ممن يشملهم ذلك الحديث؛ وجب على كل مسلم أن يبحث عن إمامه الشرعي المشار إليه في النص النبوي المتقدم، ليعرفه ـ بوضوح ـ معرفة الإيمان والإقرار، لأن تلك المعرفة التفصيلية القائمة على تعيين الإمام أولاً ثم التمسك به ثانياً. إنما هي فرض من الفروض الدينيّة الأساسية، إن لم نعدّها في المقدمة من تلك الفروض التي لا مناص من الالتزام بها لمن أراد العمل بالحديث النبوي المتسالم عليه؛ وهو قوله (ص): «من مات بغير إمام مات ميتةً جاهلية» أو «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية»[٣].

---

(١) يراجع في هذا الحديث والعدد المعيّن فيه: صحيح البخاري: ٩/ ٧٨ و١٠١ وصحيح مسلم: ٦/ ٣ وسنن أبي داوود: ٢/ ٤٢١ وسنن الترمذي: ٤/ ٥٠١ ومسند أحمد بن حنبل: ٢/ ١٢٨؛ و٣/ ١٢٩ و١٨٣؛ و٤/ ٤٢١؛ و٥/ ٨٦ ـ ١٠٨ والمعجم الكبير: ٢/ ٢١٤ ـ ٢٨٦ ودلائل النبوة: ٦/ ٥٢٠. وقال ابن حزم في الفصل: ٤/ ٨٩: «هذه رواية جاءت مجيء التواتر»، وقال الحلبي في السيرة الحلبية: ٣/ ٣٩٥: «هو حديث صحيح ورد عن نحو أربعين صحابياً».

(٢) ينابيع المودة: ٤٤٦.

(٣) الحديث بهذا النص أو ذاك أو قريب منهما في صحيح مسلم: ٦/ ٢٢ ومسند أحمد بن جنبل: ٣/ ٤٤٦ و٤/ ٩٦ والكافي: ١/ ٣٧٦ والمعجم الكبير: ١٩/ ٣٨٨ ومجمع الزوائد: ٥/ ٢١٨ و٢٢٤ و٢٢٥.

وغير خفيٍّ عمّن كان له قلب ولبّ أن السلاطين المتقدمين الذين حكموا بلاد الإسلام كانوا قد أشاعوا الزعم بكونهم أئمة وخلفاء؛ جمعاً وخلطاً بين الوصفين، لعلمهم بأن الإمامة والخلافة إنما يمثّلان مدلولاً واحداً في أصل التشريع.

ومع أن هذا المدلول الواحد لهاتين الكلمتين هو الصحيح الذي يجب أن يكون، إلاّ أنه لم يتحقق ـ ويا للأسف ـ كما أُريد به وخُصّص له في المنهج الإسلامي الأصيل. وكان مراد أولئك الحكام من هذا الزعم إيهام مَنْ يلتبس عليه الأمر من المسلمين ـ وهم الأكثر ـ بأن الحاكم المتربع على الدست إمامٌ حق وخليفة صدق، وأن الإقرار به إنما هو التطبيق الشرعي السليم للحديث النبوي المتقدم في ضرورة معرفة الإمام.

ولما كان الإمام ـ كما تفيدنا النصوص الدينية ـ هو المُتَّبَع والمقتدى؛ فإن الإمامة في ضوء ذلك «رئاسة دين»، ولما كان الخليفة ـ كما يرشدنا الواقع الخارجي ـ هو السلطان الأعظم؛ فإن الخلافة «رئاسة دولة». وبهذا افترق كل عنوان من هذين العنوانين عن الآخر، وأصبح لكل لفظ منهما ميدانه الخاص وإطاره المعيّن الذي يدور فيه، فكان الإمام ـ كما قال الدكتور أحمد محمود صبحي ـ: «لدى مفكّري الإسلام ـ سنيين وشيعة ـ يعني صاحب الحق الشرعي، بينما يشير لفظ الخليفة إلى صاحب السلطة الفعلية»، ومن هنا «كانت خلافة أبي بكر عن النبي في سلطته الزمنية دون الدينية»[١]، وكان مرجع الدين غير رئيس الحكومة، إذ لم يكن معقولاً أو منطقياً أن يصبح شخص «الخليفة» كيزيد بن معاوية مثلاً «إماماً» للمسلمين، يرجعون إليه في أحكام الدين، ويقتدون به في مسائل الحلال والحرام، ويلجأون لرأيه في شؤون العقيدة.

---

(١) نظرية الإمامة: ٢٠ و ٢٤.

وقد استمدَّ مفكّرو الإسلام الذين عناهم الدكتور صبحي هذا التفريق بين الإمامة والخلافة من التاريخ العملي للمسيرة الإسلامية على امتداد القرون؛ ومن التعامل العام للجمهور المسلم الواعي مع هذين العنوانين منذ انفصلت الإمامة عن الخلافة بعد وفاة النبي (ص).

❀ ❀ ❀

وعلى الرغم من تطابق النصوص ـ بعد الضمّ والجمع بين عامّها وخاصّها ـ على كون محمد بن علي بن الحسين هو الإمام الشرعي بعد أبيه، بمقتضى جميع ما تقدّم عرضه من أحاديث وروايات، فربما بقي بين القراء مَنْ لم يكتفِ بذلك كله، وإنما يريد المزيد من الاستدلال والبرهنة على هذه الحقيقة الجلية الواضحة.

ولهذا المتردّد وأمثاله نقول: إن فقهاء السلف قد ذكروا شروطاً يجب إحراز توفرها في الإمام، بل لا يكون إماماً إن لم تجتمع فيه تلك الصفات، وأوردوا في طليعة ذلك: العلم، والعدالة، وسداد الرأي، وسلامة الحواس والأعضاء، مضافاً إلى الانتساب لقريش كما جاء في النص النبوي الذي انعقد إجماع المسلمين عليه[١].

وإذا كان «لا خلاف بين الأُمّة أنه لا يجوز أن تُعقَد الإمامة لفاسق»؛ وأن الإمام «يجب أن يكون من أفضلهم في العلم»[٢]، بل «لا تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل»[٣]، فإن الخليفة الدنيوي الذي بيده السلطة إن كان متجاهراً بالفسق والفجور وارتكاب عظائم الأمور؛ ولم يكن من أهل العلم فضلاً عن أن يكون «من أفضلهم» فإنه ليس إماماً

(١) الأحكام السلطانية: ٤ والبحر المحيط: ١/ ٣٧٩.
(٢) تفسير القرطبي: ١/ ٢٣١.
(٣) البحر المحيط: ١/ ٣٧٩.

قطعاً، وليس خليفةً لرسول الله (ص) يقيناً، ولا ينطبق عليه من ثَمَّ عنوان «إمام زمانه» ـ الذي عناه الحديث النبوي السالف الذكر ـ على كل التقادير.

ولنستعرض فيما يأتي ـ زيادةً في التأكيد والإيضاح ـ بعض ما أورده المحدّثون والمؤرخون من مؤهلات الإمام الباقر (ع) ومؤهلات الخلفاء الحاكمين الذين عاصرهم الإمام، لنرى مَنْ هو الإنسان الحامل لخصال الإمامة في ذلك العصر؛ ممن اجتمعت فيه الشروط الشرعية؛ وانطبقت عليه المواصفات الدينية، المتفق عليها بين فقهاء المسلمين وذوي الرأي فيهم.

الإمام محمد بن علي الباقر

أ ـ عِلمُه:

وماذا نقول في علم رجلٍ شهد فيه رسول الله (ص) الذي ما ينطق عن الهوى بأنه «يبقر العلم بقراً» كما تقدم بيانه، ولكننا لا نرى مانعاً ـ وإن عُدَّ مستهجناً في نظر المؤمنين المتيقنين ـ من أن نستشهد ببعض الأقوال الواردة في هذا الموضوع؛ زيادة في الاطمئنان والتصديق:

قال فيه عبدالله بن عطاء المكي: «ما رأيتُ العلماء عند أحدٍ أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيتُ الحَكَمَ عنده كأنه متعلِّم»[1].

وذكر مترجموه أنه «كان ثقة كثير العلم والحديث»[2]، و«كان له فقهٌ»[3]، بل كان «سيد فقهاء الحجاز»[4]، و«من خيار أهل العلم والدين»[5]، وقد «أظهَرَ من مُخبّآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام

---

(١) حلية الأولياء: ٣/١٨٦ والإرشاد: ٢٨٠ ـ ٢٨١ والمناقب: ٢/٢٩٠ وصفة الصفوة: ٢/٦٢ ومطالب السؤول: ٢/٥٢ والبداية والنهاية: ٩/٣١١ وتذكرة الخواص: ٣٤٧ ومرآة الجنان: ١/٢٤٨ وشذرات الذهب: ١/١٤٩ وبحار الأنوار ٤٦/٢٨٦.

(٢) طبقات ابن سعد: ٥/٢٣٨.

(٣) المعارف: ٢١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٥/٢٧٧.

(٥) منهاج السنة: ٢/١٢٣.

والحِكَم واللطائف؛ ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة؛ أو فاسد الطوية والسريرة. ومن ثَمَّ قيل فيه: هو باقر العلم وجامعُه، وشاهر عَلَمِه ورافعُه، صفا قلبُه، وزكا علمُه وعمله، وطهرت نفسُهُ، وشرف خُلُقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله»[(١)].

وأُثِرَ عن جابر بن يزيد الجعفي أنه كان إذا روى عن محمد بن علي شيئاً قال: حدَّثني وصيُّ الأوصياء ووارث علوم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين»[(٢)].

وقال المنصور العباسي في رسالته إلى محمدٍ ذي النفس الزكية: «ما وُلِدَ فيكم مولودٌ بعد وفاة رسول الله (ص) أفضل من علي بن الحسين. . . ثم ابنه محمد بن علي»[(٣)].

وروى الشيخ المفيد عن محمد بن المنكدر أنه كان يقول: «ما كنتُ أرى أن مثل عليّ بن الحسين يدع خلفاً؛ لفضل علي بن الحسين، حتى رأيتُ ابنه محمد بن علي»[(٤)]، وفي لفظ الحافظ ابن حجر العسقلاني عن ابن المنكدر قال: «ما رأيتُ أحداً يفضل على عليّ بن الحسين حتى رأيتُ ابنه محمداً»[(٥)].

وقال المقدسي: «كان إماماً يؤخَذ عنه العلم»[(٦)].

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

(٢) الإرشاد: ٢٨١ والمناقب: ٢/ ٢٧٣.

(٣) الكامل للمبرد: ٤/ ١١٩.

(٤) الإرشاد: ٢٨١.

(٥) تهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥٢.

(٦) التبيين: ١١٠.

وقال الحافظ ابن كثير: كان «أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً»[١].

وقال سبط ابن الجوزي: «كان عالماً عابداً ثقة روى عنه الأئمة»[٢]،

ب ـ عبادته وورعه:

قال الحافظ ابن كثير: «كان ذاكراً خاشعاً صابراً، من سلالة النبوة، رفيع النسب عالي الحسب»[٣].

وروى الرواة: «أنه كان يصلّي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة»[٤]، وكان من دعائه عندما يقوم في جوف الليل متضرعاً: «أمَرتَني فلم أأتمر، ونهيتني فلم أنزجر، فها أنا عبدُك بين يديك مقرٌّ لا أعتذر»[٥].

و«حكى مولاه أفلح قال: حججتُ مع أبي جعفر محمد الباقر، فلما دخل المسجد ونظر البيتَ بكى... ثم طاف بالبيت، وجاء حتى ركع خلف المقام، فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتلٌّ من دموع عينيه»[٦].

وبلغت به الحال في شدة انصهاره في طاعة الله تعالى ما حدّثنا سفيان الثوري بأحد أمثلته فقال: «اشتكى بعضُ أولاد محمد بن علي

(١) البداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩.
(٢) تذكرة الخواص: ٣٥٧.
(٣) البداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩.
(٤) حلية الأولياء: ٣/ ١٨٢ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٥ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٣ و٤٠٥ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢.
(٥) الفصول المهمة: ١٩٤.
(٦) تذكرة الخواص: ٣٤٩ والفصول المهمة: ١٩٤ ونور الأبصار: ١٣١.

فجزِع عليه، ثم أُخْبِر بموته فسُرِّيَ عنه، فقيل له في ذلك فقال: ندعو الله فيما نحبُّ، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما أحبّ»(١).

ج ـ كرمه وسخاؤه:

قال المفيد وهو يتحدث عنه: «وكان مع ما وصفناه من الفضل في العلم والسؤدد والرئاسة والإمامة؛ ظاهرَ الجود في الخاصة والعامة، مشهورَ الكرم في الكافّة، معروفاً بالتفضُّل والإحسان، مع كثرة عياله وتوسط حاله»، ثم أورد عدة أمثلة على كرمه وسخائه(٢).

وقال سلمان بن قرم: «كان محمد بن علي يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف»(٣).

وحُكي عن مولاته سلمى قولها: «كان يدخل عليه بعضُ إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب؛ ويكسوهم في بعض الأحيان؛ ويعطيهم الدراهم. قالت: فكنتُ أُكلّمه في ذلك لكثرة عياله وتوسط حاله، فيقول: يا سلمى؛ ما حَسَنة الدنيا إلاّ صلة الإخوان والمعارف»(٤).

والمستفاد من مجموع النصوص التاريخية المتوفرة أن كرم الإمام كان من لوازم ذاته وعطاء طبعه؛ وليس فرعاً من فروع غناه وكثرة ماله، بل كان يعمل بنفسه جاهداً في سبيل لقمة الخبز وكرامة العيش، وقد حدّث محمد بن المنكدر أنه خرج ذات يوم إلى بعض نواحي المدينة في

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/٤٠٧.

(٢) الإرشاد: ٢٨٤، ومثله في الفصول المهمة: ١٩٧.

(٣) الإرشاد: ٢٨٤ وصفة الصفوة: ٦٣٢ وبحار الأنوار: ٤٦/٢٨٨ ونور الأبصار: ١٣١.

(٤) نور الأبصار: ١٣١.

ساعة حارّة لإنجاز حاجةٍ له، قال: «فلقيتُ محمد بن علي... فقلتُ في نفسي: شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، لأعِظنَّه! فدنوتُ منه فسلّمتُ عليه... فقلتُ: أصلحك الله؛ شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال... قال: لو جاءني ـ والله ـ الموتُ وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعةٍ من طاعات الله، أكفُّ بها نفسي عنك وعن الناس، وإنما كنتُ أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصيةٍ من معاصي الله»، قال محمد بن المنكدر: «فقلتُ: يرحمك الله؛ أردتُ أنْ أعظك فوعظتني»[1].

---

(١) الكافي: ٥/ ٧٣ والإرشاد: ٢٨١ ـ ٢٨٢ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٣٢٥ والفصول المهمة: ١٩٥ ـ ١٩٦ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٨٧ و٣٥٠.

الخلفاء المدّعون للإمامة
في عصر إمامة الباقر (ع)

أ ـ الوليد بن عبد الملك:

كان أولَ خليفةٍ عاصره الإمام (ع) بعد وفاة أبيه، وقد امتدت إليه أصابعُ الاتهام بدسّ السمِّ للإمام زين العابدين (ع)[١]، وتلك ـ إنْ ثبت انتسابها إليه ـ أُمُّ الجرائم وكبيرة الكبائر.

ولم تطل أيام معاصرة الوليد للإمام، إذ مات في سنة ٩٦ هـ[٢]، وكان ـ كما جاء في ترجمته ـ «جباراً عنيداً ظلوماً غشوماً»[٣].

ب ـ سليمان بن عبد الملك:

تسلم الحكم يوم السبت، للنصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ[٤]. وكان من جملة أعماله الأولى: إقراره خالد بن عبدالله القسري على مكة، وهو الذي أحدث بها أحداثاً[٥] أنكرها المسلمون، كما كان

---

(١) المناقب: ٢/٢٦٩ والفصول المهمة: ١٩٠ ـ ١٩١ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وبحار الأنوار: ٤٦/١٥٣ وعمدة الزائر: ٣٠٣.

(٢) مروج الذهب: ٣/١١١ وتاريخ الخلفاء: ١٤٩.

(٣) يراجع تفصيل ذلك في كتابنا الإمام علي بن الحسين (ع): [المجلد السابق من سيرة الأئمة ص: ٤١٨ ـ ٤١٩].

(٤) مروج الذهب: ٣/١١١.

(٥) مروج الذهب: ٣/١١٢.

من جملة أفعاله: أمره بدسّ السم لأبي هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفية؛ فقتله بزعم الخوف من أن يخرج عليه[١].

«وكان سليمان صاحب أكلٍ كثير يجوز المقدار، وكان يلبس الثياب الرقاق وثياب الوشي... وكان لا يدخل عليه رجل من أهل بيته إلاّ في الوشي، وكذلك عمّاله وأصحابه... حتى الطبّاخ فإنه كان يدخل إليه في صُدْرَة وشيٍ... وأمر أن يكفّن في الوشي»[٢].

«وكان شعبه في كل يوم من الطعام مائة رطل بالعراقي. وكان ربما أتاه الطبّاخون بالسفافيد التي فيها الدجاج المشوية... فلنهمه وحرصه على الأكل يُدخِل يدَه في كُمِّه حتى يقضي على الدجاجة وهي حارَّة»[٣]، وهناك حكايات كثيرة رواها المؤرخون تخص كثرة أكله وإفراطه فيه[٤]، وقد لخصها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بقوله: «كان سليمان همّه بطنُه وفرجُه»[٥].

وروى بعض الرواة: أنه وجَّه مولىً له إلى الدَّلال المغنّي المخنّث، وقال له: «جئني به سراً، وحذّر رسوله أن يعلم بذلك أحد، فنَفَذَ المولى إليه وأعلمه... وخرج به إلى الشام. فلما قَدِمَ أنزله المولى منزله وأعلم سليمان بمكانه، فدعا به ليلاً... فأقام عنده شهراً يشرب على غنائه»[٦].

ولما طلب منه واليه على خراج مصر أسامة بن زيد الدمشقي الرفقَ

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٤٠.
(٢) (٣) مروج الذهب: ٣/ ١١٢.
(٤) مروج الذهب: ٣/١١٣ والفخري: ١٠٩ ـ ١١٠ وتاريخ الخلفاء: ١٥٠.
(٥) النزاع والتخاصم: ١٦.
(٦) الأغاني: ٤/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

بالناس والترفيهَ عنهم والتخفيفَ من الخراج المفروض عليهم «قال له سليمان: هبلتك أُمُّك! احلب الدَّرَّ؛ فإذا انقطع فاحلب الدّم»[١].

ومن طرائف ما يروى عن سليمان: أنه أُدخِل عليه يوماً يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وهو مكبّل بالحديد، فدار بينهما حوار طويل قال سليمانُ في آخره مخاطباً يزيد: «عزمتُ عليك لتُخْبرني عن الحجاج ما ظنُّك به؟ أتراه يهوي بعدُ في جهنم أم قد استقرَّ فيها؟»، فقال له يزيد في بعض ما أجابه به: «إنه يوم القيامة لَعَنْ يمين أبيك عبد الملك ويسار أخيك الوليد، فاجعله حيث شئتَ»[٢].

ومات سليمان يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة ٩٩ هـ[٣].

ج ـ عمر بن عبد العزيز:

ولي الحكم إثر وفاة سليمان بن عبد الملك، وقد اتهمه بعض معاصريه بدفن سليمان وهو حيّ لم يمت بعد، وتقول الرواية: إن البيعة أُخِذت لعمر قبل إعلان موت سليمان تنفيذاً لكتابه بهذا الشأن، ثم أُعلنتْ وفاته بعد تمام البيعة، وشُيّع سليمان وانتهى به المشيّعون إلى محل دفنه، «ونزل عمر بن عبد العزيز قبره وثلاثة من ولده، فلما تناولوه تحرّك على أيديهم، فقال وَلَدُ سليمان: عاش أبونا وربِّ الكعبة، فقال عمر: بل عوجل أبوكم»[٤] وأهال التراب عليه.

ويحدّث رجاء بن حَيْوَة: إن سليمان لما ثقل «رآني عمر في الدار

---

(١) الوزراء والكتاب: ٣٢.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ١١٤.

(٣) مروج الذهب: ٣/ ١١١ وتاريخ الخلفاء: ١٥٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٤٣.

أخرج وأدخل وأتردد، فدعاني فقال لي: يا رجاء؛ أُذكّرك الله والإسلام أن تذكرني لأمير المؤمنين أو تشير بي عليه إن استشارك... فانتهرتُه وقلتُ: إنك لَحريص على الخلافة؛ لَتَطمع أن أُشير عليه بك، فاستحيا»[١].

ومن هذين النصّين يظهر أن الرجل كان متهالكاً على الحكم وتسلُّم زمام الأمر وإن تظاهر بخلاف ذلك، وقد فهم رجاءُ بن حيوة هذا المعنى منه فصارحه به، ثم جاء الدليل الأكبر عليه في استعجاله بدفن سليمان وهو حيّ إن صحّت الرواية بذلك.

وكان عمر هذا قبل استخلافه ذا غنىً وثروةٍ وترفٍ وخيلاء، وذُكر أنه كان يملك عدداً غير قليل من الجواري والعبيد، كما كان «من أعطر الناس وألبس الناس وأخيلهم مشية»، و«كان إذا مشى خطر بيديه»[٢].

ويبدو أن الظروف العامة المحيطة بالحكم والخلافة في ذلك الوقت قد فرضت عليه سلوك الطريق الذي اختاره لنفسه أيام قيامه بالأمر، لينقذ الوضع من التفتُّت والانهيار بعد أن أجهز سلفه غير الصالح على الإسلام فلم يبقوا منه إلا الاسم المجرّد من المحتوى واللباب، كما أجهزوا على المسلمين فجعلوا منهم العبيد الخانعين؛ ومنهم الأموات المقبورين أو المشرّدين المتوارين.

وكان من جملة خطواته السياسية الأولى اثر استخلافه: أمْرُه بترك «لَعْن علي (ع) على المنابر»[٣]؛ وإلغاء هذه «السُّنَّة» الأموية الفاجرة؛ وإزالة بعض الحيف الذي ألحقه الأمويون وأذنابهم ببني هاشم. وقد

(١) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٧٥ و٢٩٣ و٢٩٧.

(٣) مروج الذهب: ٣/ ١٢٠ والفخري: ١١٠ ـ ١١١ وتاريخ الخلفاء: ١٦١ ـ ١٦٢.

شكره شاعر الطالبيين الشريف الرضي على ذلك بعد قرابة ثلاثة قرون من موته؛ فقال من جملة شعرٍ له فيه:

يابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أُميّة لبكيتُكْ

أنت أنقذتنا من السبِّ والشتم فلو أمكن الجزاءُ جزيتُكْ

غير أني أقول: إنك قد طِبْتَ وإن لم يطبْ ولم يزكُ بيتكْ

دير سمعان لاعدتك الغوادي خيرُ ميتٍ من آل مروان ميتُكْ[١].

ولعل خير من وصفه بدقة وحدّد معالم صورته بجلاء؛ هو الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إذ قال فيه: «كان عُمر أعورَ بين عميان»، ثم عجب كيف يوصف هذا الرجل بالعدل ويُنسب إليه؛ وقال مستدلاً على بطلان ذلك: «إن من عدله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلاً ويتولاها بغير استحقاق»[٢].

ومات عمر بن عبد العزيز في دير سمعان يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ١٠١ هـ، ودُفِن هناك[٣].

د ـ يزيد بن عبد الملك:

ملك اثر وفاة عمر بن عبد العزيز في سنة ١٠١ هـ، ومات في سنة ١٠٥ هـ لخمس بقين من شعبان[٤]، وكان يسمى «خليع بني أمية»[٥]، ويراد بذلك أنه أخلع الجميع.

(١) الفخري: ١١١.
(٢) النزاع والتخاصم: ١٦.
(٣) مروج الذهب: ٣/ ١١٩ وتاريخ الخلفاء: ١٦٣.
(٤) مروج الذهب: ٣/ ١٣١ وتاريخ الخلفاء: ١٦٤.
(٥) الفخري: ١١٢.

اشتهر يزيد بحبّ جاريةٍ يقال لها: سلاّمة، ثم تعلّق قلبه أيضاً بجاريةٍ أخرى يقال لها: حبّابة[١]، وغلبت هاتان الجاريتان على أمره؛ حتى لم يجد أخوه مسلمة بن عبد الملك مناصاً من لومه وعذله على ذلك، «لِمَا عَمَّ الناس من الظلم والجور؛ باحتجابه وإقباله على الشرب واللهو»[٢].

«واعتلّت حبّابة، فأقام يزيد أياماً لا يظهر للناس، ثم ماتت فأقام أياماً لا يدفنها جزعاً عليها حتى جيّفتْ، فقيل [له]: إن الناس يتحدّثون بجزعك، وإن الخلافة تُجَلُّ عن ذلك، فدفنها وأقام على قبرها... ثم أقام بعدها أياماً قلائل ومات»[٣].

ورُويت عنه من الأقوال والأعمال ما يدلُّ على كفرٍ وانحراف، كما رُويت من أفعاله وتصرفاته في شرابه ولهوه وخلال سماعه لسلاّمة وحبّابة؛ وتهالكه على الأخيرة منهما خاصة؛ ما يندى له جبين كلّ من كان ذا دين وحياء[٤].

وحدّث ابن الطقطقى: إن حبابة غنّته يوماً:

بين التراقي واللّهاة حرارةٌ ... ما تطمئنُّ ولا تسوغ فتبردُ

«فأهوى يزيد بن عبد الملك ليطير، فقالت: يا أمير المؤمنين!! لنا فيك حاجة، فقال: والله لأطيرنَّ، قالت: فعلى مَنْ تَدَع الأمة؟ قال: عليكِ، وقَبّلَ يدها!!»[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٢ ـ ٢٣.
(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٣١.
(٣) مروج الذهب: ٣/ ١٣٣، وبعضه في تاريخ الطبري: ٧/ ٢٤.
(٤) يراجع في ذلك: مروج الذهب ٣/ ١٣٤ و١٤٨ والأغاني: ١٥/ ١٢٤ ـ ١٣٢.
(٥) الفخري: ١١٢.

هـ ـ هشام بن عبد الملك:

تولّى مقاليد السلطة اثر وفاة أخيه يزيد في سنة ١٠٥ هـ، وبقي متربعاً على العرش حتى مات في ستٍّ خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ[١].

وكان هشام «خشناً فظاً غليظاً»[٢]، «بخيلاً شديد البخل»[٣]، «حسوداً. . . ظلوماً شديد القسوة بعيد الرحمة طويل اللسان»[٤].

❀ ❀ ❀

هؤلاء كانوا مدّعي الخلافة والنيابة عن رسول الله (ص) في أيام حياة الإمام الباقر بعد وفاة أبيه زين العابدين (ص).

وهكذا كانوا فيما ظهر وما بطن من فسقهم وفجورهم وتحلُّلهم من كل ضابط شرعي أو التزام ديني، إن لم نصدّق ما رُوي في كفر بعض منهم وإلحاده.

ثم نعود إلى ما قاله القائلون فيما تقدّم؛ في الإمام الباقر (ع)؛ علماً وفقها؛ وورعاً وزهداً؛ وتقوى وهَدْياً؛ وخُلُقاً وسلوكاً، ولم يكن معظم هؤلاء القائلين من أتباعه وشيعته، ولكنه الحق إذ يطفح على الشفاه؛ لأن الله يريد إظهاره للناس وإعلامَ الأجيال به على كرّ القرون.

ولعل من نافلة القول أن نسأل في ضوء ذلك كله فنقول:

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ١٣٩ وتاريخ الخلفاء: ١٦٤.
(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٣٩.
(٣) الفخري: ١١٢.
(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦٨.

مَنْ هو الذي اجتمعت فيه صفات الإمامة التي أوردها المفكرون المسلمون؟

ومن هو الحاوي لكل شروطها التي ذكرها الفقهاء والمتكلّمون؟

وسيكون الجواب حصراً: إنه محمد بن علي الباقر.

ولذلك أعلن الحافظ الذهبي: إنه «كان أهلاً للخلافة»[١]، وصرّح الصفدي: بأنه «كان يصلح للخلافة»[٢]، لأنه «جَمَع بين العلم والعمل؛ والسؤدد والشرف؛ والثقة والرزانة»[٣]، ثم روى الذهبي: اتفاق الحفّاظ «على الاحتجاج بأبي جعفر»[٤]، ووَصْفِه بأنه «الإمام الثبت»[٥].

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٢.
(٢) الوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٢.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٢.
(٥) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤.

واستكمالاً لجوانب البحث في هذه الحقبة الزمنية الخاصة من حياة الإمام الباقر (ع)، بعد الفراغ من الحديث عن ثبوت إمامته؛ ووجوب اتّباعه وطاعته؛ ولزوم السير على هدى أمره ونهيه، بحكم كونه ـ دون غيره ـ صاحبَ الأمر وإمامَ الزمان وأحَدَ الثقلين اللذين أكّد الحديث النبوي الشريف ضرورة التمسك بهما على كل مسلم ومسلمة. ننتقل الآن إلى التحدث عن الجانب التاريخي أو السياسي من تلك السيرة، للتعرف على مدى علاقة هذا الإمام بأحداث عصره وشؤون دهره، خلال مدة ولايته الشرعية الممتدة من سنة ٩٦ هـ إلى سنة ١١٤ هـ أو بعدها بقليل.

ويبدو من استقراء المصادر التاريخية أنه لم يسجَّل في هذه المدة ما يقتضي التطويل في بيانه وشرحه، إذ لم تشهد هذه السنون من الهزّات العنيفة و الفواجع الكبرى ما شهدته أيام إمامة زين العابدين (ع) من كوارث السلطة وحوادثها التي لم تَرَ مثلها عينٌ ولم تسمع أُذُن؛ كمجزرة كربلاء ووقعة الحرَّة واستباحة المدينة المنوّرة وهدم الكعبة، كما أنها لم تشهد ما شهدَتْه أيامُ ابنه الصادق (ع) من قيام ثورة زيد بن علي ضدّ الأمويين؛ ثم دعوة العباسيين وزحف الخراسانيين للاطاحة بالكيان الأموي وقلعه من جذره.

وكنتُ قد قلتُ في بحثٍ سابق ما فحواه: إن أئمة أهل البيت (ع) لم يُعْرَف عنهم في يوم من الأيام أنهم عُشاق حكمٍ وهُواة عروش، بل

كانوا ـ كما تنطق بذلك سِيَرهم وتواريخهم ـ أزهد الناس في جميع ما يمتُّ إلى بهرج الدنيا وزينتها؛ وما يتهالك عليه أهلها من ترفها الماديّ وزخرفها الوقتي ومغرياتها البرّاقة المحكومة بالزوال على كل حال. وإذا كان فيهم مَنْ ثار يوماً فحمل السيف وعرّض نفسه للشهادة فإن ذلك لم يكن لغرض مكسب دنيوي عابر أو مأرب ذاتي رخيص، وإنما أراد به ـ أولاً وأخيراً ـ الحفاظ على شعلة الإسلام؛ والإبقاء على سلامة المسيرة؛ والحرص على عدم عودة الناس إلى جاهليتهم الجهلاء كما كان يخطّط الأعداء المغلّفون؛ ويسعى المزيّفون والمنحرفون، ويعملون ـ بكل ما أُوتوا من كيدٍ ومكرٍ ـ على تنفيذه خطوة خطوة؛ ومرحلة مرحلة.

ومع أن عملية التخريب والتزييف والتحريف لم تقف ولم تتراجع خلال أيام إمامة الباقر من آل محمد(ع)، فإن افتضاح أمر أولئك الحكام السيّئين؛ وانتشار أخبار سوئهم وفسادهم؛ بل بلوغ بعضهم في تهتكه وفجوره حدَّ الشهرة التي طبّقت كلَّ أرجاء العالم الإسلامي، قد كشف الغطاء عن خططهم الجهنمية الدفينة؛ ومزّق تلك البراقع السميكة التي أخفوا تحتها نياتهم الشّريرة وأهدافهم الخبيثة؛ ضد كلمة الله السامية ورسالة محمدٍ الخالدة.

وكان إفساد الذمم وتفكُّك المجتمع وتدهور الأخلاق والقِيَم وتصدُّع الرادع الديني في النفوس؛ في ظل ذلك الحكم الجائر الفاسد، قد جعل الثورة يومذاك عملاً انتحارياً لا يوصل إلى غاية ولا يحقّق هدفاً. وليس من ديدن أئمة أهل البيت(ع) خوض المعارك وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح، إن لم يُضْمن منها المردود المباشر لصالح الإسلام؛ والعوض المناسب لما يُدْفَع من ثمنٍ وما يُقَدَّم من تضحيات، كما هي الحال في ثورة الحسين(ع) التي أجهزت على العرش الأموي وحكمت عليه بالموت؛ وإن ظهرت الآثار العملية لذلك بعد حين.

ولهذا نجد الإمام الباقر (ع) يشير على أخيه زيد ـ وكان قد اجتمع به في المدينة به في المدينة فاستشاره فيما يدور في خلده من إعداد العدّة للثورة على الأمويين انطلاقاً من الكوفة ـ أن «لا يركن إلى أهل الكوفة إذ كانوا أهل غدرٍ ومكر»، وأخبره «بما كان عنده من العلم في مدة ملك بني مروان»، فأبى زيد «إلاّ ما عزم عليه من المطالبة بالحق»، فقال له الإمام: «إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غداً المصلوب بكناسة الكوفة»، ثم «ودَّعه أبو جعفر وأعلمه أنهما لا يلتقيان»[1].

ولم يكن هذا الكلام الصريح الصادر من الإمام منبعثاً عن جبن وخوف؛ أو بدافع حبّ البقاء والحرص على الحياة، ولكنه كلام الرجل الخبير بحقائق الناس؛ والعالم ببواطن الأمور؛ و المقدّر ـ أفضل التقدير ـ لتقلُّبات الظروف وتصرُّفات الأحوال، إذ لا يرضى أن تكون الثورة انتحاراً لقائدها ولمن يثبت معه من أتباعه المجاهدين الصادقين، ومجالاً لترجح الأعداء بالنصر والغلبة، وسبباً يستغله السلطان لمزيدٍ من الظلم والقهر و البطش بذوي الإيمان والاستقامة وخلوص النية.

❁ ❁ ❁

وعندما تتضح لنا نظرة الإمام (ع) للأوضاع العامة يومذاك؛ وتقويمه لها في جميع جوانبها السياسية والاجتماعية وملابساتها السلمية والثورية، يصبح من المفروض أو المتوقع أن لا يقوم بينه وبين حكّام عصره أي شكل من أشكال الوصل والارتباط؛ وأي نحوٍ من أنحاء العلاقة المباشرة أو غير المباشرة، لأن الطرفين ـ بما عرفنا من تفاصيل أمرهما ـ

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠ ومنه النص، والكافي: ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧ والبحر المحيط: ١/ ٣٧٨.

كانا يمثّلان الخطّين المتوازيين اللذين لا يلتقيان في كل الأحوال، فلا لقاء مودَّةٍ وحبٍّ لأنهما على طرفَيْ نقيضٍ في المنهج والسلوك، ولا لقاء مجابهةٍ وحربٍ لأن الإمام لم يكن مؤمناً بالثورة في ذلك الوقت.

وفي ضوء هذا كله يمكن القول بأن العلاقة بين الجانبين كانت قائمة على ما يصح أن نَصِفَه بالمهادنة والموادعة وعدم الاحتكاك، إذ يتفرّغ الإمام خلال ذلك لأداء رسالته الكبرى في التعليم والتربية والتثقيف والتوجيه، وينصرف فيه السلاطين للهوهم وعبثهم وترف سلطانهم.

وكان هذا على الإجمال هو الموقف العام السائد خلال أيام تسلُّط الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك.

أما عهد عمر بن عبد العزيز فقد شهد بعضَ الانفراج والتحسُّن في هذا الجانب كما يستفاد من النصوص التاريخية، وجاء في عدد من تلك الروايات ما يدل على انتقال الحال من المهادنة إلى شيء من التواصل والتقارب بينهما؛ وإن يكن في أضيق حدوده ومجالاته.

لقد روى ابن سعد بسنده عن يحيى بن شبل قال:

«جلستُ مع علي بن عبدالله بن عباس وأبي جعفر محمد بن علي، فجاءهما آتٍ فوقع بعمر بن عبد العزيز، فنهياه وقالا: ما قُسِمَ علينا خمسٌ منذ زمن معاوية إلى اليوم، وإن عمر بن عبد العزيز قسمه على بني عبد المطلب. فقلت: فهل أعطى بني المطلب؟ فقالا: ما جاوز به بني عبد المطلب»(١).

وحدَّث بعض المؤرخين: أن أخاً لعمر بن عبد العزيز دخل عليه «فقال له: إن بني أمية لا ترضى منك بأن تفضّل بني فاطمة عليهم، فقال: أُفضِّلهم لأني سمعتُ... أن رسول الله (ص) كان يقول: (إنما

---

(١) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٨٩.

فاطمة شجنة مني يسرُّني ما أسرَّها ويسوؤني ما أساءها، فأنا أبتغي سرور رسول الله (ص) وأتقي مساءته»[1].

وقد يخيّل للقارىء السطحي لهذين النصين أن المال الذي أعطاه الخليفة لآل عليٍّ خاصة ولعموم آل عبد المطلب؛ كان هو السبب الفاعل في ذلك التقارب المشار إليه بين هذين الطرفين المتخاصمين، وأن الخليفة قد نجح في استدراج الإمام بالمال وتكوين هذا القدر من حسن الرابطة؛ بعد تلك القطيعة الصارمة والعداء المستحكم.

غير أن الباحثين والمدققين يعلمون أن الحال بين الجانبين في سابقها ولاحقها كانت أعمق جذراً وأبعد امتداداً من موضوع الخمس الذي أوصله الخليفة لأهله ـ وإن تصدَّر بحدّ ذاته قائمة الحقوق التي اغتصبتها السلطة من آل محمد (ص) وبني هاشم ـ وأن جوهر الخلاف ولبَّ النزاع بين بني فاطمة وسلطات الخلافة منذ اليوم الأول كان يدور في ظاهره حول (الرمز) الأهم والأكبر؛ وهو (فدك) الذي تعاقبت أيدي الحاكمين على اغتصابه من هؤلاء منذ توفي رسول الله (ص) حتى عهد عمر بن عبد العزيز،فأعاده عمر إلى أهله متحدياً بذلك جميع ادعاءات غاصبيه والمتجاوزين عليه، وكانت هذه العودة ـ بكل ما تعنيه من معانٍ وما تشير إليه من أبعاد ـ هي السبب الحقيقي فيما أشارت إليه النصوص التاريخية من التواصل المشهود بين الإمام الباقر (ع) والخليفة المذكور.

وروى السَّرويُّ بسنده: أن عمر بن عبد العزيز لما دخل المدينة؛ أمر مناديه أن ينادي: مَنْ كانت له مظلمة أو ظلامة فليحضر. فأتاه أبو جعفر الباقر (ص)، فلما رآه استقبله وأقعده مقعده، وقال له الإمام فيما قال:

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/ ٣٢٠.

«إنما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناسُ ما ينفعهم وما يضرهم، وكم قوم ابتاعوا ما ضرَّهم فلم يصبحوا حتى أتاهم الموت، فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا ما ينفعهم في الآخرة، فقُسِّم ما جمعوا لمن لم يحمدهم، وصاروا إلى مَنْ لا يعذرهم، فنحن والله حقيقون أن ننظر إلى تلك الأعمال التي نتخوّف عليهم منها فنكفّ عنها. واتق الله، واجعل في نفسك اثنتين: انظر إلى ما تحب أن يكون معك إذا قدمتَ على ربك فقدِّمه بين يديك، وانظر إلى ما تكره أن يكون معك إذا قدمتَ على ربك فارمه وراءك. ولا ترغبنَّ في سلعةٍ بارَتْ على مَنْ كان قبلك فترجو أن يجوز عنك، وافتح الأبواب، وسهِّل الحُجّاب، وأنصف المظلوم ورُدَّ الظالم».

ثم قال:

«ثلاثة مَنْ كُنَّ فيه استكمل الإيمان بالله: مَنْ إذا رَضِي لم يُدْخِله رضاه في باطل، ومَنْ إذا غضب لم يُخْرِجه غضبُه من الحق، ومَنْ إذا قدر لم يتناول ما ليس له».

قال الراوي:

«فدعا عمر بداوةٍ وبياض وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما رَدَّ عمُر بن عبد العزيز ظلامة محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بفدك»(١).

ولما مات عمر بن عبد العزيز عادت الحال إلى ما كانت عليه من المهادنة طوال عهد يزيد بن عبد الملك، ثم تردَّت إلى درجة كبيرة أيام حكم هشام بن عبد الملك، واتخذت في سوئها وانحدارها ألواناً شتى

(١) المناقب: ٢/ ٢٩٣ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧، و٧٨/ ١٨١ ـ ١٨٢.

من الأذى والاضطهاد؛ كالاستدعاء إلى الشام ـ ولعله كان أكثر من مرة ـ وكالسجن في بعض الأحيان، ثم دسّ السم في خاتمة المطاف.

ويبدو أن السبب الأول في غليان فورة الحقد في نفس هشام على الإمام يعود إلى رؤيته إياه في مكة، وربما حصل خلال هذه الرؤية ما أغضبه وأثاره عليه، وجاء في رواية الزبير عن عبد الرحمن بن عبدالله الزهري: أن هشاماً سنة حَجِّه «دخل الحرم متكئاً على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين جالس، فقال: يا أمير المؤمنين؛ هذا محمد بن علي. فقال: المَفْتون به أهلُ العراق؟ قال: نعم»[(١)].

وورد في الرواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)، وكان قد قصد هو وأبوه (ع) مكة حاجين كالمعتاد، وحج هشام بن عبد الملك في تلك السنة أيضاً، فقال جعفر بن محمد مخاطباً جمعاً من المسلمين في المسجد الحرام:

«الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفاؤه، فالسعيد من اتّبَعَنا، والشقي من عادانا وخالَفَنا».

فسمع مسلمة بن عبد الملك هذا الكلام فأخبر أخاه بما سمع، ويقول الإمام الصادق: إنه «لم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه، فأشْخَصَنا. فلما وردنا مدينة دمشق حَجَبَنا ثلاثاً ثم أذن لنا في اليوم الرابع، فدخلنا... فلما دخلنا... قال: يا محمد؛ ارْمِ مع أشياخ قومِك الغرضَ، فقال له إني قد كبرتُ عن الرمي فهل رأيتَ أن

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٥. والفصول المهمة: ١٩٦.

تعفيني، فقال... لا أعفيك، ثم أومأ إلى شيخ من بني أمية: أن أعْطِه قوسك. فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ. ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس، ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشقَّ فواق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمي حتى شقَّ تسعة أسهم بعضها في جوف بعض. وهشام... لم يتمالك إلا أن قال: أجدتَ يا أبا جعفر... هلاّ زعمتَ أنك كبرتَ عن الرمي...».

ثم قال له هشام بعد الفراغ من ذلك:

«يا محمد... لله درُّك، مَنْ علّمك هذا الرمي وفي كم تعلّمتَه؟ فقال أبي [وما زال الكلام للإمام الصادق (ع)]: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه، فتعاطيتُه أيام حداثتي ثم تركتُه».

وأطرق هشام ملياً بعد حديثٍ طويل بينه وبين الإمام «ثم رفع رأسه فقال: سل حاجتك، فقال: خلَّفتُ عيالي وأهلي مستوحِشين لخروجي. فقال: قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم، ولا تُقِم، سِرْ من يومك»(١).

ويبدو أن حضور الإمام إلى الشام قد تكرَّر، إذ روى الكليني بسنده عن أبي بكر الحضرمي قال:

«لما حُمِل أبو جعفر (ع) إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك وصار ببابه، قال لأصحابه ومَنْ كان بحضرته من بني أمية: إذا رأيتموني قد وبَّختُ محمد بن علي ثم رأيتموني قد سكتُ فليُقْبل عليه كلُّ رجل منكم فليوبّخْه. ثم أمر أن يؤذن له، فلما دخل عليه أبو جعفر (ع) قال بيده: السلام عليكم، فعمَّهم جميعاً بالسلام جلس، فازداد هشام عليه حنقاً

(١) بحار الأنوار: ٤٦/٣٠٦ ـ ٣٠٩.

بتركه السلام عليه بالخلافة وجلوسه بغير إذن، فأقبل يوبّخه ويقول فيما يقول له: يا محمد بن علي؛ لا يزال الرجل منكم قد شقَّ عصا المسلمين ودعا إلى نفسه وزعم أنه الإمام سفهاً وقلّة علم. ووبّخه بما أراد أن يوبّخه، فلما سكت أقبل عليه القومُ رجل بعد رجل يوبّخه حتى انقضى آخرهم».

«فلما سكت القومُ نهض (ع) قائماً ثم قال: أيها الناس؛ أين تذهبون؟ وأين يُرَاد بكم؟ بنا هدى الله أوَّلكم، وبنا يختم آخركم، فإنْ يكن لكم مُلكٌ معجّل فإن لنا ملكاً مؤجّلاً، وليس بعد ملكنا ملكٌ لأنّا أهل العاقبة، يقول الله عزّوجل: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾».

«فأمر به إلى الحبس، فلما صار إلى الحبس تكلَّم، فلم يبق في الحبس رجلٌ إلاّ تَرَشَّفه [أي تعلّم منه]... فجاء صاحبُ الحبس إلى هشام... فأخبره بخبره، فأمر به فحُمِل على البريد... إلى المدينة»[(١)].

وروى عمرو بن عبدالله الثقفي خبر إخراج هشام للإمام من المدينة إلى الشام، وذكر لقاء الإمام بأحد النصارى في هذه الرحلة وما دار بينهما من حوارٍ في النصرانية والإسلام»[(٢)].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر (ع) نفسه قال:

«أشخصني هشام بن عبد الملك، فخلتُ عليه وبنو أمية حوله، فقال لي: ادنُ يا تُرابي، فقلتُ: من التراب خُلِقنا وإليه نصير. فلم يزل يدنيني حتى أجلسني معه، ثم قال: أنت أبو جعفر الذي تقتل بني أمية؟ فقلتُ: لا، قال: فمَنْ ذاك؟ فقلتُ: ابن عمنا»[(٣)].

---

(١) الكافي: ١/ ٤٧١ والمناقب: ٢/ ٢٨٠ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٦٤.
(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ١٤٩.
(٣) المناقب: ٢/ ٢٧٨ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٦٢.

وهكذا تقضّت السنون على الإمام منذ سنة ١٠٥ هـ يوم تولّى السلطة هشام بن عبد الملك، وهو بين استدعاءٍ إلى الشام مرة؛ وإخراجٍ إليها بالقوة مرة؛ وسجن فيها في بعض الأحيان، حتى كانت أُمُّ الدواهي وكبيرة الفظائع في دسّ السمّ إليه[١]، فكانت فيه وفاته شهيداً بيد الغدر، فانتقل إلى رضوان ربِّه في أعلى عليين، في جوار الأنبياء والصدِّيقين، وفي أحضان جدِّه الأعظم وآبائه الطاهرين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

واختلفت الروايات التاريخية في يوم الوفاة والشهر والسنة اختلافاً كبيراً، والمشهور أن ذلك كان في اليوم السابع من شهر ذي الحجة[٢]، وقيل: في ٢٣ صفر[٣]، وقيل: في شهر ربيع الأول[٤]، وقيل: ربيع الآخر[٥].

أما سنة الوفاة فالأرجح أنها كانت سنة ١١٤ هـ[٦]، لأن رواتها

---

(١) المناقب: ٢/ ٢٩٥ والفصول المهمة: ٢٠٣ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ و٢١٧ وينابيع المودة: ٣٦٠ ونور الأبصار: ١٣٢ واسعاف الراغبين: ٢١٤ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٢) عمدة الطالب: ٤٩ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ ـ ٢١٨ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨. وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٣) وفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤.

(٤) وفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ ـ ٢١٨ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٥) الأئمة الإثنا عشر: ٨١ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ ـ ٢١٨ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٦) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٨ (عن الفضل بن دكين) والكافي: ١/ ٤٦٩ و٤٧٢ وذيل المذيل: ٦٤٢ (عن أبي نعيم) والإرشاد: ٢٧٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٧٧ وسر السلسلة العلوية: ٣٢ والمناقب: ٢/ ٢٩٥ وطبقات الفقهاء: ٣٦ (عن مصعب الزبيري) وصفة الصفوة: ٢/ ٦٣ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وكفاية الطالب: ٣٠٧ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ والعبر: ١/ ١٠٩ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٥ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٩ (عن أبي نعيم وسعيد بن عفير ومصعب الزبيري) والبداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ وكامل ابن الأثير: ٤/ ٢١٧ وتذكرة الخواص ٣٥٠ (عن الفضل =

أقدم عصراً وأثقل وزناً وأكثر عدداً، وقيل: سنة ١١١ هـ[١]، وقيل: ١١٢[٢]، وقيل: ١١٣[٣]، وقيل: ١١٥[٤]، وقيل: ١١٦[٥]، و١١٧[٦]، و١١٨ هـ[٧] أيضاً.

= ابن دكين) ومرآة الجنان ١/ ٢٤٧ وعمدة الطالب: ١٨٤ وغاية النهاية: ٢/ ٢٠٢ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١ (وقال: هو الأصح، ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة في تاريخه والفلاس وعمر بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ومصعب الزبيري وعبدالله بن عروة عن شيوخه ويعقوب بن سفيان وآخرين) والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢ (وقال: على الصحيح) والنجوم الزاهرة: ١/ ٢٧٣ وشذرات الذهب: ١/ ١٤٩ وزهرة المقول: ٥٨ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٢ و٢١٦ ـ ٢١٩ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ وتاج العروس (بقر) وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(١) مآثر الإنافة: ١/ ١٥٢.

(٢) ذيل المذيل: ٦٤٢.

(٣) وفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ ومختصر تاريخ العرب: ١٣٦.

(٤) كامل ابن الأثير: ٤/ ٢١٧ والبداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١ وغاية النهاية: ٢/ ٢٠٢.

(٥) البداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١ وغاية النهاية: ٢/ ٢٠٢ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧ وعدة الرجال: ١/ ٦٥ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

(٦) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ٦٠ والمعارف: ٢١٥ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٨ وذيل المذيل: ٦٤٢ (عن المدائني) وطبقات الفقهاء: ٣٦ (عن المدائني) وصفة الصفوة: ٢/ ٦٣ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وتذكرة الخواص: ٣٥٠ (عن الواقدي) وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٩ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٥ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ والبداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١ والصواعق المحرقة: ١٢٠ والأئمة الإثنا عشر: ٨١ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٧) تاريخ خليفة: ٢/ ٥١٥ وطبقات خليفة: ٢/ ٦٣٨ وطبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٨ وذيل المذيل: ٦٤٢ (عن يحيى بن معين) وطبقات الفقهاء: ٣٦ (عن يحيى بن معين أيضاً) وصفة الصفوة: ٢/ ٦٣ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ والعبر: ١/ ١١٣ وتذكرة الخواص: ٣٥٠ والبداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١ وغاية النهاية: ٢/ ٢٠٢ وينابيع المودة: ٣٨٠.

وكان المؤرخون قد اختلفوا في تحديد عمره تبعاً لاختلافهم في تعيين سنة وفاته، لكن بعضهم قد أغرق في ذلك فروى ما لا يصح ولا يمكن دخوله في دائرة الاحتمال على كل حال، فقد رُوي عن الواقدي أن عمره ثلاث وسبعون سنة[١]، وكذلك قال ابن سعد في طبقاته[٢]، وذكر الكليني أنه كان عند وفاته ابن خمس وسبعين سنة مع نصّه على أنه قُبِض في عام أربع عشرة ومائة[٣]، وجاء في رواية بعض المصادر أنه جاوز السبعين[٤]. وقد ردَّ الحافظ ابن حجر جميع ذلك فقال معلّقاً على زعم كونه ابن ثلاث وسبعين: «فإن ثبت ذلك فيكون مولده سنة خمس وأربعين»، ثم ذكر أن تاريخ ولادة أبيه ومقدار عمره في سنة خمس وأربعين المدّعاة ينفيان صحة ذلك[٥].

وذهب دونالدسن إلى امتناع وفاة الإمام قبل سنة ١٢٢ هـ، اعتماداً منه على ما رواه المسعودي من استشارة زيد بن علي أخاه الباقر في الخروج، متوهماً بأن ذلك كان قبيل الثورة مباشرة في سنة ١٢١ ـ ١٢٢ هـ[٦].

والحقُّ أنه لم يرد في نصّ المسعودي ما يدل على قيام الثورة إثر هذه المشاورة، ومن الممكن أن تكون هذه المحادثة بين الأخوين قد جرت قبل خروج زيدٍ بزمن طويل؛ لأنه كان يفكر بالأمر قبل تنفيذه بحين.

---

(١) طبقات الفقهاء: ٣٦ وكامل ابن الأثير: ٤/ ٢١٧ وتذكرة الخواص: ٣٥٠ وينابيع المودة: ٣٨٠، وفي بعضها النص على أن ذلك قول الواقدي.

(٢) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٨.

(٣) الكافي: ١/ ٤٧٢.

(٤) البداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩.

(٥) تهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١.

(٦) عقيدة الشيعة: ١٢٦.

وذكرت معظم المصادر التي روتْ خبر وفاته أنها كانت بالمدينة المنورة، وشذَّ بعضها فذكر أنها كانت بالحُمَيْمة ـ وهي قرية لعلي بن العباس وأولاده. . . ونُقل إلى المدينة[١].

وشيّع أهالي يثربِ بقضهم وقضيضهم هذا الجثمان الطاهر إلى مثواه الأخير في البقيع الزاهر بجوار أبيه وعمّ أبيه الحسن بن علي (ع).

و«أوصى أن يكفّن في قميصه الذي كان يصلّي فيه»[٢] فنُفّذتْ وصيته.

ورثاه بعض شعراء عصره الذين لم يكونوا من أولياء السلطة ومرتزقتها، ومنهم الشاعر مالك بن أعين الجُهَني؛ الذي بلغنا من مرثيته قوله فيها:

إذا طلب الناسُ علمَ القرا ... نِ كانت قريش عليك عيالا
وإنْ قيل: إبْنُ ابنِ بنتِ النبيْ ... يِ نلتَ بذلك فرعاً طُوَالا
نجوم تَهلّلُ للمُدلجينَ ... جبالٌ تُورّث علماً جبالا[٣]

---

(١) وفيات الأعيان: ٣/ ٣١٤ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨١.

(٢) طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٧ وصفة الصفوة: ٢/ ٦٣ وتذكرة الخواص: ٣٥١ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ٢٠٣ ونور الأبصار: ١٣٢ وإسعاف الراغبين: ٢١٤.

(٣) معجم الشعراء: ٣٦٦ والإرشاد: ٢٧٩ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٤ وعمدة الطالب: ١٨٣ ـ ١٨٤ وسر السلسلة العلوية: ٣٣.

تُراثُ الإمامة

كان تراث الإمامة الذي خلّفه الإمام الباقر (ع) للأجيال من بعده شامخاً بالغ الشموخ في تلألؤه ولمعانه، ورائعاً فائق الروعة في أسلوبه ومحتواه، بل يصحُّ أن يعدَّ ـ بحكم كونه جوهر الإسلام ولباب الشرع ـ أسمى ما ورث المسلمون من فكرهم الديني النقيّ الأصيل؛ عظمةً وسعةً وعلوّ شأنٍ ورفعة مقام.

وقد لخَّص الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ـ قبل أكثر من ألف عام ـ ذلك التراث الضخم الفخم بكلّ ما حمل من عطاء جمٍّ وامتداد غير محدود الأبعاد؛ فقال:

«روى أبو جعفر (ع) أخبار المبتدأ؛ وأخبار الأنبياء، وكُتِبَ عنه المغازي، وأثروا عنه السنن، واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله (ص)، وكتبوا عنه تفسير القرآن، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبارَ، وناظر مَنْ كان يَرِدُ عليه من أهل الآراء، وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام»[1].

وكانت هذه الجمل ـ على إيجازها وضغط ألفاظها ـ فهرساً وافياً بمجمل ما أُثِر عن الإمام؛ مما كانت تتناقله عنه في عصره أفواهُ الرواة وأقلام الكتّاب وأسانيد المحدِّثين، ثم دأبت على نقله عنهم طبقات الدارسين خلال العصور التالية والقرون المتمادية.

---

(١) الإرشاد: ٢٨٢.

ثم لخَّص المستشرق دونلدسن في عصرنا الحديث ـ ومن منظوره الاستشراقي البحت ـ ما وقف عليه فأثار اهتمامه من ذلك التراث، فقال في خلال كلامه عن الموضوعات التي عُنِيَ بها الإمام: «كان يبحث في مواضيع كثيرة: كماهيَّة الروح وصفات العلماء؛ وصفات الله؛ ثم ذكر حواراً له مع حاكم عصره هشام بن عبد الملك، وقال دونلدسن معلقاً عليه: «ولم تؤثّر مظاهر السلطة والفخفخة عند الخليفة على الإمام، فأجاب على مسائله بدون خوفٍ أو تردُّد»[1].

وليس في كل ذلك الذي قيل في القديم أو سُطِر في عصرنا الحديث؛ عن هذا التراث المشعّ المتبلج؛ ما يدعو إلى عجبٍ أو يبعث على استغراب، بعد أن كان قائلهُ العظيم وارثَ علم جدّه الأكبر مدينة العلم ومنبع المعرفة ومبلّغ الوحي، بما تمثّل عنده ممّا تلقاه آباؤه الأئمة الهادون المهديون عن النبي الأعظم من أخبار السماء والغيب وبيّنات الهدى والفرقان وأسرار الدين والتنزيل وحقائق التشريع والسنن. وقد روى الرواة: أن عليّ بن الحسين (ع) لما حضرتْه الوفاة «أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده، فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق... وكان في الصندوق سلاح رسول الله (ص) وكتبه»، وجاء في ذيل نصٍ آخر بهذا المضمون: «إنه لم يكن فيه دينار ودرهم، ولكن كان مملوءاً علماً»[2].

وحدّث حمران بن أعين: أنه سأل الإمام الباقر (ع) يوماً عما يتداول الناسُ نقلَه من دفع الحسين (ع) أمانة مختومة لأم المؤمنين أُمّ سلمة، فأجابه قائلاً: «إن رسول الله (ص) لما قُبِض ورث عليٌّ (ع) علمه وسلاحه وما هناك، ثم صار إلى الحسن، ثم صار إلى الحسين، فلما

---

(١) عقيدة الشيعة: ١٢٥.

(٢) الكافي: ١/ ٣٠٥.

خشينا أن نُغْشى استودَعَها أُمّ سلمة، ثم قبضها بعد ذلك عليُّ بن الحسين (ع)، قال: فقلتُ... وصار بعد ذلك إليك؟ قال: نعم»[١].

وهكذا كان علمُ رسول الله (ص) وكتُبه ـ مضافاً إلى بقية شؤونه الخاصة كسلاحه وسيفه وخاتمه وعصاه ودرعه ذات الفضول ـ مودوعاً عند الإمام يومذاك[٢]، ينهل منه في كل آن؛ ويرجع إليه متى شاء. ولعلّ هذا العلم النبوي المكتوب المتوارث هو الذي أطلق عليه الحافظُ الذهبي اسْمَ «مسائل وفَتَاوٍ»[٣]، وعدَّ ذلك من جملة ما تناقل المسلمون من تراث باقر العلم (ع).

وحار كثير من المؤرخين وكتّاب التراجم وهم يروون أنباء علم الباقر وشموخ فضله الذي فاق به أهل زمانه، فلم يستطيعوا الوقوف على منابع هذا الغدير العذب الدفّاق، أو لم يريدوا الاعتراف بالمصدر الحقيقي لهذا الإشعاع الغامر الوهّاج، فحاولوا إلصاقه بمن زعموا رواية الإمام عنهم من صحابة وتابعين، ولم يدركوا أن أغلب أولئك الذين أوردوا أسماءهم لم يكونوا بهذا المستوى من سعة المعرفة؛ وبتلك الدرجة من امتداد الأفق ووفرة المعلومات، فكيف استطاعوا تعليم محمد بن علي ما لم يسبق لهم علمه ولم يُعهَد منهم اتقانه، وقديماً قيل في الحكمة المعروفة: فاقد الشيء لا يعطيه.

لقد زعم الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ بعد جمعه الأخبار المدّعاة في هذا الصدد ـ إن الإمام قد «روى عن أبيه؛ وجدّيه الحسن والحسين؛ وجدّ أبيه علي بن أبي طالب ـ مُرْسَل ـ وعمّ أبيه محمد بن الحنفية؛ وابن

(١) الكافي: ١/ ٢٣٥.

(٢) الكافي: ١/ ٢٣٤ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٢٩ و٢٣٠.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠١.

عمّ جدّه عبدالله بن جعفر بن أبي طالب؛ وسمرة بن جندب؛ وابن عباس؛ وابن عمر؛ وأبي هريرة؛ وعائشة؛ وأم سلمة؛ وأبي سعيد الخدري؛ وجابر؛ وأنس؛ وإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص؛ وسعيد بن المسيَّب؛ وعبيدالله بن أبي رافع؛ وحرملة مولى أسامة؛ وعطاء بن يسار؛ ويزيد بن هرمز؛ وأبي مرَّة مولى عقيل بن أبي طالب، وغيرهم»(١).

والحقُّ أن معظم هؤلاء الذين تقدَّمت أسماؤهم لم يصح خبر رواية الإمام عنهم ولم يثبت صدقها، بل لا أساس لذلك أبداً؛ ولعل من أُولى مقتضيات الموضوعية أن نعلن رفضه جملة وتفصيلاً، لأن علم الإمام إنما كان وراثة عن جدّه الأعظم (ص) كما تقدمت وتأتي الإشارة إليه، ولا يمتُّ بأي نحوٍ من الأنحاء إلى سمرة بن جندب واضرابه ممن لم يكن لهم من الشأن والذكر إلا كونهم جلاوزة الحاكمين وأعوان الجائرين؛ وربما ـ في أحسن الفروض ـ وعّاظ السلاطين.

ولهذا لم يجد ابنُ حجرٍ نفسه مناصاً ـ بعد إيراد الأسماء المتقدمة ـ من الشك في رواية الإمام عنهم جميعاً باستثناء ابن عباس وجابر بن عبدالله وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب، ثم نقل عن «ابن أبي حاتم عن أحمد أنه قال: لا يصح أنه سمع من عائشة ولا من أُمّ سلمة»(٢).

وإذا أردنا معرفة حقيقة الأمر في تحديد مَنْ روى عنهم الإمام ـ على وجه القطع واليقين؛ وبعيداً عن الدوران في متاهات التضليل ـ فعلينا أن نقرأ ما أجاب به الباقر نفسه (ع) لمّا «سُئِل عن الحديث يرسله

---

(١) تهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥٠. وورد ذكر بعض هؤلاء بزعم رواية الإمام عنهم ـ أيضاً ـ في حلية الأولياء: ٣/ ١٨٨ وصفة الصفوة: ٢/ ٦٣ وتذكرة الحفّاظ: ١/ ١٢٤ والوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢.

(٢) تهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥١.

ولا يسنده، فقال: إذا حدّثتُ الحديث فلم أُسْنِده فسندي فيه أبي عن جدّي عن أبيه عن رسول الله (ص) عن جبرائيل عن الله عزَّ وجل»(١).

وذلك هو لبُّ الموضوع وجوهره.

وإنه لسَنَدٌ تتصاغر أمامه كل الأسانيد، وسلسلة تتضاءل لديها كل سلاسل الرجال، وقولٌ لا يدانيه شك ولا تحوم حوله شبهة ولا يعتريه ريب، لأنه قول الله العليّ العظيم، مبلغاً بواسطة أمين الوحي إلى خاتم النبيين وسيد المرسلين، ومنه إلى عليّ أمير المؤمنين القائل وهو الصادق: «سلوني قبل أن تفقدوني»، ومنه إلى أبي عبدالله؛ الحسين ريحانة رسول الله (ص) وسبطه الذي أذهب الله عنه الرجس واختاره أحد سيديّ شباب أهل الجنة، ثم منه إلى علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين وإمام المتقين.

❀ ❀ ❀

وعندما تتّضح لنا بهذا الجلاء والتبيين مصادر علم الإمام ومنابع الإلهام والعرفان لديه، حيث يكون ذلك كله مرتبطاً بهذه السلسلة الذهبية الموصولة الحلقات بالله تعالى بأوثق الوسائط وأعلى درجات القبول والتصديق، تبدو لنا نفاسة ما حفظته الأيام من تراث هذا الإمام الطيب الطاهر؛ على رغم جميع عوامل الطمس والتعتيم والإغفال المتعمّد.

ولعل أول ما ينبغي تقديمه بالذكر ونحن نريد التحدث عن ذلك التراث الخالد وفهم منطلقاته الحكيمة وأهدافه السامية؛ أن نتريّث قليلاً أمام ما أبرزته الأحاديث العديدة والروايات الكثيرة المسندة إليه؛ من اهتمامه الفائق وعنايته البالغة بقضية الدرس والتدريس وعملية التعلُّم

(١) الإرشاد: ٢٨٤ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٨٨.

والتعليم؛ وما أولى به هذا الجانب من الرعاية والعناية والتأكيد، إذ حثَّ المسلمين بشتى طرائق الترغيب ومختلف وسائل التشويق، على طلب العلم بمعناه المطلق وفي كل مجالاته الحيوية البنّاءة، بشرط أن لا يكون علم ضلالٍ وإفسادٍ وشعوذة، إدراكاً منه سلام الله عليه لما في العلم المفيد النافع من خيرٍ للناس وصلاح للمجتمع بحكم كونه حجر الزاوية في تحقيق طموحات الدين في بناء التقدم والازدهار. كذلك حثّ كلّ المتعلّمين على عدم الاكتفاء بالدرس والتعلم بل يجب عليهم تعليم الآخرين ما حملوا من علم وما أوتوا من خبرة وفضلٍ، لتتسع دائرة المعرفة وتنداح آفاق انتشارها، فتشمل أكبر عدد ممكن من البشر وأقصى مساحة مُتاحة من الأرض.

وكان من جملة أقواله المأثورة في هذا الصدد:

«تَذاكُرُ العلم دراسةٌ، والدراسةُ صلاةٌ حسنة»[١].

«مَنْ علّم بابَ هدى فله مثل أجر مَنْ عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علّم بابَ ضلالٍ كان عليه مثل أوزار من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً»[٢].

«زكاةُ العلم أنْ تُعلِّمَه عبادَ الله»[٣].

«رحم الله عبداً أحيا العلم»، قال الراوي: «قلتُ: وما إحياؤه؟ قال: أن يُذاكر به أهل الدين وأهل الورع»[٤].

إلى كثيرٍ من أمثال هذه النصوص التي لا نريد الإطالة بسردها في هذا المختصر.

---

(١) الكافي: ١/ ٤١.

(٢) الكافي: ١/ ٣٥.

(٣) (٤) الكافي: ١/ ٤١.

وكان من أروع مواقفه ـ وهو يحرّض المسلمين على العلم والدراسة والمذاكرة ـ حرصه على أن لا يظنَّ ظانٌّ منهم أن التفرغ للعبادة والإكثار من الصلاة المسنونة والصيام المستحب وقراءة الأذكار الشرعية والأوراد الدينية، قد يصلح أن يكون عوضاً عن ثواب طلب العلم أو بمستوى آخر تحصيل المعرفة إن لم يَفُقْها في نظر بعض المتصوفين والزاهدين، فقال كلمته الذهبية المدوّية التي أسندها إليه المحدّثون المعنيون: «عالمٌ يُنتَفع بعلمه أفضل من ألف عابد»، وفي بعض المصادر: «أفضل من سبعين ألف عابد»، كما روى بعضهم عنه قوله: «والله لَموتُ عالمٍ أحبُّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً»[١].

ولما كان القرآن الكريم مشكاة العلم ومنبع الهدى؛ ومعجزة النبوة ودستور الإسلام؛ وكتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد حرَّض الإمام المسلمين ـ وهو يدعوهم إلى طلب العلم ـ على تعلُّم القرآن واتقانه، وتفهُّم معانيه ومبانيه؛ وتدبُّر أهدافه ومغازيه، والسعي المخلص الدؤوب نحو العمل بجميع أوامره ونواهيه، والتطبيق الحرفي لسننه وأحكامه على كل حال[٢]، لا طلباً للدنيا؛ ولا رغبة في تحقيق مصلحة ذاتية خاصة؛ ولا استغلالاً لذلك في سبيل جاهٍ أو مالٍ، وإنما انطلاقاً نحو انجلاء بيناته؛ وفهم أسراره، واستلهام حقائقه وكسب رضا الله تعالى ـ من ثَمَّ ـ ببركة هذا كله. وقد أوضح عليه السلام هذه المعاني أجلى وضوح فيما جاءت به الرواية عنه من قوله:

(١) يراجع في هذه الأحاديث بألفاظها المختلفة: الكافي: ١/ ٣٣ وحلية الأولياء: ٣/ ١٨٣ وتحف العقول: ٢١٥ وصفة الصفوة: ٢/ ٦١ وتذكرة الخواص: ٣٤٨ ومطالب السؤول: ٢/ ٥١ والفصول المهمة: ١٩٥.

(٢) يراجع في أحاديث الإمام في هذا الشأن: الكافي: ٢/ ٥٩٦ وما بعدها.

«قُرّاء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة: واستدر به الملوك؛ واستطال به على الناس...

«ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه؛ وضيّع حدوده؛ وأقامَه إقامة القِدْح...

«ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه، فأسهر به ليله؛ وأظمأ به نهاره، وقام به في مساجده؛ وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاءَ، وبأولئك يُديل الله عزَّ وجل من الأعداء، وبأولئك ينزّل الله الغيثَ من السماء»[(١)].

واستكمالاً لتلك المواقف المتقدمة منه في طلب الصلاح العام والاصلاح؛ في ضوء جميع ما سلف ذكره من اهتمام الإمام بالتعلم والتعليم؛ تحقيقاً لخير الناس ورقي المجتمع وضمان التقدّم، نجد أنه لم يغفل التوجيه والتنبيه بالحث على استقامة الخلق والسلوك؛ وعلى التوكل على الله تعالى وحسن الظن به، وعلى ترك الإساءة للآخرين باغتيابهم أو التكبر والغطرسة عليهم أو مباهاتهم بالحسب والنسب بعيداً عن قواعد الأدب ومكارم الصفات، كما حثَّ أيضاً على غض النظر عما يمكن الغض عنه من سوء التصرفات، وعلى التغافل عما يصدر من هذا وذاك من بعض الزلاّت والهفوات، حفظاً لمتانة الروابط الاجتماعية؛ وتدعيماً لسلامة العلاقات العامة بين الأفراد، وتوثيقاً للتعاون الشامل القائم على الحب والمودة والصفاء.

ولعل من أبرز توجيهات الإمام الباقر (ع) الحكيمة في هذا الموضوع ما ذكره الجاحظ فقال:

---

(١) الكافي: ٢/٦٢٧.

«قد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال: صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال: ثلثاه فطنة وثلثه تغافل»، ثم قال هذا الأديب معلّقاً وشارحاً: «فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ولا حظاً في الصلاح، لأن الإنسان لا يتغافل إلاّ عن شيء قد فطن له وعرفه»[١].

وجاء في الرواية عن عقبة بن بشير الأسدي قال:

«قلتُ لأبي جعفر (ع): أنا عقبة بن بشير الأسدي، وأنا في الحسب الضخم من قومي. فقال: ما تمنُّ علينا بحسبك! إن الله رفع بالايمان مَنْ كان الناس يسمُّونه وضيعاً إذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر مَنْ كان الناس يسمونه شريفاً إذا كان كافراً، فليس لأحدٍ فضلٌ على أحدٍ إلا بالتقوى»[٢].

ومما روي عنه (ع) في هذا الصدد قوله:

«وجدنا في كتاب عليّ (ع): أن رسول الله (ص) قال وهو على منبره: والذي لا إله إلاّ هو؛ ما أُعطِيَ مؤمنٌ قط خيرَ الدنيا والآخرة إلاّ بحُسْن ظنّه بالله ورجائه له؛ وحُسْن خُلُقه؛ والكفّ عن اغتياب المؤمنين. والذي لا إله إلاّ هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين. والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظنُّ عبدٍ مؤمن بالله إلاّ كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريمٌ بيده الخيرات يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يُخلف ظنّه ورجاءه، فأحْسنوا بالله الظنَّ وارغبوا إليه»[٣].

---

(١) البيان والتبيين: ١/ ٨٤.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٣) الكافي: ٢/ ٧١ ـ ٧٢.

إلى كثير من أشباه هذه التوجيهات التربوية البناءة التي احتشدت بها بطون الكتب الشهيرة ومطاوي المصادر المعروفة.

ثم كان من تتمة هذه التوجّهات الشاملة لتثقيف النفس الإنسانية وإصلاحها ودلالتها على ما ينفعها في مسيرة الحياتين الدنيوية والأخروية، تخصيصه (ع) بالتوعية والنصيحة والتنبيه كلَّ مَنْ يدّعي أنه يتولاّه ويتولى آباءه الطاهرين، وينتحل التشيع لهم بين الناس، حيث أمر الجميع بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله؛ وبتقوى الله واجتناب محرّماته؛ وبعدم الغلوّ في الاعتقاد بهم والقول فيهم بأكثر مما يصح القول به. ومن الواضح أن الهدف من جميع هذه النصائح والتعليمات منع الانحراف في العقيدة والنهي عن الإفراط والشذوذ في ذلك، ليزداد المجتمع التصاقاً وتماسكاً، ولتتعمق الأخوة بين الأفراد أكثر فأكثر، ولئلا يُعَدَّ ما يقوله هؤلاء الجهلة جزءاً من معتقد الشيعة الإمامية ورأيهم في الإمامة والأئمة.

وكان من أمثلة ذلك ما رواه الآبيُّ قال:

«اجتمع عنده قوم من بني هاشم وغيرهم، فقال لهم: اتقوا الله ـ شيعة آل محمد ـ وكونوا النمرقة الوسطى، يرجع إليكم الغالي؛ ويلحق بكم التالي. قالوا له: وما الغالي؟ قال: الذي يقول فينا ما لا نقوله في أنفسنا. قالوا: فما التالي؟ قال: الذي يطلب الخير فتزيدونه خيراً»، ثم التفت إليهم قائلاً: «إنه ـ والله ـ ما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله من حُجّة، ولا نتقرّب إليه إلا بالطاعة. فمَنْ كان منكم مطيعاً لله يعمل بطاعته نَفَعَتْه ولايتنا أهل البيت، ومن كان منكم عاصياً لله يعمل بمعاصيه لم تنفعه ولايتنا. ويحكم لا تغترُّوا، ويحكم لا تغترُّوا»[1].

---

(١) نثر الدر: ١/ ٣٤٣.

وقال يوماً لجابر الجعفي: «يا جابر؛ أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلاّ مَنْ اتّقى الله وأطاعه... ـ إلى أن قال والحديث طويل ـ : يا جابر؛ لا تذهبنَّ بك المذاهب، حَسْب الرجل أن يقول: أُحبُّ علياً وأتولاّه، ثم لا يكون مع ذلك فعّالاً!! فلو قال: إني أُحبُّ رسول الله (ص) فرسول الله خيرٌ من عليّ؛ ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنّته؛ ما نفعه حبُّه إياه شيئاً. فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أَحَبُّ العباد إلى الله عزَّ وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملُهم بطاعته.. مَنْ كان لله مطيعاً فهو لنا وليٌّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوٌّ، وما تُنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»(١).

ومن كلام له (ع) مع أبي الربيع الشامي قال: «ويحك يا أبا الربيع؛ لا تطلبنَّ الرئاسة... ولا تقل فينا ما لا نقول في أنفسنا، فإنك موقوف ومسؤول لا محالة، فإن كنتَ صادقاً صدّقناك، وإن كنتَ كاذباً كذّبناك»(٢).

ولما انتشر قول الغلاة وخبرهم بين الناس؛ وتجرّأ بعضهم على المجاهرة بذلك بين يدي الإمام، زجرهم زجراً شديداً وأسمعهم ما يكرهون، ثم لم يرَ بدّاً من المصارحة باستنكار معتقدهم الفاسد وإعلان البراءة منهم على رؤوس الأشهاد(٣).

ونعود الآن ـ بعد هذا العرض الموجز السريع للمأثور عن الإمام الباقر (ع) في إرساء أُسس بناء الحياة السليمة، متمثلاً بالحث على التعلُّم والتعليم؛ وبتوجيه الناس إلى ما فيه الهدى والصلاح والاستقامة والرشاد ـ إلى مجمل ما تلقيناه من تراث الإمام والإمامة في جوانبه الأساسية

(١) الكافي: ٢/ ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٩٨.

(٣) يراجع في ذلك: طبقات ابن سعد: ٥/ ٢٣٦ وشرح نهج البلاغة: ٨/ ١٢١.

الأخرى، لنقف على الخطوط العامة لمفرداته الرئيسة وفقراته البارزة، نستقريها الشرح ونتلمّس منها الإيضاح والتبيين، تعرُّفاً بالموضوعات الكبرى التي عُني بها الإمام في تعليم سامعيه وحُضّار درسه؛ وفي تربية جمهور المتلقّين منه، وإيراداً لبعض الأمثلة على كل موضوع منها على نحو الإشارة والاختصار، بعيداً عن الالتزام بالجمع والحصر لما روته المصادر من النصوص المروية عنه والأحاديث المسندة إليه، لأنها تفوق في ضخامة الكمّ وكبر الحجم ما التزمتُ به مسبّقاً من قيود التخطيط وحدود الهدف في هذه السلسلة.

وكان في طليعة تلك الموضوعات الكبرى المشار إليها: ما بلغنا خبره من عنايته (ع) بإجلاء معاني القرآن الكريم ومراميه، وبيان ما غمض من تفسيره وتأويله، والإفاضة في التنبيه على أسراره وكنوزه، والدلالة على مكنونات سوره وآياته، في سعةٍ وعمق واستيعاب كامل، الأمر الذي حمل بعض الرواة عنه على جمع هذه الأمالي وتوحيدها في كتاب مستقل تسهيلاً للتناول والتداول، وفي ذلك يقول ابن النديم وهو يتحدّث عن الكتب المصنّفة في تفسير القرآن:

«كتاب الباقر محمد بن علي (ع) بن الحسين بن علي (ع): رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية»[١].

ولا بدَّ أن أبا الجارود قد روى ذلك عنه أيام نقاء إخلاصه للإمام وسلامة اعتقاده به، «وكأنه كان يكتبه عن إملائه، ولذا نسبه ابن النديم إلى الباقر (ع)»[٢].

وحسبنا في معرفة دور الإمام في إثراء البحث في علوم القرآن وتفسيره أن نقرأ في جريدة الرواة عنه من خريجي مدرسته ـ وسوف تأتي

---

(١) الفهرست: ٣٦.

(٢) الذريعة: ٤/٢٥١ ـ ٢٦٢.

في خاتمة هذا الفصل ـ أسماءَ المؤلفين في المباحث القرآنية من رواد التأليف في هذا الميدان؛ أمثال أبان بن تغلب؛ وإسماعيل السدّي؛ وثابت بن دينار الثمالي؛ وجابر الجعفي، وداوود بن أبي هند القشيري؛ وزياد بن المنذر، وعطية بن سعد؛ ومحمد بن الحسن بن أبي سارة؛ ومحمد بن السائب الكلبي؛ ومحمد بن علي الحلبي؛ ومقاتل بن سليمان، واضرابهم ممن ذكر الباحثون تصانيفهم في معاني القرآن وغريبه؛ وتفسير آياته ومفرداته.

ويبدو أن عناية الإمام بتفسير القرآن وشرح أبعاده ومضامينه قد بلغت من الشهرة والشيوع ما حمل طالبي المعرفة من المسلمين على حضور مجلسه للانتهال من نميره العذب، وعلى شدّ الرحال إليه من كل حدب وصوب؛ سائلين مسترشدين؛ ومتعلمين مستفهمين؛ عن معاني الآيات الكريمة ودلائلها وبيان المراد الحقيقي منها، كما تشهد بذلك معظم كتب التفسير التي عُني بتأليفها العلماء الأوائل، على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم واتجاهاتهم الفكرية وآرائهم الاجتهادية، مما لا مجال لإحصائه وحصره.

ومن أمثلة ذلك ما رواه الرواة: من أن عمرو بن عُبيد البصري المتوفى سنة ١٤٢ هـ «وَفَدَ على محمد بن علي بن الحسين (ع) ليمتحنه بالسؤال، فقال له: جُعِلتُ فداك؛ ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ ما هذا الرتق والفتق؟».

قال: «كانت السماء رتقاً لا تُنزِل القَطْر، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات... ففتق الله السماءَ بالقطر، وفتق الأرضَ بالنبات»[١].

---

(١) الإرشاد: ٢٨٣ والاحتجاج: ١٧٧ ـ ١٧٨ والفصول المهمة: ١٩٦ ونور الأبصار: ١٣١.

وكان مما سأله عمرو بن عبيد أيضاً: «أخبرني ـ جُعلت فداك ـ عن قوله عزَّ وجل: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ما غَضَبُ الله عزَّ وجل؟».

«فقال أبو جعفر (ع): غضبُ الله عقابُه يا عمرو، ومَن ظنَّ أن الله يغيّره شيء فقد كفر»، وفي لفظ آخر: «ومن ظن أن الله يعزُّه شيء فقد هلك»[١].

وسأل حمرانُ بن أعين الشيباني أبا جعفر (ع) يوماً عن معنى قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾، فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، وكان ـ والله ـ محمدٌ ممن ارتضاه. وأما قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ فإن الله عزَّ وجل عالم بما غاب عن خلقه؛ فيما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يفضيه إلى الملائكة، فذلك يا حمران علمٌ موقوف عنده؛ إليه فيه المشيئة، فيقضيه إذا أراد، ويبدو له فيه فلا يمضيه. فأما العلم الذي يقدّره الله عزَّ وجل فيقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله (ص) ثم إلينا»[٢].

وروى حمران بن أعين أيضاً أنه سمعه يتحدث عن معنى الإيمان والإسلام في القرآن الكريم ويقول: «الإيمان ما استقرّ في القلب؛ وأفضى به إلى الله عزَّ وجل؛ وصدّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والإسلام ما ظهر من قول أو فعل؛ وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حُقنت الدماء، وعليه جرت المواريث وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر وأُضيفوا إلى الإيمان. والإسلام لا يشرك الإيمان، والإيمان يشرك الإسلام، وهما في القول والفعل يجتمعان...».

(١) الإرشاد: ٢٨٣ ـ ٢٨٤ والاحتجاج: ١٧٨ والفصول المهمة: ١٩٦.
(٢) الكافي: ١/٢٥٦.

قال حمران في أثناء هذا الحديث: «قلتُ: فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الأحكام والحدود؟... فقال: لا؛ هما يجريان في ذلك مجرى واحداً، ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقرَّبان به إلى الله عزَّ وجل».

وقال حمران أيضاً وهو يستوضح الأمر من الإمام: «قلتُ: أرأيت مَنْ دخل في الإسلام أليس هو داخلاً في الإيمان؟ فقال: لا؛ ولكنه قد أُضيف إلى الإيمان وخرج من الكفر، وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الإيمان على الإسلام: أرأيت لو أبصرت رجلاً في المسجد أكنت تشهد أنك رأيته في الكعبة؟ قلتُ: لا يجوز لي ذلك. قال: فلو أبصرت رجلاً في الكعبة أكنتَ شاهداً أنه قد دخل المسجد الحرام؟ قلتُ: نعم، قال: وكيف ذلك؟ قلتُ: إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد. فقال: قد أصبت وأحسنت، ثم قال: كذلك الإيمان والإسلام»(١).

إلى كثير من نظائر ذلك بل إلى ما هو أكثر من الكثير، وقد تكفلت بروايته كتب التفسير والمعاني والحديث.

ويبدو من النصوص المأثورة والمصادر المعنية أن هناك توجُّهاً خاصاً من الإمام ـ في مجمل عنايته الشاملة بالشؤون القرآنية ـ نحو تصحيح القراءات الشائعة يومذاك على ألسن القراء، وروى عنه الباحثون قراءة خاصة له تختلف عن غيرها من القراءات في بعض الآيات، وقال شمس الدين ابن الجزري في ترجمته: «وردت عنه الرواية في حروف القرآن»(٢)، ولم يحدّدها بالتفصيل، ويؤكّد ذلك ورود أسماء جماعة من الرواة عن الإمام كانوا أعلاماً بارزين في القراءات وفي تحرير المؤلفات فيها؛ وفي مقدمتهم أبان بن تغلب ومقاتل بن سليمان.

(١) الكافي: ١/ ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) غاية النهاية: ٢/ ٢٠٢.

وسواء أصحّ خبرُ جميع مفردات القراءة المنسوبة إليه أو لم يصح؛ فإن ذلك يدل على تداول المسلمين يومذاك لقراءة الإمام واهتمامهم الخاص بها وتناولهم لروايتها جيلاً بعد جيل.

وحسبنا من كل الإشارات إلى هذه القراءة استشهاد الأعلام المتقدمين بها في كتبهم؛ كالفرّاء[١] وابن خالويه[٢] وابن جني الموصلي[٣] وأضرابهم.

۞ ۞ ۞

ثم يأتي الفقه ـ أُصولاً وفروعاً وأحكاماً ومفردات ـ في الموقع المتميز من قائمة الموضوعات الكبرى التي عُني بها الإمام؛ كما ينطق به صريحاً تراثُه الفكري المأثور عنه، بل يمكن عدُّ ذلك بمثابة التكملة لتفسير القرآن والتتمة له، لأن فقه الأحكام ومسائل الحلال والحرام جزء لا يتجزأ من فقه القرآن وشرحه وتفسيره.

وهكذا نجد كتب الحديث الفقهي عند الشيعة الإمامية كثيرة الرواية والإسناد عن الإمام الباقر (ع) في جميع أبواب الفقه ومباحثه، كما يتمثل ذلك بوضوح في مراجعة مصادر الحديث عندهم؛ وفي مقدمتها كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ؛ وكتاب من لا يحضره الفقيه لعلي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ؛ وكتابي الاستبصار والتهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ.

---

(١) معاني القرآن: ١/ ٧٥ و٨٥.

(٢) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: ٢٨ و٦٠ و٦٩ و٧٢ و٨٣ و١٥٤.

(٣) المحتسب: ١/ ٢١٩ و٢٧٢ و٢٧٧ و٢٨٥ و٣٠٦ و٣١٨ و٣٢٢ و٣٣٩ و٣٦٣ و٣٦٤ و٣٦٥. ج٢/ ١٦ و٣٧ و٨١ و١٨٩ و٢١٢ و٣١٠.

كذلك وردت رواية الإمام لبعض أحكام الفقه والسنن في جميع مصادر الحديث المعتمدة عند جمهور المسلمين، كما في:

صحيح البخاري[١].

وصحيح مسلم[٢].

وسنن ابن ماجة[٣].

وسنن أبي داوود[٤].

وسنن الترمذي[٥].

وسنن النسائي[٦].

ومسند أحمد[٧].

وروى له المؤلفون والباحثون ـ خارج كتب الفقه والحديث ـ كثيراً من الجوابات التوضيحية على بعض المسائل الفقهية الفرعية؛ التي حصل فيها الخلاف وانقسام الرأي بين المسلمين، ردّاً على أسئلة السائلين واستعلام الجاهلين، ونسوق فيما يأتي نصَّين من تلك الردود البليغة المقنعة على سبيل الاستشهاد والتمثيل:

حدّث الآبيُّ: «أن عبدالله بن معمر الليثي قال لأبي جعفر: بلغني أنك تفتي في المتعة!

(١) صحيح البخاري: ١/ ٥٣ و٧٠ و٢/ ٢٤ و٣/ ١٣٠.

(٢) صحيح مسلم: ٤/ ٣٩ ـ ٤٣.

(٣) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٠٢٢ ـ ١٠٢٧.

(٤) سنن أبي داوود: ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٤.

(٥) سنن الترمذي: ٣/ ٦٢٨ و٤/ ٢٢٨ و٦٢٥، و٥/ ١٦.

(٦) سنن النسائي: ١/ ١٠٧ و١٢٣ و٢٦١، و٥/ في أكثرمن ١٦ موضعاً، و٨/ ١٥٠ و٣٣٣.

(٧) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٢.

«فقال: أحلّها الله في كتابه، وسنّها رسول الله (ص)، وعمل بها أصحابه.

«فقال عبدالله: فقد نهى عمرُ عنها.

«قال: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول صاحبي رسول الله (ص).

«قال عبدالله: فيسرُّك أن نساءك فعلْنَ ذلك؟!

«قال أبو جعفر: وما ذِكْرُ النساء ها هنا يا أنْوَك [أي: يا أحمق]، إن الذي أحلّها في كتابه وأباحها لعباده أغْيَرُ منك وممن نهى عنها تكلُّفاً. بل يسرك أن بعض حَرَمِك تحت حاكة يثرب نكاحاً؟

«قال: لا.

«قال: فلِمَ تُحرّم ما أحلَّ الله لك؟».

«قل: لا أُحرّم؛ ولكن الحائك ما هو لي بكُفْءٍ.

«قال: فإن الله ارتضى عَمَلَه؛ ورغب فيه؛ وزوّجه حُوراً، أفترغب عمن يرغب الله فيه؛ وتستنكف ممن هو كفءٌ لحور الجنان؛ كبراً وعتوّاً.

«فضحك عبدالله وقال: ما أحسب صدوركم إلاّ منابت أشجار العلم، فصار لكم ثَمَرُه؛ وللناس وَرَقُه»[1].

وروى السّرويُّ: أن أبا بكر الحضرمي سأله عن منشأ اشتراط الخَمْس في التكبير في صلاة الميت فقال: «أُخذت الخمس من الخمس صلوات؛ من كل صلاة تكبيرة»[2].

۞ ۞ ۞

---

(١) نثر الدر: ١/ ٣٤٤ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٥٦.

(٢) المناقب: ٢/ ٢٩١.

ومن الموضوعات المهمة الأخرى التي عُني بها الإمام (ع) فكان ذلك جزءاً بارزاً من تراثه العظيم؛ تلك الجوابات والاحتجاجات والمناظرات الكثيرة في مسائل علم الكلام ومباحث الخلاف والأخذ والردّ، مع الفرق المتعددة من طوائف المسلمين عامّة؛ ومع الخوارج على وجه الخصوص، تفنيداً لمذاهبهم وأقوالهم، ودحضاً لما أُشبعت به عقولهم وأذهانهم من الفكر المضلّل والرأي المنحرف، وإرشاداً لهم إلى خط الإسلام الأصيل ونهجه القويم وصراطه المستقيم.

ونورد فيما يأتي بعض النصوص المروية عن الإمام في كتب السلف، تمثيلاً على هذه الجوانب، وزيادة في التعرُّف على منهجه الحكيم في الشرح والبرهنة والإيضاح والإقناع.

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن سنان عن أبيه قال: «حضرتُ أبا جعفر (ع) فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر؛ أيّ شيء تعبد؟

«قال: الله تعالى.

«قال: رأيْته؟!!!

«قال: بلى، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأتْه القلوبُ بحقائق الإيمان، لا يُعرَف بالقياس، ولا يُدرك بالحواس، ولا يُشبّه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات (بالدلالات)، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلاّ هو».

«قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته»[1].

وروى الرواة: أن نافع بن الأزرق الخارجي جاءه يوماً يسأله عن

---

(١) الكافي: ١/ ٩٧ والاحتجاج: ١٧٥.

مسائل في الحلال والحرام، «فقال له أبو جعفر (ع) في عرض كلامه:

«قل لهذه المارقة: بِمَ استحللتم فراق أمير المؤمنين (ع)؛ وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله بنصرته؟».

«فسيقولون لك: إنه حَكَّمَ في دين الله.

«فقل لهم: قد حكّم الله تعالى في شريعة نبيّه رجلين من خلقه فقال: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾، وحَكّمَ رسول الله (ص) سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بما أمضاه الله. أو ما علمتم أن أمير المؤمنين (ع) إنما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه، واشترط ردَّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال، وقال ـ حين قالوا له: حكّمتَ على نفسك مَنْ حكم عليك ـ : ما حكّمتُ مخلوقاً؛ وإنما حكّمتُ كتاب الله. فأين تجد المارقة تضليلَ من أمَرَ بالحكم بالقرآن؛ واشترط ردَّ ما خالفه، لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان».

«فقال نافع بن الأزرق: هذا والله كلامٌ ما مرَّ بسمعي قط ولا خطر مني ببال»(١).

ومن هذا القبيل ما رُوي أن عبدالله بن نافع بن الأزرق كان يقول: «لو عرفتُ أن بين قطبيها أحداً تبلّغني إليه الإبل يخصمني بأن علياً قتل أهلَ النهروان وهو غير ظالمٍ؛ لَرَحلتُها إليه».

«فقيل له: ائتِ ولدَه محمداً الباقر (ع).

«فأتاه فسأله، فقال (ع) بعد كلامٍ:

---

(١) الإرشاد: ٢٨٣ والاحتجاج: ١٧٦.

«الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته، واختصنا بولايته. يا معشر أولاد المهاجرين والأنصار: مَنْ كانت عنده منقبة في أمير المؤمنين فليقم فليحدِّث. فقاموا ونشروا من مناقبه، فلما انتهوا إلى قوله (ص): «لأُعطينَّ الراية» ـ الخبر ـ سأله أبو جعفر عن صحته، فقال: هو حق لا شك فيه، ولكن علياً أحدث الكفر بعده»!!

«فقال أبو جعفر (ع): أخْبِرْني عن الله؛ أحَبَّ عليّ بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟، إنْ قلتَ: لا؛ كفرتَ».

«فقال: قد عَلِم.

«قال: فأحبّه على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟

«قال: على أن يعمل بطاعته.

«فقال أبو جعفر (ع): قم مخصوماً»[1].

وكانت قد دارت محاورة كهذه بين الإمام وبين سالمٍ[2] أيضاً؛ كما جاء في بعض الروايات؛ ولكنها لم تقتصر على الخوارج خاصة، وإنما كانت فيها الإشارة إلى مجموع الأحداث أيام خلافة علي (ع) وفي طليعتها الجمل وصفين، وقد استدلَّ الإمام على صواب موقف جدّه أمير المؤمنين (ع) بحديث الراية المتقدم، وقال لسالم:

«إن قلتَ إن الله عزَّ وجل أحبّه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد

---

(١) المناقب: ٢/ ٢٨٩ وبحار الأنوار: ١٠/ ١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) كذا في المصدر المنقول منه، وربما كان سالم بن أبي الجعد الكوفي المحدّث المتوفى سنة ١٠٠ هـ، أو سالم بن عبدالله العدوي المتوفى سنة ١٠٦ هـ. شذرات الذهب ج١.

كفرتَ، وإن قلتَ إن الله عزَّ وجل أحبّه وهو يعلم ما هو صانع فأيّ حدثٍ ترى له؟»[١].

ومما روى الرواة من أسلوبه في المحاججة والمناظرة: أنه قال يوماً لأبي الجارود:

«ما يقولون في الحسن والحسين (ع)؟.

«قال: «ينكرون عليهما أنهما ابنا رسول الله (ص). 637

قال الإمام: «فبأي شيء احتججتم عليهم؟

قال أبو الجارود: «بقول الله في عيسى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ ـ إلى قوله: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فجعل عيسى من ذرية إبراهيم. واحتججنا عليهم بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾.

ثم قال: فأي شيء قالوا؟

«قلت: قد يكون ولدُ البنت من الولد؛ ولا يكون من الصلب.

«فقال أبو جعفر: يا أبا الجارود؛ لأُعطينّكم من كتاب الله آية تسّميهما أنهما لصلب رسول الله (ص) لا يردُّها إلاّ كافر».

«قلتُ: جُعِلتُ فداك؛ وأين قال؟

«قال: حيث قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾، فسلهم يا أبا الجارود: هل يحلُّ لرسول الله (ص) نكاح حليلتيهما؟ فإن

(١) الاحتجاج: ١٧٨.

قالوا: نعم؛ فكذبوا والله، وإن قالوا: لا؛ فهما والله ابنا رسول الله لصلبه»[١].

۞ ۞ ۞

ولعل من حق الموضوعية القاضية بضرورة الإلمام الوافي بجميع أطراف البحث ـ وقد استعرضنا هذه الجوانب القرآنية والفقهية والكلامية في تراث الإمامة ـ أن نتمهّل قليلاً عند جانب آخر من جوانب الإشراق والمعرفة الأصيلة في ذلك التراث، إذ نجد الإمام(ع) بارز الملامح والسمات في عنايته البالغة بالشعر العربي الرصين، حفظاً للمختار منه، واستشهاداً بجيّده، وخبرة بارعة باللمسات الفنية والوجوه البلاغية فيه، مما لا مجال في هذا المختصر لاستيعابه وشرحه.

وقد شاع نبأ عناية الإمام وتقديره للشعر والأدب حتى بلغ كلّ قاصٍ ودان، وحمل ذلك من ثَمَّ عدداً من كبار شعراء تلك الحقبة على شدّ الرحال إليه، يُسْمِعونه عُصْمَ أشعارهم وبنات أفكارهم، متقربين إلى الله تعالى بما ينشدون من مديحه ومديح آبائه الطيبين الطاهرين؛ الذي عبَّروا فيه بكل صدقٍ وإخلاص عن عمق اعتقادهم وصلابة إيمانهم وقوة تمسكهم بنهج نبيهم وأئمتهم وفائق المودة والولاء لهم، وقد عرفنا من بين أولئك الشعراء الذين وفدوا عليه واختصوا به كلاً من الكميتِ والسيد الحميري[٢] والوَرْد بن زيد أخي الكميت[٣].

---

(١) الاحتجاج: ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) الفصول المهمة: ١٩٣ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٤٥ ونور الأبصار: ١٣١، وللإمام مع الكميت ـ كما في عدة مواضع من الجزء السابع عشر من الأغاني ـ قصص وقضايا تنم عن اعجابه(ع) به واكباره لشعره.

(٣) فتوح ابن أعثم: ٨/ ٩٤ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

وحسبنا في الوقوف على شفافية ذوقه الأدبي المرهف القائم على دقة الانتقاء والمعرفة بقواعد البلاغة واستعمالات الألفاظ في الجمل فيما ينبغي تقديمه وتأخيره؛ وكذلك اختيار الأفصح والأملح من الكلمات والحروف في الدلالة على المطلوب، أن نقرأ النص الآتي:

مدح رجلٌ الإمام الباقر (ع) بقصيدة بدأها بقوله:

عليكَ السلام أبا جعفرٍ

فقال له الإمام: «حَيَّيْتَنِي تحية الأموات! أما سمعتَ قول الشاعر:

ألا طرقَتْنا آخرَ الليل زينبُ　　عليكَ سلامٌ ما لما فات مطلبُ
فقلتُ لها: حَيَّيْتِ زينبُ خدنَكم　　تحية مَيْتٍ وهو في الحيِّ يشربُ

«مع أنه كان يكفيك أن تقول:

سلامٌ عليكَ أبا جعفرٍ[1]

ويقول أحد الرواة: إن الكميت الشاعر دخل يوماً على الإمام (ع) فأنشده قصيدته الميمية التي مطلعها:

مَنْ لقَلْبٍ متيَّمٍ مستهامِ　　غير ما صبوةٍ ولا أحلامِ

حتى إذا فرغ منها قال له الإمام: «لو كان عندنا مالٌ لأعطيناك»[2]، وإنّما «نقول لك ما قال رسول الله (ص) لحسان بن ثابت: لا زلتَ مؤيّداً بروح القدس ما ذببتَ عنَّا أهل البيت» أو «لا تزال مؤيَّداً ما نصرتنا بلسانك»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦/ ٣٤٥.
(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٦٠.
(٣) فتوح ابن أعثم: ٨/ ٩٤ ومروج الذهب: ٣/ ١٦٠.

ويضيف الرواة فيما يرتبط بهذه القصيدة قائلين: إن الكميت لما بلغ إلى قوله:

أخلص اللهُ لي هوايَ فما أُغْـ ـرِقُ نَزْعاً ولا تطيش سهامي

قال له الإمام (ع): بل قل:

فقد أُغْـ ـرِق نزعاً وما تطيش سهامي

فقال له الكميت: «يا مولاي؛ أنت أشعر مني في هذا المعنى»[1].

ومن أمثلة استشهاد الإمام بالشعر ما حدّث به أبو الفرج الأصبهاني قال: «كان أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام إذا نظر إلى أخيه زيدٍ تمثّل:

لعمرك ما إنْ أبو مالكٍ بِوَاهٍ ولا بضعيفٍ قُوَاهْ
ولا بألدَّ له نازعٌ يعادي أخاه إذا ما نَهاهْ
ولكنّه هيّنٌ ليِّنٌ كعالية الرمح عَرْدٌ نَسَاهْ
إذا سُدْتَه سُدْتَ مِطواعةً ومهما وكلتَ إليه كَفَاهْ
أبو مالكٍ قاصرٌ فَقْرَهُ على نفسِه ومُشِيعٌ غِناهْ[2]

كما أن من أمثلة ذلك الاستشهاد ما رواه نجمُ بن حطيم الغنوي قال:

قال أبو جعفر (ع) «اليأس مما في أيدي الناس عزُّ المؤمن في دينه، أو ما سمعتَ قولَ حاتم:

إذا ما عزمت اليأسَ ألفيته الغنى
إذا عرفَتْه النفسُ والطمعُ الفقرُ[3]

❀ ❀ ❀

(١) المناقب: ٢/ ٢٩٣ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٣٣٨.
(٢) الأغاني: ٢٤/ ٩٦، والشعر للمتنخل الهذلي.
(٣) الكافي: ٢/ ١٤٩.

ولعل من أهمّ مكمِّلات الحديث عن تراث الإمامة وأَوْلى التتمات بالبحث والذكر والاستعراض؛ بل ربما لم يكن من المقبول منهجياً إغفاله وإهمال أمره على الرغم مما التزمنا به من تحرّي الاختصار والإيجاز، أن نعرف ـ ولو بطريقة السرد والتعداد ـ أسماء الرواة عن الإمام الباقر (ع) والمتلقين منه، وفيهم ـ كما سيتضح للعيان ـ بقايا الصحابة الميامين، وزبدة التابعين وتابعي التابعين، والكواكب اللامعة بين أعلام المسلمين؛ من رؤساء المذاهب؛ وفقهاء البلدان؛ وجامعي الأصول الأُولى في الفقه والحديث؛ وطلائع البحث والتأليف في تاريخ العرب والإسلام.

ولا ريب أن عرض أسماء هؤلاء الرجال؛ على تعدُّد مشاربهم وأذواقهم الفكرية؛ واختلاف اتجاهاتهم واجتهاداتهم المذهبية ـ ما قبلنا منه وما لم نقبل، وما أمكن تصحيحه بوجهٍ من الوجوه وما لم يمكن ـ إنما يمثّل جزءاً لا يتجزأ من هذا التراث وشاهد صدقٍ على ضخامته وسعته، لأن هؤلاء الرواة ـ مَنْ تمَّ توثيقه ومن لم يوثّق ـ هم حاملوه ومبلغوه في ذلك العصر؛ ولأنهم شيوخ حلقات الإسناد ورموزها لمن جاء بعدهم فحدَّث عنهم ونقل منهم؛ قرناً اثر قرن وجيلاً تلو جيل.

ومع أن هذه الجريدة التي سوف يقف عليها القارىء قد ضمّت

تسمية قرابة خمس مائة راوٍ ومحدّث؛ وهو عدد غير قليل[١]، فالراجح جدّاً أنها لم تستوفِ جميع الأسماء؛ ولم تحصِ كلَّ مَنْ سمع من الإمام خلال سني عطائه العلمي الممتدّ على مدى عمره المبارك قبل إمامته الشرعية وبعدها، ولقد قال الشيخ المفيد: «روى عنه معالمَ الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين»[٢]، وقال ابن كثير: «حدَّث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم»[٣]، وقال الصفدي: «روى له الجماعة»[٤]، وذكر الذهبي عدداً من الرواة عنه وقال: «وخَلْقٌ»[٥] وقال في موطن آخر: «وآخرون»[٦]، والمستفاد من ذلك كله أن عدد الرواة أكبر وأكثر مما ذكرنا قطعاً، ولكن ما لا يُدرَك كلُّه لا يترك جُلُّه.

---

(١) رجعتُ في إعداد هذه الجريدة إلى الكتب الآتية:
حلية الأولياء: ٣/ ١٨٠ ـ ١٩٠ ورجال الشيخ الطوسي: ١٠٢ ـ ١٤٢ والمناقب: ٢/ ٢٨٤ و٢٩٥ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠١ ـ ٤٠٢ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٣ والبداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩ ـ ٣١١ وتهذيب التهذيب: ٩/ ٣٥٠ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢٩٥ و٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) الإرشاد: ٢٧٩.

(٣) البداية والنهاية: ٩/ ٣٠٩.

(٤) الوافي بالوفيات: ٤/ ١٠٢.

(٥) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٢٤.

(٦) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٤٠٢.

الرواة عن الإمام الباقر (ع)

حرف الهمزة

١ ـ أبان بن أبي عَيّاش فيروز، تابعي.

٢ ـ أبان بن تغلب، أبو سعيد، البكري الجريري، ت ١٤١ هـ، له قراءة مفردة مشهورة عند القرّاء، وله مؤلفات: منها تفسير غريب القرآن وذكر شواهده من الشعر، ولعله الذي سمّاه ابن النديم: «معاني القرآن»؛ وكتاب القراءات، وكتاب الفضائل؛ وكتاب صفين، وكتاب من الأصول في الرواية[1].

٣ ـ إبراهيم بن الأزرق الكوفي، بيّاع الطعام.

٤ ـ إبراهيم الجريري.

٥ ـ إبراهيم بن جميل، أخوطر بال، الكوفي.

٦ ـ إبراهيم بن جنان الأسدي، نزيل واسط.

٧ ـ إبراهيم بن صالح الأنماطي، له كتاب في الغيبة؛ وكتب أخرى[2].

٨ ـ إبراهيم بن عبدالله الأحمري.

---

(١) الفهرست: ٢٧٦ ومجمع الرجال: ١/٢١.

(٢) مجمع الرجال: ١/٤٩ ـ ٥٠، وقيل: إنه من الرواة عن الإمام أبي جعفر الجواد (ع).

٩ - إبراهيم بن عبيد، أبو غُرَّة، الأنصاري.

١٠ - إبراهيم بن عمر الصنعاني اليماني، له كتاب مؤلّف[١].

١١ - إبراهيم بن مرثد؛ أبو سفيان الكندي الأزدي.

١٢ - إبراهيم بن معاذ.

١٣ - إبراهيم بن معرض (أو مغرض) الكوفي.

١٤ - إبراهيم بن نصر بن القعقاع الجعفي، له كتاب مؤلّف[٢].

١٥ - إبراهيم بن نُعيم العبدي الكناني، يكنى أبا الصّباح، له كتاب مؤلّف[٣].

١٦ - أحمد بن عائذ، أبو علي العبسي الكوفي، له كتاب مؤلّف[٤].

١٧ - أحمد بن عمران الحلبي[٥].

١٨ - أحمد بن محمد[٦].

١٩ - إسحاق بن بُرَيد (أو يزيد) بن اسماعيل، أبو يعقوب، الطائي الكوفي، له كتاب مؤلّف، وقيل: روى أبوه عن الباقر؛ وهو عن الصادق (ع)[٧].

---

(١) مجمع الرجال: ١/ ٦٠.

(٢) مجمع الرجال: ١/ ٧٦.

(٣) مجمع الرجال: ١/ ٧٩ و٧/ ٥٤.

(٤) مجمع الرجال: ١/ ١٢٠.

(٥) كذا في رجال الشيخ الطوسي، وشك صاحب جامع الرواة: ١/ ٥٧ في كونه من أصحاب الإمام.

(٦) لم نجد له ذكراً في الرواة عن الإمام في الكتب الرجالية، ولكنه روى عنه في حلية الأولياء.

(٧) مجمع الرجال: ١/ ١٩٩.

٢٠ ـ إسحاق بن بشير النبّال.

٢١ ـ إسحاق بن جعفر بن علي.

٢٢ ـ إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة المدني، ت ١٣٢ هـ.

٢٣ ـ إسحاق بن عبدالله بن سعد الأشعري القمي، له كتاب مؤلّف[١].

٢٤ ـ إسحاق بن الفضل بن يعقوب بن الفضل بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

٢٥ ـ إسحاق بن نوح الشامي.

٢٦ ـ إسحاق بن واصل الضَّبي.

٢٧ ـ إسحاق بن يسار المدني، أبو محمد صاحب السيرة.

٢٨ ـ إسرائيل بن غياث المكّي.

٢٩ ـ أسلم بن أيمن التميمي المنقري الكوفي.

٣٠ ـ أسلم المكّي القوّاس.

٣١ ـ إسماعيل بن أبي خالدٍ محمد بن مهاجر الأزدي الكوفي، له كتاب مؤلّف في القضايا، مبوّب. وقيل: إن أباه هو الراوي عن الإمام الباقر (ع)[٢].

٣٢ ـ إسماعيل أبو أحمد الكاتب الكوفي.

٣٣ ـ إسماعيل أبو العلاء؛ من بني قيس بن ثعلبة.

٣٤ ـ إسماعيل بن جابر الجعفي الكوفي، له كتاب مؤلّف[٣].

٣٥ ـ إسماعيل بن زياد البزاز الكوفي الأسدي، تابعي.

(١) مجمع الرجال: ١/١٩٦.
(٢) مجمع الرجال: ١/٢٠٥.
(٣) مجمع الرجال: ١/٢٠٨.

٣٦ ـ إسماعيل بن سلمان الأزرق، أبو خالد.

٣٧ ـ إسماعيل بن عبد الخالق بن عبد ربه الجعفي الأسدي الكوفي، له كتاب مؤلّف[١].

٣٨ ـ إسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي، تابعي.

٣٩ ـ إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّي، أبو محمد، الكوفي المفسّر، ت ١٢٧ هـ أو ١٢٩ هـ. له مؤلّف في التفسير[٢].

٤٠ ـ إسماعيل بن عبد العزيز.

٤١ ـ إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي، تابعي.

٤٢ ـ إسماعيل بن الفضل بن يعقوب بن الفضل بن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

٤٣ ـ أُسَيد بن القاسم.

٤٤ ـ أعين الرازي أبو معاذ.

٤٥ ـ أنس بن عمرو الأزدي.

٤٦ ـ أيوب بن بكر (أو بكير) بن أبي علاج الموصلي.

٤٧ ـ أيوب بن شهاب بن زيد البارقي الأزدي الكوفي.

٤٨ ـ أيوب بن كيسان أبي تميمة السختياني، ت ١٣١ هـ.

٤٩ ـ أيوب بن وشيكة.

---

(١) مجمع الرجال: ١/ ٢١٦.

(٢) الفهرست: ٣٦ والذريعة: ٤/ ٢٧٦.

حرف الباء

٥٠ ـ بدر بن الخليل الأسدي، أبو الخليل ، الكوفي.

٥١ ـ بُرد؛ الإسكاف الأزدي الكوفي، له كتاب مؤلّف(١).

٥٢ ـ بُرد الخياط (الحناط) الكوفي.

٥٣ ـ بريد بن معاوية العجلي، أبو القاسم، ت ١٥٠ هـ، له كتاب مؤلّف(٢).

٥٤ ـ بسّام بن عبدالله الصيرفي، أبو عبدالله، له كتاب مؤلّف(٣).

٥٥ ـ بشّار الأسلمي.

٥٦ ـ بشار بن زيد بن النعمان.

٥٧ ـ بشر بن أبي عقبة المدائني.

٥٨ ـ بشر بن بيّاع الزّطي.

٥٩ ـ بشر بن جعفر الجعفي؛ أبو الوليد.

٦٠ ـ بشر بن خثعم.

٦١ ـ بشر الرحّال.

٦٢ ـ بشر بن عبدالله بن سعيد الخثعمي الكوفي.

٦٣ ـ بشر (أو بشير) بن ميمون الوابشي الهَمْداني النّبّال الكوفي.

٦٤ ـ بشر بن يسار.

---

(١) مجمع الرجال: ١/ ٢٥٢.

(٢) مجمع الرجال: ١/ ٢٥٦.

(٣) مجمع الرجال: ١/ ٢٥٨.

٦٥ ـ بشير بن سليمان المدني.

٦٦ ـ بشير المستنير الجعفي الأزرق بيّاع الطعام، أبو محمد.

٦٧ ـ بشير الكوفي والد عبد الصمد.

٦٨ ـ بكر بن أبي حبيبة.

٦٩ ـ بكر بن حبيب الأحمسي البجلي الكوفي، أبو مريم.

٧٠ ـ بكر بن خالد الكوفي.

٧١ ـ بكر بن صالح.

٧٢ ـ بكر بن كرب.

٧٣ ـ بكروَيْه الكندي الكوفي.

٧٤ ـ بكير بن أعْين بن سنسن الشيباني الكوفي، أبو عبدالله، ويقال: أبو الجهم.

٧٥ ـ بكير بن جُندب الكوفي.

٧٦ ـ بكير بن حبيب الكوفي.

❁ ❁ ❁

حرف التاء

٧٧ ـ تميم بن زياد.

❁ ❁ ❁

حرف الثاء

٧٨ ـ ثابت بن دينار أبي صفية، أبو حمزة الأزدي الثمالي الكوفي، ت

١٥٠ هـ، له مؤلفات: منها تفسير القرآن؛ وكتاب الزهد؛ وكتاب النوادر[١].

٧٩ ـ ثابت بن زائدة العكلي.

٨٠ ـ ثابت بن عبدالله أبي ثابت، البجلي الكوفي، أبو سعيد.

٨١ ـ ثابت بن هرمز، أبو المقدام العجلي الكوفي الحداد.

٨٢ ـ ثُوَيْر بن سعيد أبي فاختة بن جهمان (أو جمهان)[٢].

۞ ۞ ۞

حرف الجيم

٨٣ ـ جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، أبو عبدالله الأنصاري، صحابي ت ٧٨ هـ.

٨٤ ـ جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي، ت ١٢٨ هـ أو ١٣٢ هـ، له مؤلفات: منها التفسير؛ وكتاب الجمل؛ وكتاب صفين؛ وكتاب الفضائل؛ وكتاب مقتل أمير المؤمنين (ع)؛ وكتاب مقتل الحسين (ع)؛ وكتاب النهروان وكتاب النوادر[٣].

٨٥ ـ الجارود بن السريّ التميمي السعدي الكوفي الحمّاني.

٨٦ ـ الجارود بن المنذر الكندي النخّاس، أبو المنذر، له كتاب مؤلّف[٤].

(١) الفهرست: ٣٦ ومجمع الرجال: ١/ ٢٩٤ والذريعة: ٤/ ٢٥٢.
(٢) كذا في مجمع الرجال: ١/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤ وجامع الرواة: ١/ ١٤١.
(٣) مجمع الرجال: ٢/ ١٢ ـ ١٣ والذريعة: ٤/ ٢٦٨.
(٤) مجمع الرجال: ٢/ ١٤.

٨٧ ـ الجراح المدائني، له كتاب مؤلّف[١].

٨٨ ـ جعدة بن أبي عبدالله.

٨٩ ـ جعفر بن إبراهيم الجعفي (الجعفري).

٩٠ ـ جعفر الأحمسي.

٩١ ـ جعفر بن حكيم بن عباد الكوفي.

٩٢ ـ جعفر بن عمرو بن ثابت أبي المقدام بن هرمز الحدّاد العجلي الكوفي.

٩٣ ـ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، ت ١٤٨ هـ.

❀ ❀ ❀

حرف الحاء

٩٤ ـ الحارث بن حصين (حصيرة) الأزدي الكوفي، أبو النعمان، تابعيّ.

٩٥ ـ الحارث بن شريح المنقري.

٩٦ ـ الحارث بن المغيرة النصري، أبو علي، من بني نصر بن معاوية، له كتاب مؤلّف[٢].

٩٧ ـ حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي، أبو يحيى، تابعي، ت ١١٩ هـ.

---

(١) مجمع الرجال: ٢/ ١٩.

(٢) مجمع الرجال: ٢/ ٧٥.

٩٨ ـ حبيب أبو عميرة الإسكاف الكوفي، تابعي.

٩٩ ـ حبيب بن بشار الكندي.

١٠٠ ـ حبيب بن حسان بن أبي الأشرس الأسدي.

١٠١ ـ حبيب العبسي الكوفي والد عائذ بن حبيب.

١٠٢ ـ حبيب بن المعلّى السجستاني.

١٠٣ ـ الحجاج بن أرطأة،أبو أرطأة النخعي الكوفي، ت ١٤٩ هـ أو ١٥٠ هـ.

١٠٤ ـ الحجاج بن دينار الواسطي، له كتاب مؤلّف[١].

١٠٥ ـ الحجاج بن كثير الكوفي.

١٠٦ ـ حجر بن زائدة الحضرمي الكوفي، له كتاب مؤلّف[٢].

١٠٧ ـ حذيفة بن منصور بن كثير، أبو محمد الخزاعي الكوفي بيّاع السابري.

١٠٨ ـ حرب بن سريج، ت ١٦٢ هـ.

١٠٩ ـ حسان بن مهران، له كتاب مؤلّف[٣].

١١٠ ـ الحسن بن أبي سارة النيلي الأنصاري القرظي، أبو علي، ابن عم معاذ الهراء.

١١١ ـ الحسن الجعفي الكوفي، أبو محمد.

(١) مجمع الرجال: ٢/ ٨٣.
(٢) مجمع الرجال: ٢/ ٨٥.
(٣) مجمع الرجال: ٢/ ٩٥.

١١٢ ـ الحسن بن حبيش الأسدي الكوفي.

١١٣ ـ الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المدني، تابعي، ت ١٤٥ هـ.

١١٤ ـ الحسن بن رباط البجلي الكوفي، له كتاب مؤلّف[(١)].

١١٥ ـ الحسن بن زياد البصري.

١١٦ ـ الحسن بن زياد الصيقل، أبو محمد، الكوفي.

١١٧ ـ الحسن بن السَّريّ الكاتب، له كتاب مؤلّف[(٢)].

١١٨ ـ الحسن بن شهاب بن زيد البارقي الأزدي الكوفي.

١١٩ ـ الحسن بن صالح بن حَيّ الهَمْداني الثوري الكوفي، ت ١٦٧ هـ أو ١٦٨ هـ، له مؤلفات منها: كتاب التوحيد، وكتاب الجامع في الفقه، وكتاب إمامة ولد عليّ من فاطمة (ع)[(٣)].

١٢٠ ـ الحسن بن علي الأحمري الكوفي.

١٢١ ـ الحسن بن عمّار.

١٢٢ ـ الحسن بن عمارة.

١٢٣ ـ الحسن بن المغيرة.

١٢٤ ـ الحسن بن منذر.

١٢٥ ـ الحسن بن يوسف.

---

(١) مجمع الرجال: ٢/ ١٠٩.

(٢) مجمع الرجال: ٢/ ١١٣.

(٣) الفهرست: ٢٢٧ ومجمع الرجال: ٢/ ١١٦.

١٢٦ ـ الحسين بن أبتر (أو أثير) الكوفي.

١٢٧ ـ الحسين بن أبي العلاء الخفاف، له كتب متعدّدة[١].

١٢٨ ـ الحسين بن أحمد المنقري، له كتاب مؤلّف[٢].

١٢٩ ـ الحسين الجعفي، أبو أحمد، الكوفي.

١٣٠ ـ الحسين بن حمّاد، له كتاب مؤلّف[٣].

١٣١ ـ الحسين بن حمزة الليثي الكوفي، ابن بنت أبي حمزة الثمالي، له كتاب مؤلّف[٤].

١٣٢ ـ الحسين بن عبدالله الأرجاني.

١٣٣ ـ الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس بن عبد المطلب، تابعي.

١٣٤ ـ الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، تابعي، ت ١٥٧ هـ.

١٣٥ ـ الحسين بن مصعب، له كتاب مؤلّف[٥].

١٣٦ ـ الحسين بن المنذر بن أبي طريفة.

١٣٧ ـ حفص الأعور الكوفي.

١٣٨ ـ حفص بن غياث.

(١) مجمع الرجال: ٢/ ١٦٥.
(٢) مجمع الرجال: ٢/ ١٦٦.
(٣) مجمع الرجال: ٢/ ١٧٢.
(٤) مجمع الرجال: ٢/ ١٧٣.
(٥) مجمع الرجال: ٢/ ١٩٩.

١٣٩ ـ حفص بن وهب الأقرعي.

١٤٠ ـ الحكم بن الصّلت الثقفي الكوفي.

١٤١ ـ الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعيم البجلي الكوفي.

١٤٢ ـ الحكم بن عتيبة، أبو محمد الكوفي الكندي، ت ١١٤ هـ أو ١١٥ هـ.

١٤٣ ـ الحكم بن المختار بن أبي عبيد، أبو محمد.

١٤٤ ـ حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف.

١٤٥ ـ حكيم بن صهيب، أبو صهيب الصيرفي.

١٤٦ ـ حكيم بن معاوية.

١٤٧ ـ حماد بن أبي سليمان الأشعري الكوفي، ت ١٢٠ هـ.

١٤٨ ـ حماد بن أبي العطارد الطائي الكوفي، ت ١٦١ هـ وله أربع وثمانون سنة.

١٤٩ ـ حماد بن بشر اللحام.

١٥٠ ـ حماد بن بشير الطنافسي الكوفي.

١٥١ ـ حماد بن راشد الأزدي البزاز الكوفي، أبو العلاء، ت ١٥٦ هـ.

١٥٢ ـ حماد بن المغيرة.

١٥٣ ـ حمران بن أعين الشيباني، أبو الحسن وقيل: أبو حمزة، تابعي.

١٥٤ ـ حمزة أبو الحسين الليثي الكوفي، ختن أبي حمزة الثمالي.

١٥٥ ـ حمزة بن حمران بن أعين الشيباني الكوفي، له كتاب مؤلّف[١].

(١) مجمع الرجال: ٢/ ٢٣٨.

١٥٦ ـ حمزة بن عطاء الكوفي.

١٥٧ ـ حمزة بن محمد الطيار.

❀ ❀ ❀

حرف الخاء

١٥٨ ـ خازم الأشل الكوفي.

١٥٩ ـ خالد بن أبي كريمة.

١٦٠ ـ خالد (أو خليد) بن أوفى العنزي الشامي، أبو الرَّبيع، له كتاب مؤلّف[1].

١٦١ ـ خالد بن بكار، أبو العلاء الخفاف الكوفي.

١٦٢ ـ خالد بن دينار.

١٦٣ ـ خالد بن طهمان الكوفي.

١٦٤ ـ خالد بن يزيد، من رواة القراءات، ت ١٣٩ هـ.

١٦٥ ـ خلف بن حوشب.

١٦٦ ـ خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي، أبو عبد الرحمن.

❀ ❀ ❀

حرف الدال

١٦٧ ـ داوود الأبزاري.

١٦٨ ـ داوود بن أبي داوود الدجاجي الكوفي.

---

(١) مجمع الرجال: ٢/٢٥٥.

١٦٩ ـ داوود بن أبي هند القشيري السرخسي، أبو بكر، ت ١٣٩ هـ، له مؤلّف في التفسير[١].

١٧٠ ـ داوود بن حبيب الكوفي، أبو غيلان.

١٧١ ـ داوود بن زيد الهَمْداني الكوفي.

١٧٢ ـ دلهم بن صالح الكندي الكوفي.

١٧٣ ـ دينار أبو عمرو الأسدي الكوفي.

❀ ❀ ❀

حرف الراء

١٧٤ ـ الربيع بن حبيب العبسي الكوفي.

١٧٥ ـ الربيع بن صبيح، ت ١٦٠ هـ.

١٧٦ ـ ربيعة بن أبي عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي، ت ١٣٦ هـ.

١٧٧ ـ ربيعة بن ناجد بن كثير، أبو صادق الكوفي.

١٧٨ ـ رزين الأبزاري الكوفي.

١٧٩ ـ رزين الأنماطي.

١٨٠ ـ رشيد (أو رشد) بن سعد المصري.

١٨١ ـ رفيد بن مصقلة العبدي الكوفي.

١٨٢ ـ رفيد مولى بني هبيرة.

❀ ❀ ❀

(١) الفهرست: ٣٦ والذريعة: ٤/ ٢٤٠.

حرف الزاي

١٨٣ ـ زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي، ت ١٦١ هـ، له مؤلفات منها: كتاب التفسير، وكتاب القراءات وكتاب السنن، وكتاب الزهد، وكتاب المناقب[١].

١٨٤ ـ زرارة بن أعين الشيباني، ت ١٥٠ هـ، له مؤلفات منها كتابٌ في الاستطاعة والجبر[٢].

١٨٥ ـ زكريا أخو المستهلّ، أبو يحيى.

١٨٦ ـ زكريا بن عبدالله النقاض الكوفي، له كتاب مؤلّف[٣].

١٨٧ ـ زهير المدائني.

١٨٨ ـ زياد بن أبي الحلال، له كتاب مؤلّف[٤].

١٨٩ ـ زياد بن أبي رجاء، أبو عبيدة الحذاء، وقيل: هو زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذاء، له كتاب مؤلّف[٥].

١٩٠ ـ زياد بن أبي زياد المنقري التميمي.

١٩١ ـ زياد الأحلام الكوفي.

١٩٢ ـ زياد الأسود البان ـ لَقَبٌ له ـ الكوفي.

١٩٣ ـ زياد بن الأسود النجار.

---

(١) الفهرست: ٢٨٢.
(٢) مجمع الرجال: ٣/ ٥١.
(٣) مجمع الرجال: ٣/ ٦١.
(٤) مجمع الرجال: ٣/ ٦٦.
(٥) مجمع الرجال: ٣/ ٧٠.

١٩٤ ـ زياد بن سوقة البجلي الكوفي، أبو الحسن، تابعي.

١٩٥ ـ زياد بن صالح الهمداني الكوفي.

١٩٦ ـ زياد المحاربي الكوفي.

١٩٧ ـ زياد بن المنذر، أبو الجارود الهَمْداني الخارفي الحوفي الكوفي، تابعي، له «كتاب التفسير» رواه عن أبي جعفر (ع)، وله أصْلٌ[(١)].

١٩٨ ـ زياد مولى أبي جعفر (ع):

١٩٩ ـ زياد الهاشمي الكوفي.

٢٠٠ ـ زيد الآجري.

٢٠١ ـ زيد (أو زياد) بن خيثمة.

٢٠٢ ـ زيد بن علي بن الحسين (ع)، استشهد سنة ١٢١ هـ.

٢٠٣ ـ زيد بن محمد بن يونس، أبو أسامة الشحام الكوفي، له كتاب مؤلّف[(٢)].

٢٠٤ ـ زيد الهاشمي المدني، أبو محمد.

حرف السين

٢٠٥ ـ سالم بن أبي حفصة العجلي الكوفي، ت ١٣٧ هـ، له كتاب مؤلّف[(٣)].

٢٠٦ ـ سالم الأشلّ بيّاع المصاحف.

---

(١) مجمع الرجال: ٣/ ٧٤ ـ ٧٥ والذريعة: ٤/ ٢٥١.

(٢) مجمع الرجال: ٣/ ٨٦.

(٣) مجمع الرجال: ٣/ ٩٢.

٢٠٧ ـ سالم الجعفي.

٢٠٨ ـ سالم المكي.

٢٠٩ ـ سدير بن حكيم الصيرفي.

٢١٠ ـ سديف المكي.

٢١١ ـ سعد بن أبي عمرو (أو عمر) الجلاّب.

٢١٢ ـ سعد (أو سعيد) الحدّاد.

٢١٣ ـ سعد بن الحسن الكندي.

٢١٤ ـ سعد بن طريف الاسكاف.

٢١٥ ـ سفيان بن عيينة، ت ١٩٨ هـ، له كتاب في التفسير[١]، وهو تفسير معروف[٢].

٢١٦ ـ سكين المعدني.

٢١٧ ـ سلام الجعفي.

٢١٨ ـ سلام بن سعيد الأنصاري.

٢١٩ ـ سلام بن المستنير.

٢٢٠ ـ سلم بن بشير.

٢٢١ ـ سلمان بن خالد الطلحي القمي الشاعر.

٢٢٢ ـ سلمة بن الأهثم (أو الأهيم).

٢٢٣ ـ سلمة (أو سُلَيْم) بن قيس الهلالي، له كتاب مؤلّف[٣].

---

(١) الفهرست: ٣٦.

(٢) الفهرست: ٢٨٢.

(٣) الفهرست: ٢٧٥ ومجمع الرجال: ٣/١٥٨.

٢٢٤ ـ سلمة بن كهيل الكوفي، ت ١٢١ هـ أو ١٢٢ هـ.

٢٢٥ ـ سلمة بن محرز[١].

٢٢٦ ـ سليمان بن محرز.

٢٢٧ ـ سليمان بن مروان العجلي الكوفي.

٢٢٨ ـ سليمان بن مهران الأعمش، ت ١٤٨ هـ.

٢٢٩ ـ سليمان مولى طربال، له كتاب «نوادر»[٢].

٢٣٠ ـ سليمان بن هارون العجلي.

٢٣١ ـ سنان والد عبدالله بن سنان.

٢٣٢ ـ سورة بن كليب بن معاوية الأسدي.

❀ ❀ ❀

حرف الشين

٢٣٣ ـ شجرة أخو بشير النبّال.

٢٣٤ ـ شعبة الخيّاط مولى جابر الجعفي.

٢٣٥ ـ شيبة بن نصّاح، من أصحاب القراءات، ت ١٣٠ هـ.

حرف الصاد

٢٣٦ ـ صالح بن سهل الهَمْداني.

٢٣٧ ـ صالح بن عقبة، له كتاب مؤلّف[٣].

---

(١) مجمع الرجال: ٣/ ١٥٤.

(٢) مجمع الرجال: ٣/ ١٦٩.

(٣) مجمع الرجال: ٣/ ٢٠٧.

٢٣٨ ـ صالح بن ميثم الكوفي.

٢٣٩ ـ صامت بيّاع الهَرويّ[١].

٢٤٠ ـ الصلت بن الحجاج.

❀ ❀ ❀

حرف الضاد

٢٤١ ـ ضريس بيّاع الغَزْل.

❀ ❀ ❀

حرف الطاء

٢٤٢ ـ طاهر؛ مولى أبي جعفر (ع).

٢٤٣ ـ طربال.

٢٤٤ ـ طلحة بن زيد.

❀ ❀ ❀

حرف الظاء

٢٤٥ ـ ظريف بن ناصح الكوفي بيّاع الأكفان، له مؤلّفات: منها كتاب الجامع في أبواب الحلال والحرام، وكتاب الحدود، وكتاب الديات، وكتاب النوادر[٢].

❀ ❀ ❀

(١) الهرويّ: ضرب من الياب.

(٢) مجمع الرجال: ٣/ ٢٣٣.

حرف العين

٢٤٦ ـ عامر بن أبي الأحوص.

٢٤٧ ـ عامر بن عبدالله بن جذاعة، له كتاب مؤلّف[١].

٢٤٨ ـ عبّاد بن صهيب البصري، له كتاب مؤلّف[٢].

٢٤٩ ـ عبد الجبار بن أعْين الشيباني.

٢٥٠ـ عبد الحميد بن عواض الطائي الكوفي.

٢٥١ ـ عبد الحميد الواسطي.

٢٥٢ ـ عبد الرحمن أبو خيثمة.

٢٥٣ ـ عبد الرحمن بن أعين الشيباني، له كتاب مؤلّف[٣].

٢٥٤ ـ عبد الرحمن بن سليمان الأنصاري، ت ١٧١ هـ.

٢٥٥ ـ عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ت ١٥٧ هـ أو ١٥٩ هـ، له مؤلفات منها: كتاب السنن في الفقه، وكتاب المسائل في الفقه[٤].

٢٥٦ ـ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ت ١١٧ هـ.

٢٥٧ ـ عبد الرحيم القصير.

٢٥٨ ـ عبد الغفار بن القاسم الأنصاري، أبو مريم، له كتاب مؤلّف[٥].

---

(١) مجمع الرجال: ٣/ ٢٣٩.
(٢) مجمع الرجال: ٣/ ٢٤٤.
(٣) مجمع الرجال: ٤/ ٧٥.
(٤) الفهرست: ٢٨٤.
(٥) مجمع الرجال: ٤/ ٩٩.

٢٥٩ ـ عبد الكريم بن مهران.

٢٦٠ ـ عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري، ت ١٣٥ هـ، وقيل: ١٢٠ هـ.

٢٦١ ـ عبدالله بن أبي يعفور العبدي المقرىء، له كتاب مؤلّف[١].

٢٦٢ ـ عبدالله بن بكير الهجري.

٢٦٣ ـ عبدالله بن الجارود الكوفي.

٢٦٤ ـ عبدالله بن جُرَيج (أو جريح).

٢٦٥ ـ عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، أبو محمد، تابعي.

٢٦٦ ـ عبدالله بن دينار، ت ١٢٧ هـ.

٢٦٧ ـ عبدالله بن زرعة.

٢٦٨ ـ عبدالله بن سليمان، له أصل مؤلّف[٢].

٢٦٩ ـ عبدالله بن شريك العامري.

٢٧٠ ـ عبدالله بن عجلان.

٢٧١ ـ عبدالله بن عطاء المكي.

٢٧٢ ـ عبدالله بن عمرو.

٢٧٣ ـ عبدالله بن غالب الأسدي الشاعر، له كتاب مؤلّف[٣].

---

(١) مجمع الرجال: ٣/ ٢٦٣.
(٢) مجمع الرجال: ٣/ ٢٨٧.
(٣) مجمع الرجال: ٤/ ٣٣.

٢٧٤ ـ عبدالله بن المبارك، ت ١٨١ هـ، له مؤلفات منها: كتاب التفسير، وكتاب السنن في الفقه، وكتاب التاريخ، وكتاب الزهد، وكتاب البرّ والصلة[١].

٢٧٥ ـ عبدالله بن محمد الأسدي الكوفي، أبو بصير.

٢٧٦ ـ عبدالله بن محمد الجعفي.

٢٧٧ ـ عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا، له مؤلفات: منها كتاب مقتل أمير المؤمنين، وكتاب مقتل الحسين (ع)[٢].

٢٧٨ ـ عبدالله بن المختار.

٢٧٩ ـ عبدالله بن ميمون القدّاح، له مؤلفات منها: كتاب مبعث النبي (ص) وأخباره، وكتاب صفة الجنة والنار[٣].

٢٨٠ ـ عبدالله بن الوليد الوصافي.

٢٨١ ـ عبدالله بن يحيى، أبو يعقوب القوّام.

٢٨٢ ـ عبد المؤمن بن القاسم الأنصاري، ت ١٤٧ هـ، له كتاب مؤلّف[٤].

٢٨٣ ـ عبد الملك بن أبي سليمان، ت ١٤٥ هـ.

٢٨٤ ـ عبد الملك بن أعين الشيباني، تابعي.

٢٨٥ ـ عبد الملك بن جريج.

(١) الفهرست: ٢٨٤.
(٢) مجمع الرجال: ٤/ ٤٦.
(٣) مجمع الرجال: ٤/ ٥٧.
(٤) مجمع الرجال: ٤/ ١٠٩.

٢٨٦ ـ عبد الواحد بن المختار الأنصاري.

٢٨٧ ـ عبيدة الخثعمي.

٢٨٨ ـ عبيدة (أو عبيدالله) السكسكي.

٢٨٩ ـ عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (ع).

٢٩٠ ـ عذافر بن عبدالله.

٢٩١ ـ عروة بن عبدالله.

٢٩٢ ـ عطاء بن أبي رباح، ت ١١٤ هـ.

٢٩٣ ـ عطيّة أخو عرام (أو عوام، أو أبي العرام، أو أبي العوام).

٢٩٤ ـ عطيّة بن ذكوان.

٢٩٥ ـ عطيّة بن سعد الكوفي (العوفي) ت ١١١ هـ، له مؤلّف في التفسير[1].

٢٩٦ ـ عقبة بن بشير الأسدي.

٢٩٧ ـ عقبة بن شيبة، أبو شيبة الأسدي.

٢٩٨ ـ عقبة بن قيس.

٢٩٩ ـ عكرمة أبو إسحاق.

٣٠٠ ـ العلاء بن الحسين.

٣٠١ ـ العلاء بن عبد الكريم.

٣٠٢ ـ علياء بن درّاع الأسدي.

(١) الذريعة: ٤/ ٢٨٣.

٣٠٣ ـ علقمة بن محمد الحضرمي.

٣٠٤ ـ علي بن أبي المغيرة الزبيدي الأزرق.

٣٠٥ ـ علي بن حنظلة الكوفي العجلي.

٣٠٦ ـ علي بن رباط.

٣٠٧ ـ علي بن سعيد بن بكير.

٣٠٨ ـ علي بن عبد العزيز الكوفي.

٣٠٩ ـ علي بن عطية الكوفي.

٣١٠ ـ علي بن ميمون، أبو الحسن الصائغ، له كتاب مؤلّف[١].

٣١١ ـ عمار بن أبي الأحوص.

٣١٢ ـ عمار الدهني، ت ١٣٣ هـ، له كتاب مؤلّف[٢].

٣١٣ ـ عمر بن حنظلة، أبو صخر العجلي الكوفي.

٣١٤ ـ عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، تابعي.

٣١٥ ـ عمر (أو عمرو) بن هلال.

٣١٦ ـ عمران بن أبي خالد الفزاري.

٣١٧ ـ عمرو بن أبي بنان.

٣١٨ ـ عمرو بن ثابت أبي المقدام، له كتاب مؤلّف[٣].

٣١٩ ـ عمرو بن جميع، له كتاب مؤلف[٤].

---

(١) مجمع الرجال: ٤/ ٢٣١.
(٢) مجمع الرجال: ٤/ ٢٤٢.
(٣) مجمع الرجال: ٤/ ٢٧٥.
(٤) مجمع الرجال: ٤/ ٢٧٧.

٣٢٠ ـ عمرو بن خالد الواسطي، له كتاب مؤلّف[١].

٣٢١ ـ عمرو بن دينار المكي، ت ١٢٦هـ.

٣٢٢ ـ عمرو بن رشيد الكوفي.

٣٢٣ ـ عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي.

٣٢٤ ـ عمرو بن شَمِر، أبو عبدالله الجعفي، له كتاب مؤلّف[٢].

٣٢٥ ـ عمرو بن عبدالله الثقفي.

٣٢٦ ـ عمرو بن عبدالله السبيعي، أبو إسحاق، ت ١٢٧ هـ، تابعي.

٣٢٧ ـ عمرو بن عبدالله مولى غفرة، ت ١٤٥ هـ.

٣٢٨ ـ عمرو بن قيس الماصر.

٣٢٩ ـ عمرو بن معمر بن أبي وشيكة.

٣٣٠ ـ عمرو بن يحيى.

٣٣١ ـ عنبسة بن بجاد، له كتاب مؤلّف[٣].

٣٣٢ ـ عنبسة بن مصعب.

٣٣٣ ـ عيسى بن أبي منصور القرشي.

٣٣٤ ـ عيسى بن أعين الشيباني.

٣٣٥ ـ عيسى بن حمزة، له كتاب مؤلّف[٤].

٣٣٦ ـ عيسى الطحّان.

---

(١) مجمع الرجال: ٤/ ٢٨٥.
(٢) مجمع الرجال: ٤/ ٢٨٧.
(٣) مجمع الرجال: ٤/ ٢٩٤.
(٤) مجمع الرجال: ٤/ ٣٠٠.

٣٣٧ ـ عيسى بن عمر الكوفي، ولعلّه الهمداني صاحب القراءة المنسوبة إليه[١].

حرف الغين

٣٣٨ ـ غالب أبو الهذيل الشاعر الكوفي.

٣٣٩ ـ غالب الجهني.

٣٤٠ ـ غياث بن إبراهيم.

❀ ❀ ❀

حرف الفاء

٣٤١ ـ فرات بن أحنف.

٣٤٢ ـ فضيل بن الزبير الرسّان.

٣٤٣ ـ فضيل بن سعدان.

٣٤٤ ـ فضيل بن شريح.

٣٤٥ ـ فضيل بن عثمان الأعور المرادي الكوفي، له كتاب مؤلف[٢].

٣٤٦ ـ فضيل بن غياث.

٣٤٧ ـ فضيل بن ميسرة.

٣٤٨ ـ فضيل بن يسار النهدي البصري، له كتاب مؤلف[٣].

٣٤٩ ـ فليح بن أبي بكر الشيباني.

❀ ❀ ❀

---

(١) الفهرست: ٣٣.

(٢) مجمع الرجال: ٥/ ٣٥.

(٣) مجمع الرجال: ٥/ ٣٨.

حرف القاف

٣٥٠ ـ القاسم بن عبد الملك.

٣٥١ ـ القاسم بن الفضل الحدّاني، ت ١٦٧ هـ.

٣٥٢ ـ القاسم بن محمد.

٣٥٣ ـ قدامة بن سعيد بن أبي زائدة.

٣٥٤ ـ قرّة بن خالد، ت ١٥٤ هـ.

٣٥٥ ـ قيس بن الربيع، ت ١٦٨ هـ.

٣٥٦ ـ قيس بن رمانة الأشعري؛ أبو المفضّل.

⊛ ⊛ ⊛

حرف الكاف

٣٥٧ ـ كامل بن العلاء.

٣٥٨ ـ كامل الكوفي، صاحب السابري.

٣٥٩ ـ كامل النجار.

٣٦٠ ـ كامل الوصافي (أو الرصافي).

٣٦١ ـ كثير النوا.

٣٦٢ ـ كليب بن معاوية الأسدي، له كتاب مؤلّف[١].

٣٦٣ ـ الكميت بن زيد الأسدي.

٣٦٤ ـ كيسان بن كليب، أبو صادق.

⊛ ⊛ ⊛

(١) مجمع الرجال: ٥/ ٧٢.

حرف اللام

٣٦٥ ـ ليث بن أبي سليم، ت ١٤٣ هـ.

٣٦٦ ـ ليث بن البختري المرادي، أبو بصير الكوفي، له كتاب مؤلّف[١].

❁ ❁ ❁

حرف الميم

٣٦٧ ـ مالك بن أعين الجهني.

٣٦٨ ـ مالك بن أنس، ت ١٧٩ هـ، له كتاب في التفسير[٢].

٣٦٩ ـ مالك بن عطية البجلي، له كتاب مؤلّف[٣].

٣٧٠ ـ محمد بن أبي حمزة الثمالي، له كتاب مؤلّف[٤].

٣٧١ ـ محمد بن أبي منصور.

٣٧٢ ـ محمد بن إسحاق المدني، مؤلّف السيرة النبوية، ت ١٥١ هـ.

٣٧٣ ـ محمد بن أسلم الجيلي (أو الجبلي) الكوفي، له كتاب مؤلّف[٥].

٣٧٤ ـ محمد بن إسماعيل بن بزيع.

٣٧٥ ـ محمد بن إسماعيل بن جعفر العلوي.

---

(١) مجمع الرجال: ٥/ ٨٧.
(٢) الفهرست: ٣٦.
(٣) مجمع الرجال: ٥/ ٩١.
(٤) مجمع الرجال: ٥/ ١٠٦.
(٥) مجمع الرجال: ٥/ ١٥٠.

٣٧٦ ـ محمد بن الحسن بن أبي سارة، له مؤلفات: منها كتاب إعراب القرآن، وكتاب الوقف والابتداء، وكتاب الهمز[(١)].

٣٧٧ ـ محمد بن حميد.

٣٧٨ ـ محمد بن رستم.

٣٧٩ ـ محمد بن زيد.

٣٨٠ ـ محمد بن السائب الكلبي، ت ١٤٦ هـ، له مؤلّفات: منها كتابه في التفسير[(٢)].

٣٨١ ـ محمد بن سعيد بن غزوان، له كتاب مؤلّف[(٣)].

٣٨٢ ـ محمد بن سليمان الفرّاء.

٣٨٣ ـ محمد بن سوقة البجلي، تابعي.

٣٨٤ ـ محمد بن شريح الحضرمي، أبو بكر، له كتاب مؤلّف[(٤)].

٣٨٥ ـ محمد الطيار مولى فزارة.

٣٨٦ ـ محمد بن عبدالله الزهري، ت ١٢٤ هـ.

٣٨٧ ـ محمد بن عجلان المدني، ت ١٤٨ هـ.

٣٨٨ ـ محمد بن علي بن أبي شعبة الحلبي الكوفي، له مؤلفات: منها كتاب التفسير، وكتاب مبوّب في الحلال والحرام[(٥)].

---

(١) مجمع الرجال: ٥/ ١٨١.

(٢) الفهرست: ٣٦ و١٠٨ وشذرات الذهب: ١/ ٢١٧ ـ ٢١٨ والذريعة: ٤/ ٣١١.

(٣) مجمع الرجال: ٥/ ٢١٦.

(٤) مجمع الرجال: ٥/ ٢٣٤.

(٥) مجمع الرجال: ٥/ ٢٦٧.

٣٨٩ ـ محمد بن الفضل الهاشمي، أبو الربيع.

٣٩٠ ـ محمد بن قيس الأنصاري.

٣٩١ ـ محمد بن مروان الكلبي، ت ١٨٩ هـ.

٣٩٢ ـ محمد بن مروان الكوفي، من ولد أبي الأسود، ولقّبه بعضهم بالبصري.

٣٩٣ ـ محمد بن مسعود.

٣٩٤ ـ محمد بن مسلم الثقفي الطحان الطائفي، ت ١٥٠ هـ، له كتاب مؤلّف اسمه «الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام»[١].

٣٩٥ ـ محمد بن يزيد الكوفي، صاحب الشعيري.

٣٩٦ ـ محمد بن اليسع بن حمزة القمي.

٣٩٧ ـ المستهلُّ بن عطاء الكوفي.

٣٩٨ ـ مسعدة بن زياد الربعي، له كتاب في الحلال والحرام مبوّبٌ[٢].

٣٩٩ ـ مسعدة بن صدقة العبيدي، له مؤلفات: منها كتاب خطب أمير المؤمنين[٣].

٤٠٠ ـ مسكين بن عبدالله.

٤٠١ ـ مسمع بن عبد الملك الملقّب بكردين، أبو سيّار الكوفي، له كتاب مؤلّف[٤].

---

(١) مجمع الرجال: ٦/ ٥٤.
(٢) مجمع الرجال: ٦/ ٨٦.
(٣) مجمع الرجال: ٦/ ٨٧.
(٤) مجمع الرجال: ٦/ ٩١.

٤٠٢ ـ معاذ بن مسلم الهرّاء، ت ١٨٧ هـ، وكان معمّراً.

٤٠٣ ـ معروف بن خربوذ المكي.

٤٠٤ ـ معمر بن رشيد الكوفي.

٤٠٥ ـ معمر بن عطاء.

٤٠٦ ـ معمر بن يحيى بن بسّام (أو: بن سام) الدجاجي الكوفي، له كتاب مؤلّف[١].

٤٠٧ ـ المفضّل بن أبي قرّة.

٤٠٨ ـ المفضّل بن زيد.

٤٠٩ ـ المفضل بن قيس بن رمانة.

٤١٠ ـ المفضل بن مزيد.

٤١١ ـ مقاتل بن سليمان، المفسّر، ت ١٥٠ هـ، له مؤلفات في التفسير والقراءات والمتشابه والناسخ والمنسوخ والنوادر[٢].

٤١٢ ـ مقرن السرّاج.

٤١٣ ـ مكحول (أو مخول) بن راشد.

٤١٤ ـ منذر بن أبي طريفة.

٤١٥ ـ منذر السرّاج.

٤١٦ ـ منصور بن حازم، له مؤلفات: منها كتاب أصول الشرائع، وكتاب الحج[٣].

٤١٧ ـ منصور بن المعتمر، ت ١٣٢ هـ.

---

(١) مجمع الرجال: ٦/١١٦.

(٢) الفهرست: ٣٦ و٢٢٧ والذريعة: ٤/٣١٥.

(٣) مجمع الرجال: ٦/١٤٣.

٤١٨ ـ منصور بن الوليد الصيقل.

٤١٩ ـ المنهال بن عمرو الأسدي.

٤٢٠ ـ موسى أبو الحسن الأشعري.

٤٢١ ـ موسى بن أشيم.

٤٢٢ ـ موسى التّمار.

٤٢٣ ـ موسى الحنّاط.

٤٢٤ ـ موسى بن خليفة.

٤٢٥ ـ موسى بن زياد.

٤٢٦ ـ موسى بن سالم، أبو جهضم.

٤٢٧ ـ موسى بن عبدالله الأسدي.

٤٢٨ ـ مهزم الأسدي.

٤٢٩ ـ ميسَّر بن عبد العزيز النخعي المدائني.

٤٣٠ ـ ميمون البان الكوفي.

٤٣١ ـ ميمون القدّاح المكي.

❀ ❀ ❀

حرف النون

٤٣٢ ـ ناجية بن أبي عمارة الصيداوي.

٤٣٣ ـ نجم بن الحطيم ـ وقيل: الخصم ـ العبدي.

٤٣٤ ـ نجم الطائي.

٤٣٥ ـ نجيح بن مسلم.

٤٣٦ ـ نصر بن مزاحم الكوفي المنقري، (أقول: هكذا ورد في رجال الطوسي، ولا بد أنه نصرٌ آخر غير الكوفي المنقري الذي يتصل سند رواياته بجابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر (ع).

٤٣٧ ـ النضر بن قرواش الخزاعي.

٤٣٨ ـ النعمان الأحمسي.

٤٣٩ ـ النعمان بن ثابت صاحب المذهب المشتهر بكنيته أبي حنيفة[١]، ت ١٥٠ هـ.

حرف الهاء

٤٤٠ ـ هارون الجبلي.

٤٤١ ـ هارون بن حمزة الغنوي، له كتاب مؤلّف[٢].

٤٤٢ ـ هاشم بن أبي هاشم.

٤٤٣ ـ هاشم الرمّاني.

٤٤٤ ـ هيثم بن أبي مسروق النهدي، له كتاب «نوادر»[٣].

❀ ❀ ❀

---

(١) نصّ على ذلك الذهبي في تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٨ وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ٣٤٧.

(٢) مجمع الرجال: ٦/ ٢٠١.

(٣) مجمع الرجال: ٦/ ٢٤٣.

حرف الواو

٤٤٥ ـ ورد بن زيد الأسدي، أخو الكميت.

٤٤٦ ـ وردان أبو خالد الكابلي الأصغر.

٤٤٧ ـ الوليد بن بشير.

٤٤٨ ـ الوليد بن عروة الهجري.

٤٤٩ ـ الوليد بن القاسم.

❀ ❀ ❀

حرف الياء

٤٥٠ ـ يحيى بن أبي العلاء (أو: بن العلاء) الرازي، له كتاب مؤلَّف[1].

٤٥١ ـ يحيى بن أبي كثير، أبو نصر الطائي، ت ١٢٩ هـ.

٤٥٢ ـ يحيى بن أبي القاسم إسحاق، أبو بصير، المكفوف، ت ١٥٠ هـ.

٤٥٣ ـ يحيى بن السابق.

٤٥٤ ـ يحيى بن القاسم الحذّاء.

٤٥٥ ـ يزيد أبو خالد الكناسي.

٤٥٦ ـ يزيد بن زياد الكوفي.

(١) مجمع الرجال: ٦/ ٢٤٨.

٤٥٧ ـ يزيد بن عبد الملك الجعفي.

٤٥٨ ـ يزيد بن عبد الملك النوفلي.

٤٥٩ ـ يزيد بن محمد النيسابوري.

٤٦٠ ـ يزيد مَوْلى الحكم بن أبي الصلت الثقفي.

٤٦١ ـ يعقوب بن شعيب الأزرق بيّاع الطعام.

٤٦٢ ـ يعقوب بن شعيب بن ميثم الأسدي، له كتاب مؤلّف[١].

٤٦٣ ـ يعقوب بن يونس، والد يونس بن يعقوب.

٤٦٤ ـ يوسف بن الحارث، أبو بصير.

٤٦٥ ـ يونس بن أبي يعفور الكوفي.

٤٦٦ ـ يونس ابن خال أبي المستهلّ.

٤٦٧ ـ يونس بن خبّاب.

٤٦٨ ـ يونس بن المغيرة.

ومن النساء:

٤٦٩ ـ حبّابة الوالبية.

٤٧٠ ـ خديجة بنت محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

❀ ❀ ❀

---

(١) مجمع الرجال: ٦/ ٢٧٥.

وأورد المحدّثون والرِّجاليون ذكر بعض الرواة عن الإمام الباقر (ع) بكناهم المجردة عن الأسماء والمميِّزات فلم نعرفهم كما ينبغي، وعددهم (٢٨) راوياً، وكان أبو هارون المكفوف أحد هؤلاء، وذكروا أنه من المؤلفين[1].

(١) مجمع الرجال: ٧/ ١٠٧.

وبعد:

فهذه إشارات سريعة خاطفة أو خطوط عامة عريضة؛ لسيرة الإمام الخامس من أئمة أهل البيت (ع)، الذي كان حقاً كما أخبر جدُّه الصادق المصدّق (ص)، باقرَ العلم ومفجّر ينابيعه، وحامل رسالة الإسلام ورايته، ومبلغ ندائه ودعوته، وشارح أُصوله وقواعده، ومستخرج كنوزه وذخائره، ومبيّن مكنوناته وسرائره، ومجلّي مشكلاته وغوامضه.

ولن تجتمع هذه الخصال العليا السامية؛ والمواهب الفذّة النادرة في أي رجل من الرجال إلاّ كان قطعاً إمام المسلمين؛ ومرجع الدين؛ وقائد المجتمع المؤمن نحو سعادة الدارين وخير النشأتين.

وكان تراث الإمامة المأثور عن هذا الإمام العظيم عظيماً مثله وضخماً قيّماً إلى أبعد الحدود، بما تجلّى فيما تقدّم من عرض لمحاته الموجزة؛ من سعة الامتداد، وتسامي الآفاق والأبعاد، وقد شمل في مجمله ـ كما رأينا ـ معظم جوانب الفكر الإنساني والمعارف العقلية والسلوكية في ميدانيها الرئيسين الفردي والاجتماعي.

وجاء في مقدمة ذلك التراث مما سبق ذكره: معاني القرآن الكريم وغريبه؛ وتفسيره وتبيينه، وما صحَّ في ضبط فصيح ألفاظه وقراءة مفردات آياته. كما شمل ما تضمّنه كتابُ الله تعالى وسنة رسوله الأعظم (ص) من بيان تكاليف الشريعة وأحكامها؛ في جميع فروعها وأبوابها، وسننها وآدابها؛ في العبادات والمعاملات، والعقود والايقاعات؛ والقضاء والجزاء؛ والحقوق والشروط؛ والجنايات والتعزيزات، وسائر ما يمت إلى ذلك كله ويرتبط به من قريب أو بعيد.

كذلك ضمَّ هذا التراث ـ فيما ضمَّ ـ ما جسَّد الفكر الإسلامي الأصيل؛ ومثّله أفضل تمثيل، بما شرح من موضوعات التوحيد والعدل، وسرد من دلائل النبوة والمعاد، وجلا من نصوص الإمامة والأئمة، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادل المشككين والمنحرفين بالتي هي أحسن، وحث على الخلق الفاضل والسلوك المستقيم؛ على النحو الذي قضى به الله عزَّ وجل؛ ودعا إليه العقل السليم؛ وأملته الفطرة النقيّه التي لم تلوّثها أدران المطامع وأدناس الشهوات.

ومع أن ما أوردناه كان غيضاً من ذلك الفيض الشرِّ المتدفق؛ وغُرفة من ذلك الخضمّ المواج المتلاطم، فإن في تلك الإشارات والملامح ما يكفي في التنبيه على أهمية ذلك التراث؛ وفي الدلالة على مكامن إشعاعه ومنابع نميره، لمن شاء الاستزادة من التقاط تلك الدرر؛ والاستفادة من جواهر ذلك المنجم المشحون بالنفائس.

وليس لديّ ما أقوله في الختام ـ بعد حمد الله تعالى وشكره على فضله ومنّه ـ إلاّ الدعوة المخلصة لجيل الشباب الطالع والنشء الصاعد من المسلمين الواعين؛ إلى الالتزام الصادق بدينهم؛ والتمسّك الوثيق بعُرا قرآنهم المجيد الذي ورد فيه فيما ورد ذلك الأمر الإلهي الصريح باتباع الرسول؛ أخذاً بما آتى وأمَرَ؛ وانتهاء عما نهى ومنع، وكان من جملة ما آتانا هذا النبيُّ الخاتم الواجب الإطاعة؛ بل في طليعة ذلك: إلزامه المسلمين عامة بالسير على هدى الثقلين كتاب الله والعترة؛ لأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وستعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرضٍ موجز لسيرة الإمام السادس من أئمة الحق الأصفياء المطهرين، الصادق القول ابن الصادقين، والناطق بالصواب سلسل الناطقين، مشعل الهداية، وقطب الولاية والدراية، جعفر بن محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الإمام (بين ولادته وإمامته)، متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية؛ ومنها الولادة والنشأة؛ والأزواج والأولاد، مع الإشارة إلى بعض ما عانى في أيام الصبا والشباب من جور حكام عصره؛ وآلام دهره الحافل بالمآسي والأرزاء.

وعقدتُ الفصل الثاني على تاريخ الإمام (بين إمامته وشهادته) شارحاً فيه الأدلة على إمامته، كما أرشدتْ إليه النصوص النبوية المتفق على صحتها؛ مما يبحث عنه طالب النص الذي يعتقد أن لا إمامة بدونه، وكما تواترت به الشهادات على أهليته وكفايته للإمامة؛ وعلى انفراده بالمواصفات المطلوبة التي اتفق جمهور المسلمين على وجوب اجتماعها في شخص الإمام إذ لا إمامة بغير اجتماع تلك الصفات، مع بيانٍ مقتضب لمجمل سِيَر من تقمّص الخلافة الشرعية والولاية العامة في عصره من أمويين وعباسيين، لغرض التنبيه والمقارنة والتذكير بحقائق الأمور.

ثم وقفتُ متمهلاً عند ما رواه المؤرخون من علاقاته بحكام تلك

السنين؛ وروابطه بمدّعي الإمامة الدينية والنيابة النبوية، في سلبها وإيجابها؛ وتوترها ومهادنتها؛ وشدّها وإرخائها، حتى بلغت نهايتها أخيراً بوفاة الإمام وما قيل في سببها من دسّ السم إليه والتآمر عليه.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الإمامة) الذي ورثته الأمة عن الإمام، فاستعرضتُ فيه ما أجمعت عليه كلمة السلف والخلف؛ من علماء الدين؛ وأئمة المذاهب الفقهية، وكتّاب الحديث والتراجم والتاريخ؛ في القديم والحديث، من كونه المعلّم الأكبر لرجال الفكر والعلم في عصره؛ والأستاذ الأول الذي انتشرت عنه المعارف ونُقلت منه العلوم. وأوردتُ خلال ذلك أمثلة مما أثر عنه في معاني القرآن وأحكام الشريعة وفروع الفقه وأصول الأستنباط. وما تناقل عنه المحدّثون من مناظرات الفلاسفة والمتكلمين في مسائل هذين العلمين، وما أسند الباحثون إليه في شتى ميادين الفكر وحقول الثقافة. ووقفتُ وقفة خاصة عند ما رُوي عنه في العلوم الطبيعية والتطبيقية كالطب والكيمياء والفلك وغيرها؛ للتأكيد من ريادته في ذلك كله، وعند ما نُسب إليه من كتب ومؤلفات لمعرفة ما يصح منها وما لا يصح وما يثبت منها وما لم يثبت.

وفي الختام ـ كما في البدء ـ أكرر حمد الله تعالى على آلائه ونعمائه، وابتهل إليه عزَّ وجل أن يسدّد الخطا على الطريق، ويمد بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدّد وموفّق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العراق ــ بغداد/ الكاظمية

محمد حسن آل ياسين

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

بين ولادته وإمامته

«إنه الوليد الذي جمع المجد من أطرافه؛ وحوى السؤدد من نواحيه، وضمّ بُرْدَيْه على أسمى ما عرفت البشرية من مواريث الأنبياء وهبات الوحي، مادة ومعنى، وجسماً وروحاً، وفكراً وعطاء».

«ونشأ في ذلك البيت الذي أذن الله له أن يُرفع، وشاء ربُّ العزة له أن يتولى أمر تعليمه أبوه الإمام الذي بقر العلم بقراً كما بشر بذلك رسول الله (ص)، وأن يلتقط هذا الفتى ما أمكنه الالتقاط من درر بحر جده زين العابدين (ع)، فحظي من مجموع ذلك بما جعله منذ ريعان شبابه مطمح الأنظار ومهوى الأفئدة ووجهة الآمال وملتقى التطلعات».

❀ ❀ ❀

في صباح يومٍ طافح بالسعادة والبهجة؛ ومع ابتسامة فجره المتلألىء المندّى؛ وإشراقة شمسه الزهراء الدافئة[1]، وكان ـ فيما رُوي

---

(١) ورد النص على كون الولادة عند طلوع الفجر أو الشمس في المناقب: ٢/ ٣٤٩ =

ـ يوم الجمعة[١] أو الإثنين[٢]، السابع عشر من شهر ربيع الأول في أرجح الروايات[٣]، لسنة ٨٣ هـ[٤]؛ وقيل: سنة ثمانين[٥]، أطلّ على الدنيا جعفر بن محمد بن علي (ع) فرع شجرة النبوة والإمامة، وشبل أهل بيت الوحي والتنزيل، فعجّت دور آل محمد (ص) وعليّ (ع) بالبشائر والأفراح، وانتشرت أصداء البشرى حتى شملت جميع أندية المدينة المنورة وسائر أحيائها الفسيحة وأرجائها الممتدة الواسعة.

= ووفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٤ و٩٨/ ١٩٤.

(١) المناقب: ٢/ ٣٤٩ وبحار الأنوار: ٤٤٧ و٩٨/ ١٩٤.

(٢) المناقب: ٢/ ٣٤٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٤ و٩٨/ ١٩٤ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨ وعمدة الزافر: ٤٩ و٣٠٥.

(٣) المصادر المذكورة في الهامش المتقدم. وشذت رواية الولادة في ثامن شهر رمضان في وفيات الأعيان: ١/ ٢٩١، وفي غرة شهر رجب في عمدة الزائر: ٣٠٥.

(٤) الكافي: ١ / ٤٧٢ والإرشاد: ٢٨٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٧٨ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وكفاية الطالب: ٣٠٧ ووفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٥ والفصول المهمة: ٢٠٥ والأئمة الإثني عشر: ٨٥ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ و٤ و٩٨/ ١٩٤ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨ وعمدة الزائر: ٤٩ و٣٠٥ ونور الأبصار: ١٣٣.

ويؤيد هذه الرواية ـ بعد الاتفاق على تاريخ وفاته ـ ماورد من النصّ على كونه حين وفاته ابن خمس وستين سنة، كما في عدد من المصادر المتقدمة وغيرها ومنها مروج الذهب: ٣/ ٢١٢.

(٥) وفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ وتاريخ الفدا: ٢/ ٥ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥ و٢٦٩ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٨ وسر السلسلة العلوية: ٣٤ والفصول المهمة: ٢٠٥ ومرآة الجنان: ٣٠٤١ وعمدة الطالب: ١٨٤ وتهذيب التهذيب: ١٠٤٢ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ وشذرات الذهب: ١/ ٢٢٠ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ وزهرة المقول: ٦٨ وينابيع المودة: ٣٨٠ ونور الأبصار: ١٣٣ وهدية العارفين: ١/ ٢٥١ والأعلام: ٢/ ١٢١ ومعجم المؤلفين: ٣/ ١٤٥.

وشذت رواية بحار الأنوار: ٤٧/ ٤ في ولادته سنة ست وثمانين.

إنه الوليد الذي جمع المجد من أطرافه؛ وحوى السؤدد من نواحيه، وضمَّ بُرْدَيْه على أسمى ما عرفت البشرية من مواريث الأنبياء وهبات السماء، مادة ومعنى؛ وجسماً وروحاً، وهيئة ومحتوى؛ وفكراً وعطاء.

إنه ابن ذلك الإمام الذي لقّبه جده الرسول الأعظم (ص) بالباقر لأنه يبقر العلم بقراً، وحفيد الإمام الذي أجمع المسلمون على تلقيبه زين العابدين، وابن حفيد مَنْ ورد النصُّ النبوي على كونه أحد سيدي شباب الجنة وخامس أهل الكساء المطهَّرين، وكان جدُّه الثالث مَنْ خصَّه رسول الله (ص) بأمر الله تعالى بولاية الأمر وقيادة الأمة من بعده، وجعله باب مدينة العلم الإلهي وأمير المؤمنين[1].

أمّا أُمُّه فهي السيدة فاطمة الشهيرة بكنيتها «أمّ فروة» بنت القاسم بن محمد بن الخليفة أبي بكر، وأُمُّها السيدة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[2]، ولذلك كان الإمام الصادق (ع) يقول: «ولدني أبو بكر مرتين»[3].

---

(١) يراجع في الأئمة المذكورين كتبنا المعنيّة بتواريخهم: الإمام علي بن أبي طالب ـ سيرة وتاريخ ـ والإمام الحسين بن علي والإمام علي بن الحسين [المجلد السابق] والإمام محمد بن علي الباقر (ع)، [في هذا المجلد].

(٢) نسب قريش: ٦٣ وطبقات خليفة: ٢/ ٦٧٣ وتاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٥ وطبقات ابن سعد: ٥/ ١٣٩ وذيل المذيل: ٦٥٣ والكافي: ١/ ٤٧٢ والإرشاد: ٢٨٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٧٨ وسر السلسلة العلوية: ٣٣ ـ ٤٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ ووفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٣ وصفة الصفوة: ٢/ ٩٤ والعبر: ١/ ١٦٠ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٨ وتذكرة الخواص: ٣٥١ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٥ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وشذرات الذهب: ١/ ٢٢٠ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ وزهرة المقول: ٥٨ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨.

(٣) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٣ وعمدة الطالب: ١٨٤ ونور الأبصار: ١٣٣.

وكانت السيدة أمُّ فروة من النساء الجليلات اللواتي لا ينكر فضلهن ورفعة مقامهن، ورُوي عن ابنها (ع) قوله وهو يتحدث عنها: «كانت أُمّي ممن آمنت واتّقت وأحسنت،والله يحب المحسنين»[١].

واشتهر هذا الفتى منذ يفاعة صباه بكنيته الأولى «أبي عبد الله»[٢]، ثم كُني على لسان بعضهم بـ «أبي إسماعيل»[٣] لما وُلد له ولده الأكبر إسماعيل.

كما عُرِف بين الناس بعدد من الألقاب كـ «الصابر» و«الفاضل» و«الطاهر» و«القائم» و«الكافل» و«المنجي»[٤].

ولكنَّ لقبه الأشهر الذي شاع وذاع بين المسلمين منذ أيام حياته وبقي في شيوعه خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وحتى صار البديل الواضح عن اسمه بل اسمه الثاني المتداول؛ هو «الصادق»[٥]،

---

(١) الكافي: ١/ ٤٧٢ وبحار الأنوار: ٧/٤٧.

(٢) طبقات خليفة: ٢/ ٦٧٣ والمعارف: ٢١٥ وذيل المذيّل: ٦٥٣ ومروج الذهب: ٣/ ٢١٢ والكافي: ١/ ٤٧٢ وتهذيب الطوسي: ٧٨/٦ وسائر ما تلاه من المصادر المذكورة في الهامش ذي الرقم (٢) ـ الصفحة السابقة.

(٣) المناقب: ٢/ ٣٥٠ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٥ وتذكرة الخواص: ٣٥١ والفصول المهمة: ٢٠٥ وبحار الأنواير: ٩/٤٧ ونور الأبصار: ١٣٣.

(٤) النجوم الزاهرة: ٢/ ٨ وجميع المصادر المذكورة في الهامش المتقدم (٣).

(٥) التبيين: ١١٠ وتهذيب الطوسي: ٧٨/٦ والمناقب: ٢/ ٣٥٠ وكامل ابن الأثير: ٥/ ٢٧ وكفاية الطالب: ٣٠٧ ووفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٣ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٥ والعبر: ١/ ١٦٠ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٠٥ وتذكرة الخواص: ٣٥١ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٥ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٨ وعمدة التهذيب: ٢/ ١٠٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٨ وعمدة الطالب: ١٨٤ والفصول المهمة: ٢٠٥ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وشذرات الذهب: ٨/ ٢٢٠ وبحار الأنوار: ٩/٤٧ =

وقال المؤرخون: إنه «إنما لُقِّبَ بالصادق لصدقه في مقالته»؛ و«لأنه لم يُعرَف عنه الكذب قط»[١].

❁ ❁ ❁

نشأ هذا الصبي المبارك في ذلك البيت الذي أذن الله أن يُرفَع ويُذكَر فيه اسمه، يستروح في أرجائه عبير النبوة وأريجها الفوّاح، ويتطلع في قضائه إلى نور الرسالة وإشعاعها الممتدّ عبر السنين، ويملأ صدره انشراحاً بما ضمّته دارة آل محمدٍ من تألُّق الهدي الإلهي الخالد؛ وهمهمة الوحي السماوي المتردّد الأصداء.

وحباه الله تعالى من حُسن الخَلْق وبديع التصوير وروعة الملامح والسِّمات، ما زاده جمالاً وكمالاً وهيبة وتلألؤ شباب، فقد كان ـ كما وصفه مؤرّخوه ـ رَبْع القامة، أزهر الوجه، أشمّ الأنف، رقيق البشرة، آدم اللون، حالك الشّعير جَعْدَه، على خدّه خال أسود[٢].

وشاء ربُّ العزّة لجعفر بن محمد (ع) خلال نشأته السعيدة، أن يتولّى شأن تعليمه وتثقيفه «أبوه الإمام محمد الباقر (ع)، وهو أعلم أهل زمانه بالقرآن وتفسيره؛ وبالحديث والفقه»[٣] وكان ذلك «ذا أثر بالغ في حياة الإمام» كما يقول الشيخ أبو زهرة، فقد نهل الصادق (ع) «من عذب نميره، واقتبس الكثير من نوره»[٤]، كما التقط هذا الفتى ما أمكنه الزمن

= وتاريخ الخميس: ٢/ ٣٢٥ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨ ونور الأبصار: ١٣٣ وهدية العارفيين: ١/ ٢٥١ ودائرة المعارف الإسلامية: ٦/ ٤٧٣.

(١) وفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ وتايخ أبي الفدا: ٢/ ٥ ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ وحياة الحيوان: ٢/ ١٠٣ والأئمة الإثني عشر: ٨٥ وعقيدة الشيعة: ١٣٨ والأعلام: ٢/ ١٢١.

(٢) المناقب: ٢/ ٣٥٠ والفصول المهمة: ٢٠٥ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٩ ونور الأبصار: ١٣٣.

(٣) شخصيات إسلامية: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) الإمام الصادق: ٢٥.

التقاطه من درر بحر جدّه علي بن الحسين (ع) في شتى أفانين العلم والمعرفة، فحظي من مجموع ذلك بما جعله منذ ريعان شبابه مطمح الأنظار؛ ومهوى الأفئدة؛ ووجهة الآمال؛ وملتقى التطلّعات.

وتزوج في مطلع رجولته الصاعدة السيدة فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)[1]، فولدت له ولده الأكبر إسماعيل؛ وقد توفي شاباً في حياة أبيه[2]، وعبد الله الشهير بالأفطح[3]؛ وقد مات بعد وفاة أبيه بقليل[4]، وأمّ فروة[5] ـ ولعلها كنية ابنته كما في بعض المصادر[6]، وإنْ ذُكِرَتْ أسماءُ مع أمّ فروة وكأنهما اثنتان في مصادر أخرى[7] ـ.

كما وُلِدَ له من السيدة حميدة[8] كلٌّ من موسى الكاظم (ع) ـ وهو

(١) نسب قريش: ٦٣ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ والإرشاد: ٣٠٣ وسر السلسلة العلوية: ٣٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥ وينابيع المودة: ٣٨٢.

(٢) نسب قريش: ٦٣ وتاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٧ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ والإرشاد: ٣٠٣ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ وعمدة الطالب: ٢٢٢ وزهرة المقول: ٥٨ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥ وينابيع المودة: ٣٨٢ ونور الأبصار: ١٣٥.

(٣) نسب قريش: ٦٣ وتاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٧ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ والإرشاد: ٣٠٣ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥ ونور الأبصار: ١٣٥.

(٤) ينابيع المودة: ٣٨٢.

(٥) نسب قريش: ٦٣ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ والإرشاد: ٣٠٣ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ ونور الأبصار: ١٣٥.

(٦) المناقب: ٢/ ٣٤٩.

(٧) نسب قريش: ٦٣ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ والإرشاد: ٣٠٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥.

(٨) سر السلسلة العلوية: ٤٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥.

الإمام من بعده ـ وإسحاق، ومحمد(١)، كذلك وُلِدَ له من نساء أُخريات كلٌّ من العباس(٢)، ويحيى(٣) وعليّ(٤) وفاطمة (الكبرى)(٥)، وفاطمة (الصغرى)(٦)، وبُرَيْهَة ـ في رواية بعضهم(٧) ـ.

وخلافُ المؤرخين في تحديد عدد أولاده ماثلٌ في المصادر، ولعل الأرجح أنهم عشرة(٨)، ولكن المتفق عليه أنه أعقب من خمسة رجال: موسى وإسماعيل وعلي ومحمد وإسحاق(٩).

❊ ❊ ❊

(١) نسب قريش: ٦٣ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ والارشاد: ٣٠٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وسر السلسلة العلوية: ٤٤ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ وعمدة الطالب: ٢٣٥ و٢٢٩ وزهرة المقول: ٥٨ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥ ونور الأبصار: ١٣٥.

(٢) نسب قريش: ٦٣ وتاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٧ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ والإرشاد: ٣٠٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وسر السلسلة العلوية: ٥٠ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥.

(٣) ذيل المذيَّل: ٦٥٢ وتذكرة الخواص: ٣٥٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٧ والارشاد: ٣٠٤ وسر السلسلة العلوية: ٤٩ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ وعمدة الطالب: ٢٣١و٢٣٢ وزهرة المقول: ٥٨ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥ ونور الأبصار: ١٣٥. ونصَّ في العمدة على كونه «أصغر ولد أبيه».

(٥) نسب قريش: ٦٣ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ وتذكرة الخواص: ٣٥٧.

(٦) نسب قريش: ٦٣ وذيل المذيَّل: ٦٥٢ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٤١.

ووردت (فاطمة) واحدة بلا تلقيب بـ (كبرى) أو (صغرى) في الارشاد: ٣٠٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٥.

(٧) نسب قريش: ٦٣. ولم يذكرها غيره.

(٨) ورد النص على هذا العدد في الارشاد: ٣٠٣ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وكفاية الطالب: ٣٠٩ وعقيدة الشيعة: ١٣٨.

(٩) عمدة الطاب: ١٨٤ وينابيع المودة: ٣٨٢.

عاصر الإمام في مجمل أيامه التي عاشها بين ولادته وإمامته جميع أحداث عصره المثقل بالكوارث؛ وسائر آلام زمنه الطافح بالأحزان، وأطلّ من طريق ما رأى وشاهد ـ إطلالة العارف الخبير ـ على ما عاناه سلفه الطيب الطاهر من قبل؛ على أيدي سلاطين تلك السنين؛ من أمويين ومرتزقة ومأجورين، وعلى ما سبق ذلك من انحراف المسيرة الإسلامية عن خطّها الأصيل؛ وانتقالها من منهج القِيَم والمُثُل والعدل والدين الحق، إلى عالم الملك والدنيا والظلم والجور، حيث طغت الأطماع والمصالح الذاتية عل موازين الكتاب والسنَّة المحمدية، وهيمنت العقلية العشائرية والأحقاد الجاهلية الموروثة على نظام الحكم وإدارة الدولة وقيادة المجتمع.

وكان من أوائل ما عاصره الإمام خلال تلك السنوات ـ وهو بعد في مقتبل العمر ـ موقف الطاغية الأموي الوليد بن عبد الملك من جدّه الإمام علي بن الحسين (ع) وكان الوليد المذكور ـ كما ذكره مؤرخوه ـ ظلوماً جباراً عنيداً؛ لا يتورّع عن إتيان المنكر، ولا يردعه عن الشر والجور أي رادعٍ من خلق أو دين أو كياسة أو سياسة، ولهذا توجهت أصابع الاتهام إليه بدسّه السمّ للإمام زين العابدين (ع) فقضى نحبه به[1].

كما كان مما عاصر الإمام الصادق في تلك المدة معاملة حكام ذلك العهد لأبيه، مع ما يشاهد بأُمّ عينيه من ابتعاد أبيه عن عالم السياسة الدنيوية، وامتناعه من إثارة المشاكل والقلاقل ضد الدولة، لأن أباه كان يرى أن تلك الظروف ليست ظروف خروج وثورة، بالمعنى الشرعي

(١) المناقب: ٢/٢٦٩ والفصول المهمة: ١٩٠ ـ ١٩١ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وبحار الأنوار: ٤٦/١٥٣ وعمدة الزائر: ٣٠٣. ويراجع في تفاصيل ذلك كتابنا: «الإمام علي بن الحسين (ع)» [المجلد السابق من سيرة الأئمة (ع)، ص: ٤١٨ ـ ٤١٩].

للثورة التي يفترض أن يكون هدفها قلب النظام وتصحيح المسار، ومن هنا انحصر اهتمامه كله بالتعليم والتفقيه والتوجيه؛ وبالتربية الجماهيرية الصالحة على استقامة الخلق وحسن السلوك وطيب التعامل؛ كما أسلفنا ذكره بالتفصيل في كتابنا «الإمام محمد بن علي الباقر (ع)». ولكن ذلك التوجه القائم على المهادنة السياسية ـ ولم تكن تعني بطبيعة الحال الامتناع عن العمل الثقافي البناء والنشاط التربوي الهادف ـ لم يرض غرور السلطة المتجبّرية؛ ولم يرقْ لصنائعها المأجورة، فكان ما كان من المضايقات والمكابدات والتوتر المستمر بينها وبين الإمام الباقر (ع).

وجاء في الرواية عن الإمام الصادق (ع)؛ وكان قد قصد مكة المكرمة بمعية أبيه حاجّين كالمعتاد، وحجّ هشام بن عبد الملك في تلك السنة أيضاً: أن جعفراً (ع) قال مخاطباً جمعاً من المسلمين في المسجد الحرام:

«الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه؛ وخيرته من عباده؛ وخلفاؤه. فالسعيد من اتْبَعَنا، والشقي مَنْ عادانا وخالفنا».

فسمع مسلمة بن عبد الملك هذا الكلام فأخبر أخاه بما سمع، ويقول الإمام الصادق: إنه «لم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه، فأشْخصنا. فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً ثم أذن لنا في اليوم الرابع»[١]، ودار بين الإمام الباقر والخليفة ما دار في تلك المقابلات من أحاديث ومحاورات.

ثم كان خاتمة ذلك العهد الأسود مع أبيه، بعد استدعائه إلى الشام

(١) بحار الأنوار: ٣٠٦/٤٦ ـ ٣٠٩.

تارة؛ وإخراجه إليها بالقوة تارة؛ وسجنه هناك في بعض الأحيان، دسُّ السم للإمام الباقر (ع)[1] ووفاته شهيداً بيد الجبن والغدر والحقد الدفين.

❁ ❁ ❁

وهكذا انتهت تلك السنون التي تجاوزت الثلاثين بين ولادته ووفاة أبيه، وهو يعيش الآلام الخاصة بأهل بيته؛ والآلام الأخرى التي شملت مجتمع المؤمنين عامة، ليستقبل حقبة تالية من الزمن؛ كان فيها ما يفوق جميع التوقعات من ألوان المآسي والنوائب؛ وضروب الأحزان والمصائب، وشدائد المفاجآت والطوارىء.

(١) المناقب: ٢/ ٢٩٥ والفصول المهمة: ٢٠٣ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وبحار الأنوار: ٤٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧ وينابيع المودة: ٣٦٠ ونور الأبصار: ١٣٢ وإسعاف الراغبين: ٢١٤ وعمدة الزائر: ٣٠٤.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

بين إمامته وشهادته

«وكان هو الإمام الأوحد للمسلمين في ذلك العصر بإجماع الكلمة، لأنه المنصوص عليه بالإمامة من قبل أبيه الباقر ـ وهو الإمام المسلّم الإمامة كما تقدم ـ والمنظور إليه بالذات من بين رجال عصره في النصوص النبوية المأثورة في تعيين الأئمة من أهل البيت، والجامع لكل شروط الإمامة وصفاتها المطلوب اجتماعها فقهاً وشرعاً في شخص المرشّح لذلك».

❀ ❀ ❀

في عام ١١٤ هـ اختار الله إلى جواره الإمام محمد بن علي الباقر (ع) ورفع روحه إليه، ففقد المسلمون إمامهم الشرعي الذي تضافرت النصوص النبوية على تعيينه؛ واجتمعت فيه الصفات التي لم تجتمع في غيره من مدّعي الإمامة في عصره[١].

وكان من الطبيعي أن تتطلع أنظار المسلمين من كل حدب وصوب إلى مَنْ يحمل الراية بعده ويسدّ الثلمة، ويكون الملاذ لطلاّب الهدى؛ والموئل للباحثين عن الحق والمتمسكين بعروة الدين الوثقى ونظام الله

(١) يراجع في ذلك كتابنا الإمام محمد بن علي الباقر: [في هذا المجلد، ص: ٢٤ ـ ٣٤].

الأمثل؛ فلم يكن أمامهم غير جعفر بن محمد؛ منصوصاً عليه بالإمامة من قبل أبيه الباقر ـ وهو الإمام المسلّم الإمامة كما تقدّم ـ ومنظوراً إليه بالذات في النصوص المأثورة عن النبي (ص) في حقّ أهل بيته (ع)، ومجمعاً لكل شروط الإمامة وصفاتها المطلوب اجتماعها فقهاً وشرعاً في شخص الإمام المرشّح لذلك.

أما كونه خليفة أبيه ووصيّه الذي نصَّ عليه بالإمامة من بعده، فقد تعدّدت روايته على ألسن المحدّثين والمؤرخين، ونقلتها المصادر المعنيّة الموثوقة لدى المسلمين، وحسبنا من ذلك قول الشيخ المفيد وابن الصباغ المالكي: إنه كان «من بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي ـ (ع) ـ ووصيّه القائم بالإمامة من بعده»[١]، وقول الحافظ ابن حجر الهيتمي: كان خليفة أبيه ووصيّه[٢]، وقول الطبرسي والمجلسي: «وصّى إليه أبوه أبو جعفر (ع) وصية ظاهرة، ونصَّ عليه بالإمامة نصاً جلياً»[٣]، وقول ابن شهرآشوب ملخّصاً مجموع الروايات: «وثبت من الطريقين المختلفين أنه منصوص عليه»[٤].

وأما كونه المنظور إليه في النصوص النبوية على اختلاف ألفاظها فيكفينا منها قوله (ص): «الأئمة من قريش» وكونهم إثني عشر[٥]؛

(١) الارشاد: ٢٨٨ والفصول المهمة: ٢٠٤. ويجد القارىء في الكافي: ٣٠٦/١ ـ ٣٠٧ والارشاد: بعض النصوص المروية عن الإمام الباقر ـ (ع) ـ في هذا الشأن.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

(٣) الاحتجاج: ٢٠٣ وبحار الأنوار: ١٢/٤٧ ـ ١٥ و٢٦٤ و٢٦٦.

(٤) المناقب: ٣٠٠/٢.

(٥) صحيح البخاري: ٧٨/٩ و١٠١ وصحيح مسلم: ٣/٦ و٤ وسنن الترمذي: ٥٠١/٤ وسنن أبي داود: ٤٢١/٢ ومسند أحمد بن حنبل: ١٢٨/٢ و١٢٩٣ و١٨٣ و٨٦/٤ ـ ١٠٨ ومواضع كثيرة في معجم الطبراني الكبير: ٢١٤/٢ ـ ٢٨٦ وقال ابن حزم في =

وفي لفظ الطبراني في إحدى رواياته: «إثنا عشر قيّماً من قريش لا يضرهم عداوة مَنْ عاداهم»(١)، وقوله ـ (ص) ـ في حديث الثقلين: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله... وعترتي أهل بيتي»(٢)، وقوله ـ (ص) ـ : «أنا سيد النبيين، وعلي سيد الوصيين، وأن أوصيائي بعدي إثنا عشر»(٣)، وقوله (ع) وقد وضع سبطه الحسين عل فخذه: «أنت إمام ابن إمام، وأنت حجة ابن حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم»(٤)، إلى غير ذلك من الروايات المأثورة؛ التي تكفلت بروايتها المصادر المعروفة والموسوعات المشهورة.

= الفصل: ٤/ ٨٩ «هذه رواية جاءت مجيء التواتر»، وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ٦ «حديث صحيح ورده/ من طرق عن نحو أربعين صحابياً».

(١) المعجم الكبير: ٢/ ٢٨٦.

(٢) صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢ وسنن الترمذي: ٥/ ٦٦٢ و٦٦٣ ومسند أحمد: ٣/ ١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩ و٤/ ٣٦٧ و٥/ ١٨٢ و١٨٩ وحلية الأولياء: ٣٥٥١. وذكر ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ٨٩ ـ ٩٠ رواية هذا الحديث عن نيف وعشرين صحابياً.

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة: إن حديث الثقلين «لا يدل على إمامة السياسة، وإنه أدلُّ على إمامة الفقه والعلم... ولا تلازم بين إمامة الفقه وإمامة السياسة». (الإمام الصادق: ١٩٩).

وفي هذا الكلام مما يثير العجب ما فيه لأن السياسة إن لم يشترط بها العلم والفقه والدين فهي ليست سلطة دينية وليست خلافة عن رسول الله (ص) وليست إمامة وولاية بالمعنى الإسلامي الذي تعنيه النصوص، وإنما هي سلطان دنيوي محض ينطبق عليه ما ينطبق على سلطان الروم والفرس والأحباش، فلا تشترط له البيعة، ولا يعدُّ الخروج عليه نقضاً لأحكام الإسلام ولا ارتداداً عن الدين كما زعم الزاعمون وبرقع المبرقعون.

(٣) ينابيع المودة: ٤٤٧ و٤٨٦.

(٤) ينابيع المودة: ٢٥٨.

وأما كونه الجامع لكل شروط الإمامة ومؤهلاتها؛ وفي مقدمة ذلك العلم والعدل؛ والزهد والورع؛ وحصافة الرأي وكريم الخلق، لوجوب أن يكون الإمام هو الأفضل في العلم والدين في عصره؛ والمشهود له بالالتزام الكامل بالعمل بالأحكام الشرعية؛ والتقيد المطلق بحرفيّة التكاليف الإسلامية[١]، فسنعرضه فيما يأتي باختصار وإيجاز، ليحصص الحق ويطمئن القلب وتزول غياهب الشك والتردد عن أولئك الذين لم يعترفوا بالنصوص؛ جهلاً بواقع الأمر، أو انسياقاً مع الشبهات الطارئة والأقاويل المزعومة.

ولما كان المسلمون في ذلك اليوم مكلّفين بمعرفة إمامهم ـ كما هم مكلّفون بها في كل عصر وزمن حتى قيام الساعة ـ تنفيذاً لقول نبيهم ـ(ص) ـ الواجب الطاعة والاتّباع: «مَنْ مات بغير إمام مات ميتةً جاهلية» أو«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[٢]، فإن من حقّ البحث أن نسأل فنقول:

مَنْ هو الرجل الذي اجتمعت فيه صفات الإمامة في ذلك العصر ـ بعد خلوّ الساحة بوفاة الإمام الباقر(ع)؛ وبعد غضّ النظر عن جميع نصوص التعيين الواردة بهذا الخصوص ـ فكان الإمام الذي لا مناص من وجوده كما أرشدنا الحديث النبوي الشريف؟

وللجواب الموضوعي على هذا السؤال يجب علينا أن نقف وقفة

---

(١) الإحكام السلطانية: ٤ وتفسير القرطبي: ١/ ٢٣١ وتفسير البحر المحيط: ١/ ٣٧٩.

(٢) الحديث بهذا النص أو ذاك أو بهذا المضمون في صحيح مسلم: ٦/ ٢٢ ومسند أحمد: ٣/ ٤٤٦ و٤/ ٩٦ والكافي: ١/ ٣٧٦ والمعجم الكبير: ١٩/ ٣٨٨ ومجمع الزوائد: ٥/ ٢١٨ و٢٢٤ و٢٢٥.

فحص وبحث وتمحيص، فندرس فيها أحوال المرشحين للإمامة ومدّعيها والمستولين على مقاليد الأمور الدينية في تلك الحقبة الزمنية المشار إليها، لنحدّد في ضوء ذلك اسم الرجل الذي اجتمعت فيه الصفات؛ وتوفرت فيه المؤهلات والكفايات؛ من بين مجموع أولئك المدّعين والزاعمين.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

علمه وفقهه:

قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب المنسوب إليه: «ما رأيتُ أفقه من جعفر بن محمد»[(١)].

وقال مالك بن أنس إمام المذهب المنسوب إليه: «اختلفتُ إليه زماناً فما كنتُ أراه إلاّ على ثلاث خصال: إمّا مُصَلٍّ؛ وإمّا صائم وإمّا يقرأ القرآن. وما رأيته يحدّث إلاّ على طهارة»[(٢)].

وقال عمرو بن أبي المقدام: «كنتُ إذا نظرتُ إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيين»[(٣)].

وقال الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في رسالة له إلى محمد النفس الزكية: «ما وُلِدَ منكم بعد وفاة رسول الله ـ (ص) ـ أفضل من

---

(١) المناقب: ٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ وتذكرة الحفاظ: ١/١٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢١٧.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١٦.

(٣) حلية الأوفياء: ٣/ ١٩٣ والمناقب: ٢/ ٣٢٦ وصفة الصفوة: ٩٤٢ وتذكرة الخواص: ٣٤١ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٠.

علي بن الحسين. . . وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي. . . ولا مثل ابنه جعفر»[١].

وقال المنصور أيضاً لما بلغه نبأ وفاة الإمام الصادق ـ(ع) ـ : «إن جعفراً كان ممن قال الله فيه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، وكان ممن اصطفى الله، وكان من السابقين بالخيرات»[٢].

وقال أبو حاتم عنه: «ثقة لا يُسأل عن مثله»[٣]، ورُوِي مثل ذلك عن عددٍ من أعلام المحدِّثين[٤]، ولخَّص الذهبي هذه الروايات بقوله: «احتجّ به سائر الأمة»[٥]، و«حدّث عنه الأئمة»[٦].

وقال ابن واضح اليعقوبي: «كان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم»[٧].

وقال عبد الكريم الشهرستاني: «هو ذو علمٍ غزير في الدين؛ وأدب كامل في الحكمة؛ وزهد بالغ في الدنيا؛ وورع تام عن الشهوات»[٨].

---

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٧٩ ـ ٥٧٠ والعقد الفريد: ٥/ ٨٢ ـ ٨٣ وكامل ابن الأثير: ٥/ ٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٧.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٤ ونور الأبصار: ١٣٣ وإسعاف الراغبين: ٢١٢.

(٤) تهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٥) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٧.

(٦) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧.

(٧) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٥.

(٨) الملل والنحل ـ هامش الفصل ـ : ١/ ٢١٤.

وجاء في رواية ابن أبي الحديد المعتزلي: «جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه»[١].

وقال ابن الصباغ المالكي: «مناقبه كثيرة تكاد تفوت عَدَّ الحاسب، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب»[٢].

وقال ابن حجر الهيتمي: «نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان»[٣].

وقال الشيخ الأزهري المعاصر محمد أبو زهرة: «العلماء الذين عاصروه والذين جاؤا من بعده وصفوه بأنه في الذروة من العلماء، واعترفوا له بالإمامة في فقه الدين»[٤].

وقال الباحث المعاصر عبد الرحمن الشرقاوي: «أغنى الحياة والفكر بحسن السيرة؛ والعلم الغزير؛ وإشراقاته الروحية؛ واستنباطه العقلي... وكان الإمام جعفر من بين آل البيت هو الإمام الذي تتطلع إليه الأنظار»[٥].

زهده وعبادته:

تقدّم في خلال النصوص السابقة المعنية بعلمه وفقهه (ع) شيء من الذكر الضمني لزهده وورعه، وأضاف بعض مترجميه إلى ما سلف ما يزيد القارىء علماً ومعرفة بذلك، كقول ابن الجوزي وسبطه: «كان

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٧٤.
(٢) الفصول المهمة: ٢٠٥.
(٣) الصواعق المحرقة: ١٢٠.
(٤) الإمام الصادق: ٤.
(٥) شخصيات إسلامية: ٣٧ ـ ٣٨.

مشغولاً بالعبادة عن حبّ الرياسة»[١]، وقول ابن طلحة الشافعي: «ذو علم جمّ؛ وعبادة موفرة؛ وأوراد متواصلة؛ وزهادة بيِّنة؛ وتلاوة كثيرة»[٢]، وقول الشيخ محمد الصبان: «وكان مجاب الدعوة؛ إذا سأل الله شيئاً لا يتم قوله إلاّ وهو بين يديه»[٣].

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام بل يجب التنبيه عليه بالقلم العريض أن زهد الإمام (ع) لم يكن على غرار زهد الصوفية المتزمتين والرهبان المتقشفين، وإنما هو زهد الحكماء العارفين والفلاسفة المتبحرين، فقد روى الحافظ أبو نعيم وغيره من رجال الحديث بأسانيدهم عن سفيان الثوري قوله:

دخلتُ على جعفر بن محمد (ع)، وعليه جبة خزٍّ دكناء وكساء خز أيدجاني، فجعلت أنظر إليه تعجباً، فقال: ما لك يا ثوري تنظر إلينا؛ لعلك تعجب مما رأيت!. قلتُ: يا ابن رسول الله؛ ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك. فقال: كان ذاك زماناً مقتراً، وكانوا يعملون على قدر إقتاره وإفقاره، وهذا زمان قد أسبل كلُّ شيء فيه عَزَ إليه، ثم حسر عن ردن جبّته فإذا تحتها جبهة صوف بيضاء يقصر الذيلُ عن الذيلِ والردنُ عن الردن، وقال: لبسنا هذا لله؛ وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه؛ وما كان لكم أبديناه[٤].

وأضاف الإمام (ع) ـ كما في رواية ابن شعبة الحراني ـ قائلاً:

(١) صفة الصفوة: ٢/ ٩٤ وتذكرة الخواص: ٣٥١.

(٢) مطالب السؤدد: ٢/ ٥٥.

(٣) اسعاف الراغبين: ٢١٢.

(٤) حلية الأولياء: ٣/ ١٩٣ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١١٧ وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٦ ـ ٥٧ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٢١ و٣٦٠.

«فإذا أقبلت الدنيا فأحقُّ أهلها بها أبرارُها لا فُجارها؛ ومؤمنوها لا منافقوها؛ ومسلموها لا كفّارها».

ثم شرح لبعض الصوفية خطأ استدلالهم على صواب طريقتهم بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] فمدح فعلهم؛ وبقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٩]، وقال ـ(ع) ـ لهم في حديث طويل:

«أمّا ما ذكرتم من إخبار الله إيّانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحاً جائزاً؛ ولم يكونوا نهوا عنه، وثوابهم منه على الله. وذلك أن الله جلَّ وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم، وكان نهي الله تبارك وتعالى رحمة منهم للمؤمنين ونظراً، لكيلا يضروا بأنفسهم وعيالاتهم؛ ومنهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفان والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع. فإنْ تصدّقتُ برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً. فمن ثمَّ قال رسول الله ـ(ص) ـ : تمرات أو خمس قُرص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان وهو يريد أن يمضيها؛ فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه؛ ثم الثانية على نفسه وعياله؛ ثم الثالثة على القرابة واخوانه المؤمنين؛ ثم الرابعة على جيرانه الفقراء؛ ثم الخامسة في سبيل الله وهو أخسّها أجراً. وقال النبي ـ(ص) ـ للأنصاري حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره ما تركتُكم تدفنونه مع المسلمين، ترك صبية صغاراً يتكففون الناس»[١].

(١) تحف العقول: ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

ويقول الباحث عبد الرحمن الشرقاوي:

«كانت جماعات الزهاد تحبّب إلى الناس الفقر وتدعوهم إلى العزوف عن الدنيا... وقد شجّع حكام بني أمية هذه الجماعات ليصرفوا الناس عن التفكير في المظالم ويصرفوهم عن المقارنة بين غنى الحكام وفقر المحكومين. وشجع بنو العباس هذا الاتجاه إلى الزهد»، «ومضى الإمام الصادق (ع) يناقش الزاهدين، فالزهد كما يفهمه الإمام الصادق (ع) هو الاكتفاء بالحلال لا التجرد من الحلال... ورأى المنصور في الدعوى ضد الزهد والفقر تحريضاً لعامة المسلمين على أن يستمتعوا بحقوقهم في المال، ودعوة إلى إثارة التمرد»[١].

كرمه ومكارم أخلاقه:

قال الهياج بن بسطام: «كان جعفر الصادق يُطْعِم حتى لا يبقى لعياله شيء»[٢].

وقال هشام بن سالم: «كان أبو عبد الله (ع) إذا أعتم وذهب من الليل شطرُه أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم؛ فحمله على عنقه، ثم ذهب إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه. فلما مضى أبو عبد الله (ع) فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان أبو عبد الله»[٣].

وقال أبو جعفر الخثعمي: «أعطاني الصادق (ع) صرةً فقال لي: ادفعها إلى رجل [سمّاه] من بني هاشم؛ ولا تُعلِمه أني أعطيتك شيئاً.

---

(١) شخصيات إسلامية: ٧.

(٢) حلية الأولياء: ٣/ ١٩٤ والمناقب: ٢/ ٣٤٥ وصفة الصفوة: ٢/ ٩٥ وتذكرة الخواص: ٣٥٢ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٦٢ وتذكرة الحفاظ: ١٦٦١ ومطالب السؤول: ٥٧٢ وبحار الأنوار: ٢٣٤٧ و٥٤.

(٣) بحار الأنوار: ٤٧/ ٣٨.

قال: فأتيته، قال: جزاه الله خيراً؛ ما يزال كل حين يبعث بها... ولكني لا يصلني جعفر بدرهم»(١).

وقال الفضل بن قرّة: «كان أبو عبد الله ـ (ع) ـ يبسط رداءه وفيه صُرَر الدنانير، فيقول للرسول: اذهب بها إلى فلان وفلان؛ من أهل بيته، وقل لهم: هذه بُعِث بها إليكم من العراق قال: فيذهب بها الرسول إليهم فيقول ما قال، فيقولون: أما أنت فجزاك الله خيراً بصلتك قرابة رسول الله ـ (ص) ـ وأما جعفر فحكم الله بيننا وبينه»(٢).

وقال الشقراني: خرج العطاء أيام أبي جعفر المنصور، ومالي شفيع، فبقيتُ متحيراً، وإذا أنا بجعفر الصادق ـ (ع) ـ فقلت له: جعلتُ فداك، أنا مولاك الشقران، فرحّب بي، وذكرتُ له حاجتي، فنزل ودخل وخرج وأعطاني من كُمّه فصبّه في كمي، ثم قال: «يا شقران؛ إن الحسن من كل أحدٍ حسنٌ وأنه منك أحسن لمكانك منّا، وإن القبيح من كل أحدٍ قبيح وإنه منك أقبح لمكانك منّا»(٣). وقال سبط ابن الجوزي بعد إيراد ذلك معلقاً وشارحاً: «إنما قال له جعفر ذلك لأن الشقراني كان قد يشرب الشراب، فمن مكارم أخلاق جعفر أنه رحّب به وقضى حاجته، ووعظه على جهة التعريض. وهذا من أخلاق الأنبياء»(٤).

وجاء في الرواية أن جعفر بن محمد ـ (ع) ـ لما حضرته الوفاة كان من جملة وصاياه إعطاء الحسن بن علي الملقب بالأفطس مقداراً عيّنه من المال، فقيل له: «أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة، أو: أتوصي له بذلك وقد قعد لك بخنجر، يريد أن يقتلك؟!»، فقال لمن اعترض عليه:

(١) المناقب: ٢/ ٣٤٥ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٣ و٥٤.
(٢) بحار الأنوار: ٤٧/ ٦٠.
(٣) المناقب: ٢/ ٣١٥.
(٤) تذكرة الخواص: ٣٥٥.

أتريدون أن أكون ممن قال الله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧]، والله لأصلنَّ رحمه وإن قطع»[١].

ولعلَّ من أروع ما أُثِر عنه في مكارم الأخلاق وسمو المعنى في سمو الذات ما رواه سفيان الثوري من أنه دخل يوماً على الإمام الصادق ـ(ع) ـ «رآه متغيّر اللون، فسأله عن ذلك فقال كنتُ نهيتُ أن يصعدوا فوق البيت، فدخلتُ فإذا جارية من جواريَّ ممن تُربي بعض ولدي قد صعدت في سلّم والصبي معها، فلما بصرت بي ارتعدت وتحيّرت وسقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغيُّر لوني لموت الصبي، وإنما تغير لوني لما أدخلتُ عليها من الرعب»[٢].

ويجب علينا أن لا نغفل ـ ونحن نقرأ هذه الروايات وكثيراً من أمثالها مما لم يتّسع هذا المختصر لإيراده ـ إن ذلك الكرم والسخاء لم يكن بسبب وفرة الأموال الشرعية التي كانت ترد إلى الإمام (ع) من أطراف العالم الإسلامي، لأن إنفاق تلك الأموال في مواردها المشروعة لا يعدّ جوداً منه أو كرماً، وإنما هو جزء لا يتجزأ من صلب واجبه الديني المقرّر في أن ينال كلُّ ذي حق حقه؛ ويصل إلى كل ذي سهمٍ في ذلك المال سهمه المعين كاملاً غير منقوص.

ولكن كثيراً من ذلك السخاء والعطاء إنما يرجع في الواقع إلى ماله الخاص الذي يحصل عليه من أرباح زروعه وغلاّت أراضيه، وقد عرفنا منها بالذات أرضه التي كانت تعرف باسم عين زياد، وكانت غلتها ـ كما جاء في بعض الروايات ـ أربعة آلاف دينار[٣].

(١) سر السلسلة العلوية: ٧٧ والمناقب: ٢/ ٣٤٥ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٧٦.

(٢) المناقب: ٢/ ٣٤٦ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٤.

(٣) الكافي: ٣/ ٥٦٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٥١.

وكان (ع) يعمل في أرضه بيده، ويستفرغ وسعه وجهده في حرثها وزرعها، وورد في الرواية عن أبي عمرو الشيباني أنه قال: «رأيت أبا عبد الله (ع) وبيده مسحاة، وعليه إزار غليظ، يعمل في حائط له، والعرق يتصابُّ عن ظهره»، وهو يقول: «إني أحبُّ أن يتأذّى الرجل بحرِّ الشمس في طلب المعيشة»[١].

وروى إسماعيل بن جابر قال: «أتيتُ أبا عبد الله ـ (ع) ـ وإذا هو في حائطٍ له، بيده مسحاة وهو يفتح بها الماء، وعليه قميص شبه الكرابيس كأنه مخيط عليه من ضيقه»[٢].

وعن هشام بن أحمد ـ أو: أحمر ـ أنه دخل على أبي عبد الله (ع) وهو يريد أن يسأله عن مسائل، والإمام في مَصْنَعةٍ له ـ أي مكانٍ يجتمع فيه الماء ـ أو في ضيعةٍ له، في يوم شديد الحر، «والعرق يسيل على خدّه فيجري على صدره»[٣].

وعلى الرغم من كل ذلك الإيراد الزراعي الجيد؛ وكل تلك الأموال الشرعية التي ترسل من هنا وهناك، فقد أفاد بعض النصوص التاريخية أن الإمام (ع) لم يكن ذا غنى وفير عل مرِّ الأيام، بل لم يكن ذا حدٍ أدنى من الكفاية والكفاف على الدوام ـ وهذا شأن السخيِّ الجواد المتدفق بالمعروف ـ حتى أُثِر عنه أنه كان يقول:

«إني لأُملِق أحياناً فأُتاجر الله بالصدقة فيُربحني»[٤].

---

(١) الكافي: ٥/ ٧٦ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٥٧.

(٢) الكافي: ٥/ ٧٦ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٥٦.

(٣) بحار الأنوار: ٤٧/ ٦٨ و٣٤٠.

(٤) زهر الآداب: ١/ ١٢٣.

الخلفاء المدّعون للإمامة

في عصر الإمام الصادق (ع)

أ ـ هشام بن عبد الملك:

مات هشام في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ هـ[١]، وكان قد ولي مقاليد الحكم في سنة ١٠٥ هـ[٢]، وفي أيامه السوداء توفي الإمام الباقر (ع) هـ، وتوجهت أصابع الاتهام إلى هشام بدسّ السمّ إليه كما تقدّم، كما شهدت أيامه المشؤومة ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع) في سنة ١٢١ هـ، وقامت المواجهة بين الثوار وجيش السلطة، ثم أسفرت المعركة عن شهادة زيد وعدد كثير من أنصاره في سنة ١٢٢ هـ[٣]، وجيء برأس زيد هدية إلى جدّه رسول الله ـ(ع) ـ فصُلب بالمدينة المنورة في سنة ١٢٣هـ»[٤].

وكانت أيام هشام شديدة الصعوبة على الناس؛ حتى قيل: «لم يُرَ زمان أصعب من زمانه»[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٠٠ ومروج الذهب: ١٣٩٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٧/ ١٦٠ و١٨٠ ومروج الذهب: ٣/ ١٣٩.

(٤) تايخ الطبري: ٧/ ١٨٩.

(٥) مروج الذهب: ٣/ ١٣٩.

ب ـ الوليد بن يزيد:

تقلّد السلطة يوم وفاة هشام سنة ١٢٥ هـ[١]. وفي أيامه ظهر «يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ(ع) ـ بالجوزجان من بلاد خراسان، منكراً للظلم وما عمَّ الناس من الجور»[٢]، فسار إليه نصرُ بن سيّار في جيش ضخم، والتحم الفريقان، واستشهد يحيى في هذه المعركة في سنة ١٢٥ هـ[٣].

«وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب... وكان متهتّكاً ماجناً خليعاً»، وله شعر ماجن أفحش فيه حتى ببنات عمه هشام، كما أن له الكثير من قصص الفسق والجور، ورُوي له الشعر الذي استهان فيه بالقرآن الكريم لَمّا نصبه غرضاً للنشّاب وأقبل يرميه بالسهام، كما رُوي له الشعر الذي أنكر فيه نزول الوحي الإلهي على النبي ـ(ص) ـ[٤].

ولم يجد الناس من سبيل للتخلص من هذا الرجل الذي ظهر من فسقه وكفره ما لا يطاق غير أن يهبُّوا عليه هبة رجل واحد فيقتلوه في سنة ١٢٦ هـ[٥].

ج ـ يزيد بن الوليد:

ملك بعد قتل أبيه في جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هـ، ولم تطل أيام

---

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٢١٨.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٤٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ومروج الذهب: ٣/ ١٤٥.

(٤) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٠٩ ـ ٢١٢ و٢٣١ ومروج الذهب: ٣/ ١٤٦ ـ ١٤٩ وتاريخ الخلفاء: ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٥) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٥٠ ومروج الذهب: ٣/ ١٥٧ وتاريخ الخلفاء: ١٦٦.

ملكه أكثر من خمسة شهور، ومات يوم الأحد هلال ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ[(١)].

د ـ إبراهيم بن الوليد:

ولي الملك بعد وفاة أخيه يزيد، «وكانت أيامه عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة»[(٢)].

وخرج إبراهيم هارباً من دمشق بعد أن دخلها مروان بن محمد بن مروان قادماً من الجزيرة، ثم ظفر به مروان فقتله وصلبه وقتل من مالأه ووالاه، وذلك في سنة ١٢٧ هـ[(٣)]. وقيل: إنه قُتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفّاح[(٤)].

هـ ـ مروان الحمار:

آخر ملوك بني أمية، وقد تسلّط على الأمر في صفر سنة ١٢٧ هـ بعد فرار سلفه إبراهيم بن الوليد من دمشق[(٥)].

وكانت الحركة المناوئة للأمويين وحكمهم الأسود قد نجحت في استقطاب عواطف الجماهير وفي السيطرة على بلاد المسلمين في المشرق، ثم تحرك الثوار باتجاه القضاء على مروان نفسه وقاعدة حكمه، فسار مروان حتى نزل على الزاب الصغير وعقد عليه الجسر، وأتاه عبدالله بن علي في عساكر أهل خراسان؛ وذلك لليلتين خلتا من

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٦١ و٢٩٨ ومروج الذهب: ٣/ ١٥٢ وتاريخ الخلفاء: ١٦٨.
(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٥٢.
(٣) تاريخ الطبري: ٧/ ٢٩٩ ـ ٣٠٢ ومروج الذهب: ٣/ ١٥٧.
(٤) تاريخ الخلفاء: ١٦٩.
(٥) تاريخ الطبري: ٧/ ٣١١.

جمادى الآخرة سنة ١٣٢ هـ، وحدثت المواجهة بين الطرفين فانهزم مروان، ومضى في هزيمته حتى أتى الموصل، فمنعه أهلها من الدخول إليها، فأتى حرّان وعبر الفرات حتى انتهى إلى نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين والأردن فنزل عليه، وسار عبد الله بن علي حتى نزل دمشق. ولحق مروان بمصر، ورحل صالح بن علي أحد القادة العباسيين في طلبه فأدركه بمصر، وقُتل مروان ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ[١].

وبهذا تمّ اسدال الستار على حكم بني أمية الذي دام ألف شهر، وعانى المسلمون منه ما عانوا من ألوان البطش والضيم والعذاب والتشريد، وقدّموا خلاله ما قدّموا مما يعسر عدُّه وحصره من ضحايا وشهداء، ولله في خلقه شؤون، وعند الله تجتمع الخصوم.

و ـ أبو العباس السفّاح (أول ملوك بني العباس):

عندما زاد اضطراب حبل الدولة الأموية وتصاعد التململ العام ضدها في أطراف العالم الإسلامي، بادر العباسيون إلى استغلال ذلك لصالح طموحاتهم السياسية، واختاروا خراسان نقطة الانطلاق الكبرى لهم؛ لأنها كانت أقوى بؤر التمرد ومراكز العصيان والخروج على الدولة، فبعث محمداً بن علي بن عبد الله بن العباس رجلاً من أصحابه إلى هناك، وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد ـ (ص) ـ ولا يسمّي أحداً باسمه[٢]؛ تمهيداً لبدء الزحف وإعلان الثورة، «ثم وجّه أبا مسلم الخراساني وغيره، وكتب إلى النقباء فقبلوا كتبه، ثم لم ينشب أن مات

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٤٣٢ ـ ٤٤٢ ومروج الذهب ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦ وتاريخ الخلفاء: ١٧٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٧/ ٤٩.

محمد فعهد إلى ابنه إبراهيم، فبلغ خبرُه مروان فسجنه ثم قتله. فعهد إلى أخيه عبد الله ـ وهو السفّاح ـ»، فاجتمع إليه العباسيون وسائر الناقمين على الأمويين، فبلغ مروان ذلك فخرج لقتاله فانكسر ـ كما تقدّم ـ ثم قُتل[١].

وملك أبو العباس «ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من سنة ١٣٢ هـ، وقيل: في النصف من شهر جمادى الآخرة من هذه السنة... ومات بالأنبار... يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ»[٢].

«وكان السفّاح سريعاً إلى سفك الدماء، فاتبعه في ذلك عمّاله بالمشرق والمغرب»[٣]، ويعدُّ من أبرز أمثلة ذلك وشواهده الناطقة تدبيره خطة قتل قائدهم الكبير ووزيرهم المعروف أبي سلمة الخلاّل[٤]، مما لا مجال لشرحه بالتفصيل.

ز ـ أبو جعفر المنصور:

ملك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ، ومات يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ[٥]، وكان قد ولي الأمر بعهدٍ من أخيه السفّاح.

ويروي الحافظ السيوطي أنه «قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه.. وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء ثم سجنه فمات بعد أيام، وقيل:

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٧١. ويراجع في التفاصيل تاريخ الطبري: ٧/ ٢٢٧ و٤٢٣.

(٢) مروج الذهب: / ١٨١.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٧٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٧/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

(٥) مروج الذهب: ٣/ ٢٠٩.

إنه قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه»[١].

وكان من جملة قتلاه وضحاياه أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة وممهّد الملك وقائد جيش النصر[٢].

وفي سنة ١٣٩ هـ وقيل: ١٤٠ «أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن الحسن (الحسني العلوي) وبحبس مَنْ كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم»[٣]، وأقام عبد الله في الحبس ثلاث سنين جدّ المنصور خلالها في طلب محمد وإبراهيم ابني عبد الله[٤]. ثم أشرف المنصور بنفسه عل جمع هؤلاء المسجونين جميعاً في سجن الربذة، وعلى تعذيبهم هناك بأبشع صور التعذيب، ثم أمر بنقلهم جميعاً إلى سجن الهاشمية في العراق[٥].

«وفي سنة خمس وأربعين كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فظفر بهما المنصور فقتلهما وجماعة كثيرة من آل البيت ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ وكان المنصور أوّل مَنْ أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين، وكانوا قبل شيئاً واحداً»[٦].

«وآذى المنصور خلقاً من العلماء ممن خرج معهما أو أمر بالخروج؛ قتلاً وضرباً وغير ذلك. وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالكُ بن أنس وقيل له: إن في أعناقنا بيعة للمنصور،

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٧٢.
(٢) تاريخ الطبري: ٧/ ٤٧٩ ـ ٤٩٢.
(٣) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٠١ و٥٣٧ و٥٤٧ ـ ٥٤٩ و٥٥٠ ـ ٥٥١.
(٤) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٢٥ و٥٢٧.
(٥) تاريخ الطبري: ٥٤٢٧ و٥٤٦.
(٦) تاريخ الخلفاء: ١٧٣. ويراجع تاريخ الطبري: ٧/ ٥٩٧ و٦٠٩ و٦٢٢ و٦٤٧.

فقال: إنما بايعتم مكرهين، وليس على مُكرَهٍ يمين»[١].

وبلغ من حقد المنصور على أهل المدينة المنورّة لتأييدهم ثورة محمد أنه «لمّا قُتل محمدٌ أمر أبو جعفر بالبحر فأُقفِل على أهل المدينة، فلم يُحْمَل إليهم من ناحية البحار شيء، حتى كان المهديُّ فأمر بالبحر ففُتح لهم؛ وأُذن في الحمل»[٢].

«وفي سنة سبع وأربعين خلع المنصور عمّه عيسى بن موسى من ولاية العهد، وكان السفاح عهد إليه بذلك من بعد المنصور، وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين فظفر بهما، فكافأه بأن خلعه مُكرهاً وعهد إلى ولده المهدي»[٣].

وكان من جملة أمثلة بطش المنصور بالقادة الكبار الذين أسسوا الدولة وأرسوا دعائمها: غدره بعمه عبد الله بن علي، لأنه كان يخشى منه على ولده المهدي الذي يريد أن يمهد له وسائل الحكم من بعده[٤].

«وفي سنة ثمان وخمسين أمر المنصور نائبه بمكة بحبس سفيان الثوري وعبّاد بن كثير، فحُبسا، وتخوَّف الناس أن يقتلهما المنصور إذا ورد الحج، فلم يوصله الله مكة سالماً، بل قدم مريضاً ومات، وكفاهما الله شرّه»[٥].

ومن طرائف ما يروى في ترجمة المنصور: إنه سأل عبد الرحمن

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٧٣ ـ ١٧٤.
(٢) تاريخ الطبري: /٦٠٣.
(٣) تاريخ الخلفاء: ١٧٤. ويراجع في تفاصيل ذلك تاريخ الطبري: ٨/ ٩ ـ ١٩.
(٤) تاريخ الطبري: ٧/ ٤٧٤ و٤٧٨ و٨/ ٨ ـ ٩، وتراجع هناك طريقة قتل هذا الرجل والتخلص منه.
(٥) تاريخ الخلفاء: ١٧٤.

ابن زياد بن أنعم الإفريقي ـ وكان صديقه قبل الخلافة ـ: كيف سلطاني من سلطان بني أمية؟ فأجابه: «ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئاً إلاَّ رأيته في سلطانك»(١).

كما أن من تلك الطرائف قوله يوماً لجلسائه بعد قتله محمداً النفس الزكية وأخاه إبراهيم: «تالله ما رأيت رجلاً أنصح من الحجاج لبني مروان. فقام المسيّب بن زهرة الضبي فقال: يا أمير المؤمنين؛ ما سَبَقَنا الحجاج بأمرٍ تخلّفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ علينا من نبينا ـ (ص) ـ وقد أمرتنا بقتل أولاده أطعناك وفعلنا ذلك، فهل نصحناك أم لا؟! فقال له المنصور: إجلس لا جلست»(٢).

ويلخص لنا الدكتور حسين مؤنس مظالم المنصور وأخيه السفّاح بعد حديثه عن الظلم أيام بني أمية فيقول في جملة ذلك:

«إن ما وقع على الناس من المظالم أيام بني العباس كان أهول وأبشع، ولقد قتل أبو العباس السفّاح وأعمامه ألوفاً كثيرة ظلماً وعدواناً، وجاء أخوه أبو جعفر المنصور فقتل من الناس أكثر، وكان في جملة المقتولين أعمامه، وهانت الدماء على رجال بني العباس حتى أن الإنسان ليترحم على أيام الجاهلية»(٣)

❁ ❁ ❁

ونعود بعد هذه الجولة الواسعة بين النصوص النبوية الشريفة المعنية

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٧٨.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٢٢٤.

(٣) مجلة أكتوبر القاهرية/ العدد ٣٣٤/ ٢٠ مارس ١٩٨٣ / من بحث متسلسل له بعنوان (ظلمات بعضها فوق بعض) الحلقة الرابعة.

بشؤون الإمامة؛ وذلك الاستكشاف والاستشراف للروايات التاريخية الموثّقة وشهادات ذوي الدراية والخبرة، إلى موضوع بحثنا الرئيس، فلا نجد من سبيل لأي وجهٍ من وجوه المقارنة بين جعفر بن محمد الصادق (ع)؛ وبين أولئك المتربعين على أرائك الحكم من الفسقة الفجرة شاربي الخمور ومرتكبي الشرور وقاتلي النفوس المحترمة. ولا مجال لأي توقف أو تردد في كون جعفر بالذات هو الإمام الأوحد في ذلك العصر؛ الذي يجب على كل مسلمٍ الإقرار بإمامته الدينية؛ والإيمان بولايته الشرعية؛ والاعتراف بعدم وجود أي منازع له في ذلك بالقطع واليقين القائمين على النص والتعيين من جانب؛ وعلى اجتماع الشروط والصفات من جانب آخر.

ومع أن المجال هنا «أضيق من أن يتسع لبحث صميم مسألة الإمامة وجذرها الأصيل المقرّر في الدين، فلا بد لنا من الإشارة إلى أن الباحث الموضوعي المحايد يقف حائراً أمام طوائف من المسلمين يفترض أنها ذات فكرٍ ورأي واستدلال؛ ولكنها لم تقرّر موقفاً ثابتاً من قانون الإمامة في الإسلام؛ ولم تقدّم للناس حكم الله المحدّد في هذا الموضوع. فهل الانقلاب العسكري وسيلة شرعية من وسائل الإمامة كما فعل العباسيون عندما انتصروا على الأمويين في الحرب فانتزعوا منهم السلطة وادعوا بأنهم أصبحوا الأئمة والخلفاء عن رسول الله ـ (ص) ـ ؟؟!. وهل قيام أحد أفراد بيت الحكم بقتل الخليفة وتنصيب نفسه خليفة بعده ـ كقتل مروان الحمار سلفه إبراهيم بن الوليد ـ مسوّغ شرعاً لادعاء الإمامة وملزم بتصديقه من ثَمّ في هذا الادعاء؟؟!

وأين كل هذا مما زُعم بعد وفاة النبي (ص) في صدر الإسلام من وجوب الانتخاب ولزوم الشورى وضرورة تحكيم أهل الحلّ والعقد؟؟!

بل كيف يلتئم هذا الأمر الواقع مع ما أكده الشيخ محمد أبو زهرة من اتفاق جمهور المسلمين «على أن الإمام الذي تكون خلافته نبوية يجب أن يكون قرشياً عادلاً يُختار بشورى المؤمنين... وإنه يكون إماماً ما دام قائماً بالعدل، فإذا انحرف لا تستمر إمامته نبوية، بل تكون ملكاً دنيوياً»[1].

إنها أسئلة لا جواب لها إلاَّ أن نقول: هكذا تقتضي السياسة، وهكذا هو منطق الدنيا.

وبديهي أن ذلك كله لا يمت إلى شرع الله بصلة؛ ولا يرتبط بخطوط الإسلام وأفكاره من قريب أو بعيد.

(١) الإمام الصادق: ٢١٢.

عاصر الإمام خلال حقبة إمامته التي امتدت قرابة أربع وثلاثين سنة؛ من أحداث ذلك العصر وحوادثه وتقلباته الشيء الكثير أو ما هو أكثر من الكثير، وكان في جملة ذلك ما يتعلق به وبأهل بيته خاصة، وفيه ما يرتبط بشؤون المجتمع الإسلامي على وجه العموم. وقد وقف من كل تلك الأحوال والأهوال موقف الحكيم الواعي الصابر الذي لم تستبد برزانته عاطفة هوجاء، ولم تعصف بثباته عصبية رعناء، ولم تخرجه عن موقفه الراسخ فتنة عمياء، ولم تمل به عن الاستقامة المطلقة تلك الوقائع والمواجع العنيفة الوقع والتأثير، فلم ينحرف في كل ذلك ـ وحاشاه ـ ذات يمين أو شمال.

وكما قلنا في كتابينا السابقين المعنيين بالإمامين علي بن الحسين وابنه الباقر (ع): إن أئمة أهل البيت لم يكونوا هواة حكم وطالبي سلطان؛ بالمفهوم الدنيوي للحكم والسلطان، ومن هنا كان هذان الإمامان ومن بعدهما نجلهما جعفر، بعيدين جداً عن حركات الثورة والتمرد على العرش الأموي، فلم يأمروا بشيء من ذلك ولم يأذنوا به ولم يشتركوا فيه، من دون أن يكون في هذه السلبية تجاه تلك الثورات أي إشعار أو إقرار بأحقية أولئك الحكام بالملك والسلطان؛ أو شهادة ضمنية بسلامة مواقفهم في المنظور الشرعي للخلافة الإسلامية.

وكان أوجع ما أُصيب به الإمام خلال البقية الباقية من العهد

الأموي الأسود ما أصاب عمّه الشهيد زيد بن علي بن الحسين حينما ثار على الأمويين؛ وما آلت إليه ثورته تلك من فشل ذريع لم يحرّك ساكن ذوي الدين من المسلمين؛ ولم يؤجج نار غضبهم؛ ولم يلهب مشاعرهم الهامدة الخامدة، بخلاف ثورة الحسين (ع) التي آلت في يومها إلى الفشل أيضاً، ولكنه الفشل الذي أشعل فتيل النقمة وبدّد ضباب الاستسلام؛ وجعل من ثارات الحسين شعاراً لكل ثائر ورمزاً لكل حامل سلاح ضد الدول الأموية، مما يؤكد عدم صحة المقارنة بين الثورتين أو قياس ثانيتهما على الأولى.

وكان تقويم الأئمة (ع) لثورة زيدٍ ـ كما دلتنا عليه الشواهد التاريخية ـ مطابقاً تماماً لما انتهت إليه من عواقب وأسفرت عنه من نتائج، بل كاد أن يكون قراءة غيبية دقيقة لما سينكشف عنه الغبار ويؤول إليه الأمر، ولذلك أشار الإمام الباقر (ع) على أخيه بعدم الثورة ونهاه عن الركون إلى أهل الكوفة ومواعيدهم الماكرة، فأبى زيدٌ إلا ما عزم عليه، فقال له الإمام الباقر: «إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غداً المصلوب بكناسة الكوفة»[1].

وكذلك كان موقف الإمام الصادق (ع) من عمّه لما زاره قبيل إعلان ثورته، «وجلسا طويلاً يتشاوران؛ ثم علا الكلام بينهما، فقال زيد: دع ذا عنك يا جعفر؛ فوالله لئن لم تمد يدك حتى أُبايعك أو هذه يدي فبايعني، لأتعبنكَّ ولأُكلفنّك ما لا تطيق.. فقال الصادق (ع): يرحمك الله يا عم، ويغفر الله لك يا عم، وزيد يسمعه ويقول: موعدنا الصبح؛ أليس الصبح بقريب. ومضى»[2].

---

(١) الكافي: ١/٣٥٦ و٣٥٧ ومروج الذهب: ٣/١٣٩ ـ ١٤٠.
(٢) بحار الأنوار: ٤٧/١٢٨.

ولما هرب يحيى بن زيد إلى خراسان واجتمع عليه هناك بعض الناس لأخذ الثأر؛ بلغ ذلك الإمام الصادق فقال ـ(ع) ـ: «إنه يقتل كما قتل أبوه، ويصلب كما صلب أبوه، فقُتِل... وصُلب»(١).

ولم يكن هذا الموقف من الإمام الصادق منبعثاً عن استهانة بعمه أو عدم احترام له، فقد حدثنا أبو الفرج الأصبهاني أن عبد الله بن جرير قال: «رأيت جعفر بن محمد يمسك لزيد بن علي بالركاب، ويسوّي ثيابه على السرج»(٢).

وروى ابن أعثم الكوفي: إن الإمام الصادق لما بلغه نبأ مقتل عمه زيد استعبر باكياً، وقرأ قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية ثم قال: «ذهب والله عمي زيد وأصحابه على ما ذهب عليه جدّه علي والحسن والحسين (ع) شهداء، من أهل الجنة.. فويل لقاتلهم من جبار الأرض والسماء»(٣).

وجاء في الرواية أيضاً: أن الحسين بن زيد بن علي الملقب بذي الدمعة «كان مقيماً في منزل جعفر بن محمد، وكان جعفر ربّاه ونشأ في حجره منذ قُتِل أبوه، وأخذ عنه علماً كثيراً»(٤).

والمستفاد من مجموع ذلك أن احترام الإمام لعمِّه وافتجاعه بشهادته وشهادة أصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لم يكن محل شك أو ريب، ولكنه على الرغم من ذلك لم يعلن تأييده لثورته ليقينه بعدم ملاءمة الظروف لذلك، لأن الثورة في رأيه ليست غاية في حدّ ذاتها

---

(١) ينابيع المودة: ٣٨١.

(٢) مقاتل الطالبيين: ١٢٩.

(٣) فتوح أبي أعثم: ٨/ ١٢٥.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٣٨٧.

ولن يتحقق أثرها المؤمل بمجرد إعلان الخروج على النظام الفاسد، وإنما هي وسيلة اضطرارية من وسائل الاصلاح والتغيير؛ وملجأ أخير لا يصح اللجوء إليه إلا عندما يتأكد الضمان الكامل بتوفر جميع المتطلبات الأساسية المؤدية في المدى المباشر أو غير المباشر إلى هدم ذلك النظام وقلعه من جذوره.

❀ ❀ ❀

وما هي إلاَّ سنيات تمرُّ؛ وإذا بالتمرد على سلطان بني أمية يتصاعد هنا وهناك، وإذا بالتجمعات الجماهيرية تتحلّق حول المتصدين لقيادتها؛ بعزم راسخ وتصميم ثابت للاطاحة بدولة الجور والضلال.

وبقدر تعلّق الأمير بالإمام الصادق ـ ولسنا بصدد البحث في تفاصيل قيام الدولة العباسية ـ نروي وقائع جلسة بني هاشم التي انعقدت بمناسبة الحج وتحت غطائه؛ بالأبواء قريباً من المدينة المنورة، للتداول في أمر الثورة ومستقبلها المنتظر:

روى أبو الفرج الاصبهاني وغيره:

إن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء؛ وفيهم: إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس؛ وأبو جعفر المنصور؛ وصالح بن علي؛ وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وابناه محمد وإبراهيم؛ ومحمد بن عبد الله بن عمرو.

فقال صالح بن علي: قد علمتم أنكم الذين تمدُّ الناسُ عينَهم إليهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعة رجل منكم تُعطونه إياها من أنفسكم، وتواثقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه، ثم قال: قد علمتم إن ابني هذا هو المهدي فهلموا فلنبايعه.

وقال أبو جعفر: لأي شيء تخدعون أنفسكم، ووالله لقد علمتم ما الناسُ إلى أحدٍ أصْوَرَ أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ـ يريد محمد بن عبد الله ـ.

قالوا: قد ـ والله ـ صدقت، إن هذا لهو الذي نعلم.

قال عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي: وجاء رسولُ عبد الله بن الحسن إلى أبي: أن ائتنا فإنّا مجتمعون لأمرٍ، وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد (ع). هكذا قال عيسى، وقال غيره: قال لهم عبد الله بن الحسن: لا نريد جعفراً لئلا يفسد عليكم أمركم.

قال عيسى: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا عليه، فقلتُ: أرسلني أبي إيكم لأسألكم لأي شيء اجتمعتم؟

قال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله.

وجاء جعفر بن محمد فأوسع له عبد الله بن الحسن، فتكلّم بمثل كلامه.

فقال جعفر: لا تفعلوا، فإن هذا الأمر لم يأتِ بعد. إن كنتَ ترى ـ يعني عبد الله ـ إن ابنك هذا هو المهدي فليس به. وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فانا والله لا ندعك ـ وأنت شيخنا ـ ونبايع ابنك.

فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ووالله ما اطلعك الله على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال جعفر: والله ما ذاك يحملني، ولكنْ هذا واخوته وأبناؤكم

دونكم ـ وضرب بيده على ظهر أبي العباس ـ ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك، ولكنها لهم، وان ابنيك لمقتولان. ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر.. يعني أبا جعفر ـ؟ قال: نعم. قال: فأنّا والله نجده يقتله. قال له عبد العزيز أيقتل محمداً ؟ قال: نعم. قال: فقلتُ في نفسي: حَسَده وربّ الكعبة، قال: ثم والله ما خرجتُ من الدنيا حتى رأيته قتلهما.

قال: فلما قال جعفر ذلك نفض القوم فافترقوا ولم يجتمعوا بعدها. وتبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟! قال: نعم أقوله ـ والله ـ وأعلمه.

وفي نصّ آخر لأبي الفرج الأصبهاني أيضاً:

«إن جعر بن محمد قال لعبد الله بن الحسن: إن هذا الأمر ـ والله ـ ليس إلي ولا إلى ابنيك، وإنما هو لهذا ـ يعني السفاح ـ ثم لهذا ـ يعني المنصور ـ ثم لولده من بعده».

«فقال عبد الله: والله يا جعفر؛ ما أطلعك الله على غيبه، وما قلتَ هذا إلاّ حسداً لابني.

«قال: لا والله؛ ما حسدتُ ابنك، وإن هذا ـ يعني أبا جعفر ـ يقتله على أحجار الزيت ثم يقتل أخاه بعده.. ثم قام مغضباً يجر رداءه، فتبعه أبو جعفر قال: أتدري ما قلتَ يا أبا عبد الله؟ قال: إي والله أدريه، وإنه لكائن».

وروى عنبسة بن نجاد قال «كان جعفر بن محمد إذا رأى محمد بن عبد الله بن حسن تغرغرت عيناه ثم يقول: بنفسي هو.. إنه لمقتول، ليس

هذا في كتاب عليٍّ من خلفاء هذه الأمة»[1].

ويعلّق الحافظ ابن حجر الهيتمي على هذا الاجتماع وما ورد فيه من قراءةٍ للغيب وإخبار عنه فيقول:

«وسبق جعفراً إلى ذلك والده الباقر.. وقال: هذا ما عهد إليّ أبي»[2].

ومع صراحة الإمام (ع) وانه الصادق حقاً ـ في رواية هذه القراءة الغيبية للأحداث عن أبيه بالذات، وصراحة أبيه في كون ذلك مما عهد به أبوه زين العابدين (ع) إليه، وصراحة نسبة هذا الأمر بكامله إلى كتاب جدّهم عليّ بن أبي طالب (ع) الذي دوّن فيه أخبار الغيب كما سمعها من المطلع عليها أدقّ اطلاع وأفضله وهو رسول الله (ص)، وصراحة الأحاديث المتعددة بأن النبي (ص) قد أخبر أصحابه بما هو كائن من الأحداث إلى قيام الساعة «حفظه من حفظه ونسيه من نسيه» كما يأتي بيانه عند الحديث عن الجفر والجامعة في الفصل الأخير.

أقول: إن مما يؤسف له أن يغيب ذلك كله عن عين الشيخ محمد أبو زهرة وذهنه فيسمى أقوال الإمام الصادق المتقدمة في مجلس اجتماع الهاشميين بأنها فراسة وألمعية، ويقول في بيان ذلك:

«كان الصادق ذا فراسة قوية... وكان ينهي كل الذين خرجوا في

(١) وردت هذه الروايات بتفاصيلها في مقاتل الطالبيين: ٢٠٦ ـ ٢٠٨ و٢٥٥ ـ ٢٥٦ والإرشاد: ٢٩٥ ـ ٢٩٦، ومضامينها باختصار في نثر الدر: ١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ والفخري: ١٤١ ـ ١٤٢ والصواعق المحرقة: ١٢١ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢١. وتراجع هذه الرواية بتفصيل أكثر في ينابيع المودة: ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

عهده عن الخروج... والحوادث التي تدل على فراسته كثيرة... وإن الأحداث التي نزلت بأسرته ووقعت حوله... قد جعلته ذا إحساس قوي... كان بهذا من أشدّ الناس فراسة وألمعية، وأقواهم يقظة حِسٍ وقوة إدراك»[١].

ويقول معلقاً على رواية أبي الفرج الأصبهاني السالفة الذكر:

«نقول في هذه الرواية إن صحت إنها من نوع الحدس والتخمين... إنّا نميل إلى ذلك، ويكون هذا من قبيل الفراسة الصادقة»[٢].

ويقول بعد ذلك مؤكداً قوله السابق:

«إن صحت الرواية ولعله كذلك، والله عنده علم الغيب، وعلى ذلك لا يكون ما يقوله علماً يدَّعيه، ولكنه قول يلقيه... والكرامة أمور تجري على يد الشخص الذي أكرمه الله؛ أو أقوال تجري على لسانه من غير ادعاء علم الغيب والتحدي به، إذ هو ليس علماً، ولكنه أشبه ما يكون بالمصادفة المكرّرة»[٣].

والحق الثابت الصحيح الذي ليس من حقّ غيره ولا من صحيح سواء أن ما ذكره الإمام الصادق (ع) في تلك الجلسة إنما هو إخبار بالغيب قطعاً وبلا مواربة أو تردد، وليس في ذلك ما يثير الغرابة والعجب أو ينطوي على المبالغة والمغالاة، لأنه الغيب المأثور عن أصدق الواقفين عليه والمخبرين به، وهو نبي الله الأعظم ورسوله

(١) الإمام الصادق: ٨٤.
(٢) الإمام الصادق: ٥١.
(٣) الإمام الصادق: ٥٢.

الأكرم (ص) وقد دوّنه كما سمعه منه أخوه الصادق المصدّق علي بن أبي طالب(*)، ثم تداول ذلك المدوّن أولاده الأئمة الثقات الصادقون سلام الله عليهم أجمعين.

أما الحدس والفراسة والمصادقة والتخمين ـ وقد تكرر ورودها في كلام الشيخ أبي زهرة ـ فلا علاقة لها بما نحن فيه من علم الغيب النبوي؛ بل لا دخل لها في هذا الموضوع في قليل ولا كثير، لأنها مفردات لفظية قد تصلح للاستعمال أثناء الحديث عن الأذكياء والعباقرة من بني البشر، ولكنها لا تنسجم مع ما يفرضه جوهر الدين وأصل الشرع؛ من الإيمان المطلق بعلم الأنبياء والمرسلين بالغيب الذي يشاء الله تعالى إطلاعهم عليه، كما نصَّ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

❀ ❀ ❀

ومهما يكن من أمر؛ فإن تحرك الجماهير المعادية لبني أمية قد استمرَّ في حماسه واندفاعه، بل أخذ يتصاعد في غليانه وعنوانه، ولم يؤثر فيه قيام الأمويين بقتل إبراهيم بن محمد العباسي، لولا الصدمة التي أصابت القائد البارز أبا سلمة الخلال لما علم أن إبراهيم المذكور قد عهد بالأمر من بعده لأخيه السفاح دون غيره من الهاشميين الذين كان فيهم مَنْ هو أولى بذلك في رأيه من أبي العباس في جميع جهاته وصفاته.

(*) يأتي مزيد من الحديث والبحث في كتاب علي (ع) المشار إليه ـ مع ذكر الأحاديث النبوية في هذا الشأن ـ في خلال الفصل التالي (تراث لأمامة) فليراجعه من شاء الوقوف على التفصيل.

وتقول الرواية التاريخية ـ كما أوردها المسعودي ـ: إن أبا سلمة لما بلغه مقتل إبراهيم وعهده لأبي العباس السفاح «خاف انتقاض الأمر وفساده عليه، فبعث بمحمد بن عبد الرحمن بن أسلم مولىً لرسول الله (ص)، وكتب معه كتابين على نسخة واحدة: إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وإلى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) يدعو كلّ واحدٍ منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، وقال للرسول: العجل العجل، فلا تكوننَّ كوافد عادٍ».

«فقدم محمد بن عبد الرحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد، فلقيه ليلاً، فلما وصل إليه أعلمه أنه رسول أبي سلمة. ودفع إليه كتابه، فقال له أبو عبد الله: وما أنا وأبو سلمة! وأبو سلمة شيعة لغيري. قال له: إني رسول، فتقرأ كتابه وتجيبه بما رأيت. فدعا أبو عبد الله بسراجٍ؛ ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السراج حتى احترق، وقال للرسول: عرّف صاحبك بما رأيت، ثم أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت بن زيد:

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطبُ

فخرج الرسول من عنده».

أمّا عبد الله بن الحسن فإنه لما تسلَّم الكتاب «قبّله وقرأه وابتهج، فلما كان غد ذلك اليوم... ركب عبد الله حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق... فقال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى ما أقبله، وقد قدمتْ عليه شيعتنا من أهل خراسان فقال له أبو عبد الله: يا أبا محمد؛ ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟!... فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام، إلى أن قال: إنما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي

هذه الأمة. فقال أبو عبد الله جعفر: والله ما هو مهدي هذه الأمة؛ ولئن شهر سيفه ليُقْتَلَنَّ. فنازعه عبد الله القول حتى قال له: والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد. فقال أبو عبد الله: والله ما هذا إلا نصحٌ مني لك، ولقد كتب إليَّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد أحرقتُ كتابه من قبل أن أقرأه. فانصرف عبد الله من عند جعفر مغضَباً»[١].

وجاء في نصّ رواية ابن الطقطقي لرسالة أبي سلمة أنه أرسلها إلى ثلاثة: هم «جعفر بن محمد الصادق (ع) وعبد الله المحض بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب (ع) وعمر الأشرف بن زين العابدين (ع) . . . وقال للرسول: اقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق، فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين. . . فذهب الرسول إلى جعفر بن محمد (ع) أولاً ودفع إليه كتاب أبي سلمة» [فكان الجواب كما تقدم في نصّ المسعودي].

«ثم مضى الرسول إلى عبد الله المحض ودفع إليه الكتاب، فقرأه وقبّله، وركب في الحال إلى الصادق (ع) وقال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة، قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان. فقال له الصادق (ع): ومتى صار أهل خراسان شيعتك؟! أأنت وجّهتَ إليهم أبا مسلم؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه أو بصورته، فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك. فقال عبد الله: كان هذا الكلام منك لشيء. فقال الصادق: قد علم الله أني أوجب وجب النصح على نفسي لكل مسلم؛ فكيف ادّخره عنك! فلا تُمَنِّ نسك الأباطيل، إن هذه الدولة ستتم لهؤلاء، وقد جاءني مثلُ الكتاب الذي جاءك. فانصرف عبد الله من عنده غير راض».

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤.

«وأما عمر بن زين العابدين فإنه ردَّ الكتاب وقال: أنا لا أعرف صاحبه فأُجيبه»[(١)].

وهكذا باءت محاولة أبي سلمة في استدراج الإمام الصادق إلى قيادة الثورة والمشاركة في العمل السياسي الفعّال لإقامة كيان الدولة الجديدة؛ بالفشل الذريع، إذ قابل تلك الدعوة ـ وربما جاءه مثلها من أبي مسلم أيضاً[(٢)] ـ بالرفض المطلق والإباء الشديد.

ويعلّل الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي سلبية الإمام تجاه الثورات ودعوات الخروج على السلاطين فيقول:

وكان الإمام جعفر منذ رأى بطش الحكام بآل البيت وأنصارهم وبالباحثين عن الحقيقة وبمقاومي الاستبداد، كان قد أخذ بمبدأ التقية فلم يجهر بالعداء لبني أمية؛ اتقاء شرّهم وحذر الفتنة.. فآثر أن يهب نفسه للعلم؛ وألا يفكّر في النهوض والانقضاض على السلطان الجائر، حقناً لدماء المسلمين. ورأى أن خير ما يقاوم به البغي هو الكلمة المضيئة تنير للناس طريق الهداية، وتزكيهم، وتحركهم إلى الدفاع عن حقوق الإنسان التي شرعها الإسلام؛ وإلى حماية مصالح الأمة التي هي هدف الشريعة».

«والتقية ألاّ يجهر المرء بما يعتقد اتقاء للأذى أو حتى تتحسن الظروف. والأصل في التقية هو قول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾»[(٣)].

---

(١) تاريخ الفخري: ١٣٢، ومضمونه في الوزراء والكتاب: ٥٧ وينابيع المودة: ٣٨١.

(٢) المناقب: ٢/٣٠٩ وينابيع المودة: ٣٨١.

(٣) شخصيات إسلامية: ٣٩و٤٤.

ويزيد الشيخ محمد أبو زهرة موضوع التقية شرحاً وإيضاحاً فيقول:

«إن التقية التي كان يدعو إليها الإمام الصادق قد دفع إليها أمران:

«أحدهما: دفع الأذى ومنع المخاطر التي يتعرض لها المؤمن من غير قوة دافعة مانعة، فيكون الأذى حيث لا جدوى، وبذلك تتلاقى التقية مع الجهاد. فالجهاد مع أعداء الإسلام حيث يكون واجباً لنصر الإسلام، وحيث يكون الاستعداد قد تمَّ والأهبة قد أُخذت، كما فعل النبي (ص) بعد الهجرة عندما صار للإسلام شوكة وقوة. والتقية حيث يكون اليقين بأن الانتقاض لا يجدي.. لأن الخروج عندئذ ضرره أكبر من نفعه.. إذ يُلقى من خرج إلى التهلكة وتكون الفتنة والفساد؛ ويكون الظلم والشرّ المستطير؛ إذ يقوى الظالم ويستمكن وبهذا التقرير يكون للجهاد موضع وللتقية مثله، وكلاهما يكون لحماية الحق».

«الأمر الثاني: الذي دفع إلى التقية هو ما رآه من استعلاء الباطل إذا أُعلن الحق، وقد ظهر ذلك في مقتل الحسين ـ (ع) ـ وفي مقتل زيد وفي مقتل الأخوين الطاهرين محمد النفس الزكية وإبراهيم ولدي عبد الله بن الحسن بن الحسن».

«ولا شك أن التقية كان لها موضعها في عصر الصادق وما جاء بعده، وهي كانت مصلحة للشيعة، وفيها مصلحة للإسلام، لأنها كانت مانعة من الفتن»[1].

❀ ❀ ❀

وعلى كل حال، فقد أطبق قادة الأقاليم بجيوشهم الجرّارة على فلول الحكم الأموي المفكّك؛ فانهزمت أمامهم لا تلوي على شيء،

(١) الإمام الصادق: ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وسقط عرش الطغاة من بني سفيان ومروان كما تسقط في المعتاد عروش الظلمة الجائرين، ونجحت المسيرة الطويلة للثوار في بلوغ الغاية المرجوّة والهدف المطلوب، حيث أسفرت الدعوة العباسية ـ بعد سنوات الكفاح المرير عن عهدٍ جديد أصبح فيه أبو العباس السفّاح ربّ السلطان والصولجان.

وهكذا انتهى العصر الأموي، «وجاء عصر جديد يتطلع فيه الناس إلى الحرية والنظافة والطهارة والعدل، فإذا بالمنافقين الذين زينوا الاستبداد لبعض الأمويين وشرعوا لهم العدوان والطغيان يحيطون بأبي العباس مؤسس الدولة الجديدة»[١]

ومع أن إقامة الإمام الصادق (ع) كانت بالمدينة المنورة، فقد زار العراق عدة مرات أيام الحكم العباسي، وروى الباحثون ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة: «أن أول قدمةٍ قدمها إلى العراق كانت في عهد السفّاح... وقالوا: أنه في هذه القدمة عرف قبر الإمام علي ـ(ع) ـ بالنجف... وأن الأخبار الواردة في هذا تفيد أن موضع القبر كان معلوماً عند آل البيت»[٢].

«وقد عقد وهو في العراق عدة مناظرات كان يناظر بها أهل الفرق المختلفة، وكان كثير من الناس يحضرون هذه المناظرات، لأن القلوب كانت تقبل عليه، وأفئدة المؤمنين تصغي إليه»[٣].

وتميزت سنوات حكم السفاح التي لم تمتد طويلاً؛ بالهدوء

---

(١) شخصيات إسلامية: ٤٣.

(٢) الإمام الصادق: ٦٠ ـ ٦١. ويراجع في تفاصيل هذه الزيارة: الكافي: ٦/ ٤٤٩ و٨/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ والمناقب: ٢/٣١٧ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٤٤ و٤٥ و٩٣ ـ ٩٤.

(٣) الإمام الصادق: ٦١. ويراجع في بعض ذلك: بحار الأنوار: ٤٧/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

والمهادنة بينه وبين الإمام الصادق (ع) في أعمّها الأغلب، وسواء أكان قدومه إلى العراق باختياره أو باستقدام من أبي العباس ـ كما هو الأرجح ـ لم يحدث في لقاءات «الحيرة» تلك ما يستحق التسجيل من سوء التصرف ومظاهر الشر والوعيد.

ولكن المؤرخين رووا: إن داوود بن علي بن العباس لما ولي أمر المدينة المنورة في سنة ١٣٢ هـ بادر إلى القبض على المعلّى بن خنيس مولى جعفر بن محمد ـ (ع) ـ «وسأله عن أصحاب أبي عبد الله وسأله أن يكتب له، فقال: ما أعرف من أصحابه أحداً؛ وإنما أنا رجل أختلف في حوائجه. قال: تكتمني؛ أمَا إنك إن كتمتني قتلتُك. فقال له المعلّى: أبالقتل تهدّدني! لو كانوا تحت قدمي ما رفعتُ قدمي»، فقتله وصلبه وأخذ ماله، «فدخل عليه جعفر ـ (ع) ـ وهو يجر رداءه فقال له: قتلت مولاي وأخذت مالي، أما علمت أن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحَرَب، أما والله لأدعونَّ الله عليك. ، فقال له: أتهدّدنا بدعائك؛ كالمستهزىء بقوله. فرجع أبو عبد الله ـ (ع) ـ إلى داره. . . حتى إذا كان السحر سُمِعَ وهو يقول في مناجاته: ياذا القوة القوية وياذا العزة التي كلُّ خلقك لها ذليل، اكفني هذا الطاغية وانتقم لي منه. فما كان إلا ساعة حتى ارتعت الأصوات بالصياح، وقيل: مات داوود بن علي الساعة» فجأة[(١)].

ثم سرعان ما مات الخليفة في سنة ١٣٦ هـ، وماتت معه سياسة المهادنة التي كانت قائمة بين الحكم وبني عليّ كافة، وانطوت صفحة

(١) الكافي: ٢/ ٥١٣ والإرشاد: ٢٩١ ـ ٢٩٢ والمناقب: ٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ و٣١٠ ـ ٣١١ والفصول المهمة: ٢٠٨ ـ ٢٠٩ وبحار الأنوار: ٩٧٤٧ و١١٠ و١٨١ و٢٠٩ ونور الأبصار: ١٣٤.

الموادعة الموقتة في خضم الأحداث الكبرى التي وقعت في عهد المنصور.

❀ ❀ ❀

وانتقل العرش بموت السفاح إلى أبي جعفر المنصور، فأصبح حاكم الأمة وصاحب السلطة والمسؤول الأوحد عن إدارة الدولة وشؤون الناس.

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي وهو يتحدث عن هذه الحقبة:

إن المنافقين قد أحاطوا بالخليفة الثاني في العصر الجديد، فأوهموه «أنه فوق الحساب لأنه ظل الله في الأرض، حتى لقد جعلوا المنصور يحمل الناس على تقبيل الأرض بين يديه!.. ثم وصل فجور هؤلاء المرتزقة إلى آخر مدى؛ فوضعوا الأحاديث النبوية لخدمة الطبقة الحاكمة، حتى الأحايث الشريفة لم تسلم من تزييفهم».

«وعلى الرغم من كل هذه المظالم، وعلى الرغم مما عاناه الإمام جعفر من آلام وهو يعيش محنة خيبة الأمل في النظام الجديد؛ فإنه ظل آخذاً بالتقية»[1]، ولكنه لم يسلم مع ذلك من حقد المنصور وغضبه المختلف الألوان.

ويوعز الأستاذ الشرقاوي ذلك الغيظ المتفجر والغضب الملتهب في نفس أبي جعفر؛ إلى ما ظهر من الإمام من صدق وصفاء «في التعامل مع الحياة والناس والأشياء، ولكل هذه السماحة والعذوبة والرقة والتسامح، والإشراق الروحي الرائع وذكائه المتوقد الخارق، ولجسارته

(١) شخصيات إسلامية: ٤٣ ـ ٤٤.

في الدفاع عن الحق وقوته على الباطل، ولكلّ ما تمتع به من طهارة وسموّ وخلق عظيم. فالتفّ الناس على اختلاف آرائهم حول الإمام الصادق جعفر بن محمد، وكما كان حكام بني أمية يراقبون التفاف الناس حوله بفزع؛ أخذ الخليفة العباسي المنصور يراقب الإمام جعفراً متوجساً من جَيَشَان العواطف نحوه وإعجاب الناس به»[١].

ثم قال موجزاً الموقف كله:

«كان استبداد المنصور قد استشرى، وكما فعل الحكام الأمويون من قبل، بطش المنصور بكل مَن يخالف رأيه، ووجّه بطشه إلى آل البيت... واتهم جعفر بن محمد بأنه يحرّض عليه؛ وبأنه يطمع في الخلافة، على الرغم من أنه يعلم أن الإمام لا طمع له في الملك»[٢].

أما الشيخ محمد أبو زهرة ذهب إلى أن الإمام على الرغم من كونه قد ترك السياسة وقتها؛ ولم يعلن رأيه في أحداثها بصريح القول «فقد ابتلي بالاتهام أو التظنن من أبي جعفر المنصور...»[٣].

وقال في بيان ذلك:

«أبو جعفر المنصور كان يتصور أنه (أي الإمام الصادق) ناقم على حكم العباسيين، ولذلك كان يشكك في أمره دائماً، وكان يتوجس منه خيفة كلما رأى الناس يقدرونه وكما ظنَّ أن الشيعة في الأقاليم يراسلونه. وألسنة السوء تؤوّل كل تصرف للإمام الصادق بما يزيد الشك قوة... ولا يكتفي المنصور بما تتبرع به ألسنة الملق والنفاق... بل كان يبث العيون حوله يتعرفون أخباره... وكل هذه الهواجس التي تدفع

---

(١) (٢) شخصيات إسلامية: ٤٦ و٤٨.
(٣) الإمام الصادق: ٥٧.

إلى الشك... هي في طبيعة كل متغلِّب يحكم... ولما بلغ وسواس الشك إلى درجة الظن الغالب؛ دعاه إليه مناقشاً له في شكوكه، وتكررت الدعوة كلما تفاقم الشك»[١].

ثم يقول الشيخ أبو زهرة معلقاً على هذه الدعوات وتكرارها: «والظاهر أنه (أي الإمام) كان غير ممكّن فيها من الاتصال بالناس، لأن أبا جعفر كان يخشى فتنة الناس به وحلاوة حديثه وقوة مهابته، فتلك كلها كانت عناصر من شأنها أن تفزعه من اتصاله بالناس»[٢].

ويبدو من النصوص التاريخية أن بعض تلك الدعوات أو الاستدعاءات كان يوم استقرار المنصور في الحيرة، وبعضاً كان في الهاشمية، وأنه قد عزم في بعضها على قتله ولكنه لم يفعل، كما ورد النص على إشخاصه إلى بغداد أيضاً[٣].

وأخرج الذهبي بسنده عن أبي حنيفة إمام المذهب وقد «سُئِلَ: مَن أفقه مَنْ رأيت؟ قال: ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد»، ولما أقدمه المنصور الحيرة بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة؛ إن الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمد فهيّىء له من مسائلك الصعاب. فهيّأ له أربعين مسألة، ثم أتيتُ أبا جعفر وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرتُ بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلّمتُ، وأذن لي فجلستُ. ثم التفت إلى جعفر فقال: يا أبا عبد الله؛ تعرف هذا؟ قال: نعم هذا أبو حنيفة... ثم قال: يا أبا حنيفة؛ هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله،

---

(١) (٢) الإمام الصادق: ٤٤ و٦٢.

(٣) يراجع في ذلك: الكافي: ٦/٢٦٨ و٤٤٥ والمناقب: ٢/٣٢٠ وبحار الأنوار: ٤٧/١٣٩ و١٦٢ ـ ١٦٤ و١٦٧ و١٦٩ ـ ١٧٥ و١٧٨ و١٨٣ و١٩٠ ـ ١٩١ و١٩٣ ـ ٢٠٠ و٢٠٢ ـ ٢٠٤ و٢٠٦ و٢٠٨.

فابتدأتُ أسألهُ، فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا. فربما تابَعَنا وربما تابَعَ أهل المدينة وربما خالفنا جميعاً. حتى أتيتُ على أربعين مسألة»[١].

ويروي الرواة أن المنصور في بداية أيام حكمه؛ أراد اختبار العلويين، فأرسل مالاً مع رسولٍ إلى المدينة المنورة وقال له: «إأْتِ عبدالله بن الحسن بن الحسن وعدّة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد؛ فقل لهم: إني رجل غريب من أهل خراسان وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال، وادفع إلى كل واحدٍ منهم على هذا الشرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل: إني رسول؛ واحبُّ أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم. فأخذ المال وأتى المدينة، ثم رجع إلى أبي الدوانيق (أي المنصور)... فقال له أبو الدوانيق: ما وراءك؟ قال: أتيتُ القوم وهذه خطوطهم بقبضهم المال؛ خلا جعفر بن محمد، فإني أتيته وهو يصلي في مسجد الرسول (ص)، فجلست خلفه وقلتْ: حتى ينصرف فأذكر له ما ذكرتُ لأصحابه، فعجل وانصرف ثم التفت إليّ فقال: يا هذا، اتّق الله ولا تغرّ أهل بيت محمد فإنهم قريبو العهد بدولة بني مروان، وكلهم محتاج»[٢].

وهكذا باءت بالفشل الذريع جميع محاولات المنصور في «الاختبار المالي» وفي «الامتحان الفقهي» وفي نظائر هذا وذاك مما لا نعلمه لإهمال الرواة له، بل لم تسفر هذه الأساليب الملتوية ـ على تنوعها واختلاها ـ عن حصول الحاكم على مستمسك يصلح للإشهار في

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢١٧ ـ ٢١٨.

(٢) الكافي: ١/ ٤٧٥ والمناقب: ٢/ ٣٠٢.

وجه الإمام الصادق (ع)، فبقيت نار الحقد في نفس الخليفة متوقدة الضرام مشتعلة اللهيب.

وفي سنة ١٤٥ هـ أعلن محمد بن عبد الله النفس الزكية ثورته على المنصور، متخذاً من المدينة المنورة مقراً ومنطلقاً لها؛ ومن الجماهير الغاضبة من انحرافات الحكم الجديد وسيئاته جيشاً وأعواناً.

ولكن الإمام الصادق (ع) لم يرَ في ذلك وجهاً شرعياً يسوّغ له المشاركة والإسهام في هذا الخروج، ليقينه بأنه بمثابة الانتحار الجماعي لهؤلاء الخارجين، إذ لن يترتب عليه أي نفع ديني متصوّر وأية مصلحة إسلامية ذات شأن، كاسقاط النظام القائم الفاسد مثلاً أو تصحيح الأوضاع المتردّية السائدة، فلم يكن منه إلا أن يغادر المدينة خارجاً إلى مزرعته بالفرع، وأن يظل مقيماً هناك معتزلاً الفئتين حتى قُتِل محمد ومن معه؛ وانتهت المعركة نهايتها المتوقعة، فرجع إلى المدينة[١].

غير أن هذه السلبية من الإمام تجاه محمد ونهضته لم تطفىء غيظ المنصور عليه، ولم تخفف من غليان الحقد في نفسه الشرِّيرة الأمّارة بالسوء؛ خصوصاً عندما علم أن الإمام لم يزر عيسى بن موسى قائد الجيش بعد الفوز ولم يلقه أثر النصر!! وكان المنصور قد كتب إلى قائده قائلاً: «مَنْ لقيك من آل أبي طالب فاكتب إليّ باسمه، ومَنْ لم يلقك فاقبض ماله»، وقد قبض عيسى تنفيذاً لهذه الأوامر عين أبي زياد العائدة للإمام وصادرها؛ بدعوى أن جعفر بن محمد قد تغيّب عنه ولم يلقه[٢].

ثم استقدم المنصور الإمام الصادق (ع) إلى لقائه. ونكتفي هنا برواية ما حدّثنا به الإمام وهو يشرح ما دار في هذا اللقاء، فقال:

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٥٧ والفصول المهمة: ٢٠٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٧٩.

لما حضرت إلى أبي جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن «نهرني وكلمني بكلام غليظ، ثم قال لي: يا جعفر قد علمتَ بفعل محمد بن عبد الله الذي يسمونه النفس الزكية وما نزل به، وإنما أنتظر الآن أن يتحرّك منكم أحدٌ فأُلحق الصغير بالكبير».

فقال له الإمام: حدثني أبي محمد بن علي عن أبيه عن الحسين عن علي بن أبي طالب أن رسول الله (ص) قال: إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصله الله تعالى إلى ثلاث وثلاثين سنة، وأن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فينزلها الله تعالى إلى ثلاث سنين».

«قال: فقال لي: الله عليك سمعتَ هذا من أبيك؟ فقلتُ والله لقد سمعتُها. فردَّدها علي ثلاثاً، ثم قال: انصرف»[1].

ويروي الطبري وأبو الفرج الأصبهاني: إن الإمام قال للمنصور في هذا اللقاء:

«اردد عليّ قطيعتي عين أبي زياد آكل من سعفها. قال: إياي تكلِّم بهذا الكلام، والله لأُزهقنَّ نفسك. قال: لا تعجل عليّ، قد بلغت ثلاثاً وستين، وفيها مات أبي وجدي»[2].

ثم تكررت هذه المأساة بعد خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن وشهادته بباخمرا، فقد تحرك الضغن المتراكم في نفس المنصور ضد كل العلويين، وجاء في الرواية عن لإمام الصادق قوله:

«لما قُتِل إبراهيم.. وحُشِرنا من المدينة فلم يُترك فيها منّا محتلم،

(١) الفصول المهمة: ٢٩ ونور الأبصار: ١٣٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٧/ ٦٠٣ ومقاتل الطالبيين: ٢٧٣.

حتى قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخِلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى. قال: فدخلنا إليه أنا وحسن بن زيد، فلما صرتُ بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟ قلتُ: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: أنت الذي يُجْبى إليك هذا الخراج؟ قلت: إليك يُجْبى... قال: أتدرون لِمَ دعوتكم؟ قلتُ: لا، قال: أردتُ أن أهدم دعوتكم واغوّر قلبكم وأعقر نخلكم، وأُنزِلكم بالسراة لا يقربكم أحدٌ من أهل الحجاز وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة».

قال الإمام الصادق: «فقلتُ: إن سليمان أُعطيَ فشكر، وإن أيوب ابتُلي فصبر وان يوسف ظُلم فغفر، وأنت من ذلك النسل. فتبسم وقال: أعِدْ عليّ، فأعدت. فقال: مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوتُ عنكم»[1].

وفي سنة ١٤٧ هـ ـ أي في السنة قبل الأخيرة من حياة الإمام الصادق (ع) حجَّ المنصور، ويروي المؤرخون عن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه: أنه لما قدم المدينة قال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمد مَنْ يأتينا به سعياً، قتلني الله إن لم أقتله. فتغافل الربيع عنه فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ له في القول، فأرسل إليه الربيع... ودخل به على المنصور، فلما رآه المنصور أغلظ له بالقول فقال: يا عدو الله: اتخذك أهلُ العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم، تلحد في سلطنتي وتبغيني الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك. فقال أبو عبد الله: والله ما

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٥٠ ـ ٣٥١ وبحار الأنوار: ١٧٨/٤٧ و٢١١، ومختصر منه في نثر الدر: ٣٥١/١ وزهر الآداب: ١٢٣/١، وأشير إلى هذه الحادثة في النجوم الزاهرة: ٦/٢ ـ ٧.

فعلتُ ولا أردت، وإن كان بلغك فمن كاذب، ولو كنتُ فعلت فقد ظُلم يوسف فغفر، وابتُليَ أيوب فصبر، وأُعطي سليمان فشكر، فهؤلاء أنبياء الله؛ وإليهم يرجع نسبك؛ ولك فيهم أسوة حسنة. فقال المنصور: أجل لقد صدقتَ يا أبا عبد الله ارْتَفِع إليّ ها هنا عندي. ثم قال له: يا أبا عبد الله؛ إن فلاناً الفلاني أخبرني عنك بما ذكرت، فقال: أحضره ليوافقني على ذلك. فأُحضر الرجل الذي سعى به، فقال: له المنصور: أحقاً ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال له أبو عبد الله ـ (ع) ـ: فاستحلفه على ذلك، فقال له المنصور: أتحلف؟ قال: نعم؛ وابتدأ باليمين. فقال له أبو عبد الله: دعني أحلّفه أنا، فقال له: افعلْ، فقال أبو عبد الله ـ (ع) ـ للساعي. قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل كذا وكذا. فامتنع الرجل، فنظر إليه المنصور منكراً، فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وقضى ميتاً مكانه في المجلس. فقال المنصور: جروا برجله وأخرجوه... ثم قال: لا عليك يا أبا عبد الله؛ أنت البريء الساحة، السليم الناحية؛ المأمون الغائلة[1].

وهكذا كانت لقاءات الإمام بالمنصور قائمة على سوء ظن الخليفة وفساد طويته، كما دلَّ عليه ما تفوّه به من عبارات الاتهام والوعيد، وألفاظ التجريح والتهديد؛ والخروج على كل أعراف الأدب والخلق وحسن السلوك.

---

(١) اقتبسنا النصَّ من: الإرشاد: ٢٩٠ ـ ٢٩١ والعقد الفريد: ٢/١٥٩ ـ ١٦٠ و٣/ ٢٢٤ ـ ١٢٥ وصفة الصفوة: ٢/٩٦ ـ ٩٧ وكفاية الطالب: ٣٠٧ ـ ٣٠٨ وتذكرة الخواص: ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ومطالب السؤول: ٢/٥٨ ـ ٥٩ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ والفصول المهمة: ٢٠٧ ـ ٢٠٨ والصواعق المحرقة: ١٢٠ وبحار الأنوار: ٤٧/١٨٢ ونور الأبصار: ١٣٣ ـ ١٣٤.

ولعل من أطرف ما حدث في بعض تلك اللقاءات ما رواه أحمد بن عمرو بن المقدام الرازي قال:

«وقع الذباب على المنصور فذبَّه عنه، فعاد فذبَّه، فعاد حتى أضجره، فدخل جعفر بن محمد عليه، فقال له المنصور: يا أبا عبد الله، لِمَ خلق الله الذباب؟ قال: ليُذلّ به الجبابرة»(١).

ويروي بعض الرواة: أن المنصور كتب يوماً إلى الإمام الصادق (ع) وقد بعد عهدُ اللقاء بينهما.

«لِمَ لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه:

ليس لنا ما نخافك من أجله؛ ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمةٍ فنهنئك، ولا تراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك؟

قال الراوي: «فكتب إليه: تصحبنا لتنصحنا.

«أجابه: مَنْ أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك».

«فقال المنصور: والله لقد مَيّز منازل الناس؛ مَنْ يريد الدنيا ممن يريد الآخرة، وإنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا»(٢).

❊ ❊ ❊

وبقيت نار الحقد تأكل قلب المنصور فتحمله على التأجيج الدائم

---

(١) حلية الأولياء: ٣/ ١٩٨ ـ واللفظ منها ـ والمناقب: ٢/ ٣٢٧ وصفة الصفوة: ٢/ ٩٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٥٧ ـ ٥٨ وتذكرة الخواص ٣٥٣ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٦٤ والفصول المهمة: ٢٠٦ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١٦٦ ونور الأبصار: ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

للمجابهة بينه وبين الإمام، وظل التوتر العنيف طابعاً ثابتاً للروابط بينهما طيلة تلك السنين، ثم شهر الخليفة سيف الإرهاب والتنكيل بعد انتصاره على محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، حتى أنه أمر ـ كما روى السيد أمير علي الهندي ـ «بقتل كثير من أشراف البصرة الذين كانوا قد آزروا دعوة العلويين؛ وهدم بيوتهم؛ وخرب بساتينهم، كما صادر أملاك أبناء الحسن والحسين، وألغى الامتيازات التي كان أهل المدينة يتمتعون بها... وهدَّد الإمام جعفراً الصادق بالقتل»[١].

وعلى كل حال؛ فإن المنصورلم يعد يطيق الصبر والترقب وهو يرى الإمام ملء العيون والأسماع والأفئدة، مع أنه كان يعلم بتجاربه الخاصة ـ كما يقول الباحث عبد الرحمن الشرقاوي ـ «إن الإمام حعفر بن محمد عازف عن الاشتغال بالسياسة، وكان يعرف أن الإمام رفض إهابة الشيعة به أن ينهض، ورفض إلحاحهم بالبيعة، ولكن المنصور مع ذلك ما كان ليستريح لالتفاف الناس حول الصادق في كل مكان؛ في المدينة حيث يقيم؛ وفي العراق حيث يلمُّ»، فأخذ يتربص به على مرور الوقت ويضيّق عليه على امتداد السنين، «ولكن الإمام جعفراً ظل يناضل بالكلمة دفاعاً عن كل آرائه؛ وعن حرية العمل والإرادة، وشرف المثقفين»، و«كان ما يغيظ المنصور حقاً هو فكر الإمام الصادق والتفاف الناس حوله»[٢].

وأخيراً؛ لم يجد الطاغية بداً من التخلص من الإمام كيف كان، ولم يجد أمامه طريقاً إلى تحقيق ذلك إلا السمّ، وهكذا كان[٣].

---

(١) مختصر تاريخ العرب: ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) شخصيات إسلامية: ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) وردت رواية وفاته (ع) بالسم على نحو الجزم لدى بعضهم والقيل والاحتمال عند =

وفي شوال[(١)] من سنة ١٤٧ هـ[(٢)]، رجعت نفس الإمام إلى ربها

= بعض آخر في: مروج الذهب: ٣/ ٢١٢ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وشرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٣٨ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ والفصول المهمة: ٢١٢ والصواعق المحرقة: ١٢١ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ و٢ و١٨٢ ونور الأبصار: ١٣٥ وإسعاف الراغبين ٢١٣ وعمدة الزائر: ٣٠٥ وعقيدة الشيعة: ١٤٨.

ونسبة القول بسم المنصور الإمام إلى بعض الإمامية خاصة ـ كما في الإمام الصادق: ٦٣ ـ يفندها الوقوف على أسماء مؤلفي المصادر المتقدمة وفيهم من لا يجهل أمره من الحفاظ المشاهير.

(١) ورد النص على شوال في الكافي: ١/ ٤٧٢ و٤٧٥ ومروج الذهب: ٣/ ٢١٢ والإرشاد. ٢٨٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٧٨ والمناقب: ٢/ ٢٣٩ وكفاية الطالب: ٣٠٩ ووفيات الأعيان: ١/ ٣٩١ والفصول المهمة: ٢١٢ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ و٤ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨ وينابيع المودة: ٣٨٠ ونور الأبصار: ١٣٥ وعمدة الزائر: ٣٠٥.

أما رواية منتصف رجب ـ كما في بعض المصادر كالمناقب: ٢/ ٣٤٩ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ و٢ و٤ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨ وعمدة الزائر: ٣٠٥ ـ فلم نجد لها ما يسندها ويقويها عند المؤرخين الأوائل.

(٢) تاريخ خليفة: ٢/ ٦٥٥ وطبقات خليفة: ٢/ ٦٧٣ وتاريخ اليعقوبي: ٣/ ١١٥ وذيل الذيل: ٦٥٣ والكافي: ١/ ٤٧٢ و٤٧٥ ومروج الذهب: ٣/ ٢١٢ والإرشاد: ٢٨٩ وتهذيب الطوسي: ٧/ ٧٨ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وسر السلسلة العلوية: ٣٤ وصفة الصفوة: ٢/ ٩٨ وكفاية الطالب: ٣٠٩ ووفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ ومطالب السؤول: ٢/ ٦٠ وكامل ابن الأثير: ٥/ ٢٧ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٤ وتذكرة الخواص: ٣٥٥ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٧ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٩٦ والعبر: ١/ ١٧٠ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٠٥ وتاريخ أبي الفداء: ٢/ ٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٨ والفصول المهمة: ٢١٢ ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ ومآثر الإنافة: ١/ ١٧٩ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٤ وحياة الحيوان: ٢/ ١٠٤ والصواعق المحرقة: ١٢١ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ وشذرات الذهب: ١/ ٢٢٠ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ و٢ و٤ وزهرة المقول: ٥٨ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨ ونور الأبصار: ١٣٥ وإسعاف الراغبين: ٢١٣ وعمدة الزائر: ٣٠٥ وينابيع المودة: ٣٨٠ وتاريخ الخميس: ٢/ ٣٢٥ وغاية العارفين: ١/ ٢٥١ ودائرة المعارف الإسلامية ٦/ ٤٧٣ ومختصر تاريخ العرب، ١٩٤ وعقيدة الشيعة: ١٤٨ والأعلام: ٢/ ١٢١ ومعجم المؤلفين: ٣/ ١٤٥. =

راضية مرضية، فارتجت أرجاء المدينة المنورة عند سماع النبأ، وشاركت الجماهير المسلمة المفجوعة في تشييع ذلك الإمام الأوحد، ودُفن جسده الطاهر بالبقيع السعيد، حيث دفن أبوه وجدُّه ومن قبلهما الحسن بن علي[(١)] - سلام الله عليهم أجمعين -.

وأُثر عن الإمام الكاظم - (ع) - إخباره بأنه كفَّن أباه في ثوبين شطويين كان يحرم فيهما، وفي قميص من قمصه، وفي عمامة كانت لعلي بن الحسين - (ع) - وفي بردٍ اشتراه لهذا الغرض[(٢)].

وتقول إحدى الروايات: إن المنصور لما بلغه خبر وفاة الإمام أسرع بالكتابة إلى واليه على المدينة: «إنْ كان أوصى إلى رجلٍ بعينه فقدّمه وأضرب عنقه»، فرجع الجواب إليه: إنه أوصى إلى خمسة أبي جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وابنيه موسى وعبد الله وزوجته حميدة[(٣)].

وذكرت رواية أخرى: أنه أوصى إلى يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب وإلى أُمّ موسى وإلى أُمّ ولد

= ومع هذا الاتفاق المسلَّم على تحديد السنة حتى كاد أن يكون إجماعاً تعدُّ رواية ابن قتيبة (في المعارف: ٢١٥) في وفاته سنة ١٤٦هـ وهماً أو شذوذاً، كما أن تردُّد ابن عنبة (في عمدة الطالب: ١٨٤) بين ١٤٨ و١٤٧ لا قيمة له من الناحية التاريخية.

(١) الكافي: ١/ ٤٧٢ ومروج الذهب: ٣/ ٢١٢ والإرشاد: ٢٨٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٧٨ والمناقب: ٢/ ٣٤٩ وكفاية الطالب: ٣٠٩ وكامل ابن الأثير: ٥/ ٢٧ ووفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٦٠ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٥ ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ والفصول المهمة: ٢١٢ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ والصواعق المحرقة: ١٢١ وشذرات الذهب: ١/ ٢٢٠ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٨٨ ونور الأبصار: ١٣٥ وعمدة الزائر: ٣٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٧/ ٧.

(٣) بحار الأنوار: ٤٧/ ٣.

وأن يحيى المذكور «كان يلي أمر تركاته والأصاغر من ولده» بعد وفاته[1].

ومهما يكن من أمر إيصاء الإمام وأسماء أوصيائه فإن الهدف الرئيس فيها هو إخفاء وصيه الحقيقي ـ وهو ولده الإمام الكاظم (ع) ـ وحمايته من مطاردة السلطة وبطشها، وتتجسم الحكمة وبُعْد النظر بأجلى معالمهما في اختيار الأوصياء الخمسة الذين يأتي في مقدمتهم الخليفة نفسه.

وتبارى الشعراء والأدباء الذين لم يكونوا من مرتزقة دار الخلافة في التعبير عن أحاسيسهم بعمق الفاجعة وشدة النازلة، فرثوا الإمام بفصيح الشعر وبليغ النظم، وكان منهم الشاعر أبو هريرة الأبّار الذي قال فيه:

أقول وقد راحوا به يحملونه ... على كاهلٍ من حامليه وعاتقِ
أتدرون ماذا تحملون إلى الثرى ... ثبير ثوى من رأس علياء شاهقِ
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ... تراباً، وأوْلى كان فوق المفارقِ
أيا صادق ابن الصادقين اليّةً ... بآبائك الأطهار حلفة صادقِ[2]

وقال مالك بن أعْين الجُهني يرثيه:

فيا ليتني ثم يا ليتني ... شهدتُ وإن كنتُ لم أشهدِ
فآسيتُ في بثّه جعراً ... وساهمتُ في لَطَفِ العُوَّدِ
ومن قبل نفسك قلتُ الفدا ... وكفُّ المنيّة بالمرصدِ
عشية يُدفَن فيه الندى ... وغرّةُ زُهْرِ بني أحمدِ[3]

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٦٤.
(٢) المناقب: ٢/ ٣٤٨.
(٣) معجم الشعراء: ٣٦٦.

وقال حمران بن أعْينَ الطائي المقرىء النحوي يرثيه:

بكيتُ على خير مالاحقٍ بسابقه صفوة الخالقِ
بكيتُ على ابن نبيّ الهدى بدمعٍ على وجنتي سابقِ
ربيع البلاد وغيثُ العباد لسارب صبحٍ وللطارقِ
ووارث علم نبيّ الهدى وميزان حقٍّ به ناطقِ
فصلّى الإله على روحه وأكرمَ مثواه من صادق[1]

❀ ❀ ❀

وهكذا انتهت أيام عمر الإمام الصادق (ع) على هذه الأرض؛ بكل ما حملته من شدائد وآلام وأحزان، ورفعه الله تعالى إلى عليين حيث مستقر الأنبياء والصدّيقين.. «بعد أن ترك ثروة من الفقه والعلم والتأملات [كما يقول الأستاذ الشرقاوي]، وأنشأ في الحياة الفكرية تياراً جديداً خصباً أعلى فيه العقل والنظر والتأمل والعلم، وجمع المعارف كلها وعلوم الدنيا والدين.. وخلّف في كل البلاد مئات الفقهاء السنيين يروون عنه ويعلّمون الناس فقهه وشروحه وآراءه؛ فضلاً عن فقهاء الشيعة»[2].

«ولما مات أحسَّ العالم الإسلامي كله بفقده [كما يقول الشيخ أبو زهرة]، وكان له ذكر عطر على كل لسان. ومن الأئمة ما اختلف فيه الناس... والإمام الصادق قد أجمع كل العلماء على فضله»[3].

وسلام الله الأسنى وتحياته الحسنى عليه يوم وُلِد؛ ويوم نشأ وشب. ويوم أصبح إماماً للمسلمين؛ ويوم ذهب إلى ربه؛ ويوم يبعث حيّا.

---

(١) أنباء الرواة: ١/٣٤٩.
(٢) شخصيات إسلامية: ٥١.
(٣) الإمام الصادق: ٦٥.

تراث الإمامة

قال الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد ـ قبل أكثر من عشرة قرون ـ وهو يتحدّث عن الإمام الصادق (ع):

«نقل الناسُ عنه من العلوم ما سارت به الركبان؛ وانتشر ذكره في البلدان، ولم يُنقل عن أحدٍ من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله ـ (ع) ـ إن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات؛ على اختلافهم في الآراء والمقالات؛ فكانوا أربعة آلاف رجل»[1]. «والأخبار فيما حُفِظ عنه ـ (ع) ـ من العلم والحكمة والبيان والحجة والزهد والموعظة وفنون العلم كله؛ أكثر من أن تُحصى بالخطاب، وتُحوى بالكتاب»[2].

واستقبله يوما معاصره المحدّث الحافظ عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ فقال:

أنت يا جعفر فوق الـ ... ـمدحِ والمدحُ عناءُ
إنما الأشراف أرضٌ ... ولهم أنتَ سماءُ
حاز حدَّ المدح من قد ... ولدَتْهُ الأنبياءُ[3]

---

(١) الإرشاد: ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٢.

(٣) المناقب: ٢/ ٣٤٧.

وعلى هذه الشاكلة جاءت أقوال آخرين من قدامى السلف المعنيين بالتاريخ والتراجم؛ ومباحث التفسير والفقه؛ وشؤون الحديث والكلام؛ ومسائل العلم والفكر؛ في العصور الإسلامية المتعاقبة.

أما المعاصرون المهتمون في هذه الموضوعات، فقد كان حديثهم عن الإمام الصادق ومدرسته العلمية وقيادته الحركة الفكرية، مشبعاً ووافياً ومتعدد الجوانب، وكان منهم الباحث الهندي سيد أمير علي الذي قال وهو يتحدث عن النهضة العلمية في أواخر العهد الأموي:

«أصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضر العالم الإسلامي، ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الذي تزعّم تلك الحركة هو حفيد علي بن أبي طالب المسمى بالإمام جعفر والملقب بالصادق، وهو رجل رحب أفق التفكير، بعيد أغوار العقل، ملمّ كل الإلمام بعلوم عصره، ويعتبر في الواقع أول من أسّس المدارس الفلسفية المشهورة في الإسلام. ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحوا فيما بعد مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب، بل كان يحضرها أيضاً طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الأنحاء القاصية»[١]، ثم نصّ من بينهم على «واصل بن عطاء أحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق... وقد أخذ عنه واصل تقدير الفكر الإنساني»[٢].

وقال المستشرق دونلدسن في خلال ترجمته للإمام:

«كانت له شبه مدرسة سقراطية، وقد ساهم عدد من تلامذته مساهمة عظمى في تقدم علمي الفقه والكلام، وصار اثنان من تلامذته ـ وهما أبو حنيفة ومالك بن أنس، فيما بعد، من أصحاب المذاهب

(١) مختصر تاريخ العرب: ١٧٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢٣٧.

الفقهية... ويروى أن تلميذاً آخر من تلامذته وهو واصل بن عطاء رئيس المعتزلة جاء بنظريات في الجدل... وكان جابر بن حيان الكيماوي من تلامذته أيضاً»(١).

وقال العالم الأزهري الشيخ محمد أبو زهرة:

«ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم في أمرٍ كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا، أخذ عنه مالك وأخذ عنه طبقة مالك... وأخذ عنه أبو حنيفة مع تقاربهما في السن واعتبره أعلم الناس... وقد تلقى عليه رواية الحديث طائفة كبيرة من التابعين... ولم يكن علمه مقصوراً على الحديث وفقه الإسلام، بل كان يدرّس علم الكلام، المعتزلة يعتبرونه من أئمتهم... وله معهم مناظرات قيمة... ودرس علم الكون... وبذلك استحق الإمامة العلمية في عصره، كما استحقها أبوه وجده من قبله... فقد كانوا جميعاً أئمة الهدى، يقتدى بهم، ويقتبس من أقوالهم»(٢).

وقال الكاتب المصري عبد الرحمن الشرقاوي:

«مضى الإمام جعفر الصادق وقد ورث الإمامة عن أبيه... يخوض غمرات الحياة المضطربة... على وجهه شعاع من نور النبوة، هدَاه عكوفه على دراسة القرآن والحديث إلى أن واجب المسلم أن يؤمن عن اقتناع وتدبر وتفكر في ظواهر الحياة والكون، فهي دليله إلى الإيمان بوحدانية الله. وهَدَاه هذا التفكير إلى الاهتمام بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك والطب والنبات والأدوية، لأنها علوم تحقق مصالح الناس، وتحرر الفكر؛ وتهديه إلى الإيمان العميق الحق الراسخ... وآمن

(١) عقيدة الشيعة: ١٤١.
(٢) الإمام الصادق: ٦٦ ـ ٦٨.

بالتجربة والنظر العقلي والجدل طريقاً إلى الإيمان، وسلّحته معرفته الواسعة العميقة بالعلوم في الاستدلال والاقناع وجذب أصحاب العقول المنكرة إلى الدين»[١].

هكذا كان الإمام الصادق (ع) في عطائه الفكري واشراقه الثقافي، وهكذا اتفقت الكلمة وأجمعت الأمة على كون ذلك العطاء والإشراق عظيم الأبعاد والآفاق؛ متعدد الموضوعات والفنون؛ واسع الجوانب والأغوار، وقد تجاوز علم الفقه والحديث والتفسير والكلام؛ إلى مذاهب الفلسفة وعلوم الطبيعة ومسائل الكون وظواهر الحياة عامةً.

ولا غرابة ولا عجب أن تجتمع في إنسان واحدٍ كلُّ هذه المزايا النادرة والعبقريات الفذة، فيكون الفرد الأوحد الذي استطاع أن ينهض بالفكر الإنساني ليعطيه حقه المتميز وشأنه المرموق في الملأ العلمي والمجتمع الإسلامي في عصره.

أقول: ليس في ذلك ما يدعو إلى غرابة أو عجب؛ ولا ينطوي الاعتقاد به على غلوٍ أو مبالغة، فهو ابن مَنْ، وحفيد مَنْ، ووارث مَنْ.

إنه ابن الإمام الذي لقّبه جدُّه رسول الله (ص) بالباقر لأنه «يبقر العلم بقرا»[٢] وحفيد مَنْ أجمع المسلمون على تلقيبه زين العابدين وسيد الساجدين، ووريث باب مدينة العلم ومعهد الحكمة وبيت الوحي علي أمير المؤمنين.

وكان جعفر بن محمد (ع) يقول وهو الصادق حقاً فيما يقول:

(١) شخصيات إسلامية: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) يراجع في تخريج هذا الحديث النبوي سيرة الإمام محمد بن علي الباقر»، ١٤ ـ ١٦ [من هذا المجلد].

«إن حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ـ(ص) ـ، وحديث رسول الله ـ(ص) ـ قول الله عزَّ وجل»[١].

وهذا المعنى بنفسه هو المراد من قوله ـ(ع) ـ في حديثه الآخر: «عِلمُنا غابرٌ ومزبور ونَكْتٌ في القلوب ونَقْرٌ في الأسماع»[٢]، إذ يعني بالغابر: العلم بما يكون؛ وبالمزبور: العلم بما كان، وبالنّكت في القلوب: الإلهام؛ وبالنّقر في الأسماع: سماع حديث الملائكة من دون رؤيتهم، أي رواية حديثهم وكأنهم يسمعونهم فيما تنزلوا به حقاً وصدقاً على رسول الله ـ(ص) ـ. وكل ذلك ـ باستثناء الإلهام ـ داخلٌ في المأثور عن النبي (ص) مما سمعه عليّ (ع) ـ منه فحدّث به أولاده أو دونَّه في الصحف المروية عنه مما سُمِّيَ جفراً وجامعة كما يأتي، وليس فيه أي معنى من معاني علم الغيب المباشر الذي لم يتوسط فيه وحيٌ ورسول، كما جاء في حديث سدير قال: «كنتُ أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداوود بن كثير في مجلس أبي عبيدالله ـ(ع) ـ، إذ خرج الينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عزَّ وجل»، وقال مجيباً مَنْ سأله عن مصدر علمهم ـ يعني الأئمة: «وراثة من رسول الله ـ(ص) ـ»، وكما قال أيضاً في خلال حديث آخر: «وكان ذلك كما أخبر الله رسوله؛ وكما أخبر رسوله علياً، وكما انتهى إلينا من علي مما يكون بعده»[٣].

---

(١) الكافي: ١/ ٥٣ والإرشاد: ٢٩٣.
(٢) الكافي: ١/ ٢٦٤ والإرشاد: ٢٩٢ والمناقب: ٢/ ٣٤٧.
(٣) الكافي: ١/ ٢٥٧ و٢٦٤ والمناقب: ٢/ ٢٩٨.

أما الإلهام فقد فضَّل الشيخ محمد أبو زهرة أن يطلق عليه اسم الإشراق وقال: «إننا لا ننفي الإشراق الروحيي عن أولئك الذين زكتْ أنفسهم وراضوها بالإخلاص والاتجاه إلى الله تعالى»[١].

ولعل منشأ اختياره «الإشراق» أنه لا ينظر إلى «الإمام» نظرة الاحترام والتقدير، بل يأبى أن يكون علم الإمام الصادق (ع) إلهامياً؛ وإنما هو ـ في رأيه ـ «علم كسبي فيه إشراق». وقال: «ولو قلنا إن علمه كان إلهامياً خالصاً ما كان مجتهداً وما كان متعرفاً للأحكام، بل كانت تلقى إليه إلقاءً كما يُتَلَقّى الوحي»[٢].

وما أدري كيف أصبح الاجتهاد أعلى مقاماً من النبوة، وكيف صار تلقّي الوحي بهذه المثابة من انحطاط الدرجة عند شيخنا الأزهري المفضال؟!!

وما أدري لماذا ينكر الشيخ المذكور نسبة الإلهام للإمام؛ مع أن الناس ينسبونه لعموم المبدعين منهم إشادة بهم وإعجاباً؛ فيقولون: الشاعر الملهم؛ والفنان الملهم والأديب الملهم؟!!

❀ ❀ ❀

ومهما يكن من أمر؛ فقد اتضح لنا بكل جلاء مصدر علم الإمام ومنبعه الثرّ الدفاق، رواية عن أبيه عن آبائه؛ ووراثة من جدّه الأعلى الرسول الخاتم ـ (ص) ـ، الذي كان مطّلعاً على الغيب بلا ريب؛ وواقفاً على خبايا الأمور بلا شك؛ وعالماً بواسطة الوحي والملائكة بكثير مما يجهله البشر من غوامض وأسرار. ومَنْ كانت هذه مصادر معرفته لن

(١) الإمام الصادق: ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٧١.

يكون بحاجةٍ إلى أولئك الشيوخ الذين زُعِمَ أن الإمام قد تلقى العلم منهم[(١)]، لأن ذلك في الحقيقة محض افتراضٍ لم يُدعم بدليل قاطع، بل مجرد ادعاء ينقصه البرهان المقنع، وخصوصاً عندما نقرأ فيما بينهم أسماء عروة بن الزبير والزهري وأمثالهما من مرتزقة السلطة ومأجوريها؛ المعروفين بانحرافهم عن أهل البيت؛ والمشهورين بسيرهم وراء خطى أعدائهم المجاهرين لهم بالبغض والشنآن.

وعندما تحدث الشيخ محمد أبو زهرة عن أساتذة الإمام الصادق وشيوخه في الفقه والرواية عدَّ في طليعتهم أباه الإمام الباقر (ع) ـ وذلك بما لا شك فيه ـ ثم ثناه بالقاسم بن محمد ـ جدّ الإمام أبي أُمِّه ـ وقال: «لا بد أنه أخذ عنه وآل علمه إليه»، ثم قال بعد ذلك في موضع آخر من الكتاب: «لا يمكن أن نفرض أن شاباً شادياً في الفقه يكون الفقه في بيته من جده أبي أمه؛ أو على مقربةٍ من داره، ويتجافاه ولا يطلبه»، كما قال أيضاً في أثناء الكتاب: «ولا يمكننا أن نتصور أنه لم يأخذ عن جدِّه»[(٢)].

ثم زعم الشيخ أبو زهرة أن الإمام قد تلقى العلم ممن سماهم الفقهاء السبعة، وقال مستدلاً على زعمه: «إن أكثر دروس هؤلاء كانت بمسجد الرسول ـ(ص) ـ، ولا يمكن أن نفرض أن آل البيت قد انقطعوا عن مسجد جدهم الذي تشد إليه الرحال»[(٣)].

وواضح لدى كل من وقف على مناهج البحث العلمي المعتمدة وطرائقه المقرّرة أن الحقائق التاريخية لا تثبت بمجرد قولنا: «لا يمكننا أن نتصور»، وإنما تحتاج إلى القطع واليقين أو إلى الاطمئنان القوي

(١) منهاج السنة: ٢/١٢٣ وتذكرة الحفاظ: ١/١٦٦ وتهذيب التهذيب: ٢/١٠٣.
(٢) الإمام الصادق: ٢٦ و١٧٢ و٣٨٧.
(٣) الإمام الصادق: ١٧٣.

والظن الراجح في الأقل. ولم يقدّم لنا الشيخ أي سندٍ لما ادّعى من «اللابُدِّيّة» و«عدم إمكان التصور» في أخذه عن القاسم؛ إلا استحسانه الذوقي وافتراضه الشخصي الذي لا يصلح أن يكون دليلاً على إثبات الحقائق وتأكيد الوقائع في كل الأحوال.

كذلك لم يقدّم لنا البرهان المقنع على ما ذهب إليه من وجود الرابط الذي لا يفصم بين دخول المسجد النبوي وحضور حلقات أولئك السبعة، وما أدري كيف يصح عدُّ عدم حضور هذه الحلقات دليلاً على الانقطاع عن دخول ذلك المسجد الذي تشد إليه الرحال؟!!

ولهذا وغيره لم يجد الحافظ الذهبي بدّاً ـ بعد سرد الأسماء المزعومة لمن أخذ عنهم الإمام ـ من أن يقول: «وليس هو بالمكثر إلا عن أبيه»[1]، لأنه لم يجد ما يدل على غير ذلك. وقال سبط ابن الجوزي: «أسند جعفر الحديث عن أبيه محمد... ولقي جماعة من التابعين منهم عطاء بن أبي رباح وعكرمة في آخرين»[2]، ولم يقل إنه أسند أو حدث عن هؤلاء التابعين.

❀ ❀ ❀

والتفَّ حول هذا الإمام العظيم وارث وحي السماء وأسرار التنزيل ـ وهو الذي اتفق الجميع على كونه أوحد زمانه في كل العلوم وفي مقدمتها التفسير والفقه والحديث ـ علماءُ الإسلام وطلاب الدين ورواد الفكر وعشاق المعرفة، فتجاوز عدد الرواة عنه والمغترفين من بحره أربعة آلالاف راوٍ ومستفيد؛ وفيهم من أصبح معدوداً من المشاهير على كل صعيد.

(١) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥.
(٢) تذكرة الخواص: ٣٥٦.

وكان في طليعة هؤلاء كلٌّ من:

- الإمام موسى بن جعفر الكاظم ـ المتوفى سنة ١٨٣ هـ.
- أبي حنيفة النعمان بن ثابت؛ إمام المذهب، المتوفى سنة ١٥٠ هـ.
- مالك بن أنس إمام المذهب، المتوفى سينة ١٧٩ هـ.
- أيوب السختياني، المتوفى سنة ١٣١ هـ.
- أبان بن تغلب، المتوفى سنة ١٤١ هـ.
- يحيى بن سعيد الأنصاري، المتوفى سنة ١٤٣ هـ.
- محمد بن إسحاق صاحب السيرة، المتوفى سنة١٥١ هـ.
- أبي عمرو بن العلاء، المتوفى سنة ١٥٤ هـ.
- شعبة بن الحجاج، المتوفى سنة ١٦٠ هـ.
- سفيان الثوري، المتوفى سنة ١٦١ هـ.
- يحيى بن سعيد القطان، المتوفى سنة ١٩٨ هـ.

وآلاف غيرهم(١).

واتفق مترجمو الإمام ـ وفيهم عدد من الحفّاظ البارزين ـ على كونه «قد حدّث عنه الأئمة»(٢) و«احتج به سائر الأمة»(٣) لأنه «ثقة لا يُسأل

(١) يراجع في الوقوف على أسماء الرواة عن الإمام الصادق ـ (ع) ـ: الفهرست: ١١٣ و٢٢٣ و٢٢٤ و٢٧٦ وحلية الأولياء: ٣/ ١٩٣ ـ ١٩٩ و٢٠١ ـ ٢٠٦ ورجال الطوسي: ١٤٢ ـ ٣٤٢ والمناقب: ٢/ ٣٢٥ وصفة الصفوة: ٢/ ٩٨ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٦ وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٩ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٣ والصواعق المحرقة: ١٢٠.

(٢) صفة الصفوة: ٢/ ٩٨ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧ والصواعق المحرقة: ١٢٠ ونور الأبصار: ١٣٣.

(٣) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٧ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٤.

عن مثله» كما يقول أبو حاتم[١]، و«نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم... وعدُّوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها» كما يقول ابن طلحة الشافعي[٢]، وروى ابن أبي الحديد المعتزلي. إن علم جميع فقهاء المذاهب الإسلامية عائد إلى جعفر بن محمد ومستمدٌ منه، لأن «أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهم أخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد ـ (ع) ـ»[٣].

ولم يضير الإمام الصادق بعد هذا الإجماع الإسلامي عليه أن يشذ البخاري فيعرف عنه ولا يسند إليه حديثاً في كتابه[٤]، وقال الشريف الحضرمي محمد بن عقيل معلّقاً عى هذا العزوف:

«احتج الستة في صحاحهم بجعفر الصادق إلاّ البخاري... ولا يُدْرى بماذا يُعتَذر عن البخاري، وقد قيل في هذا المعنى:

قضية أشبهُ بالمرْزأه ... هذا البخاري إمام الفِئَهْ
بـ «الصادق» الصديق ما احتج في ... صحيحه واحتج بالمُرجئهْ
ومثلِ عمران بن حطّان أو ... مروان وابن المرأة المُخطئهْ
مشكلة ذات عوارٍ إلى ... حيرة أرباب النُّهى مُلْجِئهْ

---

(١) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧ وتهذيب التهذيب ٣/ ١٠٤.

(٢) مطالب السؤول: ٢/ ٥٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٨.

(٤) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٧ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٦٩ وشذرات الذهب: ١/ ٢٢٠.

وحقِّ بيتٍ يَمَّمَتْه الورى مغزَّةً في السير أو مُبْطئهْ
إنَّ الإمامَ «الصادق» المجتبى بفضله الآي أتتْ مُنبئهْ
أجلُّ مَنْ في عصره رتبةً لم يقترف في عمره سيّئهْ
قُلامة من ظُفر إبهامهِ تعدل من مثل البخاري مئهْ[1]

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة معلّلاً عدم رواية البخاري عن الإمام الصادق (ع) مع رواية مسلم وسائر أصحاب السنن عنه:

«إن البخاري لا يشكُّ في صدقه [أي صدق الإمام] وهو صاحب المقام الجليل في الإسلام، ولكن موضع الشك هو السند المتصل به أي الرواة الذين يوصلون السند إليه»[2].

ولكن هذا الشيخ المفضال لم يوفّق في دفاعه عن البخاري؛ ولم يقدّم لنا سبباً مقبولاً أو وجهاً مقنعاً لهذا الإعراض، لأننا نقول له تعقيباً على تعليله العليل:

إذا كان موضع الشك هم شيعة الإمام الذين يروون عنه؛ فلماذا لم يرو عنه من طريق أبي حنيفة ومالك والسفيانين ويحيى بن سعيد وأضرابهم ممن لم يكونوا من شيعته وليسوا موضع الشك لديه؟!!

وخلاصة القول الذي اتفقت الكلمة عليه أن إعراض البخاري عن الإمام لم يأبه به المحققون، لأن الإجماع الإسلامي قائم على الاحتجاج بحديثه، كما لم يأبهوا أيضاً بما رواه سعيد بن أبي مريم قال: «قيل لأبي بكر بن عياش: مالك لم تسمع من جعفر وقد أدركته؟ قال: سألناه عما

(١) النصائح الكافية: ٩٣.

(٢) الإمام الصادق: ٢٥٢.

يتحدث به من الأحاديث أشيءٌ سمعته؟ قال: لا؛ ولكنها رواية رويناها عن آبائنا»[١].

ولست أدري لماذا تكون رواية الإمام عن آبائه ـ وهم شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ـ موضعاً للشك والتوقف والإرتياب؟!! ولعله لو روى أحاديثه عن عروة بن الزبير وأضرابه لما تردد ابن عياش في قبولها والحكم عليها بالصحة والتصديق!!!

(١) تهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٣.

ونعود بعد هذا التمهيد الموجز إلى صلب الموضوع، وهو تراث الإمام الصادق (ع) الفكري الذي حفلت به الكتب وزخرت به المصادر ورواه الرواة على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم، ولقد كان من السعة والشمول بمكان عظيم جداً، ومن الكثرة والوفرة بما يفوق حدَّ الإحصاء والعدّ في مثل هذه الدراسة القائمة على الاختصار والتلخيص، وقد تقدّمت منا الإشارة إلى أن عدد الرواة عنه قد بلغ أربعة آلاف راوٍ أو يزيد، وليس في إمكان كتابنا هذا أن يستوعب أسماء هؤلاء الآلاف فضلاً عن استيعاب نصوص أولئك الرواة.

ولما كان العلم هو الهدف الأسمى للإمام في جميع توجهاته وتطلعاته فقد أوْلى هذا الجانب المزيد من العناية والاهتمام، وقد رُويَ عنه الكثير الكثير في ذلك، حثّاً على طلب العلم، وأمراً بكتابته وبثّه، مضافاً إلى بيان ما يجب أن يكون عليه المعلّم والمتعلم من أدب وتواضع، وإلى تحديد الغاية المرجوة من وراء ذلك كله.

إنه (ع) يقول: «طلب العلم فريضة»[1].

ويقول: «الناس ثلاثة: عالم ومتعلم وغُثاء»[2].

---

(١) الكافي: ١/ ٣٠.

(٢) الكافي: ١/ ٣٤.

ويقول: «مَنْ سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة»، و«فَضْلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر»، و«إن العلماء ورثة الأنبياء»[١].

ويقول: «اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا»[٢].

ويقول لأحد أصحابه: «اكتب وبثَّ علمك في إخوانك، فإنْ متَّ فأوْرِث كتبك بنيك»[٣].

ويقول: «اطلبوا العلم... وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم»[٤].

ويقول: «طلبة العلم ثلاثة ـ فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ـ: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل»[٥].

ويقول: «وجدت علم الناس كله في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثاني: أن تعرف ما صنع بك، والثالث: أن تعرف ما أراد منك، والرابع: أن تعرف ما يخرجك من دينك»[٦].

إلى كثير من أمثال هذه النصوص التي حثّ فيها على طلب العلم ورغَّب في التأليف والكتابة والبحث، وشجّع على ذلك بل عدّه فريضة من الفرائض؛ كما عدَّ غير العالم والمتعلم من الناس غُثاء كالزبد الذي

(١) الكافي: ١/ ٣٤.
(٢) الكافي: ١/ ٥٢.
(٣) الكافي: ١/ ٥٢.
(٤) الكافي: ١/ ٣٦.
(٥) الكافي: ١/ ٤٩.
(٦) الكافي: ١/ ٥٠ والإرشاد: ٣٠١.

يطفو فوق الماء جامعاً أقداره وأوساخه.

ولعل أدقَّ ما أرشد إليه الإمام فيما أسلفنا نقله من أقواله الذهبية، تنبيه المسلمين على ضرورة أن يكون طلب العلم «للفقه» سواء أكان بمعناه الخاص لأنه شريعة الله في الأرض أو بمعناه العام وهو الفهم - وأظنه الأرجح والألصق بالسياق - ، و«للعقل» لأنه أعلى ما منح الله الإنسان وأنفس ما أعطاه، ولذلك يجب أن تكون الغاية العليا من الجدّ في التعليم تنمية العقل الرافض للخرافات؛ ورفده ألوان المعارف وضروب الثقافات، لكي يضمن المجتمع تقدمه وتحضُّره وبناء مستقبله الأفضل، ولذلك كان الإمام الصادق (ع) يعلن بكل صراحة وتأكيد بأن «العقل دليل المؤمن»(١)، كما كان يروي عن جدّه رسول الله -(ص) - أنه كان يقول: «إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهوا به حتى تنظروا كيف عقله»(٢).

ثم أعطى طلبة العلم المنهج الأساسي ودلَّهم على الميزان القويم؛ للتمييز بين ما يُقْبَل وما يُرْفَض من الأحاديث والروايات المتداولة، فقال: «كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»(٣)، وحدَّث -(ع) - بسنده عن جده رسول الله (ص) أنه قال: «ما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدَعوه»(٤).

---

(١) الكافي: ١/ ٢٤.

(٢) الكافي: ١/ ٢٦.

(٣) الكافي: ١/ ٦٩.

(٤) الكافي: ١/ ٦٩. ويقول المستشرق دونلدسن: «إذا ما تذكرنا أن مالك بن أنس (٩٤ - ١٧٩) مصنف كتاب الموطأ كان معاصراً للإمام جعفر، وقد سبق البخاري ومسلم بنحو قرن، ظهر أن الإمام جعفراً هو الذي يُعْزَى إليه القول في محص الحديث: إن ما كان موافقاً لما في كتاب الله فاقبلوه، وما كان مخالفاً له فاتركوه» عقيدة الشيعة: ١٤٤.

ونهى طلبة العلم نهياً قاطعاً عن الأخذ بالبدع والعمل بها مهما كانت الظروف والأحوال فقال: «كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار»(١).

ثم قال لهم مانعاً من الاجتهاد في مقابل النص؛ ومشدداً على الالتزام بثوابت الحلال والحرام: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة»(٢)...

وكان من جملة توجيهاته العامة ما خاطب به شيعته وأصحابه على وجه الخصوص، طالباً منهم أدب السلوك وحسن الخلق وجودة الإلتزام بواجبات الدين وتعاليم الإسلام، وكانت مخاطباته لهم في هذا الصدد ذات صيغ كثيرة ومتعددة، وقد كرّر ذلك في أكثر من مناسبة ووقت؛ لئلا يغفل منهم غافل؛ أو يزعم زاعم بأنه لم يسبق له العلم بمثله ولم يبلغه خبره.

إنه يقول في خلال حديثه مع أصحابه:

«ما أقل والله مَنْ يتبع جعفراً منكم، إنما أصحابي من اشتدَّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه»(٣).

ويقول لهم في مناسبة أخرى:

«يا شيعة آل محمد؛ اعلموا أنه ليس منّا من لم يملك نفسه عند غضبه، ومن لم يحسن صحبة من صحبه؛ ومخالقه من خالقه؛ ومرافقة من رافقه، ومجاورة من جاوره ومما لحة من مالحه. يا شيعة آل محمد؛ اتقوا الله ما استطعتم»(٤)،

---

(١) الكافي: ١/٥٦ و٥٧.

(٢) الكافي: ١/٥٨.

(٣) الكافي: ٢/٧٧.

(٤) الكافي: ٢/٦٣٧ وتحف العقول: ٢٨٤.

ويقول مخاطباً أحد أصحابه:

«إياك والسفلة، فإنما شيعة عليّ من عفّ بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه؛ ورجا ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر»(١).

ويقول لأبي أسامة زيد الشحام:

«اقرأ على مَنْ ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلامَ، وأوصيكم بتقوى الله عزَّ وجل؛ والورع في دينكم؛ والاجتهاد لله؛ وصدق الحديث، وأداء الأمانة؛ وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ـ (ص) ـ (إلى أن قال): صِلوا عشائركم؛ واشهدوا جنائزهم؛ وعودوا مرضاهم؛ وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحسن خلقه مع الناس وقيل: هذا جعفري؛ فيسرُّني ذلك ويدخل عليّ منه السرور؛ وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره»(٢).

ثم كان من تتمة توجيهاته السامية لعموم شيعته في دلالتهم على الطريق القويم والنهج السليم، تحذيرهم من الغلو في الاعتقاد بالأئمة؛ ونهيهم أشد النهي عن ذلك، وإعلانه البراءة ممن يقول بذلك ولعنه بصريح اللعن وأجلاه(٣)، وروى المفضل بن عمر قال: «كنت أنا وخالد الجوان ونجم بن الحطيم وسليمان بن خالد على باب الصادق (ع)،

(١) الكافي: ٢/٢٣٣.
(٢) الكافي: ٢/٦٣٦.
(٣) يراجع في لعن الإمام ـ (ع) ـ الغلاة وعلى رأسهم المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب الأسدي: المناقب: ٢/٣٠٢ ولسان الميزان: ٦/٧٦ وبحار الأنوار: ٤٧/٣٣٨ و٣٧٨.

فتكلمنا فيما يتكلم به أهل الغلو، فخرج علينا الصادق بلا حذاء ولا رداء وهو ينتفض ويقول: يا خالد يا مفضّل يا سليمان يا نجم؛ لا ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١].

ورُوي عن صالح بن سهل قال: «كنتُ أقول في الصادق (ع) ما تقول الغلاة، فنظر إليّ وقال: ويحك يا صالح! إنا والله عبيد مخلوقون، لنا رب نعبده، وإن لم نعبده عذّبنا»[٢].

وحدَّث أبو العباس البقباق قال: «نزار ابن أبي يعقوب والمعلّى ابن خنيس، فقال إبن أبي يعقوب: الأوصياء علماء أتقياء أبرار، وقال ابن خنيس: الأوصياء أنبياء. قال: فدخلا على أبي عبد الله (ع)، لما استقر مجلسهما قال (ع): أبرأ ممن قال إنّا أنبياء»[٣].

❁ ❁ ❁

وإذا انتقلنا في حديثنا عن تراث الإمامة من دائرة التوجيهات العامة والإرشادات الأساسية في الاعتقاد والأخلاق والآداب، وسائر الاهتمامات العملية والسلوكية؛ إلى حقول العلم والمعرفة في مختلف ميادينها الرئيسة ومجالاتها النافعة، يتمثل لنا على رأس ذلك ما رواه المفسرون والمحدثون عن الإمام الصادق (ع) في شرح معاني القرآن الكريم وتفسير آياته المباركة، من حيث اللفظ، أو من حيث السياق؛ أو بملاحظة الإنسجام الكامل مع الاستعمالات القرآنية التي ورد فيها ذلك في مجموع المصحف الشريف. وكان هذا المرويّ من الكثرة والعمق وسمو الشأن بالدرجة التي لو قُدّر له أن يُجمع لجاء تفسيراً نفيساً

(١) المناقب: ٢/ ٣٠١ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١٢٥.
(٢) المصدران السابقان جزءاً وصفحة.
(٣) المناقب: ٢/ ٣٠٨ وبحار الأنوار: ٤٧/ ١٣٠.

مستوعباً لكثير من آيات القرآن الكريم وسوَرِه، ونورد فيما يأتي بعضاً من أمثلة ذلك تعريفاً بمنهج الإمام في التفسير؛ وأسلوبه في إجلاء ما تنطوي عليه تلك الآيات من مقاصد وأغراض:

جاءه يوماً مَنْ سأله عن قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ هل يتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾؟ فقال له الإمام: إن الله إنما عنى في الآية الأولى العدل في النفقة؛ وفي الثانية العدل بين امرأتين في المودة[١].

ورُوِيَ أنه سُئل الصادق (ع) عن قول الله عزَّ وجل في قصة إبراهيم (ع): ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ قال: ما فعله كبيرهم، وما كذب إبراهيم (ع)، قيل: وكيف ذلك؟ فقال: إنما قال إبراهيم: فاسألوهم إن كانوا ينطقون، فإن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم».

«فسُئل عن قوله في سورة يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ قال: إنهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا: ماذا تفقدون: ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ ولم يقل سرقتم صواع الملك، إنما سرقوا يوسف من أبيه».

فسُئل عن قول إبراهيم: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ قال: ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب، إنما عنى سقيماً في دينه أي مرتاداً»[٢].

---

(١) المناقب: ٢/ ٣٢٧ وبحار الأنوار: ١٠/ ٢٠٢ و٤٧/ ٢٢٥.

(٢) الاحتجاج: ١٩٤، والكلمة الأخيرة من النص فيه: (مرتاداً) كما أثبتنا، أي طالباً باحثاً، واحتمل بعضهم أن تكون (مرتاباً) أي شاكاً متردداً.

وسأل أبو عمرو والزبيريُّ الإمام الصادق (ع) عن وجوه الكفر في كتاب الله عزَّ وجل؟ فقال:

«الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود؛ والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم».

«فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية؛ وهو قول من يقول: لا ربَّ ولا جنة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدّهرية: وهم الذين يقولون: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان؛ على غير تثبُّت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عزَّ وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أن ذلك كما يقولون، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني بتوحيد الله تعالى فهذا أحد وجوه الكفر».

«وأما الوجه الآخر من الجحود [فهو الجحود] على معرفةٍ؛ وهو أن يجحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله عزَّ وجل: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وقال الله عزَّ وجل: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. فهذا تفسير وجهي الجحود».

«والوجه الثالث من الكفر: كفر النِّعَم، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان (ع)، ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾، وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

«والوجه الرابع من الكفر: ترك ما أمر الله عزَّ وجل به؛ وهو قول

الله عزَّ وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾... ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾... فكفّرهم بترك ما أمر الله عزَّ وجل به، ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾....

«والوجه الخامس من الكفر: كفر البراءة، وذلك قوله عزَّ وجل يحكي قول إبراهيم (ع): ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ يعني: تبرَّأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرِّيه من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يعني: يتبرأ بعضكم من بعض»[(١)].

إلى كثير من أمثال مما يجده الباحثون والمراجعون مسطوراً في المصادر الإسلامية المعنية بالتفسير والدراسات القرآنية.

كذلك عُنيت تلك المصادر بإثبات ما ورد عن الإمام الصادق (ع) فيما قرأ به القرآن، مما تناقله القراء والرواة عنه في كتب المعاني والقراءة[(٢)]، وسواء أصحّ كل ذلك أو بعضه فإنه في مجمله دليل على

(١) الكافي: ٢/ ٣٨٩ ـ ٣٩١.

(٢) وردت رواية قراءته ـ على سبيل المثال ـ في:

ـ معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٨.

ـ المحتسب لابن جني: ١/ ١٥١ و١٧٦ و٢١٧ و٢١٩ و٢٧٢ و٢٨٦ و٣٠٦ و٣١٨ و٣٢٢ و٣٣١ و٣٣٩ و٣٤٤ و٣٥٥ و٣٥٧ و٣٦٣ و٣٦٤.

٢/ ٣٨ و٦٣ و٧٩ و٨٣ و١٥٩ و١٦٩ و١٧٠ و٢١٢ و٢٢٢ و٢٢٦ و٢٢٧ و٣٢٣.

ـ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه: ٣٥ و٤٦ و٥٥ و٦٤ و٩٦ و٩٩ و١٢٢ و١٧٥.

اهتمام أولئك جميعاً بتراث الإمام في هذا الموضوع؛ وبتداول قراءته وتناولها ما بينهم على مرّ الأجيال والسنين.

❁ ❁ ❁

ثم يبرز في تراث الإمام وتركته الغالية ـ بعد المأثور عنه في تفسير القرآن الكريم وتبيينه ـ ما يكمل ذلك ويتمّه من شرح معاني الحديث النبوي الشريف ومسائل الفقه وأصوله العملية، وهو موضوع لا مجال للدخول في تفصيله؛ لأنه أوسع من أن يحتضنه كتاب واحد؛ بل أضخم من أن تجمعه بضعة مجلدات، مهما كبر حجمها ومهما تضاعف عدد ما في كل مجلدٍ منها من صفحات وفي كل صفحة من سطور.

لقد كان يلجأ إليه المسلمون في تفسير الحديث النبوي المبارك وتبيان معناه إذا التبس عليهم أمره ولم يتضح لهم المراد منه، لأنه رأس أهل البيت الطاهر في عصره ـ وأهل البيت أدرى بالذي فيه.

ولقد كانوا يلجأون إليه في إيضاح ما لم يعلموا من الأحكام الفقهية والمسائل الشرعية؛ لأنه ابن الوحي ووارث القرآن وخازن التنزيل، فيجدون عنده ما لا يوجد مثله عند غيره من المتفقهين والمحدّثين.

وتكفينا مؤونة الحديث عن كل ذلك والتطويل فيه، نظرةٌ عجلى نلقيها على كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ[1]؛ وكتاب من لا يحضره الفقيه لعلي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة

(١) من الأوهام الكبرى التي سقط فيها الشيخ محمد أبو زهرة قوله في هذا الخصوص: «إن أقدم المؤلفين الذين جمعوا أحاديث الصادق وأفعاله وأقواله هو الكليني في كتابه الكافي، وإذا لوحظ أن الكليني توفي سنة ٣٢٩ أي بعد وفاة الإمام الصادق (ع) بنحوٍ من ١٨١ سنة ولم يذكر السند المتصل إلى الإمام الصادق في كل الأحوال، نعم إنه يروي الكثير عن تلاميذه، ولكن من المؤكد أنه لم يلتق بتلاميذه، إلا إذا فرضنا أن تلاميذه أمتدت أعمارهم إلى أكثر من مائة سنة؛ أو =

٣٨١ هـ؛ وكتابَيّ الاستبصار والتهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ، فقد جمعت هذه الكتب الأربعة ـ وهي أهم مدونات الحديث عند الشيعة الإمامية ـ آلاف الأحاديث المروية عن الإمام الصادق (ع) في مختلف أبواب الفقه وفروع المسائل الشرعية، ولذلك أطلق البعض على الفقه الشيعي الإثني عشري اسم «الفقه الجعفري» نسبة إلى الإمام جعفر الصادق (ع) لضخامة المنسوب إليه من ذلك، وإن كان بعضه غير ثابت الصحة بحسب القواعد المقررة في علم الدراية.

كذلك وردت الرواية عن الإمام في مسائل الفقه وأحكام الشريعة في مصادر الحديث الأخرى المعتمدة لدى المسلمين ـ على تعدد مسالكهم ومشاربهم الفقهية ـ ومنها على سبيل المثال: سنن النسائي وسنن الترمذي ومسند الإمام أحمد بن حنبل[(١)].

= فرضنا عنده سنداً متصلاً غير منقطع».
ثم قال بعد ذلك:
«الكلام في الفترة ما بين الكليني... وبين الصادق (ع)، فإن هذه الفترة فجوة ربما تقطع السند وتمنع اتصاله» الإمام الصادق: ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
ولعل مراجعة سريعة لروايات الكافي ـ وهو مطبوع أكثر من مرة ـ تكشف للقارىء خطأ الشيخ أبي زهرة فيما قال، لأن الأسانيد فيه متصلة بالإمام بعدد من الرواة وبلا انقطاع أو فجوة متخيَّلة، ولذلك يكون افتراض امتداد الأعمار إلى أكثر من مائة سنة كما ادعى الشيخ المذكور توهماً واضحاً واشتباهاً يؤسف له. كما نحيل القارىء أيضاً على كتاب التهذيب للطوسي في شأن الرواية التي ذكر الشيخ أبو زهرة أن سندها غير كامل فيه (الامام الصادق: ٢٦١).

(١) سنن النسائي: ١/١٠٧ و١٢٣.
٥/١٤٣ و١٥٥ و١٥٧ و١٦٢ و١٦٤ و١٧٦ و٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤٣ و٢٤٤ و٢٥٥ ـ ٢٥٦ و٢٦٥ و٢٦٧ و٢٧٤ و٢٧٥.
سنن الترمذي: ٣/٦٢٨.
٤/٢٢٨ و٦٢٥.
مسند أحمد: ١/٢٦٧.

وفي الرواية عن عبد المؤمن الأنصاري ـ شاهداً على الرجوع إلى الإمام في شرح الحديث النبوي الغامض المعنى ـ قال:

«قلت لأبي عبد الله (ع): إن قوماً رووا أن رسول الله (ص) قال: (اختلاف أُمتي رحمة)، فقال: صدقوا، قلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب. قال: ليس حيث تذهب وذهبوا، وإنما أراد قول الله عزَّ وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ وأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله (ص) ويختلفوا إليه ويتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم، إنما أراد اختلافهم في البلدان لا اختلافاً في الدين؛ إنما الدين واحد»[1].

واستكمالاً لمباحث الفقه وأحكامه أَوْلى الإمام اهتماماً كبيراً بعلم أصول الفقه؛ تعليماً وشرحاً وتبياناً لقواعده الرئيسية وأسسه الكبرى، ودلالة للمتعلمين على ما يصح وما لا يصح الاعتماد عليه من ذلك. وقد روى لنا الباحثون القدامى وفي طليعتهم الحافظ أبو نعيم والشيخ الطبرسي مناقشات الإمام الصادق لأبي حنيفة النعمان بن ثابت فيما ذهب إليه من العمل بالقياس وعدّه من أصول الفقه وأركان استنباط الأحكام الشرعية؛ وتنبيه الإمام تلميذه عل فساد ذلك وبطلانه.

وتقول الروايات ـ وقد ضممنا بعضها لبعض ـ: إن أبا حنيفة لما دخل على الإمام الصادق (ع) لأول مرة سأله الإمام:

مَن أنتَ؟

قال: أبو حنيفة.

(١) الاحتجاج: ١٩٤.

قال الإمام: مفتي أهل العراق؟

قال: نعم.

قال الإمام: بِمَ تفتيهم؟

قال: بكتاب الله.

قال الأمام: وإنك لعالمٌ بكتاب الله ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه؟

قال: نعم.

قال الإمام: فأخبرني عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ أي موضع هو؟

قال: هو ما بين مكة والمدينة.

فالتفت أبو عبد الله (ع) إلى جلسائه وقال: نشدتكم بالله؛ هل تسيرون بين مكة والمدينة ولا تأمنون على دمائكم من القتل وعلى أموالكم من السّرَق؟ فقالوا: اللهم نعم.

فقال الإمام: يا أبا حنيفة؛ إن الله لا يقول إلا حقاً. أخبرني عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ أي موضع هو؟

قال: ذاك بيت الله الحرام.

فالتفت الإمام إلى جلسائه وقال: نشدتكم بالله؛ هل تعلمون أن عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟، قالوا: اللهم نعم.

فقال الإمام: يا أبا حنيفة، إن الله لا يقول إلاّ حقاً.

فقال أبو حنيفة: أنا صاحب قياس.

قال الإمام: فانظر في قياسك، أيهما أعظم عند الله القتل أو الزنا؟

قال: القتل.

قال الإمام: فكيف رضي في القتل بشاهدين؛ ولم يرض في الزنا إلا بأربعة؟

ثم قال له: الصلاة أفضل أم الصيام؟

قال: الصلاة أفضل.

قال الإمام: فيجب ـ على قياس قولك ـ على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة في حال حيضها، وقد أوجب الله تعالى عليها قضاء الصوم دون الصلاة.

ثم قال له الإمام: البول أقذر أم المني؟

قال: البول أقذر.

قال الإمام: فيجب على قياسك الغسل من البول، وقد أوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول.

قال: إنما أنا صاحب رأيٍ.

قال الإمام: فما ترى في رجل كان له عبدٌ؛ فتزوّج وزوَّج عبده في ليلة واحدة، فدخلا بامرأتَيْهِما في ليلة واحدة، ثم سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد، وولدنا غلامين، فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان؛ أيهما في رأيك المالك وأيهما المملوك وأيهما الوارث وأيهما الموروث؟

قال: إنما أنا صاحب حدود.

قال الإمام: فما ترى في رجلٍ أعمى فقأ عينَ صحيحٍ؛ وأقْطعَ قَطَعَ يد رجلٍ؛ كيف يقام عليهما الحدّ؟

ثم قال الإمام: يا نعمان هل تحسن أن تقيس رأسك؟

قال: لا.

قال الإمام: ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً، فهل عرفت الملوحة في العينين؛ والمرارة في الأذنين؛ والبرودة في المنخرين والعذوبة في الفم؟ وهل عرفت كلمة أولها كفرٌ وآخرها إيمان؟

ثم قال الإمام يا نعمان؛ حدَّثني أبي عن جدي عن آبائه: إن رسول الله (ص) قال: أول مَنْ قاس أمر الدين برأيه إبليس، قال الله تعالى له: اسجد لآدم، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس.

ثم ختم الإمام هذه المناقشات مخاطباً أبا حنيفة ـ في لفظ أبي نعيم ـ: «اتق الله ولا تقس الدين برأيك»، وفي لفظ الطبرسي وغيره: «إن دين الله لم يوضع على القياس»[١].

ومن طريف ما يروى في حوار الإمام مع أبي حنيفة وتنبيهاته إياه على خفايا المسائل الفقهية فيما تنطوي عليه من الخطأ والصواب ما ورد من أنه سأل أبا حنيفة يوماً: «ما تقول في محرمٍ كَسَرَ رباعية ظبي؟ قال: يا ابن بنت رسول الله (ص) لا أعلم ما فيه» فقال له الإمام: «أما تعلم أن الظبي لا تكون له رباعية وهو ثنيٌّ أبداً»[٢].

❀ ❀ ❀

وكان من جملة ذلك التراث النفيس الذي خلّفه الإمام للمفكرين والباحثين من رواد المعرفة وطالبي الحقيقة: ما أُثر عنه من المناظرات

---

(١) يراجع في نصوص هذه المناقشات: الكافي: ١/٥٨ وحلية الأولياء: ٣/١٩٧ والمناقب: ٢/٣٢٨ ـ ٣٢٩ والاحتجاج: ١٩٦ ـ ١٩٧ وحياة الحيوان، ٢/١٠٣ وبحار الأنوار: ٤٧/٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) وفيات الأعيان: ١/٢٩٢ وحياة الحيوان: ٢/١٠٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨٦ وشذرات الذهب: ١/٢٢٠.

البليغة والمحاججات الشيقة والجوابات الشافية الوافية؛ في كثير من مطالب الفلسفة وعلم الكلام؛ التي كان يطرحها الملحدون والمشككون من جهة، وذوو الآراء الاعتقادية من المسلمين من جهة أخرى. وتميزت أجوبة الإمام وردوده بالاستدلال المقنع والبرهان الواضح والشرح المعمّق والحوار الصريح، لأن الإمام كان ـ كما قال الشيخ محمد أبو زهرة ـ «على علم دقيق بالفلسفة ومناهج الفلاسفة؛ وعلى علم بمواضع التهافت عندهم»، ولهذا «اشتهرت مناظرات الإمام الصادق، حتى صار مصدراً للعرفان بين العلماء، وكان مرجعاً للعلماء في كل ما تعضل عليهم الإجابة عنه من أسئلة الزنادقة»[1].

وقد روى الرواة عن الإمام تلك الإجابات والمناقشات المعنيّة بأهم موضوعات الكلام والفلسفة بنصوصها التفصيلية الكاملة، وقد تضمنتْ ـ فيما تضمنت ـ البحث في حدوث العالم وإثبات المحدث؛ وفي التوحيد ونفي الأنداد؛ وفي الحاجة إلى الأنبياء والرسل؛ وفي الإرادة والمشيئة والقضاء والقدر والجبر والتفويض؛ وفي البداء والمحور والإثبات؛ وفي غير ذلك وما شاكله من فروع هذه الموضوعات وما يرتبط بها من أفكار وشؤون[2].

وللتمثيل والاستشهاد على ما أسلفنا ذكره نسوق النصوص الآتية:

أ ـ **رُوي** «أن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن محمد (ع)، فلما رفع الصادق يده من أكله قال: الحمد لله رب

(١) الإمام الصادق: ٩٩.

(٢) يراجع في ذلك كتب الحديث، ومنها: الكافي: ١/ ٨٢ ـ ٩١ و١٠٩ و١٢٨ ـ ١٢٩ و١٤٦ ـ ١٤٨ و١٥٨ و١٦٠ و١٦٣ و١٦٨ ـ ١٦٩ والإرشاد: ٢٩٩ ـ ٣٠١ وتحف العقول: ٢٥٨ ـ ٢٧٧ والاحتجاج: ١٨٠ ـ ١٩٨ وبحار الأنوار: ١٠/ ١٦٣ ـ ٢٣٣.

العالمين، اللهم هذا منك ومن رسولك (ص). فقال أو حنيفة: يا أبا عبد الله؛ أجعلتَ مع الله شريكاً؟! فقال له (ع): ويلك؛ أن الله تبارك وتعالى بقوله في كتابه: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ويقول عزَّ وجل في موضع آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فقال أبو حنيفة: والله لكأني ما قرأتهما قط من كتاب الله ولا سمعتهما إلا في هذا الوقت»[1].

ب ـ وجاء في خلال احتجاجه على أحد الزنادقة:

قال الزنديق: ما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟

قال الإمام: الشريف هو المطيع، والوضيع: العاصي.

قال الزنديق: أليس فيهم فاضل ومفضول؟

قال الإمام: إنما يتفاضلون بالتقوى.

قال الزنديق: فتقول إن ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلا بالتقوى؟

قال الإمام: نعم؛ إني وجدتُ أصل الخلق التراب، والأب آدم والأُم حواء، خلقهم إلهٌ واحد وهم عبيده. إن الله عزَّ وجل اختار من ولد آدم أناساً طهَّر ميلادهم وطيّب أبدانهم وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لا لأمرٍ استحقوه من الله عزَّ وجل، ولكن عَلِم الله منهم حين ذرأهم أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل

---

(١) بحار الأنوار: ٢١٦/١٠.

والحسب. وسائر الناس سواء إلا من اتقى الله، فإن من اتَّقى الله أكرمه، ومن أطاعه أحبَّه، ومن أحبّه لم يعذِّبه بالنار.

قال الزنديق: فأخبرني عن الله عزَّ وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحّدين وكان على ذلك قادراً؟

قال الإمام: لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب، لأن الطاعة ما كانت فعلهم، ولم تكن جنة ولا نار. ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، واحتج عليهم برسله وقطع عذرهم بكتبه، ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون، ويستوجبون بطاعتهم له الثواب وبمعصيتهم إياه العقاب.

قال الزنديق: فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشرُّ من العبد هو فعله؟

قال الإمام: العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره، والعمل الشرُّ العبد يفعله والله عنه نهاه.

قال الزنديق: أليس فعله بالآلة التي ركّبها فيه؟

قال الإمام: نعم، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قَدَرَ بها على الشرّ الذي نهاه عنه.

قال الزنديق: فإلى العبد من الأمر شيء؟

قال الإمام: ما نهاه الله عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه، ولا أمره بشيء إلاَّ وقد علم أنه يستطيع فعله، لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون»[1].

وهذا المعنى هو الذي لخَّصه الإمام (ع) بقوله الشهير: «لا جبر

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ١٧٠ ـ ١٧١.

ولا تفويض ولكنْ أمرٌ بين أمرين»، فلما سُئل عن معنى قوله: «أمر بين أمرين» قال: «مَثَلُ ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنتَ أنت الذي أمرتَه بالمعصية»[١].

ومثله أيضاً ما رُوي عنه (ع) أنه قال:

«الناس في القدرة على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك. ورجل يزعم أن الله أجبر العباد على المعاصي وكلَّفهم ما لا يطيقونه فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك. ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقونه ولم يكلّفهم ما لا يطيقونه؛ فإذا حسن حمد الله؛ وإذا أساء استغفر الله؛ فهذا مسلم بالغ»[٢].

وتفريعاً على ذلك روى المستشرق دونلدسن عن أبي حنيفة إمام المذهب قوله:

«لو لم يقل الإمام ثلاث مسائل لقبلتُ به. فقد قال: إن الخير من الله والشرّ من عمل عباده، وأقول: أن لا اختيار للعبد؛ وإن الخير والشر من الله. والثانية أنه قال: إن الشيطان يُعَذَّب يوم القيامة بالنار، وأقول: إن النار لا تحرقه؛ فهو من نار، والنار لا تؤذي نفسها. والثالثة: أنه قال باستحالة رؤية الله بالدنيا أو الآخرة، وأقول: أن كل موجود يمكن رؤيته إن لم يكن في هذه الدنيا ففي الآخرة».

«وكان بهلول يسمع ـ وهو من المتشيعين للإمام ـ فرفع لَبِنَةً وضرب بها رأس أبي حنيفة وقال وهو يهرب: لقد فندتُ مسائلك الثلاث.

(١) الكافي: ١/ ١٦٠.
(٢) تحف العقول: ٢٧٧.

فاشتكاه أبو حنيفة إلى الخليفة، فأمر ببهلول وجيء به، فسأله: لِمَ ضربتَ رأس أبي حنيفة بلبنةٍ؟ فقال: لم أفعل ذلك. فاحتجَّ أبو حنيفة قائلاً: ولكنك ضربتني، فأجاب بهلول: ألم تقل إن الشرَّ من الله ولا اختيار لعبد؛ فلِمَ تلومني؟ وقلت كذلك: إن الشيء لا يأذي نفسه، وأنت خُلِقتَ من تراب وكانت اللَّبنة من تراب فكيف أذتك؟ وقلتَ: إنك تقدر أن ترى الله؛ إذ كل موجود يمكن رؤيته حسب قولك، فأسألك أن تريني الألم الذي في رأسك»[١].

ج ـ روى عبد الكريم بن عتبة الهاشمي قال:

«كنتُ عند أبي عبد الله (ع) بمكة؛ إذ دخل عليه أُناس من المعتزلة فيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم وأناس من رؤسائهم، وذلك حين قُتل الوليد واختلف أهل الشام فيما بينهم، فتكلموا فأكثرو... قال لهم أبو عبد الله جعفر بن محمد (ع): إنكم قد أكثرتم عليّ فأطلتم، فاسندوا أمركم إلى رجل منكم فليتكلم بحجتكم وليوجز».

«فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبد... فكان فيما قال: قتل أهلُ الشام خليفتهم وضرب الله بعضهم ببعض وتشتَّت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروءة... هو محمد بن عبد الله بن الحسن، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ثم نظهر أمرنا معه وندعو الناس إليه، فمن بايعه كنا معه وكان منّا، ومن اعتزلنا كففنا عنه، ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه؛ ونرده إلى الحق وأهله. وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك إنه لا غنى بنا عن مثلك؛ لفضلك ولكثرة شيعتك».

---

(١) عقيدة الشيعة: ١٤٢ ـ ١٤٣.

«فلما فرغ قال لهم أبو عبد الله: أكلكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم».

«فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي، ثم قال: إنما نسخط إذا عُصِيَ الله، فإذا أُطيع رضينا. أخبرني يا عمرو؛ لو أن الأمة قلّدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤونة، فقيل لك: وِلِّها من شئت، مَنْ كنتَ تُوَلِّي؟».

«قال: كنتُ أجعلها شورى بين المسلمين».

«قال: بين كلِّهم؟».

«قال: نعم».

«قال: بين فقهائهم وخيارهم».

«قال: نعم».

«قال: قريش وغيرهم؟».

«قال: العرب والعجم».

«قال: فأخبرني يا عمرو؛ أتتولّى أبا بكر وعمر أو تتبرأ منهما؟».

«قال: أتولاهما».

«قال يا عمرو؛ إن كنتَ رجلاً تتبرأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما، وإن كنتَ تتولاهما فقد خالفتهما. قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور أحداً، ثم ردّها أبو بكر عليه ولم يشاور أحداً، ثم جعلها عمر شورى بين ستة فأخرج منها الأنصار وغير أولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم بشيء ما أراك ترضى به أنت ولا أصحابك».

«قال: وما صنع؟».

«قال: أمر صهيباً أن يصلي بالناس ثلاثة أيام؛ وأن يتشاور أولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم إلا ابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شيء، وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام ولم يفرغوا أن تضرب أعناق الستة جميعاً، وإن اجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيام وخالف اثنان أن تضرب أعناق الاثنين. أفَتَرْضون بذا فيما تجعلون من الشورى بين المسلمين؟».

«قالوا: لا».

«قال: يا عمرو... لو بايعت صاحبك هذا الذي تدعو إليه، ثم اجتمعت لكم الأمة ولم يختلف عليكم منها رجلان، فأفضيتهم إلى المشركين الذين لم يُسْلِموا ولم يؤدوا الجزية، كان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيرة رسول الله ـ (ص) ـ في المشركين في الجزية؟».

«قالوا: نعم».

«قال: فتصنعون ماذا؟».

«قالوا: ندعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية».

«قال: فإن كانوا مجوساً؛ وأهل كتاب؛ وعبدة نيران وبهائم وليسوا بأهل كتاب؟».

«قالوا: سواء».

«قال: فأخبروني عن القرآن؛ أتقرأونه؟».

«قالوا: نعم».

قال مخاطباً عمراً: «اقرأ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾، فاستثنى الله عزَّ وجل واشترط ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، فهم والذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟».

«قال: نعم».

«قال: عمن أخذتَ هذا؟».

«قال: سمعتُ الناس يقولونه...»[1].

وهكذا يستمر الإمام في حواره مع عمرو وأصحابه مشايخ المعتزلة وقادتهم الفكريين، بل هكذا هو ـ كما تقدم نقل بعضه والإشارة إلى بعض آخر ـ في جميع مناظراته ومحاجحاته ومحاوراته مع تلك الأعداد الكبيرة من المحاورين والمناظرين؛ من الزنادقة الملحدين؛ ومشككي الفلاسفة والمتكلمين؛ وذوي الآراء الخاصة من المسلمين، مما لا يتسع المجال لسرد تفاصيله في هذا البحث المختصر المحدود.

۞ ۞ ۞

ومن تراث الإمامة المشرق الخالد ما رواه الرواة من توجيهات الإمام السامية في إدارة الدولة وولاية الحكم ورعاية شؤون الناس، وتحديده الخطوط الأساسية لما يجب أن يتحلى به المتصدي للمراكز الإدارية من التزام وضبط وحسن تصرف وسلامة وأداء.

ومع أن الإمام الصادق (ع) لم يتسلّم سلطة ولم يتبوأ منصباً ولم

(١) الاحتجاج: ١٩٧ ـ ١٩٨.

يُبْتَل بمسؤوليات الحكم الدنيوي المباشر، فإن بعض القائمين على مثل هذه الأمور كانوا يلجأون إليه مستعينين برأيه وطالبين إرشاده، لمعرفة ما يلزمهم اتّباعه في العمل والسلوك؛ وما يفرضه الدين الحنيف من السيرة المثلى في الرعية؛ والإدارة الفضلى للمصالح العامة.

ومما رُوي في هذا الموضوع: أن عبدالله النجاشي كتب إليه يوماً يخبره بتولّي أمور ولاية الأهواز، ويطلب منه التوجيه والإرشاد في هذا الشأن، فأجابه الإمام جواباً مفصلاً يضم أبرز واجبات الوالي والتزاماته تجاه الناس، مما يصلح أن يكون منهجاً لذوي المسؤولية العامة في كل عصر ومصر. وكان من أهم تلك التعليمات:

- حقن الدماء، وكفّ الأذى عن أولياء الله، والرفق بالرعية، والتأني وحسن المعاشرة، مع لين في غير ضعف؛ وشدة في غير عنف».
- إياك والسعاة وأهل النمائم فلا يلتزقنّ منهم بك أحد».
- إياك أن تعطي درهماً أو تخلع ثوباً أو تحمل على دابّةٍ في غير ذات الله لشاعرٍ أو مضحك أو متمزّح إلا أعطيت مثله في ذات الله».
- لتكن جوائزك وعطاياك وخلعك للقواد والرسل والأجناد وأصحاب الرسائل... من أطيب كسبك».
- اجهد أن لا تكنز ذهباً ولا فضة».
- لا تستصفرنّ من حلوٍ أو فضَلِ طعامٍ تصرفه في بطون خالية».
- إياك أن تخيف مؤمناً».
- حدّثني أبي عن آبائه عن علي (ع) عن النبيّ (ص) قال: أدنى الكفر أن يسمع الرجلُ عن أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها، أولئك لا خلاق لهم».

ـ وختم كلامه قائلاً: ثم إني أوصيك بتقوى الله وإيثار طاعته والاعتصام بحبله، فإنه من اعتصم بحبل الله قد هُدِيَ إلى صراط مستقيم»[(١)].

❁ ❁ ❁

ولم يكن هذا الإمام العظيم المستوعَب الوقت في جميع ما أسلفنا ذكره؛ من تعليم أمور الدين؛ وإيضاح مسائل الشريعة؛ وتفسير القرآن والحديث، ومحاورة السائلين والمستفهمين؛ وبيان حقائق العلم والمعرفة في مختلف جوانبها وشتى ألوانها وسائر فروعها ومجالاتها، بعيداً عن دنيا الشعر أو بمنأى عن عالم الأدب، رواية واستشهاداً؛ وتمثُّلاً وانشاداً، إن لم نقل بأن الأمثلة المروية قد دلّت على مستوى عالٍ جداً من رهافة الحسّ وسرعة البديهة وسمو الذوق في انتقاء الأشعار وجودة الاستحضار وجمال الاختيار. ونورد فيما يأتي بعض الشواهد على ذلك مما وقفنا عليه في كتب الحديث والأدب.

أ ـ حدّث الإمامُ أحدَ أصحابه بحديث، ثم سأله بعد ذلك بحين: أخبرت بما أخبرتك به أحداً؟ قال: لا؛ إلا سليمان بن خالد. قال الإمام: «أحسنت؛ أما سمعتَ قول الشاعر:

فلا يعدوَنْ سري وسرُّك ثالثاً ألا كلُّ سرٍّ جاوز اثنين شائع[(٢)]

ب ـ قال له أحدهم يوماً: زعم بعض الناس أن أبا طالب مات كافراً، قال: «كذبوا؛ كيف يكون كافراً وهو يقول:

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ في أول الكُتبِ

وفي حديث آخر قال: كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول:

---

(١) بحار الأنوار: ٧٨/ ٢٧١ ـ ٢٧٧.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٢٤.

لقد علموا أن ابننا لا مكذّب   لدينا ولا يعبا بقيل الأباطل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل[١]

ج ـ كان عنده ذات يوم قوم يحدثهم ويحدثوه، «إذ ذكر رجلٌ منهم رجلاً فوقع فيه وشكاه، فقال له أبو عبيدة (ع): وأنَّى لك بأخيك كله، و(أي الرجال المهذّبُ)»[٢]، يشير إلى قول النابغة الذبياني:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه   على شعثٍ، أيُّ الرجال المهذّبُ

د ـ جاء في أثناء حديثٍ مرويّ عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: «لكن حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة أتياني فشتماه [يعني أحد أصحابه] عندي، فقلت لهما: لا تفعلا فإني أهواه؛ فلم يقبلا، فسألتهما وأخبرتهما أن الكفّ عنه حاجتي، فلم يفعلا... أمَا أني لو كرمتُ عليهما لكرم عليهما مَنْ يكرم عليّ، ولقد كان كثير عزّة في مودته لها أصدق منهما في مودتهما؛ حيث يقول:

لقد علمتْ بالغيب أني أخونها   إذا هو لم يكرم عليَّ كريمُها[٣]

هـ ـ «عن جعر بن محمد (ع): إذا قال لك أحدٌ: تزوجتُ نَصفاً، فاعلم أن شرّ النِّصفين ما بقي في يده، وأنشد:

وإنْ أتوكَ وقالوا إنها نَصَفٌ   فإن أطيب نصفَيها الذي ذهبا[٤]

❀ ❀ ❀

---

(١) الكافي: ١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩.
(٢) الكافي: ٢/ ٦٥١. وجملة (أي الرجال المهذب) من أمثال العرب، كما في أمثال أبي عبيد: ٥١ والمستقصى: ١/ ٤٤٩، ونصَّ الميداني في مجمع الأمثال: ١/ ٢٥ على أن النابغة أول من قال ذلك.
(٣) مجمع الرجال: ٦/ ١٢٤ و١٣٠.
(٤) العقد الفريد: ٦/ ١١٣.

وننتقل الآن ـ بعد هذا البيان الشامل ـ على إيجازه ـ لتراث الإمامة المتعلق بمعارف الإسلام وحقائق الدين ومسائل الاعتقاد وأمور البحث والفكر المتفرعة عن مجموع ذلك ـ إلى صفحة أخرى من صفحات ذلك التراث النفيس المبدع؛ يقف أمامها الباحث مدهوشاً مبهور الأنفاس، وقد يساور البعض الشكُّ في صحة انتساب ذلك للإمام الصادق (ع) لو لم يكن من المسلّمات التي لا يرقى إليها تردد ولا ريب لدى مؤرخي السلف وباحثي عصرنا الموضوعيين المعنيين بتاريخ الفكر والحضارة.

إنه تراث الإمام المرتبط بفروع العلوم الطبيعية والتطبيقية؛ كالطب والصيدلة؛ والحيوان والنبات؛ والكيمياء والمعادن؛ والفلك وأسرار الكون؛ وسائر ما يتعلق بذلك من شؤون وشجون. وقد أثار هذا الجانب إعجاب العلماء والمختصين على مرِّ القرون، كما أثار شيئاً من الشك لدى بعضٍ قليل منهم بدوافع ربما كانت غير سليمة المنشأ، وقد يكون منها ما يستند إلى التعصب الديني الأسود الذي يرفض أن يكون المسلمون رواد العلم في التاريخ، وقد يكون منها ما يمكن عزوه إلى التحزب الطائفي الذميم الذي شهدته السنون الخالية؛ في إبعاد كل فضيلة عن أئمة أهل البيت وأصحابهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ولكن الحقيقة الكبرى ـ على الرغم من ضباب الشكوك والشبهات ـ تصرخ مدوية بأن الإمام الصادق ـ كما يقول الشيخ الأزهري محمد أبو زهرة ـ «كان قوة فكرية في هذا العصر، لم يكتف بالدراسات الإسلامية وعلوم القرآن والسنة والعقيدة، بل اتجه إلى دراسة الكون وأسراره، ثم حلّق بعقله القوي الجبار في سماء الأفلاك ومدارات الشمس والقمر والنجوم»، و«عُني عناية كبرى بدراسة النفس الإنسانية. وإذا كان تاريخ الفلسفة يقرر أن سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الإنسان، فالإمام

الصادق قد درس السماء والأرض والإنسان وشرائع الديّان»[١].

ويقول هذا الشيخ أيضاً:

«إن قوى الإمام جعفر العقلية ما كانت لتقف به عند دراسة الفقه والحديث والقرآن، بل إنه ـ لتفرغه للعلم والعبادة ـ قد شغل عقله أيضاً بعلم الكون وما اشتمل عليه»[٢]، «وله آراء في تكوين الإنسان وطب الأجسام، فلم يقتصر (ع) على طب الأرواح بكلامه الحق، بل تصدى لطب الجسم»[٣].

ويقول الباحث السوري الدكتور محمد يحيى الهاشمي وهو يتحدث عن منهج المنطق التطبيقي الذي كان سبب تقدم العلوم في العصر الحاضر:

«إن جذر هذا المنهج هو عند الإمام الصادق وعند جابر بن حيان، والذي انتقل فيما بعد إلى غيرهما من مفكري العرب».

«إن بذور هذا المنهج العلمي البديع نجده في مبادىء الإمام الصادق وتلميذه جابر إذا أمعنّا فيهما النظر ودرسناهما دراسة متقنة، لأن انتقاد القياس وترك مجال الفكر الحر للاعتبار بالكون وآياته البينات، مما يوسّع حقل المعرفة ويفتح آفاقاً جديدة للبحث والتنقيب. هنا لا نجد كشفاً تاريخياً هاماً في علاقة جابر ابن حيان بإمامه جعفر الصادق فحسب، بل نجد أن ينبوع هذا المنهج الواقعي الرائع الذي يتجلى لنا في تاريخ الفكر العربي لأول مرة ـ على ما يظهر عند يعقوب بن إسحاق

(١) الإمام الصادق: ١٠١ ـ ١٠٢.
(٢) المصدر نفسه: ٢٩ ـ ٣٠.
(٣) المصدر نفسه: ١٨٤.

الكندي والفلاسفة الذين أتوا من بعده ـ هو من مصدر الإمام الصادق أيضاً»[١].

كما يقول هذا الباحث أيضاً:

«حقاً إن شخصية جعفر الصادق لا تزال غامضة تحتاج إلى مَنْ يكشف كنهها من المؤرخين، لا لأهميتها في تاريخ الفكر الإسلامي وتاريخ تطور الفكر البشري فحسب، بل لأن تاريخ العلوم يتطلب من يجلو كنهها لوجودها على مفترق الطرق... وما دام يكتنف مثل هذه الشخصية الفذة الظلام فكثير من الحقائق ستظل في طيّ الخفاء؛ وستظل في جهل مدقع في فهم كثير من تراثنا الفكري، لأن التعصب الذميم هو الذي طمس المعالم، ووضع أمامنا سدّاً حائلاً دون تفهُّم كنه الأساسات العميقة في بناء الحضارة العالمي»[٢].

وعلى هذا النحو نحا الكتّاب والباحثون المعاصرون الآخرون وهم يتحدثون عن التراث العلمي للإمام الصادق (ع) في جوانبه البعيدة عن الدراسات الإسلامية وما يتصل بها من مجالات وآفاق، ولما كان دوري هنا لا يتجاوز دور الناقل الأمين لما حرّره ذوو الاختصاص والخبرة في هذه الموضوعات لأني لست من دارسي تلك العلوم ولا من رجالها المتمرسين، فإني أروي تلك النصوص عن مصادرها المذكورة في الهوامش؛ متحرياً فيها الإيجاز والاختصار كما هو منهجي في كل فصول الكتاب ومطالبه، وبإمكان الراغب في المزيد أن يرجع إلى المصادر التي نقلنا منها هذه المقتطفات للوقوف على التفاصيل الوافية والمعلومات الشافية.

---

(١) الامام الصادق ملهم الكيمياء: ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٧.

ويتجلى تراث الإمام في الطب في عدد من النصوص المأثورة عنه، ولعل من أبرزها ـ أو هو أبرزها حقاً ـ تنبيه على وجود الدورة الدموية في الجسم؛ ومعرفته بمجالات حركتها، وذكره لها في ذلك العصر السابق لعصر «هارفي» الذي نُسِب إليه اكتشاف هذه الدورة بقرون، ويقول الإمام في بيان ذلك:

«فكِّر يا مفضَّل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير، فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوه إلى الكبد، في عروق دقاق واشجة بينهما، قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها، وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف. ثم إن الكبد تقبله فيستحيل فيها بلطف التدبير دماً، فينفذ إلى البدن كله في مجارٍ مهيّأةٍ لذلك، بمنزلة المجاري التي تُهيأ للماء ليطرد في الأرض كلها. وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى مغايض قد أُعدّت لذلك، فما كان منه من جنس المرّة الصفراء جرى إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من جنس البلة والرطوبة جرى إلى المثانة. فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن»[١].

وفي إشارة منه (ع) إلى الميكروب والفايروس والعدوى، قال في إحدى توجيهاته الطبية: «لايكلّم الرجل مجذوماً إلا أن يكون بينهما قدر ذراع»، وفي لفظ آخر: «قدر رمح»[٢].

وكان من جملة تعليماته الطبية أيضاً: إجازته الاستشفاء بواسطة العمليات الجراحية، وكذلك الاستشفاء باستعمال المشروبات السامة، وإن أضرَّ ذلك في بعض الحالات أو أدى إلى الموت، فقد جاء في

(١) توحيد المفضل: ٢٠ ـ ٢١.
(٢) وسائل الشيعة: ٨/ ٤٣١ ـ ٤٣٢.

الرواية عنه: أن سائلاً سأله عن الحكم الشرعي في «الرجل يشرب الدواء ويقطع العرق، وربما انتفع به وربما قتله؟»، فقال (ع) في الجواب: «يقطع ويشرب». وفي حديث آخر عن إسماعيل بن الحسن المتطبب قال: «قلتُ لأبي عبد الله (ع): إني رجل من العرب، ولي بالطب بصر؛ وطبي طب عربي... فإنَّا نبط الجرح ونكوي بالنار، قال: لا بأس، قلتُ: ونسقي هذه السموم الإسمحيقون والغاريقون، قال: لا بأس، قلت: إنه ربما مات، قال: وإن مات»(١).

إلى كثير وكثير من النصوص والشواهد التي يضيق بنقلها هذا الكتاب، ومن أراد الاطلاع على توجيهات الإمام الطبية والصحية في الوقاية والعلاج ليراجع كتاب توحيد المفضل وأبواب الأطعمة والأشربة من كتب الحديث، ففيها المزيد من ذلك.

أما ما أُثر عنه في حقول العلم الأخرى فهو كثير أيضاً، وكان من ذلك: عدّه النبات والأشجار من ذوات الأرواح(٢)، كما كان من ذلك أيضاً لفته الأنظار إلى اعتماد المرئيات على الضوء فلا ألوان بدونه؛ واعتماد المسموعات على الهواء فلا أصوات بدونه، وفي ذلك يقول:

«وانظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خُصَّ بها الإنسان في خلقه - إلى أن يقول -: فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات. فخلق البصر لِيُدرك الألوان، فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة. وخلق السمع لِيُدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها أرب. وكذلك سائر الحواس».

---

(١) الكافي: ٨/ ١٩٣.

(٢) توحيد المفضل: ١٠.

«ثم هذا يرجع متكافئاً، فلو كان بصرٌ ولم تكن ألوان لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم تكن أصوات لم يكن للسمع موضع. فانظر كيف قدَّر بعضها يلقى بعضاً، فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه؛ ولكل محسوس حاسة تدركه».

«ومع هذا فقد جُعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس إلا بها كمثل الضياء والهواء، فإنه لو لم يكن ضياء يُظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت»[١].

❀ ❀ ❀

وأما الكيمياء فلا مجال للتردد في كونها جعفرية النسب والحسب والمنطلق في تاريخ الإسلام، وقد صرح عدد من قدامى المؤرخين ـ غير مشككين ولا متوقفين ـ بأن للإمام الصادق كلاماً في صنعة الكيمياء[٢]، كما ذهب إلى مثل ذلك باحثو العصر الحديث وإن خلط بعضهم وخبط ولم ينتبه إلى ما سقط فيه من غلط ووهم. ونلخص فيما يأتي أهم ما وقفنا عليه في هذا الخصوص:

قال الشيخ محمد أبو زهرة:

«يذكر العلماء أن الصادق (ع) تكلم في كثير من العلوم، لم يكن كلامه مقصوراً على علوم الإسلام وما يتصل بها، بل تصدى للكلام في الطب وعلوم الطبيعة... ولا شك أن الخاصة التي اختص بها الإمام

(١) توحيد المفضل: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) وفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٥ وحياة الحيوان: ٢/ ١٠٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥.

الصادق ليست هي أنه عالم في الكيمياء أو الطبيعة أو الطب، وإنما الظاهرة الكبرى فيه... أنه كان أبرز أئمة عصره في علوم الإسلام»، «وان الاتفاق منعقد على أن جابراً كان أول المشتغلين بالكيمياء في المسلمين»، و«أن مؤرخي المسلمين يتفقون على حقيقتين: اشتغال جابر بالكيمياء والطبيعة، والثانية صلته بالإمام الصادق وأنه كان تلميذه»[1].

ثم يقول متحدثاً عن رسائل جابر بن حيان في الكيمياء:

«إن كل تشكيك في نسبة الرسائل إلى جابر لا يعتمد علمياً على أساس... ونجد أنه يذكر الصادق في هذه الرسائل بما يدل على أنه كان ذا صلة بها، يعلم بمضونها، ويوجهه في تدوينها»[2].

ويضيف إلى ما تقدم مؤكداً:

«إن هذه الرسائل من تأليف جابر، وأن الصادق كان يطلع عليها ويقر ما اشتملت عليه ويوجهه فيها، فهي إذن ليست من إملاء الصادق وإنما هي من عمل جابر، وأن جابراً كان يتلمّس موافقة الإمام على كتابته»، و«أن الإمام الصادق كان يلم بالعلوم الكونية والطبيعية، لأنه كان يحكم عليها بالصدق أحياناً وبالغموض أحياناً، وان ذلك بلا ريب تصرف العارف بموضوعها»[3].

ويقول الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي في أثناء ترجمته للإمام الصادق:

«تتلمذ عليه جابر بن حيان، وكان أبوه شيعياً قُتل دفاعاً عن

---

(١) الإمام الصادق: ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) الإمام الصادق: ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥٠.

الحقيقة وفي حب آل البيت، فاصطنع الإمام محمد الباقر ـ والد الإمام جعفر ـ ذلك الفتى اليتيم، وفقهه في الدين، حتى إذا ورث جعفر الأمانة أخذ بيد جابر بن حيان وتعهده وحثّه على دراسة علوم الحياة وزوّده بمعمل، وأمره أن ييسر كتاباته لينتفع بها الناس، وخصص له وقتاً في كل يوم يتدارسان فيه علوم الطبيعة والكيمياء والطب»[١].

ويقول عالم الكيمياء السوري الدكتور محمد يحيى الهاشمي:

«جابر بن حيان الصوفي الممثل الأول للكيمياء العربية»، وقد «ولد جابر في طوس من أعمال خراسان» بعد سنة ١٠٠ هـ/ ٧٢١ م، يوم أرسل العباسيون أباه إلى هناك للعمل ضد الحكم الأموي، «ثم أُرسل هذا إلى الجزيرة العربية للاتصال بقبيلته الأزد»، «ورحل جابر إلى الكوفة بعد أن انتصر العباسيون، وقد اتصل بالإمام جعفر الصادق وتتلمذ عليه»، و«لدى مطالعتنا للتراث الضخم الذي خلّفه لنا جابر عن الكيمياء نرى اعترافاً صريحاً بأن المعلم لهذه الصنعة هو الإمام جعفر الصادق»[٢].

ويقول المستشرق كراوس:

«جابر بن حيان الأزدي الكوفي تلميذ الإمام الشيعي السادس جعفر الصادق... ويقول جابر: إنه تلقى علومه من سيده جعفر الصادق، ويردها جميعاً إلى استاذه هذا الذي يسميه (معدن الحكمة) ويصرح بأنه لم يبق له ـ أي لجابر ـ إلا جمعها وترتيبها»[٣].

---

(١) شخصيات إسلامية: ٤١.

(٢) الإمام الصادق ملهم الكيمياء: ٢٩ ـ ٣٠ و٣٥.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ٦/٢٢٨ و٢٣١.

ويقول المستشرق هولميارد:

«إن جابراً هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه، وقد وجد في إمامه الفذ سنداً ومعيناً وراشداً أميناً وموجهاً لا يستغني عنه. وقد سعى جابر أن يحرر الكيمياء بإرشاد استاذه من أساطير الأولين التي علقت بها من الاسكندرية، فنجح في هذا السبيل إلى حد بعيد»[(١)].

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود:

«أما جعفر الذي كثيراً ما يرد اسمه في كتابات جابر مشاراً إليه بقوله: (سيدي) فهناك من يزعم أنه جعفر بن يحيى البرمكي، لكن الشيعة تقول ـ وهو القول الراجح الصدق ـ إنه إنما عني به جعفر الصادق. ونقول إنه مرجح الصدق لأن جابراً شيعي، فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لإمام شيعي، هذا إلى وفرة المصادر التي لا تتردد في أن جعفراً المشار إليه في حياة جابر ونشأته هو جعفر الصادق»[(٢)].

ويقول الدكتور محمد محمد فياض وهو يترجم لجابر بن حيان:

«وفي سنة ٧٤٩ م انتصر العباسيون على الأمويين واستولوا على الخلافة ورحل جابر إلى الكوفة، وتمكن بعد ذلك من أن يتصل بالإمام جعفر الصادق، وتلقى عنه الكيمياء، ولازمه ملازمة الصديق»[(٣)].

وهكذا تتفق الكلمة على أن جابر بن حيان أول عالم عربي مسلم عُني بالكيمياء والكتابة فيها، ويقول ابن خلدون في خلال حديثه عن علم الكيمياء: إن «إمام المدوّنين فيها جابر بن حيان، حتى أنهم يخصونها به

(١) الإمام الصادق ملهم الكيمياء: ٣٧.

(٢) جابر بن حيان ١٧ ـ ١٨.

(٣) جابر بن حيان وخلفاؤه: ٣٧.

فيسمونها: علم جابر»[١]، ويقول الأستاذ برتلو في بحثه الذي نشره بباريس عن الكيمياء عند العرب: «إن اسم جابر ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم أرسطو في تاريخ المنطق»[٢].

ولقد رأينا اتفاق الكلمة أيضاً على أن هذا العالم الكيميائي الأول لم يكن له أستاذ في علمه هذا إلاّ الإمام جعفر الصادق (ع).

وعلى الرغم من التسليم بذلك كله وعدم وجود ما يدل على خلاف ذلك؛ فإن الأمر لم يسلم من شكوك بعض المشككين وأوهام بعض المتوهمين، وكانت مسيرة الشك قد بدأت منذ عهد ابن النديم بما روى من ادعاء بعض المدعين بأن تلك المؤلفات المنسوبة إلى جابر قد كتبها غيره ونحلها إياه، وردّ عليها ابن النديم أبلغ ردٍ وأوجزه فقال:

«إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب، ويصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة، يُتعِب قريحته وفكره بإخراجه؛ ويُتعِب يدَه وجسمه بنَسْخه، ثم ينحله لغيره ـ إما موجوداً أو معدوماً ـ ضربٌ من الجهل، وإن ذلك لا يستمر على أحد ولا يدخل تحته من تحلّى ساعة واحدة بالعلم. وأيُّ فائدة في هذا وأي عائدة. والرجل له حقيقة. وأمره أظهر وأشهر، وتصنيفاته أعظم وأكثر»[٣].

ويعلّق الدكتور زكي نجيب محمود على هذه الشكوك في وجود جابر فيقول:

«هي قصة تتكرر مع كثيرين من نوابغ الفكر... فهوميروس قد وُجِد، وما يزال يوجد من أنكر وجوده. وشيكسبير قد وُجِد، وما يزال

(١) مقدمة ابن خلدون: ٤٤٧.
(٢) جابر بن حيان: ٢٤.
(٣) الفهرست ٤٢٠.

يوجد من أنكر وجوده. وامرؤ القيس قد وُجد من تَشَكَّكَ في وجوده»[١].

وإذن، فجابر بن حيان أمر واقع وحقيقة قائمة لا يرقى إليها ريب أو تردد، والشك في وجوده لا يقل غرابة عن الشك في أية حقيقة من حقائق التاريخ وأية مسلّمة من مسلّمات الحضارة الإنسانية.

ثم دسَّ عشاق التشكيك آنافهم مرة أخرى في هذا الأمر، فزعم المستشرق كاراده ڤو أنه وقف على رواية تقول: «إن شيخي جابر هما خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى عام ٨٥ هـ/ ٧٠٤ م... وجعفر الصادق»[٢]، وادعى الباحث روسكا ـ في خط مضاد لكاراده ڤو ـ أن جابراً قد «تعلّم الكيمياء في خراسان... وفي خراسان اجتمعت الصوفية الإسلامية والطب العربي القديم والتنجيم وغير ذلك، ويلزم أن تكون قد انتقلت أيضاً المعارف المصرية عن طريق سورية وأرض الرافدين إلى تلك الديار، فانتقل مع ما انتقل فن الكيمياء كذلك»[٣].

ثم كانت ثالثة أثافي المشككين مزاعم جرجي زيدان في قوله خلال حديثه عن تقدم المسلمين الأوائل في علم الصيدلة:

«إن تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات، ولا خلاف في أن العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم، وأن أول من اشتغل في نقلها إلى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية. وعنه أخذ جعفر الصادق»[٤].

---

(١) جابر بن حيان: ١١.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٦/ ٢٢٧.

(٣) الإمام الصادق ملهم الكيمياء: ٤١ ـ ٤٢.

(٤) تاريخ التمدن الإسلامي: ٣/ ١٨٥.

والحق أنه ليس في كل هذه المزاعم ما يمكن أن يُقبل، بل ليسي فيها ما يحتمل توهمه أو افتراضه أيضاً، وحسبنا في دحض ما ادعاه روسكا أن نقرأ تعليقة الدكتور محمد يحيى الهاشمي على ذلك؛ وقد ختمها بقوله:

«من الغريب أن يصدر هذا العالم حكمه قبل نشر آثار جابر ودراستها دراسة متقنة، فحكمه إذن ظنون وتخمينات لا تمت إلى اليقين بصلة»[١]، لأن جابراً قد أعلن في كل رسائله ومؤلفانه أنه قد استقى جميع ذلك من سيده جعفر، وأن مصدر معارفه ومعلوماته هو هذا الأستاذ بالذات، وليس له من أستاذ غيره.

وأما ادعاء أن خالداً بن يزيد كان من أساتذة جابر فهو من لأوهام الكبرى التي يدعونا أدب التعبير إلى تسميتها وهماً، ولا نقول غلطاً محضاً. لأن خالداً الأموي قد مات سنة ٧٠٤ م كما ذكر الدكتور زكي نفسه»[٢]، أو بعد سنة ٧٢١ م في أغلب الظن، فكيف تمت هذه التلمذة؟ وكيف يمكن أن يكون هناك لقاء بين الرجلين؟ وكيف انطلى الأمر على الدكتور زكي فاحتمل ذلك أو دار في خلده!!

وأما مقولة جرجي زيدان في أخذ جعفر علم الكيمياء من خالد فهو من الأوهام العظمى أيضاً، لأن ولادة جعفر كانت في سنة ٧٠٤ م على قول، فكيف حصلت تلمذة المولود في سنةٍ مّا على المتوفى في تلك السنة؛ أو تلمذة ابن ثلاث سنوات ـ وهو في الحجاز ـ على ساكن في بلاد الشام؟!!!

إنها مجموعة تخرصات وتخيلات لا تستند إلى غير الوهم؛ أو إلى

(١) الإمام الصادق ملهم الكيمياء: ٤٣.
(٢) جابر بن حيان: ١٥ و١٦.

دوافع أخرى لا يعلمها إلاّ الله المطلع على السرائر وحسبنا من كل ما تقدم هو الإيضاح والتبيين لطالبي الصواب والراغبين في معرفة الواقع.

هذا كله، إذا صحَّ أن خالد بن زيد كان على معرفة بالكيمياء كما ادعى مؤرخوه، ولكن الأمر موضع توقف بل رفضٍ عند المحققين من الباحثين، فقد ذكر الحافظ الذهبي ـ وهو ممن لا يتهم بالعداء للأمير خالد ـ في هذا الصدد ما لفظه:

«قال ابن خلكان: كان خالد يُعْرف بالكيمياء، وصنّف فيها ثلاث رسائل. وهذا لم يصح»[(١)].

وقال ابن خلدون في فصل الكيمياء من مقدمته.

«وربما نسبوا بعض المذاهب والأقوال يها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم»، ومن المعلوم البيّن «إن البداوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة... اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبّه باسمه»[(٢)].

وقال الباحث المعاصر الدكتور محمد يحيى الهاشمي:

«لا ندري إلى أي رجة تصل صحة انتساب خالد إلى الكيمياء، ولقد عثر الأستاذ روسكا على مؤلّف يُنسَب لخالد، ولكن لدى البحث والتمحيص تبيَّن له أن هذا الكتاب منتحل»[(٣)].

أما التعكُّز على ما جاء في الفهرست لإثبات هذا الأمر لخالد فغير سليم، لأن القدر المتيقن المستفاد من كلام ابن النديم أن نقل بعض

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ٤٤٧.

(٣) الإمام الصادق ملهم الكيمياء: ٢٩.

كتب الصنعة وترجمتها من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربية كان بأمر خالد هذا وتمويله، وان «هذا أول نقلٍ كان في الإسلام من لغة إلى لغة»[١]. وليس في ذلك ما يدل دلالة قاطعة على كون خالد من العارفين بالكيمياء والصنعة، وإنما هو الآمر بالنقل والمموّل له كما وقع في عصر الرشيد والمأمون؛ إذ لم ينسب إليهما العلم بمضامين تلك الكتب المترجمة.

❀ ❀ ❀

وعلى كل حال، فإن تراث الإمام الصادق (ع) الفكري ـ كما وقفنا على خطوطه العريضة فيما تقدم ـ كان أوسع من أن تستوعب عرضه صفحات محدودة كهذه الصفحات؛ ومساحة ضيقة كمساحة هذا الكتاب، ولذلك نكتفي هنا بما أسلفنا ذكره من اللمحات والشذرات، بأمل أن تكون قادرة على إرشاد القارىء النبيه إلى آفاق ذلك الموروث الثقافي العظيم، الشامل لجميع مجالات الفكر الإنساني؛ والفاتح لأبواب الحضارة والتقدم أمام مسلمي ذلك اليوم؛وهم يتطلعون إلى مستقبل زاهر وغدٍ مبني على أُسس راسخة من العلم والمعرفة وأدوات الإنطلاق.

ولم يبق لدينا مما يجب قوله في هذا الصدد إلا أن نقف وقفة متريثة فاحصة عند تلك الكتب والمؤلفات التي نسبتها المصادر القديمة والحديثة إلى الإمام الصادق (ع)، لنرى مقدار الصحة والثبوت في تلك النسبة، ولنضيف ـ من ثمَّ ـ ما صحَّ منها وثبت، إلى تراث الإمامة الزاهر الذي نحن بصدد استعراض موضوعاته وفصوله، ومعرفة مصادره وأصوله:

---

(١) الفهرست: ٣٠٣.

١ و٢ ـ كتابا «الجفر» و«الجامع»:

أ ـ كتاب الجفر:

لعل أوّل مَنْ نسب هذا الكتاب إلى الإمام الصادق (ع) هو ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب[١]، وقال فيه كما نُقِل عنه:

«كتاب الجَفْر: جِلدُ جفر[٢] كَتَب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق لآل البيت كلَّ ما يحتاجون إلى علمه وكلَّ ما يكون إلى يوم القيامة»[٣].

وهو الذي يشير إليه الشاعر أبو العلاء المعري في أواخر القرن الرابع بقوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لمّا أتاهم عِلمُهم في مَسْك جَفْرِ
ومرآة المنجِّم وهي صغرى أرَتْهُ كلَّ عامرةٍ وقفرِ[٤]

ثم تكررت نسبة هذا الكلام للإمام الصادق في المؤلفات المتأخرة عن ذلك التاريخ[٥].

وقال ابن خلدون عند الكلام على الملاحم وما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها وإلى الدول وأعمارها:

---

(١) أسقط محقق الكتاب محمد محي الدين عبد الحميد الفقرة المتعلقة بالجفر من أصل كتاب أدب الكاتب في طبعته له بتحقيقه في القاهرة في سنة ١٣٨٢هـ، وتابعه على إسقاطه ناشره الآخر علي فاعور الذي سمى نفسه شارحا ومعلقاً في طبعة بيروت للكتاب في سنة ١٤٠٨هـ.

(٢) الجفر: ولد الماعزة إذا بلغ أربعة أشهر وفُصِل عن أمه.

(٣) حياة الحيوان: ١/ ١٩٧ ـ ونصَّ على نقل ذلك من أدب الكاتب ـ، ومثله في نور الأبصار: ١٣٣ ودائرة المعارف الإسلامية: ٧/ ٤٦.

(٤) لزوم ما لا يلزم: ٣٢٢.

(٥) الفصول المهمة: ٢٠٥ وكشف الظنون: ٢/ ١٤٠٩ وهدية العارفين: ١/ ٢٥١.

«وقع لجعفر وأمثاله من أهل الكتاب كثير من ذلك، مستندهم فيه ـ والله أعلم ـ الكشف بما كانوا عليه من الولاية، وإذا كان مثله لا يُنكَر من غيرهم من الأولياء... فهم أوْلى الناس بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة»[١].

ثم قال بعد ذلك وهو يتحدَّث عن كتاب الجفر وما فيه من أخبار الدول:

«اعلم أن كتاب الجفر كان أصل له أن هارون بن سعيد العجلي ـ وهو رأس الزيدية ـ كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم؛ ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص. وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر في جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه (الجفر) باسم الجلد الذي كتب فيه، لأن الجفر في اللغة هو الصغير. وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم... وهذا الكتاب لم تتصل روايته... ولو صحَّ السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه؛ فهم أهل الكرامات. وقد صحَّ عنه أنه كان يحذِّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول، وقد حذّر يحيى ابن عمه عن مصرعه؛ وعصاه فخرج وقُتِل بالجوزجان كما هو معروف. وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً وديناً وآثاراً من النبوة وعناية من الله بالأصل الكريم»[٢].

وفي العصر الحديث أورد المستشرق بروكلمان اسم هذا الكتاب

---

(١) المقدمة: ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٠.

وشك في نسبته إلى الإمام الصادق[١]، وكذلك شك المستشرق ماكدونالد في النسبة واستدل على شكه بأمرين: (أولهما) عدم وجود دليل لديه على استعمال كلمة الجفر بمعنى الرق أو الجلد، و(ثانيهما) عدم ذكر ابن النديم للجفر؛ مع أنه «أشار في مواضع كثيرة من كتابه إلى جعفر الصادق... ووصل بينه وبين جابر بن حيان الكيميائي في غير ما تردّد»[٢].

والحق أنه ليس في هذين الأمرين ما يصح الاستدلال به على إثبات النفي، إذ لم يفهم المستشرق المذكور ـ فيما سمّاه دليلاً أول ـ سبب استعمال الجفر هنا بمعنى الرق، ومعلوم أن الرق كان يؤخذ من جلود الحيوانات، وأن تسمية هذا النوع من الرق بالجفر مرتبطة بنوع الحيوان الذي انتزع جلده للكتابة عليه، وهو ـ كما جاء في اللغة ـ ولد المعز.

وأما استدلاله بعدم ذكر ابن النديم للكتاب فغير وارد أيضاً، لأن سبب عدم الذكر راجع في الحقيقة إلى كون هذا الكتاب متعلقاً بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) كما يأتي بيانه، ولذلك لا يمكن عدُّه من كتب الإمام الصادق ولا يصح انتسابه بهذا المعنى إليه، وإنما كان بحوزته بحكم كونه وارث آبائه، ثم انتقل بعد وفاته إلى أولاده، وقد ذكره الإمام الرضا (ع) مستشهداً بما ورد فيه جواباً للمأمون حينما كاتبه بشأن ولاية العهد؛ ولذلك قال الدكتور محمد يحيى الهاشمي: «هذا الكتاب ليس من تأليف الإمام الصادق، ولا توجد أية رواية تنسب ذلك إليه، وجل ما في الأمر أنه كان في حوزته إن صحت الرواية»[٣].

---

(١) تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٦٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٧/ ٤٧.

(٣) الإمام الصادق ملهم الكيمياء: ١٧١.

والصحيح الثابت أن هذا الكتاب لم يكن من تحرير الإمام الصادق (ع) وتدوينه، وإنما هو من تدوين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)[١]، ثم توارثه أولاده الأئمة (ع) إماماً بعد إمام، ولكنه بقي مستوراً لديهم لم يُعرف خبره بين الناس إلا في عصر الإمام الصادق، حينما توفر له هامش من الحرية والاطمئنان أثناء الفترة التي شهدت انهيار الدولة الأموية وانشغال العباسيين ببناء دولتهم الجديدة، فشاع حينذاك أمره، واشتهر ذكره.

وتُجمع الروايات المنقولة عن الإمام الصادق على أنه كان يقول: «عندنا الجفر»، وتدل كلمة «عندنا» بصراحة على كونه موجوداً عنده من مواريث آبائه، كما يبدو من تلك الروايات المعنية بتراث الأئمة من الجفر والجامعة ومصحف فاطمة[٢]: إن الجفر جفران: الجفر الأبيض، وهو «وعاء من أدم»، «مملوء علماً»، فيه «قضايا علي وفرائضه» و«عِلمُ ما يحتاج الناس إليه» وجميع «الحلال والحرام... حتى أرش الخدش»[٣]. والجفر الأحمر، وفيه السلاح؛ يعني سلاح رسول الله (ص) وسيفه ودرعه ولواءه وخاتمه»[٤].

(١) ذكر المستشرق بروكلمان كتاب الجفر في عداد الكتب المنسوبة لعلي ـ (ع) ـ. تاريخ الأدب العربي: ١/ ١٨٢.

(٢) مصحف فاطمة (ع): كتابٌ فيه ما يكون من حادثٍ؛ وأسماءُ كل من يملك إلى أن تقوم الساعة؛ وفيه وصية فاطمة أيضاً، وليس فيه قرآن، وتراجع أحاديث الإمام الصادق في هذا المصحف في الكافي: ١/ ٢٤٠ و٢٤١ والإرشاد: ٢٩٢ والمناقب: ٢/ ٣٢٦ و٣٤٧. وكأنه سمي مصحفاً باسم ما فيه من الصحف المكتوبة، وجاء في إحدى الروايات إنه بخط علي (ع).

(٣) الكافي: ١/ ٢٣٩ و٢٤٠ و٢٤١ والإرشاد: ٢٩٢ والمناقب: ٢/ ٣٤٧ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٧٢.

(٤) الكافي: ١/ ٢٣٣ و٢٣٦ و٢٤١ والإرشاد: ٢٩٢ والمناقب: ٢/ ٣٤٧ والاحتجاج: ٢٠٢ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٧١ و٢٧٢.

وقال حاجي خليفة نقلاً من طاشكبري زاده: «إن الخليفة المأمون لمّا عهد بالخلافة من بعده إلى علي بن موسى الرِّضا وكتب إليه كتاب عهده، كتب هو في آخر ذلك الكتاب: نعم؛إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أن ها الأمر لا يتم. وكان كما قال، لأن المأمون استشعر فتنة من بني هاشم، فسمّه».

وروى حاجي خليفة أن هذا الكتاب إنما سُمِّي بالجفر، لأن النبي (ص) لمّا أسَرَّ علياً (ع) بمضامينه وأمره بتدوينها كتبه عليٌّ في جفرٍ، يعني في رَقٍّ قد أُخذ من جلد المعز الصغير، فاشتهر بين الناس به.

ثم روى أن الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة النصيبي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢ هـ قد ألف مجلداً صغيراً سماه (الجفر الجامع والنور اللامع) ذكر فيه أن «الأئمة من أولاد جعفر يعرفون الجفر، فاختار من أسرارهم فيه»[١].

وقال الشيخ آقابزرك الطهراني مؤكداً ما تقدم ذكره.

إن وجه تسمية هذا الكتاب بالجفر «إنما هو لكونه مكتوباً أولاً في الجفر»، وروى عن الشيخ بهاء الدين العاملي قوله: «قد تضافرت الأخبار بأن النبي ـ (ص) ـ أملى على عليٍّ كتابَي الجفر والجامعة، وأن فيهما علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[٢]، كما روى عن الشريف الجرجاني قوله في شرح المواقف: «إن الجفر والجامعة كتابان لعلي ـ (ع) ـ ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكان الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونها ويحكمون بها»[٣].

---

(١) كشف الظنون: ١/ ٥٩١ ـ ٥٩٢.

(٢) الذريعة: ٥/ ١١٨.

(٣) الذريعة: ٥/ ١١٩.

وليس في كل ما تقدم ما يدعو إلى غرابة أو عجب، كما أنه لا يتضمن ادعاءً من الأئمة (ع) بعلم الغيب الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من أنبيائه ورسله ـ وإن تخيل بعضهم ذلك ـ وإنما هو في حقيقته رواية مباشرة من رسول الله (ص) كما صرَّح بذلك الأئمة وردَّدوه وكرَّروه، أو كما قال عليٌّ (ع) لأحد أصحابه حينما قال له: «لقد أُعطيتَ يا أمير المؤمنين علم الغيب» فأجابه بصريح اللفظ وواضح الكلام: «ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلُّم من ذي علم، علّمه الله نبيّه فعلَّمنيه»(١).

ووردت في كتب الحديث المتداولة بين المسلمين والمعتمدة لديهم روايات متعددة عن عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وحذيفة وغيرهم تذكر أن النبي ـ (ص) ـ صلَّى بأصحابه يوماً صلاة العصر ثم قام فيهم خطيباً ـ أو قام فيهم خطيباً بدون ذكر صلاة العصر ـ فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرهم به، وفي بعضها: أنه حدّثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»، وأنه «حفظه من حفظه ونسيه من نسيه»، ونصَّ الترمذي على أنه «حديث حسن صحيح»(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن (الجفر) في أصله اسمٌ لكتاب جمع فيه عليَّ (ع) أخبار الغيب الذي هو كائن بعد ذلك؛ مما حدَّث به رسول الله (ص) وبيّنه. ثم تطورت استعمالات هذه الكلمة على مرور الأيام فخرجت عن كونها اسم كتاب معين؛ لتصبح اسماً لما عدُّوه علماً من العلوم المعروفة، وفي ذلك يقول حاجي خليفة:

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢) يراجع في هذه الأحاديث: صحيح البخاري: ٤/ ١٢٩ وسنن أبي داود: ٢/ ٤١٠ وسنن الترمذي: ٤/ ٤٨٣ و٤٨ ومسند أحمد: ٤/ ٢٥٤ و٥/ ٣٨٥ و٣٨٩ و٤٠١.

«ادعى طائفة أن الإمام علي بن أبي طالب (ع) وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد الجفر، يُسْتَخرَج منها بطرق مخصوصة وشرائط معيّنة ألفاظٌ مخصوصة يُسْتَخرَج منها ما في لوح القضاء والقدر. وهذا عِلمٌ توارثه أهل البيت ومَن ينتمي إليهم ويأخذ منهم من المشايخ الكاملين، وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان. وقيل: لا يقف في هذا الكتاب حقيقة إلا المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان»[1].

ويقول الفاروقي التهانوي عن الجفر:

وهو علمٌ يبحث فيه عن الحروف من حيث هي بناء مستقل بالدلالة ويسمى بعلم الحروف وبعلم التكسير أيضاً، وفائدته الاطلاع على فهم الخطاب المحمدي الذي لا يكون إلا بمعرفة علم اللسان العربي... ويعرف من هذا العلم حوادث العالم إلى انقراضه»، ثم نقل عن شارح المواقف قوله: «ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت، ورأيتُ أنا بالشام نظماً أُشير فيه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر، وسمعتُ أنه مستخرج من ذينك الكتابين [يعني الجفر والجامعة]»[2].

ويقول الشيخ آقابزرك الطهراني عن علم الجفر:

إنه «آلة يستعلم بها الحوادث على طريق الحدس من الحروف الهجائية، حيث يثبتون لكل منها خواصّ؛ وفي اجتماع كلٍّ منها مع الآخر تأثيرات تحصل من تفاعل خاصياتها. وقد كُتب في هذا الفن قديماً وحديثاً كتبٌ أدرج فيها مؤلفوها تحقيقاتهم وتجريباتهم

(١) كشف الظنون: ١/ ٥٩١.

(٢) كشافة اصطلاحات الفنون: ١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

وحدسياتهم، وكلٌّ ينسب أصل هذا العلم إلى النبي ـ(ص) ـ والأئمة (ع)»[1].

وخلاصة القول: إن أصل كتاب الجفر كما ترشدنا إليه النصوص الثابتة إنما هو من تدوين عليّ (ع) لما أملاه عليه النبي (ص) أو أخبره به من المغيبات الآتية، منزّهاً عن كل ما أُضيف أو أُلحق بهذه الحقيقة الواضحة في العصور المتأخرة من شؤون ومصطلحات لا تمت إلى ذلك الأصل بصلة أو ارتباط؛ كـ «البسط الأعظم» و«خواص الحروف» و«تأثيرات تفاعل الخاصيات». ولقد ابتعد الدميري عن الصواب كثيراً حين قال: «وكثير من الناس ينسبون الجفر إلى علي بن أبي طالب (ع)؛ وهو وهمٌ، والصواب أن الذي وضعه جعفر الصادق»[2]، والصواب إنما هو في عكس ما صوّب كما أسلفنا وأن علياً هو الراوي والمدوّن وليس الواضع له.

ولعل أغرب ما قرأت في هذا الشأن ما ذهب إليه الشيخ محمد أبو زهرة تعليقاً على الجفر فقال:

«إننا ننفي نسبة الكلام في الجفر إلى الإمام الصادق؛ لأنه يتعلق بعلم الغيب، والله سبحانه وتعالى قد انفرد وحده بعلم الغيب، ولا يعطى إلا بعض الأنبياء ليثبتوا به رسالتهم»، «وعندي أن الذين أدخلوا فكرة الجفر عند الإمامية الإثني عشرية هم الخطابية أتباع أبي الخطاب، فقد جاء في الخطط المقريزية: زعمت الخطابية بأجمعها أن جعفر بن محمد الصادق قد أودعهم جلداً يقال له جفر؛ فيه كل ما يحتاجون إليه من علم الغيب وتفسير القرآن»[3].

---

(١) الذريعة: ٥/ ١٢٠.

(٢) حياة الحيوان: ٢/ ١٠٣.

(٣) الإمام الصادق: ٣٥ و٣٧.

وكان الأوْلى بالشيخ المذكور أن لا يتعجل في إصدار الحكم فينسب الأمر برمته إلى الخطابية و الغلاة أو من لفَّ لفهم، بل كان المأمول منه أن يتروى قليلاً فيستحضر في ذهنه الأحاديث الصريحة الناصّة على أن النبي ـ(ص) ـ قد أخبر من كان حوله من الصحب بما هو كائن إلى قيام الساعة. أو أن الأولى به أن يكون في الأقل كابن خلدون في نسبة العلم بهذه المغيّبات إلى الأئمة على طريق الكرامة والكشف لأنهم «أهل الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة» كما قال، وإن كنا لا نتفق مع ابن خلدون في هذا التخريج، لاعتقادنا بأنه علم غيبٍ مأثور عن النبي ـ(ص) ـ وقد حدَّث به أصحابه فـ «حفظه من حفظه ونسيه من نسيه»، وكانت إحدى مآثر علي ـ(ع) ـ أن يحفظ ما سمع فيدوّنه على الجفر، ثم يورّث ذلك المكتوب لأولاده الأئمة من بعده.

ب ـ الجامعة:

وهي ـ كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق ـ: «صحيفة طولها سبعون ذراعاً. . . باملاء رسو الله ـ(ص) ـ من فلق فيه وخطَّ عليّ بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش»[١]. وفي رواية أخرى عنه أيضاً: «إن عندنا كتاباً بإملاء رسول الله ـ(ص) ـ وخطِّ عليّ (ع) صحيفة فيها كل حلال وحرام»[٢].

وقد تكرر في الأحاديث المروية عن الأئمة ذكر «كتاب عليّ» والاستشهاد بما ورد فيه[٣]. وكأن المراد به كتاب الجامعة هذا أو كتاب الجفر المتقدم.

(١) الكافي: ١/ ٢٣٩ و٢٤١ والإرشاد: ٢٩٢ والمناقب: ٢/ ٣٤٧ وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٧١.

(٢) الكافي: ١/ ٥٧ و٢٤٢.

(٣) الكافي: ٢/ ٧١ و١٣٦ و٢٥٩ و٢٧٨ و٣٤٧ و٤٨٦ و٦٦٦.

ووهم حاجي خليفة في قوله: بأن «الجامعة اسم كتاب في الجفر منسوب إلى الإمام جعفر الصادق»[١]، والصحيح ما ذكرناه من كونها صحيفة من إملاء النبي (ص) وخطّ عليّ (ع) فيها كل حلال وحرام[٢]. وقال المستشرق ماكدونالد بعد حديثه عن كتاب الجفر: «والجامعة كتاب آخر مماثل للجفر يتردد ذكره في هذه المناسبة»[٣].

والمستفاد من مجموع النصوص الماثلة فيما يخص هذين الكتابين أن (الجفر) يحوي ما يتعلق بما هو كائن من أمور الدنيا وتقلبات الأيام؛ وشؤون الدول والحكام؛ وما ارتبط بذلك وتفرّع عنه من أسماء ومسميات، وان (الجامعة) تضم الأحكام الشرعية والفروع الفقهية وشؤون الحلال والحرام في الإسلام حتى الأرش في الخدش.

ويعترف الشيخ محمد أبو زهرة وهو يتحدث عن كتاب الجامعة: «إن علياً ـ (ع) ـ كان يكتب بعض المذكرات، وكانت في قرابة سيفه مذكرة عن الديات ومقاديرها»[٤]

ويقول بعد استعراض الظروف السياسية المعادية لأهل البيت في العصر الأموي: «إن ذلك يتقاضانا أن نفرض أن تكون ثمة مجموعة عند آل البيت حملها أولاد علي (ع) ثم حمّلوها أولادهم من بعدهم... وربما كانوا يستخفون به أحياناً ويعلنونه أحياناً، ومهما يكن فقد كان جزء كبير من علم آل البيت هو علم عليّ؛ آل إليهم من تركته المثرية»[٥].

---

(١) كشف الظنون: ١/ ٥٧٧، ومثله في هدية العارفين: ١/ ٢٥١.

(٢) الذريعة: ٥/ ١١٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية: ٧/ ٤٧.

(٤) الامام الصادق: ٩٤.

(٥) المصدر نفسه: ١٦٤.

ويقول أيضاً:

«كانت قضايا علي وفتاويه وآراؤه كلها في آل بيته الكرام، يتناقلونه خلفاً عن سلف، ويتدارسون ويخرّجون عليه»[1].

ولكن الشيخ المذكور على الرغم من إقراره واعترافه الماثل يناقض ذلك ويخالف ما سبق منه ذكره فيقول:

«إن ما ينسب إلى عليّ إن كان قد كتبه في عصر النبي ـ(ص) ـ بإملائه فذلك موضع نظر واختلاف بين الإمامية والسنية، ولعل ذلك لا يتفق مع حياة علي ـ(ع) ـ والنبي ـ(ص) ـ حيٌّ بين ظهراني المسلمين، لأن علياً بطل الإسلام كان منصرفاً للجهاد فمرة يذهب على رأس سريَّة، ومر يرسله على رأس جيش، فهو بين حركة دائبة لغوب لا تصرفه إلى كتابة الأحاديث إملاء»[2].

وهذا الكلام ـ إذ يصدر من باحث نشهد له بالعلم والفضل ـ غريب جداً إلى أقصى حدود الغرابة، لأننا عندما ندرس السيرة النبوية الشريفة ومواقف علي (ع) خلالها لا نجد له تلك «الحركة الدائبة اللغوب» التي لا تتيح له الحضور في مجالس النبي (ص)؛ ولا تفسح له وقتاً أو مجالاً لسماع خطبه وتدوين أماليه وكتابة ما يتحدث به عن عالم الغيب أو أحكام الشريعة، بل أجمعت الروايات التاريخية على أن حضوره في معارك الإسلام ومشاركته في جهاد الكفار والمشركين كان محصوراً في دائرة الحروب الكبرى والمعارك الفاصلة، فلم يسجّل له غياب عن المدينة المنورة فيما بين معركتي بدر وأُحَد ـ مثلاً ـ أو بين معركتي أُحد والأحزاب؛ إلا في النادر من الأيام.

---

(١) المصدر نفسه أيضاً: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) الإمام الصادق نفسه: ٤٢٦.

٣ ـ كتاب التوحيد:

وهو كتاب يعنى بمعرفة وجوه الحكمة في إنشاء العالم السفلي وبيان أسرار موجوداته واختلاف أنواعه وأجناسه ودقائق الفروق في كل ذلك، وقد أملاه الإمام على المفضل بن عمر الجعفي الكوفي المتوفى بعد سنة١٨٣ هـ، ـ وهو أحد أصحاب الإمام الذين أورد السلف رواياتهم في مجموعاتهم الحديثية؛ وإن أخضعوها كغيرها من الأحاديث لقواعد الرواية والدراية وضوابطها المقررة ـ فكتب المفضل تلك الأمالي بخطه، وحدَّث به محمد بن سنان فرواه عنه[١]، ثم اشتهر بين الناس بعد ذلك باسم «توحيد المفضل».

وكان هذا الكتاب معروفاً لدى المؤرخين والباحثين منذ القرون الأولى، وقد ذكره النجاشي ـ في النصف الأول من القرن الخامس ـ وسمّاه «كتاب فَكِّر كتابٌ في بدء الخلق والحث على الاعتبار»، وذكر أنه يرويه وبعض كتب المضل الأخرى عن أبي عبد الله بن شاذان عن أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه عن عمران بن موسى عن إبراهيم بن هاشم عن محمد بن سنان عن المفضل[٢]، وكأن تسمية النجاشي الكتاب بـ (فَكّرْ) ناشئة من تكرار ما ورد فيه على لسان الإمام مخاطباً المفضل: «فكر يا مفضل» و«لو تفكرتَ» و«أُطلِ الفكر».

كذلك ذكره السيد علي رضي الدين آل طاووس ـ في القرن السابع ـ وسمّاه: كتاب المفضل بن عمر الذي رواه عن الصادق في معرفة وجوه

---

(١) هناك من المؤرخين مَنْ ضَعَّف المفضل بن عمر ومحمد بن سنان وقدح فيهما، ولكن المجلسي في بحاره: ٣/ ٥٥ ـ ٥٦ يذكر أن الظاهر من الأخبار الكثيرة علو قدرهما وجلالة شأنهما.

(٢) رجال النجاشي: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

الحكمة في إنشاء العالم السفلي وإظهار أسراره[١]، وأجاز الشيخ محمد فاضل بن محمد مهدي المشهدي، وذكر أن سند روايته للكتاب يتصل إلى الصدوق ومنه عن محمد بن الحسن بن الوليد عن الحسن بن متيل عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه عن محمد بن سنان عن المفضل[٢].

وأورد الشيخ محمد باقر المجلسي نصَّ الكتاب في موسوعته بحار الأنوار ـ في القرن الحادي عشر أيضاً ـ وسمّاه «الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر»، وكانت لديه نسخ متعددة من الكتاب كما يشير إلى ذلك في خلال إيراد النص وشرح بعض مفرداته[٣].

وذكره في عصرنا الحاضر كلٌّ من المستشرق بروكلمان والشيخ الطهراني[٤]. ولعله هو المشار إليه في بعض المصادر المعنية بترجمة الإمام الصادق بقولهم: «له كلام نفيس في التوحيد»[٥].

وقد طُبع الكتاب عدة مرات. وترجم إلى الفارسية عدة ترجمات، وله أكثر من شرح[٦].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة بعد إيراد فقرات من هذا الكتاب:

«ليس عندنا ما يوجب ردّ نسب هذه الرسالة إلى الإمام الصادق... وإن أقوال المؤرخين تضافرت على أن جابر بن حيان كان

---

(١) الأمان: ٧٨ وكشف المحجة: ٩.
(٢) بحار الأنوار: ١١٠/١١٩ ـ ١٢٠.
(٣) بحار الأنوار: ٣/٥٧ ـ ١٥١.
(٤) تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ والذريعة: ٤/ ٤٨٢.
(٥) مرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٠.
(٦) الذريعة: ٣/ ١ج و٤٨٢ و٤٨٣ وهامش ص ٢٨ من كتاب طب الإمام الصادق (ع) للشيخ الطبيب محمد الخليلي.

ذا صلة وثيقة بالإمام الصادق. واقتبس من علمه الكثير. وتضافرت أقوالهم أيضاً على أنَّه تحدّث إليه في طبائع الأشياء وخواصّها ومزْجِ بعضها ببعض. وإن هذا يومىء بأن الرسالة التي نقلنا عنها الفقرات السابقة لها شواهد ترجّح صدق ما اشتملت عليه[١].

ويقول الدكتور محمد يحيى الهاشمي بعد استشهاده بنصوص من هذا الكتاب:

«وحقاً إن كل ما يورد المفضل عن الإمام الصادق جدير بالدراسة والإهتمام»، وإننا «نجد في رسالة توحيد المفضل كلمة صريحة عن الكيمياء» ويتساءل بعد ذلك قائلاً: «أوليس الذي أوحى هذه الأفكار السامية للاعتبار بالآيات الكونية غير عاجز أن يوحي إلى جابر بن حيان ما أوحى». ثم يقارن بين أفكار هذا الكتاب وكتاب الدين والعلوم الطبيعية للفيزيائى الشهير ماكس بلانك المطبوع في برلين سنة ١٩٣٨ م ويقول: بهذه المقارنة تكون لرسالة توحيد المفضل قيمة عصرية جديدة»[٢].

ويقول الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة مدير دار الحديث بمكة المكرمة وهو يقدم لنشرته لهذا الكتاب في سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م.

«كنتُ رأيتُ عند بعض الإخوان رسالة تسمى (التوحيد) للإمام جعفر الصادق ـ (ع) ـ يذكر فيها آيات الله في الأنفس والآفاق... فرأيتُ أن الحاجة ملحّة لنشر هذه الرسالة القيمة... وقد صححتها على قدر الطاقة»[٣].

(١) الإمام الصادق: ٣٢.

(٢) الامام الصادق ملهم الكيمياء: ١٧٤ ـ ١٧٦.

(٣) كتاب التوحيد ـ طبعة الشيخ المذكور: ٣ ـ ٤.

وكان محمد راغب الطباخ الحلبي قد نشر كتاب التوحيد هذا في سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٩ م؛ مطبوعاً بالمطبعة العلمية في حلب؛ باسم «الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير» وعزاه لعمرو بن بحر الجاحظ.

ومع أن الكتاب معزوّ للإمام الصادق ولرواية المفضل بن عمر منذ القرن الخامس الهجري كما أسلفنا؛ ومشهور بذلك في فهارس المصنفات وفي صدر طبعاته المتقدمة على تاريخ طبعة الطباخ ـ وفي ذلك الكفاية في تصحيح النسبة ـ فإن مقارنته بكتب الجاحظ قلماً وأسلوباً ونسباً ومطلباً دليل صريح على بطلان نسبته للجاحظ.

ومن حسن حظ العلم والبحث أن يتناول الإمام في كتاب التوحيد عدة أمور تتعلق بالحيوان، وأن يكون الجاحظ قد ألَّف كتاباً في الحيوان ـ وهو مطبوع ومتداول ـ وأن نظرة موضوعية يلقيها المدقق على الكتابين في الموضوعات المشتركة بينهما تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن نسبة كتاب التوحيد للجاحظ أمرٌ مرفوض تماماً، لما نجد من الفروق الكبرى بين الكتابين فيما يتعلق بتلك الموضوعات؛ منهجاً وأسلوباً وطريقة عرضٍ ووصف، الأمر الذي ينفي نفياً قاطعاً أن يكونا من انتاج مؤلف واحد.

كذلك نجد في المناظرات والمحاجات المروية عن الإمام في حواريه مع الملحدين والمنكرين لوجود الله تعالى بعض وجوه الشبه والقرب مما ورد في كتاب المفضل في التوحيد[1].

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن أحد الباحثين المعاصرين قد ذهب إلى نسبة المقدمة الواردة في صدر توحيد المفضل ومقدمة المجلس

(١) يراجع في تلك المناظرات كتاب الاحتجاج: ١٨٠ ـ ١٨٣.

الرابع بل المجلس الرابع بكامله إلى أحد الدعاة الإسماعيليين الذي شاء أن يقحم في الكتاب بعض مصطلحاتهم واستعمالانهم الخاصة ليطبع ذلك بطابعهم المذهبي المميّز[١].

٤ ـ كتاب الاهليلية:

وهو كتاب يتضمن رسالة من الإمام الصادق ـ (ع) ـ كتبها إلى المفضل بن عمر الجعفي جواباً على ما طلب منه تبيينه رداً على الملحدين المنكرين للربوبية واحتجاجاً عليهم ما لا سبيل لهم إلى ردّه، وقد أورد الإمام فيها مناظرته مع الطبيب الهندي واستدلاله على المطلوب من طريق البحث في الأهليلجة التي هي واحدة الاهليلج كما ذكر اللغويون، وهو ثمر معروف يستعمل في الأدوية، منه أصفر؛ ومنه أسود وهو البالغ النضيج[٢].

وكان السيد رضي الدين علي آل طاووس قد ذكره في عدد من كتبه وسماه «الأهليلجة وهو كتاب مناظرة مولانا الصادق (ع) مع الهندي في معرفة الله جل جلاله»[٣]، وأورده بنصّه الشيخ محمد باقر المجلسي في موسوعته وعنونه بقوله: «الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد؛ المشتهر بالاهليلجة»[٤]، وذكره من باحثي هذا القرن كلٌّ من

---

(١) توحيد المفضل: ٣٠ ـ ٣٢، ط النجف ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م، بتقديم الأستاذ كاظم المظفر.

(٢) معجم النبات والزراعة: ١/ ١٧٠.

(٣) الأمان: ٧٨ وفرج المهموم: ١١ و٤٦ وكشف المحجة: ٩.

(٤) بحار الأنوار: ٣/ ١٥٢ ـ ١٩٨. ويظهر من تعليقات صاحب البحار على النص وجود نسخ لديه من هذا الكتاب، وذكر إنه استدرك على هذه النسخ تلك الزيادات الواردة في نسخة رضي الدين آل طاووس.

بروكلمان والشيخ الطهراني[١]، وقد طبع مع توحيد المفضل أكثر من مرة.

وجاء في كلام أحد الأفاضل تعليقاً على هذا الكتاب: «إن أصل الخبر مما صدر عنه ـ (ع) ـ لكنه لم يخل عن تصرف المتصرفين فزادوا ونقّصوا بما أخرجه عن استقامته الأصلية، ويشهد على ذلك النُّسخ المختلفة العجيبة التي سينقلها المصنف [أي مصنف البحار]، فإن النسخ يمكن أن تختلف بالكلمة والكلمتين والجملة والجملتين لسهوٍ من الراوي في ضبطه أو من الكاتب في استنساخه، وأما بنحو الورقة والورقتين فمن المستبعد جداً»[٢].

كتب غير صحيحة النسبة:

أ ـ رسائل جعفر الصادق:

هكذا سمّاها حاجي خليفة[٣]، وسُمّيت في بعض المعجمات المعاصرة: رسائل مجموعة في كتاب[٤]، وأضاف الزركلي إلى ذلك قائلاً: «يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها»[٥].

والصحيح أنها رسائل جابر بن حيان في الكيمياء، وقد أوقع هؤلاء الباحثين وغيرهم في هذا الوهم قول ابن خلكان في أثناء ترجمة الإمام الصادق: كان «تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد

(١) تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٦٠ والذريعة: ٢/ ٤٨٤.
(٢) بحار الأنوار: ٣/هامش ص ٥٦.
(٣) كشف الظنون: ١/ ٩٠١.
(٤) معجم المؤلفين: ٣/ ١٤٥.
(٥) الأعلام: ٢/ ١٢١.

ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة»[١].

ب ـ كتاب في الكيمياء:

ذكره بروكلمان ولم يصحح نسبته للإمام[٢]، والصواب أنه لجابر بن حيان.

ج ـ كتب في الزجر والفأل واختلاج الأعضاء وتقسيم الرؤيا[٣].

ولم يصح منها شيء، ونفى الحافظ ابن كثير الدمشقي أن يكون كتاب اختلاج الأعضاء له[٤]، والصواب في نسبته أنه لأبي معشر جعفر بن محمد الفلكي.

أحاديث ونُسَخ:

روى الجاحظ ابن حجر عن أبي عدي قوله: «الجعفر أحاديث ونُسَخ»[٥]، ولم يتضح مراده من كلمة النسخ، ولعلها إشارة إلى ما تقدم ذكره من الكتب كالجفر والجامعة وأمالي التوحيد.

(١) وفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ ومرآة الجنان: ١/ ٣٠٤ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ وشذرات الذهب: ١/ ٢٢٠ وينابيع المودة: ٣٨١.

(٢) تاريخ الأدب العربي: ١/ ٢٦٠.

(٣) وفيات الأعيان: ١/ ٢٩١ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٥ وحياة الحيوان: ٢/ ١٠٣ والأئمة الإثنا عشر: ٨٥ وهدية العارفين: ١/ ٢٥١.

(٤) البداية والنهاية: ١٠/ ١٠٥.

(٥) تهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٤.

وبعد:

فهذه ومضة من ومضات توهج الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) وإشراقه، وغُرفة من نمير منهله العذب الفرات السائغ للشاربين، عرضتها فيما يتقدم بإيجاز واختصار، لتكون قبسة العجلان ونهلة الظمآن، راجياً أن يجد فيها القارىء الموضوعي بعض ما يطفىء غليله ويحقق رغبته في الوقوف على أبرز معالم سيرة هذا الإمام العظيم؛ سليل الأئمة الميامين السابقين وأبي الأئمة اللاحقين المنتجبين، الذين تجلى فيهم جميعاً نورُ الحق وهَدْيُ الإسلام ونهج الكتاب وفصل الخطاب، فكانوا ـ كما أراد الله تعالى لهم ـ أئمة الهدى، وأعلام التقى، وكهف الورى، والمثل الأعلى، وحجج الله على أهل الدنيا، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وكانت المقارنة التاريخية الدقيقة بين ما تحدَّثت عنه النصوص النبوية وأقرّ به العلماء والفقهاء ورجال المذاهب وجمهور المفسِّرين والمحدّثين وأجيال الباحثين والمصنفين؛ من علم الإمام الصادق وفقهه، ودينه وورعه؛ وسائر صفاته وخصاله؛ ومزاياه وخلاله. وما ورد في وصف غيره من مدّعي الخلافة الشرعية والسلطة الدينية؛ ممن لم يأبهوا بذلك الشرع الذي ادعوه، ولم يلتزموا بمنطوق الدين الذي زعموا التمسك به، إلا بمقدار ما يجلب لهم المنافع ويدفع الأخطار ويضمن

الكراسي والعروش؛ بعيداً عن أي امتثال مفترض لأوامر الله تعالى على صعيد الواقع العملي؛ وأي تطبيق حقيقي لأحكامه ونواهيه على مستوى السلوك اليومي المعتاد. وقد انتهت بنا تلك المقارنة الوافية إلى التيقن التام بجمع هذا الإنسان الأوحد جعفر بن محمد لما اتفق عليه المسلمون من صفات الإمامة وشروط النيابة عن الله ورسوله (ص)، ليكون ـ من ثمَّ بلا منازع ـ إمام زمانه الشرعي الواجب الطاعة، وصاحب الولاية الدينية العامة في عصره.

ثم كان أهم ما يعنيني في هذا البحث بعد استعراض الخطوط العريضة لحياة الإمام الشخصية وشؤونه الذاتية؛ وعلاقاته السياسية بالحاكمين والمتسلطين من أمويين وعباسيين وخصوصاً ما يتعلق منها بأبي جعفر المنصور ـ وهو المعروف بالغلظة والقسوة والجبروت ـ وبيان ذلك الشدِّ والجذب بينهما خلال مدة معاصرة الإمام لحكم أبي جعفر، والتي انتهت بوفاة الصادق واتهام الخليفة بالأمر بدسّ السم إليه وقتله.

أقول: كان أهم ما يعنيني بعد ذلك العرض التاريخي أن أبيِّن بشيء من الاستيعاب المضغوط أبرز ملامح «تراث الإمامة» الفكري الممتد في كل الجوانب والاتجاهات، تفسيراً وفقهاً؛ وكلاماً وفلسفة؛ وإدارة وسياسة؛ وأدباً وشعراً؛ وطباً وكيمياء، وغير ذلك مما سلف ذكره من مبادىء العلوم التطبيقية وشؤون المعارف الكونية، وقد حاولتُ بمقدار ما يتسع له المجال تأشير جميع ذلك باختصار وتلخيص، مستشهداً عليه ببعض المرويّ عن الإمام نفسه من نصوص، وبكلمات المؤرخين والباحثين من قدامى ومحدثين. ثم أنهيتُ هذا الفصل بذكر ما نُسب إلى الإمام من كتب ومؤلفات، منبهاً على ما صحَّ منها وما لم يصح في نظري القاصر، وشارحاً بعض الألفاظ التي قد تسبّب اللبس وتضبِّب الرؤية كـ «الجفر» و«الجامعة» و«مصحف فاطمة» (ع)».

والله المسؤول أن يمدّ بالتسديد للصواب بمنّه؛ ويتفضل بالأمن من الزلل والخطل بلطفه، وأن يتقبل هذا العمل بقبوله الحسن الجميل؛ ويجعل فيه ما ينفع طلاب الحقيقة الراغبين في معرفة سِيَر أئمة الحق وتاريخهم الزكي الوضاء. والحمد ـ أولاً وأخيراً ـ لولي التوفيق على دوام عطائه وآلائه؛ وفيض مواهبه ونعمائه.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ستُعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرضٍ موجز لسيرة الإمام السابع من أئمة الحق الأصفياء المطهرين، «كاظم الغيظ» و«زين المتهجدين»، و«العبد الصالح» ابن زبدة الصالحين، مشعل الهداية وقطب رحى العلم موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الإمام (بين ولادته وإمامته) متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية؛ ومنها الولادة والنشأة؛ والكنى والألقاب؛ والأزواج والأولاد، مع الإشارة العابرة إلى بعض ما عانى في أيام الصبا والشباب من آلام نوائب دهره، ومظالم عصره، حيث كانت تلك السنون حافلة بالمصائب والمكاره النازلة بأهل البيت خاصة؛ والمآسي والأرزاء المنصبة على عموم المسلمين.

وعقدتُ الفصل الثاني على تاريخ الإمام (بين إمامته وشهادته) شارحاً فيه الأدلة على إمامته كما أرشدتْ إليها النصوص النبوية المتعاضدة الدلالة والموثَّقة السند والمتفق بين المسلمين على تلقي مضامينها بالقبول، مما يبحث عنه طالب النص الذي يعتقد أن لا إمامة بدونه. ثم عرضتُ ما تواترت به الشهادات على أهليته وكفايته للإمامة وانفراده بالمواصفات المطلوبة التي أجمع جمهور المسلمين على وجوب اجتماعها في شخص الإمام إذ لا إمامة لديهم بغيرها. مع بيانٍ مقتضب

لمجمل سِيَر من تقمَّص الخلافة والولاية العامة في عصره، لغرض التوعية والمقارنة والتذكير بحقائق الأمور.

ثم أوردتُ بشيء من الاستيعاب والشمول ما ذكر المؤرخون من مواقفه إزاء أحداث زمانه، وعلاقاته بحكّام تلك الأيام من مدّعي الإمامة الدينية والنيابة النبوية؛ في مختلف جوانبها المتنوعة وحالاتها المضطربة؛ سلباً ومهادنة؛ وصعوداً وانحداراً؛ وشدّاً وإرخاءً، وما تحمل منهم من ألوان الأذى والإرهاب، وما تنقَّل فيه من منافٍ وسجون، وما ختم به الظالمون ذلك كله بدسِّ السم إليه، فكانت فيه نهاية حياته في دار البلاء والعذاب وبداية عيشه في رحاب الجنان والرضوان.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الإمامة) الذي تلقَّتْه الأمة من الإمام موسى بن جعفر(ع)، فاستعرضتُ فيه أولاً مصادر علم الإمام ومنابع معرفته التي أصبح ببركتها بهذه المثابة من التفرد والشموخ بين مجموع رجال عصره وبارزي دهر. ثم أوردتُ شواهد ومقتطفات من ذلك التراث الذهبي الخالد الذي يمثّل الفكر الإسلامي الناصع أصدق تمثيل؛ ويجسِّد الهدي الديني القويم أفضل تجسيد، وكان من تلك الأمثلة الاستشهاد ببعض ما أُثر عنه في تمجيد العقل وتكريم العلم وتفضيل التفقُّه والتعلُّم على الانشغال بمستحبات العبادة والتنفُّل، كما رويتُ نصوصاً بألفاظها لبعض ما رُوي عنه في التوحيد والعدل ومعاجز الأنبياء، مع إشارات موجزة لذلك الكَمِّ العظيم من أقواله وأحكامه في جميع أبواب الفقه وموضوعاته، وفي سائر مجالات الحياة الاجتماعية والشؤون الأخلاقية والسلوكية؛ وفيما يمس الفرد والمجتمع ويضمن لهما الصلاح في الدارين والخير في النشأتين.

ولما كان الطريق الأوح لوقوفنا على ذلك التراث ـ فيما أوردنا من

شواهده وما لم نورد ـ هم الرواة الذين شافهوا الإمام وسمعوا منه وحفظوا حديثه فنقلوه إلى الأجيال من بعدهم، كان التعرف بهم ـ حتى بمجرد ذكر الأسماء ـ تتمة مهمة لا ينبغي إغفالها في هذا البحث؛ إن لم نقل بأنها جزءٌ لا يتجزأ منه بموجب مقتضيات الوفاء بالموضوع ورعاية استيفاء متطلباته. وبالنظر إلى أن عدد هؤلاء الرواة كثير ووفير جداً؛ فقد اقتصرنا ـ طلباً للاختصار ـ على تسمية المؤلفين منهم خاصةً ممن نصَّ مترجموهم على أن لهم كتاباً مدوَّناً أو أكثر من كتاب، تعبيراً منّا عن الامتنان لهم والاعتزاز بدورهم الفاعل في رواية ذلك التراث والحفاظ عليه؛ كما أنه تعبير أيضاً عن الاحترام والتقدير لريادتهم عملية البحث والتدوين في المائة الهجرية الثانية؛ وكونهم الطلائع الأولى من رجال التأليف في تاريخ الإسلام.

❀ ❀ ❀

وفي الختام ـ كما في البدء ـ أكرر حمد الله تعالى على آلائه ونعمائه، وأبتهل إليه عزَّ وجل أن يسدِّد الخطا على الطريق، ويمدَّ بمزيد من التوفيق، أنه خير مسدِّد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العراق/بغداد/الكاظمية:

محمد حسن آل ياسين

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

بين ولادته وإمامته

«نشأ هذا الوليد السعيد في أحضان أبيه العظيم الذي ملأ الدنيا علمُه وفقهُه، وفي ظلال شجرة النبوة ودوحة الإمامة؛ حيث موضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، فإذا هو منذ مطلع شبابه بحرٌ طافح بالعلم؛ متدفق بالمعرفة؛ زخَّار بفقه الكتاب وحقائق الدين وأحكام الشريعة».

❁ ❁ ❁

في السابع من شهر صفر[1]؛ لسنة ١٢٨هـ على الأرجح[2]؛ وقيل: سنة ١٢٩هـ[3]، . . . .

---

(١) المناقب: ٢/ ٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١ و٦ و٩ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٢) الإرشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٣ وكفاية الطالب: ٣٠٩ والعبر: ١/ ٢٢٢ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ وعمدة الطالب: ١٨٥ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ والفصول المهمة: ٢١٤ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١ و٦ ونور الأبصار: ١٣٦.

(٣) تاريخ أبي الفدا: ٢/ ١٦، ولم يذكر تاريخاً آخر. وورد ذكر (سنة ١٢٨ وقيل ١٢٩) في الكافي: ١/ ٤٧٦ وتاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٥ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٥ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ ومنهاج السنة: ٢/ ٢٤ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ و٦٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١١٢ =

وكان يوم الأحد[١]؛ وقيل: الثلاثاء[٢]، وفي ساعات التهجد الروحي والنفحات الإلهية عند السحر[٣]، عندما كان ركب الإمامة المتلألىء بإشراق محيّا أبي عبدالله الصادق (ع) قد حطَّ رحاله في الأبواء[٤] ـ وهي منزل من منازل الطريق بين مكة والمدينة ـ في رحلة العودة من الحج[٥]، أطلَّ على الدنيا وجه موسى بن جعفر وهو يتهلَّل تبلُّجاً ورواءً؛ ويتوهج سناً وجمالاً، فيغمر الأرجاء الكالحة المظلمة بمزيج من العطر والنور، ويُشيع في الركب المسافر أسمى مشاعر البهجة والحبور.

ثم وصل موكب الحجيج إلى المدينة المنورة ومعهم وليدهم المؤمَّل المبارك، فعجت بيوت النبوة بالمسرات والبشائر، وضجت الحناجر بحمد الله تعالى على عطائه ونعمائه. وتقدَّم الإمام الصادق (ع) إلى من حوله من أصحابه بأن يطعموا الناس ثلاثاً بهذه المناسبة السعيدة[٦].

❀ ❀ ❀

لقد كان هذا المولود الميمون مجمع الشرف المؤبَّد والمجد المخلَّد والسيادة المطلقة في الدنيا والآخرة، فهو وارث علم النبوة عن

= والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٧ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(١) المناقب: ٢/ ٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٦ و٩ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٢) وفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣.

(٣) وفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣.

(٤) معظم المصادر المذكورة في الهامشَيْن (٢) و(٣) في الصفحة السابقة.

(٥) الكافي: ١/ ٣٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٣.

(٦) بحار الأنوار: ٤٨/ ٤.

آبائه الطاهرين، والأمين على ثقل الإمامة المنتقل إليه من أسلافه المنتجبين، وحسبه أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين؛ وابن فاطمة بنت محمد (ص) سيدة نساء العالمين. وهل أقلَّت الأرض في سابقها ولاحقها مَنْ لا يخضع؛ بل لا يخشع؛ أمام عظمة هذا النسب؛ وزهو هذا الحسب؛ وشموخ هذا المجد الرفيع الذي لا يطاله منافس؛ ولا يرقى إليه محلِّق؛ ولا يحوم حول ذراه أيٌّ من ذوي العنوان والكبرياء والسلطان.

أما أُمُّه فهي السيدة حميدة بنت صاعد[١]، وكانت جارية مغربية أندلسية[٢] ترجع بأعراقها إلى بربر المغرب[٣]، وهي أم أخويه إسحاق ومحمد[٤]، واشتهرت باسم (حميدة المُصَفَّاة)[٥] كما سمَّاها بذلك الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) في قوله المأثور عنه: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب»[٦].

❁ ❁ ❁

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ وتاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٤٥ (وفي المطبوع: حمدة) والإرشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٦ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٧ وينابيع المودة: ٣٨٢ ونور الأبصار: ١٣٦.

(٢) المناقب: ٢/ ٣٨٣ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٦ ـ ٨ وعقيدة الشيعة: ١٦٠.

(٣) الكافي: ١/ ٤٧٦ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٧ و٨ وعقيدة الشيعة: ١٦٠. وكان المنصور العباسي وعبد الرحمن بن معاوية ملك الأندلس ابنَيْ بربريتَيْن، (تاريخ الخلفاء: ١٧٣).

(٤) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٢٨.

(٥) المناقب: ٢/ ٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١ و٦ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٦) الكافي: ١/ ٤٧٧.

وعُرف هذا الوليد منذ بدء أمره وعمره بكنيته الشهيرة «أبو الحسن»[١]، وقد يكنيه بعضهم: «أبو الحسن الأول»[٢] تمييزاً بينه وبين الإمامين أبي الحسن الرضا وأبي الحسن الهادي (ع). أما ما ورد في بعض المصادر من تكنيته «أبو إبراهيم»[٣] و«أبو علي»[٤] و«أبو إسماعيل»[٥]، فالراجح أنها كنىً متأخرة التاريخ؛ وقد أطلقت عليه بعد ذلك عندما أصبح أباً لهذا أو ذاك من الأولاد.

أما ألقابه فلم نعرف المتقدم منها والمتأخر؛ لعدم بيان ذلك في النصوص التاريخية، ولكن أشهرها وأكثرها شيوعاً في المصادر وبين الناس ذلك اللقب الذي أصبح له بمثابة الاسم والعَلَم وهو «الكاظم»[٦]، ونصَّ عدد من المؤرخين على أنه قد لُقِّب به لفرط حلمه وكظمه الغيظ وتجاوزه عن المسيئين إليه[٧].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ والإرشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ وتاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ وكفاية الطالب: ٣٠٩ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ والعبر: ١/ ٢٢١ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٤ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ وعمدة الطالب: ١٨٥ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٣٩ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٧ وينابيع المودة: ٣٨٢ وعمدة الزائر: ٣٠٦ ونور الأبصار: ١٣٦.

(٢) المناقب: ٢/ ٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ والإرشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٧ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٤) الإرشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٧ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٥) مطالب السؤول: ٢/ ٦١ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١.

(٦) جميع المصادر التي ترجمت له.

(٧) الإرشاد: ٣٠٧ و٣١٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وكفاية الطالب: ٣٠٩ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٠٨ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ والعبر: ١/ =

«وكان الناس بالمدينة يسمونه: زين المتهجدين»[١]، كما كان يُدْعى «العبد الصالح» من عبادته واجتهاده[٢].

كذلك كان من ألقابه التي ذكرها عدد من مترجميه: «الزاهر» و«الصابر» و«الوفي» و«الأمين»[٣]، وأضاف إليها سبط ابن الجوزي: «السيد» و«الطيب» و«المأمون»[٤].

ثم اشتهر بعد وفاته ـ وخصوصاً عند أهل العراق ـ بـ«باب قضاء الحوائج إلى الله»، وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به[٥].

❀ ❀ ❀

نشأ هذا الوليد السعيد في أحضان أبيه جعفر بن محمد الصادق (ع)؛ الذي عُرِف بين الناس بأنه الإمام «الذي ملأ الدنيا علمُه

= ٢٢١ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ١٥ ـ ١٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٣ وعمدة الطالب: ١٨٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١١٢ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٣٩ ومرآة الجنان: ١/ ٣٨٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ وينابيع المودة: ٣٦٢ ونور الأبصار: ١٣٦ وإسعاف الراغبين: ٢١١ وعقيدة الشيعة: ١٦٤.

(١) الإرشاد: ٣١٩ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ و١٠٣ ـ ١٠٩٤.

(٢) الإرشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ وتاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٣ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٣ وشرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٩١ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧١ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١١٢ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ وعقيدة الشيعة: ١٦٤.

(٣) يراجع في ذلك: المناقب: ٢/ ٣٨٢ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ ونور الأبصار: ١٣٦.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٥٧.

(٥) مطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٣ وينابيع المودة: ٣٦٢ ونور الأبصار: ١٣٦ وإسعاف الراغبين: ٢١١.

وفقهُه»[١]، والذي قال فيه أحد تلامذته وهو النعمان بن ثابت إمام المذهب المنسوب إليه: «ما رأيتُ أفقه من جعفر بن محمد»[٢]، وقال فيه عمرو بن أبي المقدام: «كنتُ إذا نظرتُ إلى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيين»[٣]، وأجمعت الكلمة على أنه الإمام الذي «احتج به سائر الأمة» و«حدَّث عنه الأئمة»[٤].

نشأ الإمام موسى بن جعفر في حجر هذا الأب العظيم، متفيِّئاً ظلال شجرة النبوة ودوحة الإمامة، حيث اختار الله موضعَ الرسالة ومختلفَ الملائكة ومهبط الوحي، وحيث استقرَّ ملتقى رافِدَي السماء والأرض؛ واجتمع الثقلان اللذان لن يفترقا حتى يردا الحوض: كتاب الله وعترة الرسول. فكانت نشأة متميزة فذة لا يتسنى مثلها إلا لنظرائه من ذرية النبيين وسلالة المرسلين، فإذا هو منذ صباه بحرٌ موَّاج بالعلم دفَّاقٌ بالمعرفة؛ زخَّار بفقه الكتاب وحقائق الدين وأسرار الشريعة.

وحسبنا مثلاً على ذلك ما رواه الرواة عن أبي حنيفة قال:

«رأيت موسى بن جعفر ـ وهو صغير السن ـ في دهليز أبيه، فقلتُ: أين يُحدث الغريب منكم إذا أراد ذلك؟. فنظر إليَّ ثم قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقَّى أعين الجار، ويتجنَّب شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية الدور والطرق النافذة والمساجد، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ويضع بعد ذلك حيث شاء».

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٧٤.
(٢) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٩ وغيرهما من المصادر.
(٣) حلية الأولياء: ٣/ ١٩٣ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٤ وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٠٤ وغيرها من المصادر.
(٤) تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٧ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٧.

«قال: فلما سمعتُ هذا القول منه نبل في عيني وعظم في قلبي، فقلت له:

«ممن المعصية؟».

«فقال: إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً. فإنْ كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويؤاخذه بما لم يفعله. وإن كانت منهما فهو شريكه؛ والقويُّ أَوْلى بإنصاف الضعيف. وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر؛ وإليه توجَّه النهي، وله حقَّ الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار»[١].

هكذا نشأ موسى بن جعفر في هذه البيئة المباركة الناصعة النقاء، وفي تلك البيوت التي يعلو فيها ذِكرُ الله أطراف الليل وآناء النهار، وتتردَّد في جنباتها همسات التسبيح والتهليل؛ وأصداء الابتهال والترتيل، وينتشر منها على الناس فيوض العلم النافع؛ ودروس العمل الصالح؛ وأمثلة الخلق السامي والأدب الرفيع.

وسرعان ما اكتملت خطوط رجولته الناطقة ومعالم شبابه المتفتح، واتضحت للعيان صفاته الخَلْقية ومواهبه الخُلُقية وملكاته الذاتية، على نحوٍ ممتازٍ ولافت للنظر، فكان كما روى مؤرخوه ومترجموه «أسمر اللَّون»[٢]، «أزهر»، «كث اللحية»[٣]، كما كان أيضاً في مزايا الذات «رابط الجأش»[٤]، «حسن الصوت حسن القراءة»[٥]، بل كان أحسن

---

(١) المناقب: ٢/٣٧٦ واللفظ منه. وورد قريب منه في الكافي: ٣/١٦ وتحف العقول: ٣٠٧ ـ ٣٠٨ والاحتجاج: ٢١١ وبحار الأنوار: ١٠/٢٤٧ و٤٨/١٠٦.

(٢) عمدة الطالب: ١٨٥ والفصول المهمة: ٢١٤ وبحار الأنوار: ٤٨/١١ و٢٤٨ ونور الأبصار: ١٣٦.

(٣) المناقب: ٢/٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/١١.

(٤) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٨.

(٥) الاحتجاج: ٢١٥.

الناس صوتاً بالقرآن؛ «وكان إذا قرأ يحزن ويبكي السامعون لتلاوته»[١]، مضافاً إلى ما تقدم ذكره في ألقابه من اشتهاره بكظم الغيظ وتحمل الأذى والصبر على مكاره الدهر وشدائد الأيام وإساءات الأعداء.

واستقل منذ ذلك الحين بحياته البيتية في أسرته الخاصة بين نسائه وأولاده، وقد رزقه الله على امتداد أيامه في هذه الدنيا عدداً كبيراً من البنين والبنات لم يتفق المؤرخون على تعدادهم وأسمائهم، ولكنهم بلغوا «سبعة وثلاثين» لدى بعضهم[٢]، وقيل: ثلاثون[٣]، وقيل: أربعون[٤]، وقيل غير ذلك وأكثر منه[٥].

ونورد فيما يأتي أسماء أولاده الذكور مرتَّبة على تسلسل الحروف الهجائية:

١ ـ إبراهيم (الأصغر).

٢ ـ إبراهيم (الأكبر).

٣ ـ أحمد.

٤ ـ إسحاق.

٥ ـ إسماعيل.

٦ ـ جعفر.

---

(١) الإرشاد: ٣١٩ والمناقب: ٢/ ٣٧٩ و٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) الإرشاد: ٣٢٤ وكفاية الطالب: ٣١٠ والفصول المهمة: ٢٢٣ ـ ٢٢٤ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٨٣ ـ ٢٨٧ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٣) المناقب: ٢/ ٣٨٣.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٦٠ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٤٥ ومطالب السؤول: ٢/ ٦٥ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٤ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ وينابيع المودة: ٣٨٣.

٧ ـ الحسن.

٨ ـ الحسين.

٩ ـ حمزة.

١٠ ـ داوود.

١١ ـ زيد.

١٢ ـ سليمان.

١٣ ـ العباس.

١٤ ـ عبدالرحمن.

١٥ ـ عبدالله.

١٦ ـ عبيدالله.

١٧ ـ عقيل.

١٨ ـ علي (الرضا).

١٩ ـ الفضل.

٢٠ ـ القاسم.

٢١ ـ محمد.

٢٢ ـ هارون.

٢٣ ـ يحيى(١).

❀ ❀ ❀

(١) رجعنا في إعداد هذه القائمة إلى: الإرشاد: ٣٢٤ والمناقب: ٢/ ٣٨٣ وعمدة الطالب: ١٨٥ والفصول المهمة: ٢٢٣ ونور الأبصار: ١٣٩. ويراجع في هذه المصادر أسماء البنات أيضاً.

وكما عانى سلفه الصالح من أهل البيت منذ نعومة أظفارهم آلامَ قسوة الحاكمين الطغاة خلفاء الجور وسلاطين الظلم، فقد عانى الإمام موسى بن جعفر مثل ذلك منذ أيام طفولته ومطلع صباه؛ يوم تسلَّط على رقاب المسلمين أبو جعفر المنصور ثاني الحكام العباسيين؛ الذي امتدَّ عهد ملكه من سنة ١٣٦هـ إلى سنة ١٥٨هـ. وكان عهداً عجيباً في ظلمه وظلامه في تاريخ الإسلام؛ بما حفل من ألوان المآسي؛ وحمل من ضروب المظالم والوقائع السود، وكما قال الدكتور حسين مؤنس وهو يستعرض تلك الحقبة الزمنية القاتمة مقارناً إياها بما سبقها من حقبة بني أمية:

«إن ما وقع على الناس من المظالم أيام بني العباس كان أهول وأبشع، ولقد قتل أبو العباس السفاح وأعمامه ألوفاً كثيرة ظلماً وعدواناً. وجاء أخوه أبو جعفر المنصور فقتل من الناس أكثر، وكان في جملة المقتولين أعمامه، وهانت الدماء على رجال بني العباس؛ حتى أن الإنسان ليترحم على أيام الجاهلية»[1].

لقد عاش هذا الفتى ـ وهو في الثانية عشرة من العمر ـ مأساة سجن أبناء عمومته الحسنيين وقتل بعضهم في سنتي ١٣٩ ـ ١٤٠هـ، ثم عاصر خروج محمد بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية وأخيه إبراهيم من بعده؛ وثورتهما الدموية على المنصور، وما رافق هاتين الثورتين وما تلاهما من قتل عددٍ غير قليل من أبناء الحسن وأنصارهم وأعوانهم، في جملة ضحايا تلك المجزرة الإنسانية الفظيعة التي حلَّت بمسلمي المدينة المنورة، وما صاحب ذلك من المحن التي ألمَّت بالناس بلا فرز ولا تمييز.

(١) مجلة أكتوبر المصرية/ العدد ٣٣٤/ ٢٠ مارس ١٩٨٣م/ الحلقة الرابعة من بحث متسلسل له بعنوان «ظلمات بعضها فوق بعض».

ومع أن الإمام جعفر الصادق (ع) ـ كما يعلم الخليفةُ حقَّ العلم ـ لم يبارك ثورة النفس الزكية ولم يشارك فيها، وكذلك لم يشارك ولم يبارك ثورة أخيه إبراهيم، فقد شمله ومعظمَ أفرادِ عائلته ذلك البلاءُ الطاغي والإرهاب الأسود، وقد حدَّث الصادق (ع) واصفاً ما أصابه وأهلَ بيته بعد مصرع إبراهيم فقال في جملة حديثه: «حُشِرنا من المدينة فلم يُتْرَك فيها منَّا محتلمٌ حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً، نتوقع فيها القتل ـ إلى آخر ما قال»[(١)]، وكان في هذا التسيير وذلك الاعتقال ما كان من ضروب الأذى والاضطهاد والهوان، مما رآه الإمام موسى بن جعفر بأُمِّ عينيه؛ وعاشه ساعة بعد ساعة، لأنه كان بطبيعة الحال ممن شمله الحشر من المدينة إلى الكوفة؛ وممن ذاق ما ترتب على هذا الحشر من ويلات وآلام.

ثم كان من بين تلك المظالم الكبرى التي حفل بها عهد المنصور قبل ثورة الأخوين وبعدها؛ ما أصاب الإمام الصادق (ع) من استبداد الحاكم الظالم وجوره، إذ استدعاه مكرراً إلى العراق؛ إلى الحيرة يوم كان المنصور فيها؛ وإلى الهاشمية حين انتقل إليها، وقيل إلى بغداد أيضاً[(٢)]، وكلها استدعاءات دالة على عداء دفين وطويَّة خبيثة ونفس أمَّارة بالسوء وزخَّارة بالضغينة. وقد عاش الإمام موسى بن جعفر (ع) كل ذلك يوماً بيوم ورحلة بعد أخرى، وهو قلقٌ أشد القلق على أبيه من مكايد السلطان ومضمراته السيئة.

ثم كانت خاتمة مطاف المنصور في أفاعيله تجاه الإمام الصادق (ع) قتله بالسم تنفيساً عن غيرته القاتلة وحقده المكبوت، فيما

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٦٠ ـ ٣٥١.

(٢) يراجع: الإمام جعفر الصادق (ع): ١٦٨ ـ ١٧١ في هذا المجلد.

حدثت به بعض الروايات التاريخية التي نسبت هذا العمل الشنيع للخليفة نفسه؛ بالتصريح في بعضها، وعلى نحو الاحتمال في بعضٍ آخر[١].

وتقول إحدى الروايات: أن المنصور لما بلغه خبر وفاة الإمام الصادق أسرع بالكتابة إلى واليه على المدينة: يأمره «إنَّ كان أوصى إلى رجل بعينه فقدِّمه واضرب عنقه»، فبحث الوالي في الأمر ودقَّق، ثم كتب إلى خليفته: أنه أوصى إلى خمسة: أبي جعفر المنصور ـ الخليفة ـ ومحمد بن سليمان ـ الوالي ـ وابنيه موسى وعبدالله وحميدة أم موسى[٢]. وهكذا حمى الله وليَّه موسى من القتل ببركة فطنة أبيه وبُعد نظره في إشراك هؤلاء الخمسة في وصيته الظاهرية المعلنة على الملأ، وإن كان المنصور لم يكتف بذلك ولم يرتدع به، وإنما بقي يتابع هذه المسألة لبعض الوقت فيما روى هشام بن سالم في حديثٍ له؛ إذ ذكر إنه كان للمنصور «بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفرٍ إليه الناسُ فيؤخذ فتضرب عنقه»[٣].

وخلاصة القول: لقد عاش الإمام موسى بن جعفر (ع) منذ نشأته الأولى كلَّ هذه المآسي والآلام؛ وعاصرها حدثاً حدثاً وألماً تلو ألم، ولكنه ـ كآبائه الأئمة المهتضمين ـ لم يُرعَب بجميع ذلك؛ ولم يتهيَّب المسيرة وما تنطوي عليه من شدائد ومحن، بل كان لسان حاله ـ وهو يستقبل المكاره ـ ما أُثِر عن جده الحسين (ع) يوم الطف إذ قال مخاطباً ربَّهُ: «هوَّن عليَّ ما نزل بي أنه في سبيلك».

---

(١) مروج الذهب: ٣/٢١٢ وشرح نهج البلاغة: ١٥/٢٣٨ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ والفصول المهمة: ٢١٢ والصواعق المحرقة: ١٢١ وغيرها من المصادر التي تقدَّم ذكرها بالتفصيل في البحث المتقدم المعنيّ بالإمام جعفر الصادق (ع) في هذا المجلد [ص: ١٧٤ ـ ١٧٩].

(٢) بحار الأنوار: ٤٧/٣.

(٣) الإرشاد: ٣١١.

وبهذه النفس الشمّاء الزاخرة بالصبر والتحمل والثبات؛ والشامخة بمشاعر وجوب القيام بالمسؤولية الكبرى مهما كانت الظروف، استقبل موسى بن جعفر عهد إمامته الشرعية، ورحلة ولايته الدينية، وهو يعرف منذ البداية حقَّ المعرفة جميع معوّقات الانطلاق وأخطار المسير وأشواك الطريق.

الإمام موسى بن جعفر (ع)
بين إمامة وشهادة

«في عام ١٤٨هـ خلت الساحة الإسلامية من إمامها الشرعي المفترض الطاعة بوفاة جعفر بن محمد الصادق (ع)».

وتلفت المسلمون الملتزمون بأحكام دينهم يميناً ويساراً بحثاً عن الإمام الجامع للشرائط الشرعية المقررة في الإمامة؛ فلم يجدوا من تجتمع فيه تلك الشروط والمواصفات كالإمام موسى بن جعفر (ع)، بل لم يكن من هو أهل لها غيره على وجه الحصر والتعيين».

«وعاصر هذا الإمام خلال مدة إمامته الشرعية أربعة من الخلفاء العباسيين هم المنصور والمهدي والهادي والرشيد، ولقي منهم ما لقي من ضروب العنت والظلم والتنقل في السجون والمعتقلات؛ حتى طغى الكيل في نفس الحاكم فلم يجد سبيلاً للتنفيس عن حقده الأسود غير دسّ السم إليه؛ فكان في ذلك شهادته وذهابه إلى ربه».

❀ ❀ ❀

في عام ١٤٨هـ خلت الساحة الإسلامية من إمامها الشرعي المفترض الطاعة بوفاة جعفر بن محمد الصادق (ع)، الذي اختاره الله تعالى إلى جواره في شهر شوال من هذا العام، فانتقل إلى أعلى علّيين مع النبيين والصدِّيقين، وحسن أولئك رفيقاً.

وكان لا مناص للمسيرة الإسلامية ـ كما ألزم قائدها الرسول الأعظم (ص) ـ من وجود إمام مفترض الطاعة في كل عصر وزمان حتى قيام الساعة، يقتدي الناس به ويهتدون بهديه؛ ويستضيؤون بنور علمه ومشكاة فضله؛ ويتقربون إلى الله تعالى بمعرفته معرفة الإقرار والتصديق والاتِّباع، لأن «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1] كما جاء في لفظ الحديث الشريف، بداهة أن ليس المراد من هذا النص مجرد معرفة اسم الإمام ومحض التحقق من رسم إملائه وحروف هجائه، وإنما هو العمل الدقيق بجميع توجيهاته وتعليماته؛ والسير الأمين على هدى منهجه ومواقع خطاه.

وتلفَّت المسلمون الملتزمون بأحكام دينهم ـ يميناً ويساراً ـ بحثاً عن الإمام الجامع للشرائط الشرعية المقررة في مواصفات الإمامة وضوابطها العامة والخاصة، فلم يجدوا مَنْ تجتمع فيه تلك الضوابط والمواصفات كالإمام موسى بن جعفر (ع)، بل لم يكن مَنْ هو أهل لها غيره على وجه الحصر والتعيين.

وكان الدليل الأول على انحصار الإمامة به دون سواه: نصّ أبيه عليه ـ وهو الإمام المسلَّم الإمامة لدى جميع المسلمين كما تقدم بيانه بالتفصيل في كتابنا «الإمام جعفر الصادق (ع)». وإن قراء التاريخ

(١) يراجع في هذا الحديث: صحيح مسلم: ٦/ ٢٢ ومسند أحمد: ٣/ ٤٤٦ و٤/ ٩٦ والكافي: ١/ ٣٧٦ والمعجم الكبير: ١٩/ ٣٨٨ ومجمع الزوائد: ٥/ ٢١٨ و٢٢٤ و٢٢٥.

الإسلامي ومواكبي أحداثه منذ الخلافات الأولى يعلمون علم اليقين أن نصَّ السلف على الخلف كان الدليل الأكبر، بل الأوحد، الذي احتج به مصححو تلك الخلافات؛ برهاناً على صحتها ووجوب الأخذ بها والإذعان لها، حتى وإن لم يتوفر في الخليفة اللاحق المنصوص عليه من سلفه أي شرط من شروط الاستحقاق التي ذكرها الفقهاء في بيان مؤهِّلات المرشَّح لتقمُّص الولاية الشرعية.

وقد تمثَّل نصُّ الإمام الصادق على ابنه في مجموعة وافرة من الروايات المصرِّحة بلا لبسٍ أو إبهام بتعيين ابنه موسى إماماً من بعده للمسلمين، وشارك في نقلها وسماعها عددٌ غير قليل من أصحاب الإمام الصادق (ع) المقرَّبين؛ وخاصَّته الثقات المعروفين؛ وأولاده الفقهاء الصالحين[١].

وجليٌّ كل الجلاء، لمن عرف الإمام الصادق حق المعرفة، أن نصَّه على ابنه موسى بالإمامة واختياره من بين أخوته لهذا المركز الديني الخطير؛ لم يكن عملاً من أعمال الحب الأبوي الأعمى والمودة الطاغية والعاطفة المتغلِّبة، وإنما هو جزء لا يتجزَّأ ـ كما في جميع ما ورد عن الأئمة المنتجبين (ع) في مجمل أقوالهم وأفعالهم ـ من مواريثهم المتداولة فيما بينهم عن أسلافهم الطاهرين؛ روايةً عن جدهم الأمين الناطق بالوحي والمطَّلع على الغيب، وقد أُثر بعضُ ذلك عن لفظ النبي (ص) أيضاً فيما تسرَّب على لسان الناقلين والمحدِّثين من غير أهل البيت، على الرغم من جهود الأعداء وتبانيهم على كتمان تلك الروايات الصريحة المأثورة وإخفاء أمرها عن جماهير المسلمين.

(١) الكافي: ١/ ٣٠٧ ـ ٣١١ والإرشاد: ٣٠٧ ـ ٣٠٨ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وشرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٩٠ وبحار الأنوار: ٣٦/ ٤٠١؛ و٤٧/ ٢٥١ و٢٥٣ و٢٦١ و٣٤٣؛ و٤٨/ ١٢ ـ ٢٧.

ومن أمثلة ذلك وشواهده ما رواه الشيخ القندوزي الحنفي عن ابن عباس عن النبي (ص) من تسمية الأئمة من بعده واحداً بعد واحد؛ وذكر فيهم موسى بن جعفر (ع). وما رواه أيضاً عن جابر بن عبدالله الأنصاري من تسمية رسول الله (ص) للأوصياء من بعده؛ ومنهم موسى بن جعفر الذي يُدْعى بالكاظم[١].

وهذه النصوص المحمدية الشريفة التي ورد فيها اسم موسى بين الأئمة الذين ذكرت أسماؤهم فيها بالتفصيل؛ لم تكن إلا التأكيد والتأييد على نحوٍ قاطع لما قال الرسول الأعظم (ص) أيضاً واتفق المسلمون على روايته عنه من كونهم «اثنى عشر»[٢] إماماً، كما أنها تقف جنباً إلى جنب مع باقي أحاديث الإمامة والأئمة لتوضح بما لا مزيد عليه ماذا أراد النبي (ص) بيانه وإفهامه للناس لمّا أعلمهم بأنه تارك فيهم الثقلين: كتاب الله والعترة أهل بيته؛ وأنهم لن يضلوا ما داموا متمسكين بهما[٣].
وإنها بنفسها لهي العترة الطاهرة المطهرة التي عناها سيد المرسلين وخاتم النبيين حينما قال فيما أخرجه عنه الحافظ أبو نعيم بسنده: «مَنْ سَرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنَّةَ عدنٍ غرسها ربي؛ فليوالِ علياً من بعدي وليوالِ وليَّه؛ وليقتدِ بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي،

---

(١) ينابيع المودة: ٤٤١ ـ ٤٤٣.

(٢) صحيح البخاري: ٩/٧٨ و١٠١ وصحيح مسلم: ٦/٣ و٤ وسنن الترمذي: ٤/ ٥٠١ وسنن أبي داوود: ٢/٤٢١ ومسند أحمد: ٢/١٢٨ و٣/١٢٩ و١٨٣ و٤/ ٤٢١ و٥/٨٦ ـ ١٠٨ ومواضع كثيرة في معجم الطبراني الكبير: ٢/٢١٤ ـ ٢٨٦. ونُصَّ على صحة هذا الحديث وتواتره في الفصل: ٤/٨٩ والصواعق المحرقة: ٦.

(٣) صحيح مسلم: ٧/١٢٢ وسنن الترمذي: ٥/٦٦٢ و٦٦٣ ومسند أحمد: ٣/١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩ و٤/٣٦٧ و٥/١٨٢ و١٨٩ وحلية الأولياء: ١/٣٥٥ والصواعق المحرقة: ٨٩ ـ ٩٠.

خُلقوا من طينتي، رُزقوا فهماً وعلماً. وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي؛ للقاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[١].

❀ ❀ ❀

ومع أن ذلك كله ثابت وصحيح ومتفق عليه بين المسلمين، بل فيه ما هو بالغ حدَّ التواتر المسلَّم، فإننا نجد ـ كما هو ماثل في كتب الأحكام السلطانية والتاريخ ـ أن هناك أناساً من غير العترة الطاهرة قد ادعوا الخلافة وارتدوا جلبابها زاعمين أنهم الولاة والأئمة الشرعيون، كما نجد أن الكثرة الكاثرة من عامة الناس قد استسلموا لذلك الادعاء ولم يعلنوا اعتراضهم على هذا الزعم. فهل كان أولئك المدَّعون صادقين فيما أوهموا الناس به؟، وهل كانوا حقاً كذلك وكما افترضهم وعاظ السلاطين؟، وهل اجتمعت فيهم الصفات المطلوبة ـ وفي طليعتها كونهم أفقه أهل زمانهم والأعدل والأفضل من غيرهم ـ ليكونوا خلفاء بالمصطلح الديني الخاص بالولاية والإمامة؟

إنها لأسئلة حائرة ما زالت تدور في الأذهان؛ على مرِّ العصور والأزمان، ولم نقف فيما كتب الكاتبون وحرَّر المدافعون والتوفيقيون؛ على ما يصلح أن يعدَّ الجواب المقنع الشافي الذي يزيل الغموض ويرفع الحيرة ويكشف الإبهام ويهدي إلى سواء السبيل.

وما دام الأمر مضبَّب الأجواء ومبهم المعالم كما أسلفنا؛ فإن الجدير بنا حرصاً على تجلية الحقيقة وكشف الحجب؛ واطمئناناً إلى التثبُّت من معرفة ما كان عليه أمر هؤلاء الزاعمين في مجمل حالهم؛ كما رواه مشاهير المؤرخين ـ وإن كنّا نعتقد أنهم لم يسجلوا كلَّ ما

(١) حلية الأولياء: ١/ ٨٦.

بلغهم خبره من ذلك ـ، أن نقف متمهِّلين لنستعرض الخطوط العامة لسِيَر أولئك الحكَّام، لتحديد مدى التزامهم بتعاليم الدين وأخلاق الشرع وواجبات الحاكم المسلم في إشاعة الأمن والعدل وتطبيق الأحكام والقواعد المقرَّرة، ولنتبيَّن في ضوء جميع ذلك ما يصح وما لا يصح أن يقال بشأنهم؛ من تحقق شروط الولاية الشرعية؛ وانطباق مواصفات الإمامة الدينية.

١ ـ المنصور (عبدالله بن محمد):

تملَّك لليالٍ خلون من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ، ومات لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ[١]، وكانت أيامه كلها حافلة بالقتل والبطش والقسوة والتنكيل، وقد «قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكُه» كما يقول السيوطي[٢]، ولم يسلم من غدره وبطشه حتى أقرب الناس إليه من أعمام وقوّاد وأصحاب، كعمه عبدالله بن علي؛ وباني الدولة أبي مسلم الخراساني؛ وغيرهما من الخاصة والمقرَّبين.

وهو الذي أمر بضرب أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ثم سجنه فمات بعد أيام، «وقيل: إنه قتله بالسم»[٣]. كما قيل أنه قتل الإمام جعفر الصادق بالسم أيضاً[٤].

كما أنه القاتل لمحمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم في سنة ١٤٥هـ، بعد أن قام قبل ذلك بحبس أبيهما عبدالله بن الحسن وأهليهم جميعاً

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٠٠ و١٢٢ وتاريخ الطبري: ٨/ ٦٠ ومروج الذهب: ٣/ ٢٠٩.
(٢) تاريخ الخلفاء: ١٧٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٧٢.
(٤) الإمام جعفر الصادق: ١٧٤ ـ ١٧٩ في هذا المجلد.

وسائر من يَمُتُّ إليهم بصلة نسبٍ أو سبب «وهم مقيَّدون في كبلٍ وغلّ»[١] حتى ماتوا في السجن، «وقيل: إنهم وُجِدوا مسمَّرين في الحيطان»[٢]، وكان من أمثلة فظائعه مع بعضهم أنه «أمر بأسطوانةٍ مبنيَّة ففُرِّغتْ، ثم أُدخل فيها محمد بن إبراهيم بن الحسن فبُنِيَ عليه وهو حي»[٣]. والعجيب الغريب أن المنصور قد فعل كل هذه الأفاعيل بهؤلاء العلويين، بعد أن سبقت منه ومن أهل بيته البيعة لمحمد بن عبد الله أيام الإعداد للثورة على بني أمية؛ وبعد أن سلَّم له القياد بإجماع المؤرخين[٤]، ولكن الملك عقيم؛ وإغراءه للنفس الأمَّارة قاهر.

وروى الطبري: أن المنصور بعد شهادة النفس الزكية وأصحابه أمر «بالبحر فأُقفل على أهل المدينة، فلم يُحْمَل إليهم من ناحية البحار شيء، حتى كان المهدي فأمر بالبحر ففتح لهم»[٥]، كما أنه كتب إلى واليه على البصرة يأمره بهدم دور مَنْ خرج مع إبراهيم وبعقر نخلهم»[٦]، مع أن القرآن الكريم الذي يدَّعي المنصور احترامه والعمل به يعلن ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]؛ ولكن الحقد الأعمى والضغن الأسود يُفقدان صاحبهما صواب الرؤية وسلامة التصرف ويصدّانه عن تحكيم الشرع واتِّباع القرآن الكريم.

وروى السيوطي فيما روى من أخبار المنصور: أنه لم يكن «يظهر لندمائه بشربٍ ولا غناء، بل يجلس وبينه بين الندماء ستارة، وبينهم

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٤٠ و٥٤٢ و٥٥٠.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٠٦.
(٣) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٤٦.
(٤) يراجع في تفاصيل ذلك: مقاتل الطالبيين: ٢٠٦ ـ ٢٠٨ و٢٥٥ ـ ٢٥٦ والإرشاد: ٢٩٥ ـ ٢٩٦ والفخري: ١٤١ ـ ١٤٢.
(٥) تاريخ الطبري: ٧/ ٦٠٣.
(٦) تاريخ الطبري: ٧/ ٦٥٥.

وبينها عشرون ذراعاً، وبينهما وبينه كذلك»[١]، ولكنه لم يوضح السبب في وضع تلك الستارة والأذرع الفاصلة، وربما كان ذلك بدافع الحياء من ندمائه!!

ثم روى السيوطي أيضاً في أخبار المنصور: أن ابن هرمة الشاعر ـ وكان مدمناً شرِّيباً للخمر ـ دخل عليه يوماً، فقال له المنصور: «ما حاجتك؟ قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة أن لا يحدَّني إذا وجدني سكران، فقال: لا أُعطِّل حدّاً من حدود الله، قال: تحتال لي، فكتب إلى عامله: مَنْ أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين» فكان من يراه سكران يقول: من يشتري مائة بثمانين، ثم يتركه ويمضي[٢].

٢ ـ المهدي (محمد بن عبدالله):

تملَّك بعد وفاة أبيه في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٥٨هـ، ومات لأيامٍ بقين من المحرم سنة ١٦٩هـ[٣].

وبادر ـ وقد شاهد ما كان يفعله أبوه من مظالم الناس وألوان الإساءة إلى جماهير المسلمين ـ فـ«افتتح أمره بالنظر في المظالم؛ والكفّ عن القتل؛ وأمْن الخائف؛ وإنصاف المظلوم»[٤]، وكان من ذلك ردُّ عَيْن أبي زياد التي صادرها المنصور من الإمام الصادق (ع)؛ فأعادها المهدي إلى ولده[٥].

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٧٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٧٨.

(٣) تاريخ اليعوقبي: ٣/ ٣٤ وتاريخ الطبري: ٨/ ١٠٩ و١٧١ ومروج الذهب: ٣/ ٢٣٣.

(٤) مروج الذهب: ٣/ ٢٣٦.

(٥) تاريخ الطبري: ٧/ ٦٠٣.

ومع أن هذا الخليفة ـ كما أسلفنا ـ قد افتتح عهده بإطلاق السجناء وإنصاف المظلومين، فإن الطالبيين بالخصوص لم يكونوا من أولئك المشمولين بالأمن والإنصاف، بل تحملوا ما تحملوا من أذاه وبطشه وعدائه الدفين المستحكم، فكانت له مواقف سوء حاقدة مع الإمام موسى بن جعفر (ع) ـ ومنها السجن ـ كما يأتي، كما كانت له مواقف مشابهة مع عددٍ غير معروف من ذرية عليٍّ وفاطمة (ع) لم يتورع فيها عن كل ضروب الجور والشر والقتل المتعمَّد، ويكفينا مثلاً على ذلك ما رواه الطبري عن الوزير يعقوب بن داوود قال:

«بعث إليَّ المهدي يوماً فدخلتُ عليه، فإذا هو في مجلس مفروش... على بستان فيه شجر... وإذا عنده جارية ما رأيتُ أحسن منها... فقال لي: يا يعقوب؛ كيف ترى مجلسنا هذا؟ قلتُ: على غاية الحسن... فقال: هو لك؛ احمله بما فيه وهذه الجارية،... فدعوتُ له بما يجب. ثم قال: يا يعقوب؛ ولي إليك حاجة... فقلتُ: الأمر لأمير المؤمنين وعليَّ السمع والطاعة. قال: واللهِ؟ قلتُ: واللهِ؛ ثلاثاً، قال: وحياة رأسي؟ قلتُ: وحياة رأسك، قال: فضع يدك عليه واحلف به، قال: فوضعتُ يدي عليه وحلفتُ له به لأعملنَّ بما قال... فلما استوثق مني في نفسه قال: هذا فلان بن فلان من ولد عليٍّ أُحبُّ أن تكفيني مؤونته وتريحني منه وتعجِّل ذلك. قال: قلتُ أفعل، قال: فخذه إليك. فحوَّلتُه إليَّ وحوَّلتُ الجارية وجميع ما كان في البيت من فرش وغير ذلك، وأمر لي معه بمائة ألف درهم... فلشدَّة سروري بالجارية صيَّرتُها في مجلس بيني وبينها ستر، وبعثتُ إلى العلوي، فأدخلتُه وسألتُه عن حاله... وإذا هو ألَبُّ الناس وأحسنهم إبانة... وقال لي في بعض ما يقول: ويحك يا يعقوب؛ تلقى اللهَ بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد، قلتُ: لا والله؛ فهل فيك خير؟ قال: إن فعلتَ خيراً شكرتُ لك... فقلتُ له: أيُّ الطرق أحبُّ إليك؟ قال: طريق كذا وكذا

قلتُ: فمَنْ هناك من تأنس به وتثق بموضعه؟ قال: فلان وفلان، قلتُ: فابعث إليهما وخذ هذا المال وامض معهما... وإذا الجارية قد حفظت عليَّ قولي، فبعثتْ به مع خادم لها إلى المهدي... وبعث المهدي من وقته ذاك فشحن تلك الطرق... فلم يلبثوا أن جاؤه بالعلوي بعينه وصاحبيه والمال».

«قال يعقوب: وأصبحتُ من غد ذلك اليوم فإذا رسول المهدي يستحضرني... فقال: يا يعقوب؛ ما حال الرجل؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد أراحك الله منه، قال: مات؟ قلت: نعم، قال: واللهِ؟، ثم قال: قم فضع يدك على رأسي، قال: فوضعتُ يدي على رأسه وحلفتُ له به. قال: يا غلام؛ أخرج إلينا ما في هذا البيت، قال: ففتح بابه عن العلوي وصاحبيه والمال بعينه. قال: فبقيتُ متحيِّراً وسقط في يدي... فقال المهدي: لقد حلَّ لي دمك لو آثرتُ إراقته، ولكن احبسوه»[1].

ولهذه التصرفات الظالمة والأعمال الخارجة على كتاب الله وسنة رسوله أهمل أهلُ الدين المهديَّ وأباه، فلم يرو عنهما راوٍ؛ ولم يرجع إليهما مسلم في فتوى، وقال الذهبي: «ما علمتُ أحداً احتجَّ بالمهدي ولا بأبيه في الأحكام»[2]، وذلك طبيعي جداً بعد تسليم الجميع بكونهما من الجهلة بالشريعة والمخالفين للكتاب والسنة قولاً وعملاً وسلوكاً وتطبيقاً.

وذكر المؤرخون أن المهدي «أول من ظهر للندماء من خلفاء بني العباس»[3]، ورووا أنه كان «لا يشرب النبيذ؛ لا تحرُّجاً؛ ولكنه كان لا يشتهيه، وكان أصحابه... ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم»[4].

---

(١) تاريخ الطبري: ٨/ ١٥٧ ـ ١٥٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٨٥.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٧٩.

(٤) تاريخ الطبري: ٨/ ١٦٠.

٣ ـ الهادي (موسى بن محمد):

تملَّك لسبع بقين من المحرم سنة ١٦٩هـ، ومات لليالٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ[١].

وجاء في التعريف به: أنه كان «قاسي القلب، شرس الأخلاق، صعب المرام»[٢]، وأنه «كان يتناول المُسكر»[٣]، و«يلعب، ويركب حماراً فارهاً، ولا يقيم أبهة الخلافة» و«كان جباراً، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة»[٤].

وذكر اليعقوبي: «إن موسى ألحَّ في طلب الطالبيين، وأخافهم خوفاً شديداً. . . وكتب إلى الآفاق في طلبهم»[٥]، وكان من آثار ذلك وردٌّ فعله المتوقَّع قيام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) بانتفاضته في سنة ١٦٩هـ وإرسال الخليفة جيشاً لقمعها، حيث استطاع جيش السلطان التغلب على الموقف وقتل الحسين المذكور ومن معه في «فَخّ» على ستة أميال من مكة المركمة؛ وإبقاءهم ثلاثة أيام على وجه الأرض بلا دفن[٦]، وقد احتُزَّت رؤوسهم فكانوا مائة رأس ونيفاً[٧].

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٣٩ وتاريخ الطبري: ٨/ ٢٠٥ و٢١٣ ومروج الذهب: ٣/ ٢٤٦.
(٢) مروج الذهب: ٣/ ٢٤٦.
(٣) تاريخ الطبري: ٨/ ٢٢٢ و٢٢٣ و٢٢٧ وتاريخ الخلفاء: ١٨٦.
(٤) تاريخ الخلفاء: ١٨٦.
(٥) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٣٧.
(٦) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٣٧ ومروج الذهب: ٣/ ٢٤٨.
(٧) تاريخ الطبري: ٨/ ١٩٢ ـ ١٩٧.

٤ ـ الرشيد (هارون بن محمد):

تملَّك صبيحة الليلة التي مات فيها أخوه الهادي؛ وذلك لليالٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ، ومات لليالٍ خلون من جمادى الأولى أو الآخرة سنة ١٩٣هـ[١].

وكان من بواكير إجراءاته الإدارية: أمره «بإخراج من كان في مدينة السلام من الطالبيين إلى مدينة الرسول (ص)»[٢]. ثم كان له معهم عامةً ومع سيدهم وإمامهم موسى بن جعفر (ع) خاصةً؛ من ضروب الجرائم وألوان المظالم؛ ما أنسى ما فعله سلفه من الحكام، مما يأتي بيانه مفصلاً في موضعه من البحث.

وأخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك قال:

«لما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فراودها عن نفسها فقالت: لا أصلح لك؛ إن أباك قد طاف بي. فشغف بها فأرسل إلى أبي يوسف فسأله: أعندك في هذا شيء؟، فقال: يا أمير المؤمنين! أوَكلّما ادَّعتْ أُمَةٌ شيئاً ينبغي أن تُصَدَّق؟ لا تُصَدِّقها فإنها ليست بمأمونة».

«قال ابن المبارك: فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه. أو من هذه الأمَة التي رغبتْ بنفسها عن أمير المؤمنين. أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها قال: اهتكْ حرمة أبيك واقضِ شهوتك وصَيِّرْه في رقبتي»[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٣٩ و١٦٠ وتاريخ الطبري: ٨/ ٢٣٠ ومروج الذهب: ٣/ ٢٥٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٢٣٥.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٩٣.

ولخَّص السيوطيُّ ـ روايةً عن الذهبي ـ مجمل ما يمكن تعريف الرشيد به؛ فذكر أنه صاحب أخبار وحكايات «في اللهو والملذات المحظورة والغناء»[١].

❁ ❁ ❁

ومن حقنا المشروع بعد هذه الوقفة العجلى على سِيَر مدَّعي الخلافة الإسلامية والولاية الدينية في تلك الحقبة الزمنية التي نعنى بها هنا، وبمعونة التأمل الواعي لما قال فيهم المؤرخون وحدَّث عنهم الحفَّاظ وروى بشأنهم الرواة، أن نتساءل بألم ومرارة عن سلَّة المهملات التي أُلقيت فيها شروط الإمامة ومواصفاتها المقرَّرة المتَّفق على وجوب اجتماعها في متبوِّىء هذا المركز الخطير؟

وإذا كانت كلمات السلف ورواياتهم في هؤلاء المدَّعين كما تقدم؛ وقد نقلنا منها بعضها وعرضنا غيضاً من فيضها، فماذا قال أولئك السلف في موسى بن جعفر؛ فقهاً وديناً وخلقاً وسلوكاً؟

ذلك ما لا بد من عرضٍ سريع لمجملٍ منه؛ يوضح الصورة؛ ويبيِّن الصواب؛ ويظهر الحقيقة جلية لكل ذي عينين ولكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

(١) تاريخ الخلفاء: ١٨٩ ـ ١٩٠.

موسى بن جعفر (ع)

علمه وفقهه:

قال أبو حاتم «ثقة أمين صدوق، إمام من أئمة المسلمين»[1].

وقال المفيد: «كان أعبد أهل زمانه وأورعهم وأجلّهم وأفقههم»[2].

وقال السروي: «كان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله»[3].

وقال ابن طلحة الشافعي: «الإمام الكبير القدر العظيم الشأن المشهور بالكرامات»[4].

وقال الذهبي: هو «الإمام القدوة»[5].

وقال ابن الصباغ المالكي: «الإمام الكبير القدر، والأوحد الحجة الحبر»[6].

---

(١) منهاج السنة: ٢/ ٢٤ و١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤.

(٢) الإرشاد: ٣٠٧.

(٣) المناقب: ٢/ ٣٨٣.

(٤) مطالب السؤول: ٢/ ٦١.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ والعبر: ١/ ٢٢٢.

(٦) الفصول المهمة: ٢١٣.

وقال ابن تغرى بردى: «كان سيداً عالماً فاضلاً سنياً جواداً ممدَّحاً مُجاب الدعوة»[١].

وعلى هذه الشاكلة كانت كلمات جميع من تحدَّث عنه وترجم له، ولخَّص ذلك كله ابن حجر العسقلاني بقوله: «مناقبه كثيرة»[٢].

عبادته وورعه:

قال اليعقوبي: «كان موسى بن جعفر (ع) من أشدَّ الناس عبادة»[٣].

وروى المفيد: «أنه كان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقِّب حتى تطلع الشمس، ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس»[٤].

وذكر مؤرِّخوه: أنه «كان يبكي من خشية الله حتى تخضلَّ لحيته بالدموع»[٥].

وحدَّث علي بن جعفر أخوه قال: «خرجنا مع أخي موسى بن جعفر (ع) في أربع عُمَرٍ يمشي فيها إلى مكة بعياله وأهله: واحدة منهن مشى فيها ستة وعشرين يوماً، وأخرى خمسة وعشرين يوماً، وأخرى أربعة وعشرين يوماً، وأخرى أحداً وعشرين يوماً»[٦].

---

(١) النجوم الزاهرة: ٢/ ١١٢.
(٢) تهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٤٥.
(٤) الإرشاد: ٣١٦.
(٥) الإرشاد: ٣١٦ والمناقب: ٢/ ٣٧٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٠١.
(٦) بحار الأنوار: ٤٨/ ١٠٠.

و«رُوِي: أنه دخل مسجد رسول الله (ص) فسجد سجدةً في أول الليل، وسُمِعَ وهو يقول في سجوده: عظم الذنبُ عندي فليحسن العفوُ من عندك؛ يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. فجعل يردِّدها حتى أصبح»[١].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: «موسى بن جعفر بن محمد ـ وهو العبد الصالح ـ جَمَعَ من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر»[٢].

وقال ابن تيمية: «موسى بن جعفر مشهور بالعبادة والنسك»[٣].

وقال القندوزي الحنفي: «كان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم»[٤].

مكارم أخلاقه:

قال المفيد: «كان أوْصَل الناس لأهله ورحمه»[٥].

وقال ابن طلحة الشافعي: «كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه»[٦].

وروى الكليني من شواهد مكارم أخلاقه؛ ما حدَّث به معتب قال: «كان أبو الحسن موسى (ع) في حائطٍ له يصرم، فنظرتُ إلى غلامٍ له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته فأخذتُه وذهبت به إليه

(١) تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٣ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧١ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩.
(٢) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٩١.
(٣) منهاج السنة: ٢/ ١٢٤.
(٤) ينابيع المودة: ٣٦٢.
(٥) الإرشاد: ٣١٦.
(٦) مطالب السؤول: ٢/ ٦١.

فقلتُ: جعلت فداك؛ إني وجدت هذا وهذه الكارة. فقال للغلام: فلان، قال: لبيك، قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدي، قال: فتعرى؟ قال: لا يا سيدي، قال: فلأي شيء أخذتَ هذه؟ قال: اشتهيتُ ذلك. قال: اذهب فهي لك، وقال: خلوا عنه»(١).

وروى الخطيب البغدادي من تلك الشواهد ما أسنده إلى جده يحيى بن الحسن عن غير واحدٍ من أصحابه: «أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذيه [أي يؤذي الإمام الكاظم] ويشتم علياً ـ قال: وكان قد قال بعض حاشيته: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك أشدَّ النهي وزجرهم أشد الزجر ـ، وسأل عن العمريِّ فذُكِر له أنه يزدرع بناحية من نواحي المدينة. فركب إليه في مزرعته فوجده فيها، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا تَطَأْ زرعنا، فوطئه بالحمار حتى وصل إليه، فنزل فجلس عنده وضاحكه وقال له: كم غرمتَ في زرعك هذا؟ قال له: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن تصيب؟ قال: أنا لا أعلم الغيب، قال: إنما قلت لك كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار. قال: فأعطاه ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله، فقام العمري فقبّل رأسه. وانصرف، فراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فوثب أصحابه فقالوا له: ما قصتك؟ قد كنتَ تقول خلاف هذا، قال: فخاصمهم وشاتمهم، وجعل يدعو لأبي الحسن موسى كلما دخل وخرج»(٢).

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: «أن عبداً لموسى بن جعفر (ع)

(١) الكافي: ٢/١٠٨.
(٢) تاريخ بغداد: ١٣/٢٨ ـ ٢٩.

قدَّم إليه صَحْفَةً فيها طعام حارٌّ، فعجل فصبَّها على رأسه ووجهه، فغضب، فقال له: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال: قد كظمتُ، قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران، ١٣٤]، قال: قد عفوتُ، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال: أنت حرٌّ لوجه الله؛ وقد نحلتُك ضيعتي الفلانيَّة»[(١)].

كرمه وسخاؤه:

اشتهر الإمام الكاظم (ع) في عصره بالجود والسخاء وسعة العطاء، حتى بلغ ذلك ـ فيما روى الرواة ـ أنه «كان يتفقد فقراء المدينة في الليل، فيحمل إليهم العينَ والوَرِقَ والأدقَّة والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو»[(٢)]، «وذكر جماعة من أهل العلم: أن أبا الحسن (ع) كان يصل بالمائتي دينار إلى ثلاثمائة دينار»، وكان «يُضْرَب المَثَلُ بصرار موسى» حتى قيل: «عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكا القلَّة»[(٣)].

وتناقل المحدِّثون والمؤرخون حتى كاد يبلغ حدَّ التواتر: أن الإمام «كان يسمع عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرَّة فيها ألف دينار ـ وفي لفظ ابن كثير الدمشقي: فيرسل إليه بالذهب والتحف ـ، وكان يصرُّ الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة»[(٤)].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٨/ ٤٦.

(٢) الإرشاد: ٣١٦ ـ ٣١٧ والمناقب: ٢/ ٣٧٩ والفصول المهمة: ٢١٩ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٠٢ ونور الأبصار: ١٣٨.

(٣) الإرشاد: ٣١٨ والمناقب: ٢/ ٣٧٩ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٠٤ و١٠٨ و٢٤٨.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ وتاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ ـ ٢٨ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٣ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧١ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٢.

وجاء في أمثلة ذلك السخاء ما أخرجه الخطيب البغدادي والذهبي عن عيسى بن محمد بن مغيث القرظي ـ وكان قد بلغ تسعين سنة حينما حدَّث بهذا الحديث ـ قال:

«وزعتُ بطيخاً وقثَّاءً وقرعاً في موضعٍ بالجوَّانية على بئرٍ يقال لها أُمُّ عظام، فلما قرب الخير واستوى الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كله، وكنتُ غرمتُ على الزرع وفي ثمن جملَيْن مائة وعشرين ديناراً. فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر بن محمد، فسلَّم ثم قال: ايش حالك؟ فقلتُ: أصبحتْ كالصَّريم؛ بغتني الجراد فأكل زرعي، قال: وكم غرمتَ فيه؟ قلت: مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجَملَيْن. فقال: يا عرفة؛ زِنْ لأبي المغيث مائة وخمسين ديناراً... فقلت: يا مبارك؛ ادخلْ وادعُ لي فيها، فدخل ودعا... ثم علَّقت عليه الجملين وسقيتُه، فجعل الله فيها البركة، زكتْ فبعتُ منها بعشرة آلاف»[1].

وأورد الخطيب البغدادي أيضاً في أمثلة ذلك ما رواه عن محمد ابن موسى قال:

«خرجتُ مع أبي إلى ضياعه بساية، فأصبحنا في غداة باردة، وقد دنونا منها وأصبحنا على عين من عيون ساية، فخرج إلينا من تلك الضياع عبد زنجي... على رأسه قدرُ فخار يفور، فوقف على الغلمان فقال: أين سيدكم؟ قالوا: هو ذاك، قال: أبو مَنْ يكنى؟ قالوا له: أبا الحسن. قال: فوقف عليه فقال: يا سيدي يا أبا الحسن؛ هذه عصيدة أهديتُها إليك، قال: ضعها عند الغلمان، فأكلوا منها. ثم ذهب فلم نَقُلْ بَلَغَ حتى خرج على رأسه حزمة حطب حتى وقف فقال له: يا سيدي هذا حطب أهديتُه إليك، قال: ضعه عند الغلمان وهَبْ لنا ناراً، فذهب فجاء

(١) تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٩ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٢.

بنارٍ. قال: وكتب أبو الحسن اسمه واسم مولاه فدفعه إليَّ وقال: يا بنيَّ احتفظ بهذه الرقعة حتى أسألك عنها. قال: فوردنا إلى ضياعه وأقام بها... ثم قال: امضوا بنا إلى زيارة البيت، فخرجنا حتى وردنا مكة، فلما قضى أبو الحسن عمرته دعا صاعداً فقال: اذهب فاطلب لي هذا الرجل [يعني صاحب الضيعة التي فيها العبد الزنجي]، فإذا علمتَ بموضعه فأعلمني حتى أمشي إليه؛ فإني أكره أن أدعوه والحاجة لي. قال لي صاعد: فذهبتُ حتى وقفتُ على الرجل... ومضى معي حتى أتيتُه... فقال له أبو الحسن: غلامك فلان تبيعه؟ قال له: جعلتُ فداك؛ الغلام لك والضيعة... فاشترى أبو الحسن الضيعة والرقيق منه بألف دينار، وأعتق العبد ووهب له الضيعة. قال إدريس بن أبي رافع: فهو ذا وَلَدُه في الصرّافين بمكة»[(١)].

ونكتفي بهذين المثالين شاهداً على كرم الإمام موسى بن جعفر (ع) وسخائه، وأنه لكرمٌ فاق به كرماء عصره وأسخياء زمانه، على الرغم من أنه كان يعيل إعالةً فعليَّةً «ما يزيد على خمسمائة من العيال»[(٢)]، ويعلِّق المستشرق دونالدسن على هذا السخاء فيقول: «ربما كان هذا السخاء والكرم مما جعل المهديَّ يرتاب به، فأقدمه إلى بغداد وحبسه»[(٣)].

وكلمة يجب أن تُسجَّل هنا قبل الانتقال عن هذا الموضوع: تلك هي أن هذا الكرم الواسع الذي أصبحت صُرَرُه مضربَ المثَل؛ لم يكن بفضل ما يصل الإمام من الأموال الشرعية من أتباعه وشيعته في شرق

(١) تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٩ ـ ٣٠، وروى الحافظ ابن كثير الدمشقي القصة باختصار في البداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣.
(٢) بحار الأنوار: ٤٨/ ١٣٠.
(٣) عقيدة الشيعة: ١٦٤.

الأرض وغربها، لأن إيصال تلك الأموال لمستحقيها لا يعدُّ جوداً ولا كرماً. وإنما تجسَّد ذلك السخاء الثُّر والعطاء الغَدق بسبب ما كان يصله من حاصل ضياعه ومزارعه التي دخلت في ملكه شراءً أو إرثاً من أسلافه، ويظهر من كتب التاريخ والبلدان أن ذرية علي بن أبي طالب (ع) كانوا يملكون ضياعاً كثيرة في عدة مواضع في الحجاز بين مكة والمدينة وبالقرب منهما، وأن بعض ذلك قد دخل في حيازة الإمام الكاظم (ع) فكان ملكه الخاص، ثم زاد عليه ما تسنّى له شراؤه على مرِّ الأيام؛ وما استطاع أن ينهض بإحيائه من الأراضي الموات.

وقد ورد في عددٍ من المصادر الحديثية والتاريخية ذكرُ «بعض أمواله» أو «ضيعته» أو «حائطٍ له»[١]. وكانت إحدى تلك الضياع في نَقَمى[٢] ـ وهي موضع «من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب»[٣] ـ، كما كانت له ضيعة بسايَة[٤]، وسايَةُ وادٍ تابع للمدينة المنورة، ومزارعه فيها نخل وعنب ورمان، وقال البكري وياقوت: «أصلها لولد علي بن أبي طالب»[٥]، كما أن إحدى ضياعه كانت تعرف بـ«اليسيرة» أو «اليسيرية» وهي التي وهبها لولده أحمد[٦].

وجاء في إحدى الروايات أن واحدة من تلك المزارع قد تصدَّق بها الإمام (ع) في حياته على مجموع ذريته من بعده وجعلها وقفاً عليهم،

(١) الكافي: ٢/١٠٨ و٣/٣٢٦ والإرشاد: ٣١٢ و٣١٥ و٣٢٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٥٧ و١٣٠.
(٢) الإرشاد: ٣١٧ وتاريخ بغداد: ١٣/ ٢٨ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٠٢.
(٣) معجم البلدان: ٨/ ٣١٠.
(٤) تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٩.
(٥) معجم ما استعجم: ٣/ ٧٨٧ ومعجم البلدان: ٥/ ٢٣.
(٦) الإرشاد: ٣٢٤ والفصول المهمة: ٢٢٤.

ويبدو أنها كانت أرضاً واسعة الجوانب بعيدة الأطراف، إذ ذكر كتابُ الإمام المحرَّر بهذا الشأن: أنه تصدَّق بهذه الأرض كلها «نخلها وأرضها ومائها وأرجائها وحقوقها وشربها من الماء»(١).

وتصرح النصوص المأثورة أن الإمام (ع) كان يعمل في تلك الأراضي بيده في بعض الأحيان، فقد روى علي بن حمزة قال: «رأيت أبا الحسن (ع) يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك؛ أين الرجال؟ فقال: يا علي؛ قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه، فقلت: ومَنْ هو؟ فقال: رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع)، وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم»(٢).

❀ ❀ ❀

ونعود بعد هذه الوقفة التفصيلية الواعية على خلاصة تاريخ خلفاء تلك الحقبة ممن ادعوا أنهم أمراء المؤمنين وأولياء أمر المسلمين، وعلى تاريخ الإمام موسى بن جعفر (ع) الموثَّق بالمصادر والأسانيد، لنعرف بما لا يقبل الشك والتردد مواهب موسى وملكاته؛ في علمه وفقهه؛ وفي تقاه وورعه؛ وفي نبيل سلوكه وفاضل خُلُقه؛ وفي سخاء يده وكرم عطائه، وتلك هي ـ دون غيره ـ الصفات الأساس التي اتفق المفكرون الإسلاميون على وجوب اجتماعها في المرشَّح للإمامة؛ وأهم الشروط التي افترض الفقهاء توافرها في المؤهَّل لهذا المركز الديني الأعلى في الإسلام.

ويشكِّل ذلك كله بمجموعه حجةً بالغةً على عموم الجاهلين والمغفَّلين والمنكرين، ويوضح لهم أبين الوضوح حكمة الاختيار وبراعة

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.
(٢) الكافي: ٥/ ٧٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١٥.

الانتقاء ودقة النظر المستشرف للغيب؛ في الأحاديث النبوية الشريفة المعنيَّة بتعيين الأئمة والنصِّ عليهم وكونهم اثنى عشر إماماً كما تقدَّم بيانه في صدر هذا الفصل.

كذلك اتضحت بما لا مجال فيه لشكٍّ أو تردد أيضاً حقيقة أولئك المدَّعين للولاية الشرعية، فراغاً من مواصفات التأهيل، وخلواً مما يجب أن يكونوا عليه من كفايات الاستحقاق. فلم يكن لديهم فقه بالشريعة وأحكامها، ولا علم بمعاني القرآن والحديث، ولا ورع يردعهم عن محارم الله، ولا التزام يصدُّهم عن متابعة الهوى وإطاعة شهوات النفس الأمَّارة بالسوء.

وليس معنى ذلك إننا ننسب لهم العجز عن إدارة الدولة وشؤون الحكم؛ والفشل في الهيمنة على تلك الرقعة المترامية الأطراف التي نطلق عليها اسم «التراب الإسلامي»، بل نعترف لهم أصرح الاعتراف بالقدرة التامة على ضبط دفَّة السلطان؛ وإخضاع الناس؛ وحفظ النظام العام، ولكن ذلك ـ كما دلَّتنا عليه وقفتنا هذه ـ لا يعدُّ إمامة بحسب التعبير الفقهي، ولم يكن خاضعاً لاتِّباعٍ صادق وتنفيذ أمين لقواعد الشرع وضوابط الدين وتعاليم الإسلام الصارمة.

ومن مجموع المقارنة بين هذين الطرفين في تلك الجوانب التي عُني ببيانها الفقهاء، وتكفلت بشرحها مصادر الأحكام السلطانية؛ وأسهبت في روايتها كتب الحديث والتاريخ، يتجلى للعيان بما لا يقبل التأويل وما لا يصح فيه التوهم؛ إن الإمامة في ذلك العصر إنما كانت للإمام موسى بن جعفر (ع) دون سواه، وإن غيره من المدَّعين ـ أيّاً ما كانوا ـ لا يجوز اعتبارهم أئمة دينٍ وولاة أمرٍ بالمصطلح القرآني، وإن كانوا حكاماً وخلفاء بالمصطلح السياسي الدنيوي.

وذلك هو الحق الجليُّ البيِّن الذي لا حق غيره.

امتدت إمامة موسى بن جعفر (ع) الشرعية حقبة غير قصيرة من الزمن؛ تناهز نحواً من خمس وثلاثين سنة، وقد شهد العدو والصديق أنه كان خلالها مطمح الأنظار؛ ومهوى القلوب؛ وملتقى الأفئدة؛ وملجأ أهل الدين؛ ومنهل طالبي العلم والباحثين عن الحقيقة.

وعاصر في هذه المدة المديدة الحافلة أحداثاً مختلفة الألوان؛ ووقائع متنوعة الآلام، كما عاصر فيها أربعة من الحكام كانوا ـ على تفاوت أذواقهم وأساليبهم ـ متفقين على عداء الطالبيين ومعاملتهم بالقسوة والغلظة؛ ومطاردتهم في كل حدب وصوب، من دون أن تعرف قلوبهم خوفاً من الله أو تقيُّداً بدين أو تأنيباً من ضمير.

ويبدو أن أبا جعفر المنصور ـ وهو أول الحكام الذين ابتلي بهم الإمام في بداية إمامته ـ قد اكتفى في ختام مطاردته لأهل البيت؛ بفعلته الشنعاء وجريمته النكراء؛ بقتل الإمام الصادق (ع) بالسم، كما روى غير واحد من المؤرخين ممن أسلفنا ذكره فيما تقدَّم، بعد أن سبقتها فجائعه وفظائعه ضد عبد الله بن الحسن وذوي قرباه من العلويين، ثم ضد ولديه محمد وإبراهيم وجميع أصحابهما وأتباعهما من جمهور المسلمين. ولعله حينما استراح من هؤلاء جميعاً قرَّر أن يهادن الإمام الكاظم (ع) وأن لا يقوم بأية إساءة إليه، فتنفس الإمام الصعداء من أذى المنصور منذ سنة ١٤٨هـ حتى نهاية حياة الخليفة في سنة ١٥٨هـ.

ومع أننا لا نملك من كلمات المؤرخين ما يجلو لنا صورة العلاقة بين الإمام والمنصور؛ في سلبها وإيجابها؛ وشدِّها وإرخائها، ولكن القدر المتيقن منها أنها كانت أقرب إلى المهادنة والموادعة منها إلى التشنُّج والتوتر. ويقول المستشرق دونلدسن: أن «حياة موسى في المدينة... في هذا العصر الشديد الاضطراب؛ ليس معها دليل قاطع به... وكان الإمام موسى يعرف أن كل خليفة ينظر إليه بعين الحذر ويراقبه لعله يجد فيه ما يدل على عدم إخلاصه!»[1].

ومهما يكن من أمر؛ فقد رحل المنصور عن الدنيا ولم يسجِّل له أي موقف ظالم وأي تصرف عدواني صارخ ضد الإمام الكاظم (ع) ـ، وبذلك استطاع الإمام أن يتفرغ لمهمات العلم والدرس في المدينة المنورة، في الوقت الذي كان أبو جعفر خلاله متفرغاً لمهمات سلطانه وشهوات نفسه في بغداد.

❁ ❁ ❁

وتسلَّم المهديُّ الحكم من أبيه المنصور إثر موته في سنة ١٥٨هـ، فبدأ المشّاؤون بالنميم والسعاة بالسوء في إثارة المهدي على الإمام، من دون أن توضح لنا النصوص التاريخية أسباب هذه الإثارة وحوادثها المقتضية لها، ويعلِّل المستشرق دونلدسن ثورة الغضب في نفس المهدي بسبب ما شاع من سخاء الإمام وكرمه ـ وقد سبق منَّا نقل ذلك منه ـ، ولكننا لا نقر هذا التعليل ولا نتفق مع هذا المستشرق فيه، لأن أموال المهدي كانت أكثر من أموال الإمام أضعاف المرات، وكان باستطاعته ـ وهو الخليفة الحاكم بأمره ـ أن يغدق على الناس العطاء، حتى يلفت كل الأنظار إليه فيكون هو الأشهر بين الأسخياء.

---

(١) عقيدة الشيعة: ١٦٢ ـ ١٦٣.

وأياً ما كان الأمر؛ فقد نجح ذوو النفوس الخبيثة في سعيهم لتأزيم الموقف بين الإمام والسلطان، فاستُدْعي الإمام إلى بغداد، وحُبِس هناك باتفاق المؤرخين مدة من الزمن[١]، ويبدو من بعض النقول والروايات أن استدعاء الإمام وحبسه في عهد المهدي قد تكرر أكثر من مرة، فقد روى أبو خالد الرماني (أو الزبالي) وصاحبه أبو يعقوب أنهما التقيا الإمام في الطريق بين الحجاز والعراق في قَدْمته الأولى على المهدي[٢]، وذِكْرُ «القَدْمة الأولى على المهدي» دليلٌ على تعدُّد القَدْمات وتكررها، وإن لم نعرف عددها وملابساتها بالتفصيل.

وروى الخطيب البغدادي عن الفضل بن الربيع عن أبيه؛ قال:

«لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهديُّ في النوم عليَّ بن أبي طالب وهو يقول: يا محمد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] قال الربيع: فأرسل إليَّ ليلاً فراعني ذلك، فجئتُه فإذا هو يقرأ هذه الآية ـ وكان أحسن الناس صوتاً ـ وقال: عليَّ بموسى بن جعفر، فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن؛ إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ عَلَيَّ كذا، فتؤمنني أن تخرج عليَّ أو على أحدٍ من ولدي؟ فقال: آلله؛ لا فعلتُ ذاك ولا هو من شأني، قال: صدقتَ. يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردَّه إلى أهله إلى المدينة، قال الربيع: فأحكمتُ أمره ليلاً فما

(١) تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٥ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٢.

(٢) الكافي: ١/ج٤٧٧ ـ ٤٧٨ والمناقب: ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٧٢ ـ ٧٣ و٢٢٨ ـ ٢٢٩.

أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق»(١).

وهذا النص ـ كما يرى القارىء ـ صريح الدلالة على أن الإمام كان محبوساً عند الربيع وزير الخليفة، وهناك نص آخر يستفاد منه أنه كان سجيناً عند حميد بن قحطبة(٢) أحد جلاوزة الحكم المقرَّبين، ولا بد أن ذلك كان في قَدْمةٍ أخرى سابقة أو لاحقة؛ غير تلك التي تحدَّث عنها الربيع.

❀ ❀ ❀

وانتهى عهد المهدي وعهد قدماته وسجونه للإمام، فتسلَّم الهادي السلطة إثر وفاة أبيه، ويبدو أن الهادي قد ورث من المهدي الحقد والضغينة على آل علي وفاطمة (ع)، فلم يسلم الإمام من أذاه وشرِّه خلال أيام حكمه التي لم تدم طويلاً، وروى الحافظ ابن حجر الهيتمي: «إن موسى الهادي حبسه أولاً ثم أطلقه»(٣)، وذكر الآبي: إن «موسى الهادي قد هَمَّ به»(٤) أي بقتله، وروى آخرون: إن الخليفة قد تنكر للإمام «فهلك قبل أن يوصل إلى الكاظم (ع) أذىً»(٥).

(١)
(٢) تاريخ بغداد: ٣/ ٣٠ ـ ٣١. وورد الخبر بتفصيل أكثر أو أقل في تاريخ الطبري: ٨/ ١٧٧ ونثر الدر: ٣/ ٩٢ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٤ وكامل ابن الأثير: ٥/ ٧٢ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ ـ ٦٢ وتذكرة الخواص: ٣٥٩ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ والفصول المهمة: ٢١٤ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ ـ ٩٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٤٨ وينابيع المودة: ٣٨٢.
(٣) المناقب: ٢/ ٣٦٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٤) الصواعق المحرقة: ١٢٢ وينابيع المودة: ٣٦٣.
(٥) نثر الدر: ١/ ٣٥٨.

وعندما نريد البحث والتعمق في معرفة دوافع الخليفة الهادي إلى حبس الإمام أو إيصال الأذى إليه أو العزم على قتله؛ فقد يرجح في الظن أن ذلك مرتبط بقضية ثورة الحسين بن علي في سنة ١٦٩هـ، كما يرجح أيضاً أن يكون تراجعه عن تنفيذ ما عزم عليه بسبب ما علمه بعد ذلك من جلاوزته ومخبريه من عدم مشاركة الإمام في تلك الثورة ورفضه دعوة ابن عمه للخروج معه، وقد جاء في رواية الكليني: أن الحسين بن علي لما أعلن أمره واستولى على المدينة المنوَّرة «دعا موسى بن جعفر إلى البيعة، فأتاه فقال له: يا ابن عم؛ لا تكلِّفني ما كلَّف ابنُ عمِّك عمَّك أبا عبد الله، فيخرج مني ما لا أُريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد. فقال له الحسين: إنما عرضتُ عليك أمراً؛ فإن أردتَه دخلتَ فيه؛ وإن كرهتَه لم أحملك عليه، والله المستعان. ثم ودَّعه، فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودَّعه: يا ابن عم؛ إنك مقتول»[١].

وتنص رواية أبي الفرج الأصبهاني على أنه لم يتخلَّف أحدٌ من الطالبيين عن الخروج مع الحسين هذا «إلاّ الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن؛ وموسى بن جعفر بن محمد»[٢].

ولم يكن امتناع الإمام موسى بن جعفر (ع) عن تأييد ابن عمه؛ بالخروج معه؛ أو حثِّ الناس على بيعته؛ أو إعلان وجوب الانخراط في صفوف الثائرين معه، ناشئاً عن خوفٍ من بطش السلطة، أو إيثارٍ للحياة على الموت؛ أو حبٍّ للدنيا وزبارجها الخداعة، وأين منه كل ذلك؛ وهو يعيش بطش السلطة وأذاها في كل يوم، ويتمنى لقاء الله وقدومه عليه في كل دعاء وابتهال.

---

(١) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٢٤٨/٤٨.

(٢) الكافي: ٣٦٦/١ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٦٠ ـ ١٦١.

ولقد سبق منّا القول في بحوثنا السابقة المعنية بالأئمة علي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق (ع): أن هؤلاء القادة ليسوا من حيث المنطلق والمبدأ هواة حكمٍ أو عشّاق سلطان، ولم يكن من أهدافهم في الدنيا كرسي الملك أو عرش الخلافة، وإنما يتمثل همهم الأكبر وشغلهم الشاغل في العمل على تطبيق أحكام الدين، وتجسيد ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله على صعيد الواقع المعاش للمسلمين، فإنْ علموا بتحقيق الثورة لذلك ـ ولو بالقوة لا بالفعل كما في ثورة الحسين (ع) ـ قاموا بها ولم يأبهوا بفداحة الخسائر وعظم التضحيات، وإن لم يضمنوا هذه النتيجة لا في الحال ولا في المستقبل المنظور امتنعوا عن إراقة الدماء وتأجيج نيران الحروب والفتن، لأنها بلا جدوى ولا مردود.

ومن هنا كان سبب تخلُّف الإمام عن تأييد نهضة ابن عمه، لعلمه مسبَّقاً بأنها محكومة بالفشل المحتم؛ وغير مكتوب لها النجاح ـ ولو بأدنى درجاته ـ في تحقيق الهدف. وبذلك لن يكون لها من نتيجة سوى مقتل القائمين بها ومقتل من يناصرهم فيها من جماهير الناس الناقمة على بني العباس، وسوى تعزيز قبضة الحاكم وتدعيم تسلطه على الرقاب، من دون أن يترتب عليها أو يكون من آثارها شيء ملموس في إصلاح المفاسد وإزالة المظالم وتنفيذ شرع الله في خلقه وأرضه.

وعلى الرغم من علم الإمام بهذه الخاتمة وإخباره الحسين بصريح اللفظ أنه مقتول؛ وإصرار الحسين على موقفه وتصميمه، فقد أُثِر عن الإمام موسى بن جعفر (ع) لما بلغه نبأ شهادة ابن عمه قوله فيه: «إنَّا لله وإنا إليه راجعون. مضى واللهِ مسلماً صالحاً صوَّاماً؛ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ ما كان في أهل بيته مثله»[1]، مشيراً في ذلك إلى أن

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٤٧.

قيام الحسين بنهضته إنما كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس مشمولاً بعنوان الجهاد الشرعي العام الذي تجب مشاركة جميع المسلمين فيه إن توافرت شروطه وأركانه.

وهكذا انتهت هذه الانتفاضة أو الثورة ـ كما انتهت ثورات بني الحسن الأخرى السابقة عليها ـ بلا فائدة ولا عائدة، ولعل ما أسلفنا ذكره من اقتناع الخليفة بعدم إقرار الإمام لها وعدم مشاركته فيها قد خفَّف من غيظه وغلوائه ضده، فابتعد عنه شرُّه خلال الأشهر الباقية من عمر الهادي وقد شاء الله أن لا تطول ولا تمتد.

❀ ❀ ❀

ثم آل الأمر والصولجان بعد الهادي إلى أخيه هارون الرشيد، فكانت أيامه من أشدِّ الأيام ـ بل الأشدَّ مطلقاً ـ على الطالبيين عامة والإمام موسى بن جعفر خاصة، ولم نقف من خلال الروايات التاريخية على سبب معيَّن لهذا التشنج الهاروني الجائر، غير الحقد والغيرة والعُقَد الموروثة له من أسلافه العباسيين تجاه أبناء عمهم العلويين. إذ لو كان له سبب غير ذلك ـ أيّاً مّا كان ـ لذكره المؤرخون ولو من باب الدفاع عن تصرفات الخليفة وتسويغ سوء أعماله.

وكمثلٍ واحدٍ يكفينا مؤونة الشرح والتطويل نسوق ما جاء في رواية عبيدالله البزاز النيسابوري قال:

«وكان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلتُ إليه في بعض الأيام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني... وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر، فلما دخلتُ إليه... أُحضرت المائدة، وذهب عني أني صائم... ثم ذكرتُ فأمسكتُ يدي. فقال لي حميد: مالك لا تأكل؟، فقلتُ: أيها الأمير؛ هذا شهر رمضان؛ ولستُ بمريض

ولا بي علّة توجب الإفطار، ولعل الأمير له عذر في ذلك... فقال: ما بي علة توجب الإفطار وإني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى، فقلت له... ما يبكيك أيها الأمير، فقال:

«أنفذ إليّ هارون الرشيد... ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم. قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه، وجاء بي إلى بيتٍ بابُه مغلق، ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة، ففتح بابَ بيتٍ منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب؛ شيوخ وكهول وشبان مقيَّدون. فقال لي: إن أمير المؤمنين!! يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه، حتى أتيتُ على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر. ثم فتح بابَ بيتٍ آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة مقيَّدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين!! يأمرك بقتل هؤلاء... فأتيتُ على آخرهم. ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة... فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه... حتى أتيتُ على تسعة عشر منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر، فقال لي: تبّاً لك يا مشوم؛ أي عذرٍ لك يوم القيامة إذا قدمتَ على جدِّنا رسول الله (ص) وقد قتلتَ من أولاده ستين نفساً... فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني، فأتيتُ على ذلك الشيخ فقتلته... فإذا كان فعلي هذا وقد قتلتُ ستين نفساً من ولد رسول الله (ص)، فما ينفعني صومي وصلاتي، وأنا لا أشك أني مخلَّد في النار»[1].

إن هذه القصة بمفردها ـ وقد أسلفنا أنها مَثَلٌ يحكي لنا تاريخ

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ١٦٥.

الرشيد في مجموع فقراته ـ كافية في الدلالة على طريقة تعامُل هذا الخليفة مع العلويين أياً مّا كانت مقاماتهم الدينية والاجتماعية؛ وفي المقدمة منهم رمزهم الأكبر وسيدهم الأعلى موسى بن جعفر (ع).

وينسب ابنُ عنبة الداودي إلى الرشيد في أول تولّيه السلطة أنه «أكرم الإمام وعظّمه»[1]، ثم تغيّر عليه بعد ذلك فأمر بحبسه. وسواء أصحَّ خبر هذا الإكرام المصنطع أو لم يصح، فإن المؤرخين قد أجمعوا في تواتر الخبر على أن الرشيد كان حاقداً كل الحقد على الإمام؛ وأنه قد سجنه لعدة سنوات؛ وأنه قد توفي في سجن الرشيد[2] باتفاق النصوص.

ووردت الرواية في بعض المصادر تتحدث عن نصّ وصيةٍ للإمام موسى بن جعفر (ع) ونصّ وقفية إحدى ضياعه، والراجح عندي أن ذلك قد تمَّ بعد تولي الرشيد الملك، وأنه ليدل بوضوح على إحساس الإمام بأن حياته قد أصبحت في خطرٍ منتظر الوقوع في ظل هذا الحاكم الجديد، فحرر هذه الوصية والوقفية من باب التحسُّب للطوارىء والمفاجآت لتنظيم شؤون عائلته وأولاده من بعده.

وجاء في نصّ الوصية:

«إن أبا إبراهيم موسى بن جعفر أشهد على وصيته إسحاق بن جعفر بن محمد، وإبراهيم بن محمد وجعفر بن صالح ومعاوية الجعفريين؛ ويحيى بن الحسين بن زيد؛ وسعد بن عمران الأنصاري؛ ومحمد بن الحارث الأنصاري؛ ويزيد بن سليط الأنصاري؛ ومحمد بن

(١) بحار الأنوار: ٤٨/١٧٦ ـ ١٧٨.

(٢) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٨.

جعفر الأسلمي: بعد أن أشهدهم أنه يشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن البعث بعد الموت حق، وأن الحساب والقصاص حق، وأن الوقوف بين يدي الله عز وجل حق، وأن ما جاء به محمد (ص) حق، وأن ما نزل به الروح الأمين حق. على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله».

«أُشهدهم أن هذه وصيتي بخطي... وأوصيتُ بها إلى عليٍّ ابني وبنيَّ بعده، إن شاء وآنس منهم رشداً وأحبَّ إقرارهم فذلك له، وإن كرههم وأحبَّ أن يخرجهم فذلك له، ولا أمر لهم معه. وأوصيتُ إليه بصدقاتي وأموالي وصبياني الذين خلَّفتُ وولدي؛ وإلى إبراهيم والعباس وإسماعيل وأحمد وأم أحمد. وإلى عليٍّ أمر نسائي دونهم؛ وثلث صدقة أبي وأهل بيتي يضعه حيث يرى، ويجعل منه ما يجعل ذو المال في ماله... وإن أحبَّ أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدق على غير ما وصَّيتُه فذاك إليه... وإن رأى أن يقرَّ إخوته الذين سميتُهم في صدر كتابي هذا أقرَّهم، وإن كره فله أن يخرجهم غير مردود عليه. وإن أراد رجل منهم أن يزوِّج أخته فليس له أن يزوِّجها إلا بإذنه وأمره... ولي عنده مال؛ وهو مصدَّق فيما ذكر من مبلغه إن أقلَّ وأكثر، فهو الصادق... وأولادي الأصاغر وأمهات أولادي من أقام منهن في منزلها وفي حجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن أراد ذلك... ولا يزوِّج بناتي أحدٌ من إخوتهن ومن أُمهاتهن ولا سلطان ولا عمل لهن إلا برأيه ومشورته... وهو أعرف بمناكح قومه؛ إن أراد أن يزوِّج زوَّج؛ وإن أراد أن يترك ترك»[1].

---

(١) نثر الدر: ١/ ٣٦٠ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٤ وتذكرة الخواص: ٣٥٩ ومنهاج =

وجاء في كتاب وقف الصدقة الجارية على ذريته ما لفظه:

«هذا ما تصدَّق به موسى بن جعفر: تصدَّق بأرضه مكان كذا وكذا... كلها ونخلها ومائها وأرجائها وحقوقها وشربها من الماء؛ وكلِّ حقٍّ هو لها؛ في مرفع أو مظهر أو عنصر أو مرفق أو مساحة أو مسيل أو عامر أو غامر. تصدَّق بجميع حقِّه من ذلك على ولده من صلبه الرجال والنساء، يقسَّم ما أخرج الله عز وجل من غلتها ـ بعد الذي يكفيها في عمارتها ومرافقها؛ وبعد ثلاثين عذقاً يقسَّم في مساكين أهل القرية ـ بين ولد موسى بن جعفر؛ للذكر مثل حظ الأنثيين. فإن تزوجت امرأة من ولد موسى بن جعفر فلا حقَّ لها في هذه الصدقة حتى ترجع إليها بغير زوج، فإن رجعت كان لها مثل حظ التي لم تتزوج من بنات موسى. ومَنْ توفي من ولد موسى وله ولدٌ فولده على سهم أبيهم؛ للذكر مثل حظ الأنثيين؛ على مثل ما شرط موسى بين ولده من صلبه. ومَنْ توفي من ولد موسى ولم يترك ولداً رُدَّ حقُّه على أهل الصدقة. وليس لولد بناتي في صدقتي هذه حق إلا أن يكون آباؤهم من ولدي. وليس لأحدٍ في صدقتي حقٌّ مع ولدي وولد ولدي وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فإن انقرضوا ولم يبق منهم أحد فصدقتي على ولد أبي من أُمي ما بقي منهم أحدٌ ما شرطتُ بين ولدي وعقبي، فإن انقرض ولد أبي من أمي وأولادهم فصدقتي على ولد أبي وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فإن لم يبق منهم أحد فصدقتي على الأوْلى فالأوْلى حتى يرث اللهُ الذي ورثها وهو خير الوارثين».

= السنة: ٢/ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ والعبر: ١/ ٢٢٢ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٥ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ والأئمة الاثنا عشر: ٩٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٢٨ وينابيع المودة: ٣٦٣ و٣٨٢.

«تصدَّق موسى بن جعفر بصدقته هذه ـ وهو صحيح ـ صدقةً حبيساً بتّاً بَتلاً... ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولا يحل لمؤمنٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيعها أو يبتاعها أو يهبها أو ينحلها أو يغير شيئاً مما وضعتُها عليه حتى يرث اللهِ الأرضَ ومَنْ عليها»(١).

❀ ❀ ❀

وعلى كل حال، فإن المتفق عليه بين المؤرخين إن أيام الرشيد كانت أسوء الأيام على الإمام إرهاباً وإرعاباً وسجوناً ومعتقلات، ويستفاد من مجموع كلماتهم وأقوالهم إن الإمام في عهد هذا الخليفة قد تكرَّر سجنه وإخلاء سبيله أكثر من مرة قبل سجنه الأخير الذي توفي فيه، كما يستفاد منها أنه حُبِس في البصرة مرة؛ وفي بغداد مرات، وأنه تنقل في حبوس عيسى بن جعفر؛ والفضل بن الربيع؛ والفضل بن يحيى البرمكي، ثم السندي بن شاهك(٢) في آخر المطاف.

وروى المسعودي عن عبد الله بن مالك الخزاعي ـ وكان على دار الرشيد وشرطته ـ قال:

«أتاني رسول الرشيد في وقتٍ ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي... فلما صرتُ إلى الدار سبقني الخادم فعرَّف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول، فدخلتُ فوجدتُه قاعداً على فراشه، فسلَّمتُ فسكت ساعة... ثم قال لي: يا عبد الله؛ أتدري لِمَ طلبتُك في هذا الوقت؟ قلتُ: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيتُ الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة فقال: إن لم تُخْلِ عن موسى بن

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٧٦ ـ ٢٨٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٨١ ـ ٢٨٢.

جعفر الساعة وإلاّ نحرتُك بهذه الحربة. فاذهب فخلِّ عنه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين؛ أُطْلِقُ موسى بن جعفر؟ ثلاثاً، قال: نعم امضِ الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببتَ المقام قِبَلنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببتَ المضيَّ إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك. قال: فمضيتُ إلى الحبس... وخلَّيتُ سبيله»[1].

وهذا النص صريح كل الصراحة في إطلاق السراح وتخلية السبيل، وهو دليل واضح على تكرار حبس الإمام أيام الرشيد، وقد يبدو من بعض النصوص ما يستشعر منه بقاء الإمام في بغداد بعد إطلاق سراحه ذاك برهة من الوقت، كما في الخبر الذي يرويه أبو هاشم الجعفري ويذكر فيه أنه كان «مع أبي الحسن (ع) في السفينة في دجلة ـ إلى آخر الخبر ـ»[2]، فإن وجوده في السفينة في دجلة مما يشعر بالبقاء إن لم يدل عليه.

ومهما يكن من أمر، فقد أفادنا خبر المسعودي المتقدم تخلية سبيل الإمام بعد سجنه ذاك، كما أفادتنا نصوص أخرى إعادة الحبس وتكراره، ولم يتضح لنا بشكل قاطع أسباب تلك الحبوس المتكررة ودوافعها الحقيقية، ولكنَّ من المحتمل أن يكون أولها مرتبطاً بحجِّ الرشيد لأول مرة بعد استخلافه، وبما ذكره المؤرخون من أنه «لما دخل المدينة توجَّه لزيارة النبي (ص) ومعه الناس، فتقدم الرشيد إلى قبر رسول الله (ص) فقال: السلام عليك يا رسول الله؛ السلام عليك يا ابن عم. مفتخراً بذلك على غيره، فتقدم أبو الحسن (ع) إلى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه. فتغير وجه الرشيد وتبين الغيظ فيه»

---

(١) المناقب: ٢/ ٣٨٤ والفصول المهمة: ٢٢٢.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٤ والأئمة الاثنا عشر: ٩١ ـ ٩٢. ومختصر منه في مرآة الجنان: ١/ ٣٩٥ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وينابيع المودة: ٣٦٣.

فكتمه وقال: «هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً»[١].

والمستنبط من مجموع روايات هذه الحادثة ـ وقد وردت في عددٍ غير قليل من المصادر المعتمدة كما يتضح من مراجعة هامش التخريج ـ أن الرشيد قد صدمته هذه المفاخرة الصريحة أو المباهلة الجريئة، فأفسدت عليه مشاعر التعالي ولذة المباهاة، وحرمته من توهم قدرته على خداع السامعين والمشاهدين بأنه أقرب الناس إلى رسول الله (ص)؛ وبكونه الأحقَّ بالخلافة بحكم هذه القربى المتصلة الوشائج. ويبدو أن الإمام قد أحسَّ بهدف الرشيد من هذا الإعلان؛ فبادر إلى إعلام جماهير الحاضرين بأنه الأقرب رحماً ونسباً؛ والألصق لحمةً وسبباً، وأنه ابن رسول الله (ص) حقاً على رغم زيف المزيفين وتضبيب المضببين.

وتدلنا الأخبار المعنية بهذا الموضوع على أن الرشيد بعد أن كتم غضبه وغيظه؛ لم يستطع نسيان ذلك أو إغفال أمره، بل يظهر بجلاء أن تلك المجابهة العنيفة المؤدَّبة من الإمام موسى بن جعفر قد هيمنت على نفس الخليفة وأفكاره فأصبحت شغله الذهني الشاغل؛ وصار يستغل كل لقاء له بالإمام ـ على قلة تلك اللقاءات ـ للحديث والبحث في هذه المسألة.

وكان من ذلك ما ورد من أن الرشيد سأله يوماً فقال:

«لِمَ زعمتُم أنكم أقربُ إلى رسول الله (ص) منَّا؟».

فقال الإمام: «لو أن رسول الله (ص) أُنْشِر فخطب إليك كريمتك هل كنت تُجيبه؟».

فقال الرشيد: «سبحان الله، وكنتُ أفتخر بذلك على العرب والعجم».

(١) الكافي: ٣/ ٤٤٢.

فقال الإمام: «لكنه لا يخطب إليَّ ولا أُزوِّجه، لأنه وَلَدَنا ولم يلدكم»[١].

وفي لفظٍ آخر: أن الإمام قال للرشيد: «هل كان يجوز أن يدخل على حرمك وهنَّ منكشفات؟ فقال: لا. فقال: لكنه يدخل على حرمي كذلك؛ وكان يجوز له»[٢].

وفي مجلس آخر سأل الرشيد الإمام قائلاً:

«لِمَ قلتم إنَّا ذرية رسول الله (ص) وجوَّزتم للناس أن ينسبوكم إليه فيقولون: يا بني رسول الله؛ وأنتم بنو علي، وإنما يُنسَب الرجل إلى أبيه؟».

فقال الإمام: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٥]، وليس لعيسى أب، وإنما أُلحق بذرية الأنبياء من قِبَل أُمِّه، وكذلك أُلْحِقنا بذرية النبي (ص) من قبل أُمنا فاطمة».

ثم أضاف الإمام إلى ذلك لزيادة التبيين فقال: «قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، ولم يَدْعُ (ص) عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء»[٣].

---

(١) نثر الدر: ١/ ٣٥٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) نثر الدر أيضاً: ١/ ٣٥٩.

(٣) نثر الدر: ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣ و١٢٨ ـ ١٢٩ وينابيع =

وسأله الرشيد يوماً فقال: «أريد أن أسألك عن العباس وعلي؛ بمَ صار عليٌّ أَولى بميراث رسول الله (ص) من العباس، والعباس عم رسول الله (ص) وصنو أبيه؟».

فأجابه الإمام قائلاً: «إن النبي (ص) لم يورِّث مَنْ قدر على الهجرة فلم يهاجر، إن أباك العباس آمن ولم يهاجر، وأن علياً (ع) آمن وهاجر، وقال الله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢]، فالتمع وجه هارون وتغيَّر»[١].

وذكر مؤرخو الأدب من شواهد النزاع في قربى أولاد البنات في العصر العباسي الأول ـ وهو فرع شدة اهتمام حكام ذلك العصر بهذه المسألة ـ ما رواه أبو الفرج الأصبهاني بسنده عن محمد بن يحيى بن أبي مُرَّة التغلبي، قال:

«مررتُ بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله، فسلَّمتُ عليه فقال لي: مرحباً يا أخا تغلب؛ اجلس. فجلستُ فقال لي: أما تعجب من ابن أبي حفصة ـ لعنه الله ـ حيث يقول:

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ ... لبني البنات وراثة الأعمامِ

«فقلتُ: بلى واللهِ؛ أني لأتعجب منه وأُكثر اللعن له، فهل قلتَ في ذلك شيئاً؟، فقال: نعم قلتُ:

لِمْ لا يكون وان ذاك لكائنٌ ... لبني البنات وراثة الأعمامِ
للبنت نصف كامل من ماله ... والعمُّ متروك بغير سهامِ

= المودة: ٣٦٢. ومختصر منه في تحف العقول: ٣٠٣ والفصول المهمة: ٢٢٠ ونور الأبصار: ١٣٦ وإسعاف الراغبين: ٢١١.

(١) تحف العقول: ٣٠٢ وبحار الأنوار: ١٠/٢٤٢.

ما للطليق وللتراث وإنما صلّى الطليق مخافة الصمصامِ[(١)]

ويعلّق الباحث المعتزلي عز الدين بن أبي الحديد على هذا الموضوع فيقول في جملة ما أورد في تعليقه المسهب:

«فإن قلتَ: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما: أبناء رسول الله؛ وولد رسول الله؛ وذرية رسول الله؛ ونسل رسول الله؟».

«قلتُ: نعم، لأن الله تعالى سمّاهم أبناءه في قوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] وإنما عنى الحسن والحسين. ولو أُوصي لولد فلانٍ بمالٍ دخل فيه أولاد البنات. وسمّى الله تعالى عيسى ذرية إبراهيم في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى أن قال: ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾، ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل».

«فإن قلتَ: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾؟» [الأحزاب: ٤٠].

«قلت: أسألك عن أبوّته لإبراهيم بن مارية، فكما تجيب به عن ذلك فهو جوابي عن الحسن والحسين (ع). والجواب الشامل للجميع: أنه عنى زيد بن حارثة، لأن العرب كانت تقول: زيد بن محمد؛ على عادتهم في تبني العبيد، فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنة الجاهلية، وقال: إن محمداً (ع) ليس أباً لواحدٍ من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعتزى إليه بالبنوة، وذلك لا ينفي كونه أباً لأطفال لم تطلق عليهم لفظة الرجال كإبراهيم وحسن وحسين (ع)».

«فإن قلتَ: أتقول أن ابنَ البنت ابنٌ على الحقيقة الأصلية أو على سبيل المجاز؟».

---

(١) الأغاني: ١٠/ ٩٤ ـ ٩٥.

«قلتُ: لذاهبٍ أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية، لأن أصل الإطلاق الحقيقة، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما أن لا يكون حقيقة في الآخر. ولذاهبٍ أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية؛ وهي التي كثر استعمالها، وهي في الأكثر مجاز، حتى صارت حقيقة في العرف؛ كالراوية للمزادة والسماء للمطر. ولذاهبٍ أن يذهب إلى كونه مجازاً قد استعمله الشارع، فجاز إطلاقه في كل حال واستعماله كسائر المجازات المستعملة».

«ومما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بني هاشم كافةً بالنبي (ص): أنه ما كان يحل له (ع) أن ينكح بنات الحسن والحسين (ع) ولا بنات ذريتهما وإن بَعُدْنَ وطال الزمان، ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبيين وغيرهم. وهذا يدل على مزيد الأقربية وهي كونهم أولاده، لأنه ليس هناك من القربى غير هذا الوجه، لأنهم ليسوا أولاد أخيه ولا أولاد أخته؛ ولا هناك وجهٌ يقتضي حرمتهم عليه إلا كونه والداً لهم وكونهم أولاداً له»[1].

❀ ❀ ❀

وهكذا كانت قضية قربى أولاد البنات وما حصل من المباهلة بشأنها أمام ضريح النبي (ص) مصدراً إضافياً من مصادر حقد الرشيد على الإمام موسى بن جعفر (ع)، وربما كانت هي السبب في سجنه الذي حدَّثنا عنه مسؤول شرطة الخليفة فيما تقدم نقله.

ومنذ هذا الحبس ـ وهو الحلقة الأولى في سلسلة الحبوس الهارونية ـ بدأ الإمام رحلة العذاب والعسف والاضطهاد في عهد

(١) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٢٦ ـ ٢٨.

الرشيد، ولم يكتب لها الختام إلا بنهاية حياة الإمام كما يأتي بيانه.

ويقول السيد أمير علي الهندي: أنه قد «حدث مرتين أن سمح الرشيد لهذا الإمام الوديع بالرجوع إلى الحجاز، ولكن شكوكه كانت في كلتا المرتين تتغلب على طيبة قلبه!!»[1].

ولم يذكر هذا الباحث طبيعة تلك الشكوك وأسباب السجون، غير أني أظن أن منها ما كان مرتبطاً بقضية خروج يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن على الرشيد، على الرغم مما اشتهر يومذاك من أن الإمام قد وقف من هذه الحركة موقفاً سلبياً صريحاً في تجنبه واعتزاله؛ فلم يعلن أي إقرارٍ بشرعيتها أو تأييدٍ لها، ولم يكن ذلك حتماً مما تجهله السلطة أو مما يخفى خبره على عيون الخليفة ورقبائه في المدينة المنورة.

وجاء في الرواية: أن يحيى حين صح عزمه على الثورة كتب إلى الإمام كتاباً جاء فيه:

«أما بعد: فإني أُوصي نفسي بتقوى الله، وبها أُوصيك.. خبَّرني مَنْ وَرَدَ عليّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته؛ بما كان من تحنُّنك مع خذلانك، وقد شاورتُ في الدعوة للرضا من آل محمد (ص)، وقد احتجبتَها واحتجبها أبوك من قبلك، وقديماً ادَّعيتم ما ليس لكم!؛ وبسطتم آمالكم إلى ما لم يعطكم الله!، فاستهويتم وأضللتم!، وأنا محذِّرك ما حذَّرك الله من نفسه».

فكتب إليه الإمام موسى بن جعفر (ع) مجيباً:

«أما بعد: فإني أحذِّرك اللهَ ونفسي، وأعلمك أليم عذابه وشديد

(١) مختصر تاريخ العرب: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

عقابه وتكامل نقماته، وأوصيك ونفسي بتقوى الله فإنها زين الكلام وتثبيت النعم. أتاني كتابك تذكر فيه أني مُدَّعٍ وأبي من قبل... وذكرتَ أني ثبَّطتُ الناس عنك لرغبتي فيما في يديك. وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه ـ لو كنتُ راغباً ـ ضعفٌ عن سنَّة ولا قلَّةُ بصيرةٍ بحجَّة»[١].

ولم يبال يحيى بنصائح الإمام وتحذيراته فأعلن نهضته، غير أنها سرعان ما باءت بالفشل؛ فقُبض على يحيى وأُودع السجن أولاً؛ ثم مات. ورُوي أن الرشيد «بنى عليه أسطوانة بالرافقة وهو حي»، وقيل: «أنه دسَّ إليه في الليل مَنْ خنقه حتى تلف»، وقيل: «أنه سقاه سماً»، وقيل: «أنه أجاع السباع ثم ألقاه إليها فأكلته»[٢]. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبفشل حركة يحيى استراح هارون من انتفاضات العلويين بعض الوقت، ولكن ضغنه على الإمام موسى بن جعفر (ع) لم يهدأ ولم يستقر، فكان آخر حبوس الإمام في سنة ١٧٩هـ بعدما أكمل الخليفة عمرته في شهر رمضان، وقدم المدينة زائراً قبر النبي (ص)، فأمر بحمل الإمام إلى العراق، ثم شخص إلى الحج[٣].

وروى أبو الفرج الأصبهاني والشيخ المفيد وغيرهما ـ بألفاظ متقاربة ـ فقالوا:

(١) الكافي: ١/٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٤٨٢.

(٣) الكافي: ١/٤٧٦ وتاريخ بغداد: ١٣/٢٧ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٤ والأئمة الاثنا عشر: ٩٠ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٠٦.

«كان السبب في قبض الرشيد على أبي الحسن موسى (ع) وحبسه وقتله... إن الرشيد جعل ابنه محمداً في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال: إن أفضت الخلافة إليه زالت دولتي ودولة ولدي، فاحتال على جعفر بن محمد بن الأشعث ـ وكان يقول بالإمامة ـ حتى داخله وأنس به وأسرَّ إليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيد؛ ويزيد عليه في ذلك بما يقدح في قلبه».

ثم استطاع ابن برمك في خلال ذلك أن يشتري ضمير علي بن إسماعيل بن جعفر؛ ابن أخ الإمام الكاظم (ع)، وأن يستعين به ويحرِّضه على عمِّه، وأن يستدعيه إلى بغداد ليحدِّث الرشيد بما يلفِّقه من أخبار عمِّه وما ينسبه إليه. وقد علم الإمام بهذا الأمر فحذَّر ابن أخيه ونبَّهه على سوء فعله، فلم ينفع التحذير والتنبيه، وخرج علي بن إسماعيل المذكور «حتى أتى يحيى بن خالد البرمكي، فتعرَّف منه خبر موسى بن جعفر (ع)، فرفعه إلى الرشيد وزاد فيه، ثم أوصله إلى الرشيد فسأله عن عمه فسعى به إليه... وقال: إن الأموال تُحمَل إليه من المشرق والمغرب... فسمع ذلك منه الرشيد وأمر له بمائتي ألف درهم».

«وحج الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي (ص)... فقال: يا رسول الله؛ إني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر (ع)، فإنه يريد التشتيتَ بين أمتك وسفكَ دمائها!!. ثم أمر به فأُخذ من المسجد، فأُدخل إليه، فقيَّده. وأُخرج من داره بَغْلان عليهما قبَّتان مغطاتان؛ هو في إحداهما، ووجَّه مع كل واحدٍ منهما خيلاً، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة، ليعمّي على الناس أمره، وكان موسى (ع) في التي مضت إلى البصرة،

فأمر الرسول أن يسلّمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ـ وكان على البصرة حينئذٍ ـ فمضى به فحبسه عنده سنة»[١].

وفي أثناء هذه السنة كتب الرشيد إلى واليه يأمره بقتل الإمام (ع)، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته فاستشارهم فيما كتب إليه الرشيد، فأشاروا عليه بالاستعفاء من ذلك، فكتب عيسى إلى الرشيد يقول له: لقد طال أمر موسى بن جعفر (ع) ومقامه في حبسي، وقد اختبرتُ حاله ووضعتُ عليه العيون طول هذه المدة فما وجدتُه يفتر عن العبادة، ووضعتُ من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا عليَّ ولا ذَكَرَنا بسوء، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة، فإن أنت أنفذتَ إليَّ من يتسلَّمه مني وإلا خلَّيت سبيله، فإني متحرج من حبسه[٢].

وكان بعض عيون عيسى بن جعفر قد أبلغه أنه طالما سمع الإمام يردِّد في دعائه خلال ذلك الحبس عنده ويكثر من ترداده: «اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرِّغني لعبادتك، اللهم وقد فعلتَ فلك الحمد»[٣].

ويستفاد من بعض الروايات أن الإمام (ع) لم يكن مضيَّقاً عليه في سجن عيسى بالبصرة، بل ورد فيها ما يدل على دخول آحادٍ من الناس عليه يتفقدونه ويسألونه الأحكام الشرعية[٤].

ثم وجَّه الرشيد إلى عيسى بن جعفر من تسلَّم الإمام (ع) منه، فنُقل

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٠١ ـ ٥٠٢ والإرشاد: ٣١٩ ـ ٣٢٠ والفخري: ١٧٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٣١ ـ ٢٣٢. ومعظم النص في المناقب: ٢/ ٣٧١.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٠٢.

(٣) الإرشاد: ٣٢١ والمناقب: ٢/ ٣٧٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٠٧.

(٤) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٩ و٤٧.

إلى بغداد فسُلِّم إلى الفضل بن الربيع، فبقي عنده مدة طويلة، فأراده الرشيد على شيء من أمره فأبى، فكتب إليه ليسلِّمه إلى الفضل بن يحيى[(١)].

وروى أحمد بن عبد الله عن أبيه قال: «دخلتُ على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: أشرف على هذا البيت وانظر ما ترى، فقلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حسناً، فتأملتُ فقلت: رجل ساجد، فقال لي: تعرفه؟ هو موسى بن جعفر (ع)، أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقتٍ من الأوقات إلا على هذه الحالة: إنه يصلي الفجر فيعقِّب إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس... فإذا صلّى العتمة أفطر، ثم يجدِّد الوضوء... فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر»[(٢)].

وتسلَّم الفضلُ بن يحيى الإمام (ع) فجعله في بعض حجر دوره، ووضع عليه الرصد، وكان الإمام (ع) مشغولاً بالعبادة كعادته، «يُحْيي الليل كله صلاةً وقراءة للقرآن ودعاء واجتهاداً، ويصوم النهار في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه عن المحراب»[(٣)].

ويظهر من بعض الروايات أن الفضل هذا خاصةً وآل برمك عامةً قد أساؤوا معاملة الإمام (ع) كل السوء، فقد جاء في الأثر عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) أنه قال لأحمد بن محمد بن أبي نصر في أثناء حديث طويل: «إن الله يدافع عن أوليائه، وينتقم لأوليائه من أعدائه، أما رأيتَ ما صنع الله بآل برمك وما انتقم لأبي الحسن (ع)»[(٤)]، كما روى

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٠٢ والإرشاد: ٣٢٠.

(٢) المناقب: ٢/ ٣٧٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) الإرشاد: ٣٢١.

(٤) الكافي: ٢/ ٢٢٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٤٩.

عبد الله بن طاووس عن الإمام الرضا (ع) أيضاً: أن يحيى بن خالد هو الذي سمَّ أباه موسى بن جعفر (ع)[(١)].

ولكن روايات أخرى تقول: إن الفضل بن يحيى لما اطَّلع على عبادة الإمام (ع) وانقطاعه إلى الله في جميع أوقات الليل والنهار وسَّع عليه وأكرمه، وأن ذلك قد علم به الرشيد ـ وكان في الرقة يومذاك ـ «فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى (ع) ويأمره بقتله، فتوقف عن ذلك ولم يُقْدِم عليه، فاغتاظ الرشيد لذلك ودعا مسروراً الخادم فقال له: اخرج على البريد في هذا الوقت إلى بغداد وادخل من فورك على موسى بن جعفر (ع)، فإن وجدتَه في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد ومُرْهُ بامتثال ما فيه. وسَلَّم إليه كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد».

«فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحدٌ ما يريد، ثم دخل على موسى (ع) فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك فأوصل الكتابين إليهما. فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دَهِشاً حتى دخل على العباس بن محمد، فدعا العباسُ بسياطٍ وعقابين، وأمر بالفضل فجُرِّد وضربه السندي بين يديه مائة سوط، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل».

«وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى (ع) إلى السندي بن شاهك. وجلس الرشيد مجلساً حافلاً وقال: أيها الناس؛ إن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي ورأيت أن ألعنه فالعنوه. فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار بلعنه، وبلغ يحيى بن

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٤٢.

خالد الخبر فركب إلى الرشيد، فدخل من غير الباب الذي يدخل الناس منه حتى جاءه من خلفه وهو ولا يشعر به، ثم قال له: التفت يا أمير المؤمنين إليَّ، فأصغى إليه فزعاً، فقال: إن الفضل حَدَثٌ وأنا أكفيك ما تريد. فانطلق وجهه وسُرَّ وأقبل على الناس فقال: إن الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنتُه، وقد تاب وأناب إلى طاعتي فتولوه، فقالوا: نحن أولياء من واليتَ وأعداء من عاديتَ، وقد توليناه. ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى وافى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شيء، وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر في أمور العمَّال، وتشاغل ببعض ذلك أياماً. ثم دعا السندي بن شاهك فأمره فيه بأمره، فامتثله»[١].

وهكذا انتقل الإمام(ع) في خاتمة مطاف الأذى والعذاب إلى سجن السندي بن شاهك، بعد أن أمضى سنة كاملة في سجن عيسى بن جعفر بالبصرة ـ ومُدَداً أخرى لم تحدِّدها الروايات في سجني الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى ببغداد كما تقدَّم.

ويبدو من بعض الأخبار أن الرشيد كان يلتقي أحياناً بالإمام(ع) بعد أن أصبح مسجوناً بالقرب منه في بغداد، وكانا يتجاذبان الحديث في بعض الأمور التي تشغل بال الخليفة أو يريد اختبار الإمام فيها، فقد روى الزمخشري وغيره: «إن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: حُدَّ فدكاً حتى أردَّها إليك، فيأبى، حتى ألحَّ عليه، فقال(ع): إن حَدَدْتُها لا تردها، قال: بحقِّ جدك إلاَّ فعلتَ. قال: أما الحدُّ الأول

(١) النص في مقاتل الطالبيين: ٥٠٣ ـ ٥٠٤ والإرشاد: ٣٢٢ ـ ٣٢٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤. ومعظمه في المناقب: ٢/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦. وبعضه في الفصول المهمة: ٢٢٠ ـ ٢٢٢ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٠٧ ـ ٢١٠ و٢٢١ ونور الأبصار: ١٣٨ ـ ١٣٩.

فعَدَن ـ فتغيَّر وجه الرشيد وقال: ايهاً ـ، قال: والحدُّ الثاني سمرقند ـ فاربدَّ وجهه ـ، والحدُّ الثالث أفريقية... والرابع سِيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحوَّلْ إلى مجلسي. قال موسى: قد أعلمتُك أنني إن حددتها لا تردها»[١].

وروى بعضهم وقوع هذا الحوار بين الإمام (ع) والمهدي العباسي[٢]، وربما تكرر ذلك من الخليفتين، لأن قضية غصب فدك وخبر مصادرتها من فاطمة الزهراء (ع) في حياتها ومن أبنائها من بعدها؛ أمرٌ مشهور في تاريخ الإسلام منذ صدره الأول، ومعروف بكل جلاء لدى جميع الهاشميين من طالبيين وعباسيين[٣].

ولا بد أن يكون هذا الحوار قد دار في إحدى لقاءات الخليفة بالإمام (ع) وهو سجين عنده ببغداد، كما لا بد أن تكون بينهما لقاءات أخرى يستدعيه الرشيد لأجلها من السجن كلما أهمه أمرٌ أو شغل ذهنه شاغل ذو شأن.

وجاء في إحدى روايات الدينوري: إن الرشيد قال يوماً للأصمعي وهو يحدِّثه عن وَلَدَيْه الأمين والمأمون: «كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما؛ حتى تُسْفَك الدماء ويودَّ كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى؟».

فسأله الأصمعي: «يا أمير المؤمنين؛ هذا شيء قضى به المنجمون

(١) ربيع الأبرار: ١/ ٣١٥ ـ ٣١٦ والمناقب: ٢/ ٣٨١ وتذكرة الخواص: ٣٥٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٤٤.

(٢) الكافي: ١/ ٥٤٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) يراجع ذكر فدك وكونها «الرمز» لحق أهل البيت (ع) في البحث المتقدم الإمام محمد بن علي الباقر. ص: ٤٧ ـ ٤٩.

عند مولدهما، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟».

قال الرشيد: «بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما».

قال الرواة: «فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد (ص)، فلذلك قال ما قال»[1].

❁ ❁ ❁

وانتقل الإمام (ع) بأمر الخليفة إلى سجن السندي بن شاهك ـ وهو السجن الأخير في سلسلة سجونه خلال السنوات السود العجاف في آخر عمره (ع) ـ، وروى الخطيب البغدادي والحافظ الذهبي وغيرهما أن أخت السندي سألت أخاها أن تتولى أمر هذا العبد الصالح في حبسه ـ وكانت تتديَّن ـ، فوافق على ذلك، فكانت على خدمته. وحُكي أنها قالت:

«كان إذا صلَّى العتمة حمد الله ومجَّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاك، ويأكل، ثم يرقد إلى الزوال، ثم توضأ ويصلي، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب إلى العتمة، فكانت تقول: خاب قومٌ تعرَّضوا لهذا الرجل»[2].

ولما كان الخليفة قد صمم وهو في الرقة على التخلص من الإمام (ع) ـ كما مرت الإشارة إليه ـ؛ بعد أن نفد صبره؛ فلم يعد في قوس

(١) الأخبار الطوال: ٣٨٩.

(٢) تاريخ بغداد: ١٣/ ٣١ وكامل ابن الأثير: ١٠٨/٥ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٣ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ١٥.

تحمله منزع؛ ولا في دائرة حقده متَّسع، فقد أصدر الأمر إلى السندي بتنفيذ ذلك؛ على أن يكون محاطاً بتستر وإخفاء كاملين. فبدأ السندي يعد العدة لجريمته النكراء؛ مستخدماً كل ما لديه من مكر وحيلة وخداع.

وكان من جملة أساليب الدجل والتغطية سماحُه لبعض كبار رجال الدولة وأعوانها بالدخول على الإمام (ع) في سجنه، وجاء في الرواية: أن أبا يوسف القاضي ومحمد بن الحسن صاحبَيْ أبي حنيفة وتلميذيه المعروفَيْن قد زارا الإمام (ع) في السجن، ويقول الراوي: أنه بينما كان هذان الرجلان هناك إذ جاء رجل كان موكَّلاً بشؤون الإمام (ع) من قبل السندي بن شاهك فقال: «إن نوبتي قد انقضت وأنا على الانصراف، فإن كان لك حاجة أمرتَني حتى آتيك بها في الوقت الذي تخلفني النوبة؟»، فقال: ما لي حاجة. فلما أن خرج قال الإمام (ع) لأبي يوسف: ما أعجب هذا؛ يسألني أن أكلِّفه حاجة من حوائجي، وهو ميت في هذه الليلة. فقاما فقال أحدهما للآخر: إنَّا جئنا لنسأله عن الفرض والسنَّة، وهو الآن جاء بشيء آخر كأنه من علم الغيب!».

«ثم بعثا برجل مع الرجل فقالا: اذهب حتى تلزمه وتنظر ما يكون من أمره في هذه الليلة... فمضى الرجل فنام في مسجدٍ في باب داره، فلما أصبح سمع الواعية... فقال: ما هذا؟، قالوا: قد مات فلان في هذه الليلة... فانصرف إلى أبي يوسف ومحمد وأخبرهما الخبر. فأتيا أبا الحسن (ع) فقالا: قد علمنا أنك أدركتَ العلم في الحلال والحرام؛ فمن أين أدركتَ أمر هذا الرجل الموكَّل بك إنه يموت في هذه الليلة؟، قال: من الباب الذي أخبر بعلمه رسولُ الله (ص) عليَّ بن أبي طالب (ع)»[1].

كما كان من جملة طرائق السندي في التغطية والتمهيد للقتل

(١) الفصول المهمة: ٢٢٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٦٤ ـ ٦٥ ونور الأبصار: ١٣٨.

سماحُه ببعض الأسئلة والرسائل أن تصل إلى الإمام (ع)؛ وأن يقوم حرّاس السجن بإيصال أجوبتها إلى السائلين، كما في رواية الحسين المختار قال: «خرجتْ إلينا ألواح من أبي الحسن موسى (ع) وهو في الحبس ـ إلى آخر الرواية ـ»[1]، وكما في رواية علي بن سويد قال: «كتبتُ إلى أبي الحسن موسى (ع) وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب عليَّ أشهراً، ثم أجابني بجواب» جاء فيه بعد حمد الله: «أما بعد: فإنك امرؤ أنزلك الله من آل محمد بمنزلةٍ خاصة... كتبتَ تسألني عن أمور... رأيتُ أن أفسِّر لك ما سألتَني عنه»، ثم قال: «إن أول ما أُنْهي إليك أني أنعى إليك نفسي في لياليَّ هذه، غير جازع ولا نادم ولا شاكٍّ فيما هو كائن مما قد قضى الله عز وجل وحتم ـ إلى آخر الكتاب ـ»[2].

وروى الخطيب البغدادي: أن الإمام كتب إلى الرشيد وهو في الحبس كتاباً جاء فيه: «إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون»[3].

وواضح من النصوص المتقدمة إحساس الإمام (ع) بثاقب علمه أن أيامه قد دنت ـ كما صرَّح بذلك في كتابه المتقدم إلى عليّ بن سويد ـ على الرغم من كل محاولات السندي وأساليبه في الكتمان والإخفاء. ثم

(١) الكافي: ١/٣١٢ والإرشاد: ٣٢٦.
(٢) الكافي: ٨/١٢٤ ـ ١٢٦ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٢ ـ ٢٤٤.
(٣) تاريخ بغداد: ١٣/٣٢ وصفة الصفوة: ٢/١٠٥ وكامل ابن الأثير: ٥/١٠٨ ـ ١٠٩ وتذكرة الخواص: ٣٦٠ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٣ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ والفصول المهمة: ٢٢٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١٤٨ ونور الأبصار: ١٣٩.

جاء في بعض الروايات ما يفهم منه مكاشفة السندي للإمام (ع) باقتراب الأجل وساعة الرحيل، واستئذانه منه أن يكفنه ويقوم بتجهيزه، فأبى الإمام (ع) وقال له: «إنّا أهل بيتٍ مهورُ نسائنا وحجُّ صرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفني، وأريد أن يتولى غسلي وجهازي مولاي فلان»[١].

وأخيراً ـ وقد حان الحين ونزل الأجل ـ أقدم عدو الله السندي ابن شاهك على فعلته السوداء وجريمته الدهياء بدسِّ السمِّ للإمام (ع)؛ إطاعةً لأمر سيده الخليفة، فقضى السم عليه كما هو معروف ومشهور في معظم المصادر المعنيَّة بتاريخ الإمام (ع)[٢]، وإن روى بعضهم «إنه غُمِر في بساطٍ ولُفَّ حتى مات»[٣]، ولكنها رواية لم تصح ولم تثبت.

وسرعان ما جمع السندي ثمانين رجلاً من الوجوه فأدخلهم على موسى بن جعفر (ع)، وطلب منهم ـ كما حدَّث أحدُ هؤلاء الثمانين ـ أن ينظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدثٌ، فإن الناس يزعمون أنه قد فُعِل به ويكثرون في ذلك، وهذا منزله وفراشه موسَّع عليه صغير مضيَّق، ولم يرد أمير المؤمنين به سوءاً، وإنما ينتظر به أن يقدم فيناظر أمير المؤمنين، وهذا هو صحيح موسَّع عليه في جميع أموره، فسلوه. . . فقال موسى بن جعفر (ع): أما ما ذكر من التوسعة وما أشبهها فهو على

(١) الإرشاد: ٣٢٣ وتحف العقول: ٣٠٨ والفصول المهمة: ٢٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٣٤ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٢٧٣ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٣ و٣٨٤ والفخري: ١٧٢ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٥ والفصول المهمة: ٢٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢ و٦ و٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦ وينابيع المودة: ٣٦٣ وإسعاف الراغبين: ٢١٢.

(٣) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٤٨.

ما ذكر، غير أني أخبركم أيها النفر أني قد سُقيتُ السمَّ في سبع تمرات... وبعد غدٍ أموت»، قال الراوي: «فنظرتُ إلى السندي بن شاهك يضطرب ويرتعد»[١].

وفي رواية أخرى: أن السندي المذكور أدخل عليه (ع) «الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق، وأشهدهم على أنه (ع) مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك!!»[٢]، وفي نصّ اليعقوبي: أنه «أحضر القوّاد والكتّاب والهاشميين والقضاة ومن حضر ببغداد من الطالبيين»[٣] للشهادة على كونه مات حتف أنفه، وفي لفظ محمد بن صدقة العنبري: أن الذين دخلوا عليه هم شيوخ الطالبية وبني العباس»[٤].

وأُخرج جثمان الإمام (ع) مسجّى في تابوته، فـ «وُضِع على الجسر ببغداد، ونودي ـ برواية المفيد ـ: «هذا موسى بن جعفر (ع) قد مات فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرَّسون في وجهه وهو ميت. وقد كان قوم زعموا في أيام موسى (ع) أنه هو القائم المنتظر، وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم، فأمر يحيى بن خالد أن ينادى عليه: هذا موسى بن جعفر (ع) الذي تزعم الرافضة أنه هو القائم الذي لا يموت، فانظروا إليه. فنظر الناس إليه ميتاً»[٥].

وروي: أن سليمان بن جعفر بن أبي جعفر المنصور كان ذات يوم

---

(١) الكافي: ١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ والمناقب: ٢/ ٣٨٦ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢١٢ و٢٤٧ ـ ٢٤٨.
(٢) الإرشاد: ٣٢٣ والفخري: ١٧٢ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٤ والفصول المهمة: ٢٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٢٦ و٢٣٤ ونور الأبصار: ١٣٩.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٤٥.
(٤) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٢٨.
(٥) الإرشاد: ٣٢٣. وبعض النص في مقاتل الطالبيين: ٥٠٤ ـ ٥٠٥ والمناقب: ٢/ ٣٨٦ ونور الأبصار: ١٣٩.

جالساً فمرَّت به جنازة، فقال: «سلوا هذه جنازة مَنْ؟، فقيل: هذا موسى بن جعفر (ع) مات في الحبس فأمر الرشيد أن يدفن بحاله. فقال سليمان: موسى بن جعفر (ع) يدفن هكذا!!»، ثم أمر غلمانه «بتجهيزه، وكفَّنه بكفنٍ فيه حبرة استعملت له بألفين وخمسمائة دينار مكتوب عليها القرآن كله. ومشى حافياً، ودفنه»[١].

وفي رواية أخرى: أن سليمان أمر غلمانه أن يأخذوا الجثمان من أيدي جلاوزة السندي، وقال لهم: «إن مانعوكم فاضربوهم... فنزلوا إليهم فأخذوه من أيديهم... ووضعوه في مفرق أربعة طرق، وأقام المنادين ينادون: ألا مَنْ أراد الطيِّبَ بن الطيِّب موسى بن جعفر (ع) فليخرج. وحضر الخلق، وغُسِّل وحنِّط بحنوط فاخر»[٢] إلى آخر ما تقدم في الرواية السابقة.

وكانت وفاة الإمام (ع) في يوم الجمعة[٣]، في اليوم الخامس والعشرين من رجب على المشهور[٤]، وروى بعض الأعلام أنها كانت لستٍّ خلون من رجب[٥]، وقيل: لستٍّ بقين منه[٦]، وقيل: لخمس

---

(١) المناقب: ٢/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٢٧ و٢٢٨.

(٣) المناقب: ٢/ ٣٥٧ و٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٦ و٢٠٧ و٢٣٠ و٢٣١ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨ وينابيع المودة: ٣٨٣.

(٤) تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٢ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٥ وكفاية الطالب: ٣١٠ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٥ ومطالب السؤول: ٢/ ٦٥ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ١٦ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ والفصول المهمة: ٢٢٣ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١ و٧ و٢٠٦ و٢٢٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٥) الكافي: ١/ ٤٧٦ والإرشاد: ٣٠٧ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٠٦ و٢٣٧ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٦) تهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٦ و٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨.

خلون منه[١]. وكانت في الأشهَر الشبيه بالاتفاق بين جمهور مؤرخي الإمام(ع) في سنة ١٨٣هـ[٢]، وقيل: سنة ١٨٦هـ[٣]، كما قيل: سنة ١٨١هـ أيضاً[٤].

ودفن ـ سلام الله عليه ـ في المقبرة المعروفة منذ تمصير بغداد باسم مقابر قريش؛ بباب التبن من غربيّ مدينة السلام؛ حيث قبره الشريف اليوم، وكان قاضي القضاة ابن خلكان قد وصف هذا المشهد ـ في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ـ فقال:

«وعليه مشهد عظيم فيه من قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحدُّ»[٥].

وذكره المؤرخ أبو الفدا فقال:

---

(١) المناقب: ٢/٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١ و٦ و٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦ وينابيع المودة: ٣٨٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٤٥ وتاريخ الطبري: ٨/٢٧١ والكافي: ١/٤٨٦ والإرشاد: ٣٠٧ والمناقب: ٢/٣٨٣ وتاريخ بغداد: ١٣/٣٢ وتهذيب الطوسي: ٦/٨١ وصفة الصفوة: ٢/١٠٥ وكفاية الطالب: ٣١٠ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ ومطالب السؤول: ٢/٦٥ وكامل ابن الأثير: ٥/١٠٨ وتاريخ أبي الفدا: ٢/١٦ ومنهاج السنة: ٢/٢٤ و١٢٤ وتذكرة الخواص: ٣٦٠ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤ والعبر: ١/٢٢١ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ ومرآة الجنان: ١/٣٩٤ والفصول المهمة: ٢٢٣ والنجوم الزاهرة: ٢/١١٢ وتهذيب التهذيب: ١٠/٣٤٠ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وعمدة الطالب: ١٨٥ وشذرات الذهب: ١/٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/١ و٦ و٢٠٦ و٢٠٧ و٢٣٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وتاريخ الخميس: ٢/٣٣٢ وينابيع المودة: ٣٨٣ ونور الأبصار: ١٣٩ وعمدة الزائر: ٣٠٦ ومختصر تاريخ العرب: ٢٠٨.

(٣) مروج الذهب: ٣/٢٧٣ والمناقب: ٢/٣٨٣ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٦.

(٤) بحار الأنوار: ٤٨/٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٥) وفيات الأعيان: ٤/٣٩٥.

«وقبره مشهور هناك، وعليه مشهد عظيم»[١].

وقال الحافظ الذهبي:

«وله مشهد عظيم مشهور ببغداد»[٢].

وأصبح هذا المشهد المقدَّس ـ منذ ثوى الإمام (ع) فيه ـ مثابة للناس في الزيارة والدعاء والتوسل؛ ومقاماً مشهوداً للابتهال إلى الله فيه بقضاء الحوائج وتيسير الصعاب وكشف الهموم، حتى بلغ الأمر بشيخ الحنابلة أبي علي الحسن الخلاّل حدَّ الإعلان ـ كما حدَّث عنه الخطيب البغدادي ـ فقال: «ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبر موسى بن جعفر (ع) فتوسلتُ به إلا سهَّل الله تعالى لي ما أُحبُّ»[٣].

وقال الشاعر عبد الغفار الأخرس الموصلي في وصف المشهد في قصيدة له:

قد وَفَدْنا آلَ النبيِّ عليكم ... زَوِّدونا من رِفدكم إرفادا
بسواد الذنوب جئنا لنمحو ... ببياض الغفران هذا السوادا
وطلبنا عفو المهيمن عنَّا ... وأغَضْنا الأعداءَ والألحادا
موطنٌ تنزل الملائك فيه ... ومقامٌ يُسِرُّ فيه الفؤادا[٤]

وقال الشاعر عبد الباقي العمري الموصلي في ختام إحدى قصائده في هذا المشهد:

يا كعبة الإسلام حول ضريحكم ... نسعى ونحفد بل نطوف ونرملُ

(١) تاريخ أبي الفدا: ٢/ ١٦.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٤.
(٣) تاريخ بغداد: ١/ ١٢٠.
(٤) ديوان الأخرس: ٨٠ ـ ٨١.

وحياتِكم مَنْ كنتُمُ سُؤلاً له بمماته في قبره لا يُسْأَلُ
فترحَّموا يا آل بيت المصطفى وتكرَّموا وتفضلوا وتقبَّلوا[1]

وقال الشاعر السيد حيدر الحلي يخاطب هذا المشهد:

إنما أَنت جنَّةٌ ضرب اللَّـ ـهُ عليها كجنة الخلد سورا
فاخرتْ أرضُك السماءَ وقالت: إنْ يكن مفخرٌ فمني استُعيرا
أتباهين بالضراح وعندي مَنْ غدا فيهما الضراحُ فخورا
حرمٌ آمنٌ به أودع اللَّـ ـهُ تعالى حجابَه المستورا[2]

---

(١) ديوان العمري: ١١٤.

(٢) ديوان السيد حيدر: ١/ ٣٥ ـ ٣٦.

تُراثُ الإمَامَةِ

كانت خلاصة الفصل السابق بما حمل من شهادات وأقوال ونصوص: أن رجال الفكر من محدِّثي هذه الأمة ومؤرخيها وسائر الباحثين المعنيين بتاريخ الإمام موسى بن جعفر (ع)، على اختلاف توجهاتهم المذهبية ومشاربهم الفقهية ومدارسهم السياسية، قد تسالموا واتفقوا على كون هذا الرجل في طليعة مَنْ شخصت إليه الأبصار من فقهاء زمانه؛ وفي مقدمة من أشير إليهم بالبنان من علماء عصره[1]، وتكرر في المصادر المعروفة نقل حفَّاظ الحديث عن أبي حاتم الرازي ـ بإقرارٍ منهم لذلك وتصديق ـ مقولته المشهورة فيه: أنه «ثقة، أمين، صدوق، إمام من أئمة المسلمين»[2].

وغير خفي على كل واعٍ ومفكرٍ أن هذه الصفات هي غاية المرام ومنتهى الطلب، وإن إيماننا بموسى بن جعفر إنما هو بسبب اعتقادنا الراسخ بصدقه ووثقاته وأمانته وكونه أحد أئمة المسلمين الذين عناهم رسول الله (ص) بنصوصه العامة ـ إن لم نقر بما يضاف إليها من نصوص

---

(١) الإرشاد: ٣٠٧ و٣١٦ والمناقب: ٢/ ٣٨٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٩ وينابيع المودة: ٣٦٢ ونور الأبصار: ١٣٨ وإسعاف الراغبين: ٢١١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ والعبر: ١/ ٢٢٢ ومنهاج السنة: ٢/ ٢٤ و١٢٤ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤.

التعيين الخاصة ـ، وهذا هو بالضبط ما أراده فقهاء الأحكام السلطانية من الحكم بضرورة اجتماع شروط الإمامة المقررة في شخص المؤهَّل لهذا المركز الديني الخطير، وقد اجتمعت فيه بشهادة الجميع.

وعندما يتم الاتفاق والتسالم على اجتماع هذه الشروط والصفات في إنسانٍ مّا دون غيره من رجالات عصره ومعارف دهره؛ تصبح قضية إمامته من المسلَّمات العقيدية المفروغ منها لدى جميع ذوي الخبرة والمعرفة ـ كما سبق عرضه مبسوطاً في صدر الفصل المتقدم ـ؛ فلا تحتاج إلى إضافة بحثٍ وزيادة تأكيد. وبذلك يصبح مجموع ما أُثِر عنه من الأخبار والنصوص رمزاً شامخاً من رموز تراث تلك الإمامة؛ ومَعْلَماً بيِّناً من معالم ذلك العطاء الثَّرّ الخالد الذي لا مناص لكل مسلم من الاطلاع عليه والتأمل فيه، ليستمد منه العلم المصفّى والمنهج القويم والفكر الأصيل، بحكم كونه العلم المستند إلى كتاب الله تعالى؛ والمنهج المقتبس من سنة رسوله، والفكر المدَّخر لدى أهل البيت مما أوحاه ربُّ العزة وأملاه مبلِّغُ الوحي الصادقُ المصدَّق (ص).

وقد يسأل سائل لم يتسنَّ له الوقوف على حقائق الأمور؛ أو ربما يعجب متعجِّب لم يرزق حظ التعمق في دراسة سيرة الإمام ومجمل تاريخه، فيستفهم عن المنابع التي توافرت له خاصة فاستقى منها ذلك العلم الغزير المتدفق؛ وهاتيك المعارف المتنوعة الفياضة، وأصبح من ثَمَّ بتلك المثابة التي فاق بها غيره من الناس؛ وتميَّز بسببها على الآخرين من مجموع الدارسين والمعنيين.

ولعل أفضل الجواب وأبلغ الرد على مثل هذه الأسئلة الحائرة؛ أن نقرأ النصوص الآتية بتأمل وإمعان، لنرى فيها الإيضاح المطلوب لما أُبهم على غير العارفين المدققين من أسرار ذلك وجوانبه الخفية على النظرة السطحية الساذجة:

أ - روى سماعة عن أبي الحسن موسى (ع) قال: «قلتُ له: أكلُّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه (ص) أو تقولون فيه؟، قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه (ص)»(١).

وهذا النص صريح في أن المصدر الأساس لذلك العلم كله إنما هو الكتاب والسنة النبوية، وليس له من مصدر آخر غير هذين؛ من اجتهادٍ أو عملٍ برأيٍ أو لجوءٍ إلى ظن.

ب - سأل خلفُ بن حمادٍ الإمام موسى بن جعفر (ع) مسألة فأجابه عليها، فقال له خلف: «جعلتُ فداك؛ مَنْ يُحْسِن هذا غيرك؟، قال: فرفع يده إلى السماء وقال: إني واللهِ ما أُخبرك إلا عن رسول الله عن جبرئيل عن الله تعالى»(٢).

وقد أوضح لنا هذا النص سند ما يُخبر به الإمام ويحدِّث أصحابه عنه، حيث يكون الله تعالى هو الحلقة الأخيرة التي تنتهي إليها أسانيده.

ج - قال ابن المغيرة: «كنتُ أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن عند أبي الحسن (ع)، فقال له يحيى: جُعلتُ فداك، إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب!، فقال... لا واللهِ؛ ما هي إلا وراثة عن رسول الله (ص)»(٣).

وقد أكَّد هذا النص ما ورد في الخبرين السابقين أصرح تأكيد وأجلاه.

د - سأل ظريفُ بن ناصحٍ الحسينَ بن زيد عن معرفة موسى بن

(١) الكافي: ١/ ٦٢.
(٢) المناقب: ٢/ ٣٧٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١٣.
(٣) أمالي الشيخ المفيد: ١٣.

جعفر (ع) ببعض الغيب، فقال: «وكيف لا يعرفه وعنده خطُّ علي بن أبي طالب (ع) وإملاء رسول الله (ص)»[١].

وفي هذا النص تبيين تفصيلي للمراد من الوراثة عن رسول الله (ص) ومن الإخبار عنه ـ وقد وردا بإجمالٍ في الخبرين الثاني والثالث السالفين ـ. وكنا قد عرضنا ذلك بالشرح والبيان في بحثنا عن الإمام جعفر الصادق (ع)، وسطرنا هناك ما ورد في كتب الحديث المتداولة بين المسلمين والمعتمدة لديهم؛ من الروايات المتعددة عن عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وغيرهم، وهي تنص على أن النبي (ص) قد أخبر أصحابه بما هو كائن إلى قيام الساعة وحدَّثهم بجميع ذلك، ولكن فريقاً من أولئك الأصحاب لم يكن على مستوى هذا التكريم النبوي الكبير، ولذلك «حفظه من حفظه ونسيه من نسيه»[٢].

هـ ـ وجاء في الرواية عن الإمام موسى بن جعفر (ع) ـ وبها يكمل سياق الحديث عن مصادر علمه ـ قوله (ع):

«مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسَّر، وأما الغابر [أي الآتي] فمزبور، وأما الحادث فقَذْفٌ في القلوب ونَقْرٌ في الأسماع»، ثم أكد في ذيل الحديث قائلاً: «ولا نبي بعد نبينا»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ١٦٠.

(٢) يراجع في هذه الأحاديث وذكر حفظها ونسيانها: صحيح البخاري: ٤/ ١٢٩ وسنن أبي داوود: ٢/ ٤١٠ وسنن الترمذي: ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ومسند أحمد: ٤/ ٢٥٤ و٥/ ٣٨٥ و٣٨٩ و٤٠١.

ويراجع الإمام جعفر الصادق (ع): ٢٤٥ ـ ٢٤٦ في هذا المجلد.

(٣) الكافي: ١/ ٢٦٤.

وكان قد ورد مثل ذلك ـ وبألفاظ متقاربة ـ عن الإمام الصادق (ع) فقلنا في شرحه ما فحواه: إن المراد من كلٍّ من الماضي والغابر هو المرويُّ المسطور؛ ومن النكت أو القذف في القلوب: الإلهام؛ ومن النقر في الأسماع: سماع حديث الملائكة من دون رؤيتهم، أي رواية حديثهم وكأنهم يسمعونهم فيما تنزلوا به حقّاً وصدقاً على رسول الله (ص). وكلُّ ذلك باستثناء الإلهام داخلٌ في المأثور عن النبي (ص) مما سمعه عليٌّ (ع) منه فحدَّث به أولاده مشافهة فرواه بعضهم عن بعض؛ أو دوَّنه في الصحف التي اشتهرت باسم «الجفر» و«الجامعة» فتناقلوه عنه[1].

وهكذا يتضح أبلغ وضوح إن كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأكرم (ص) كانا هما المصدرين الحقيقيين الوحيدين حصراً وتعييناً لعلم الإمام الكاظم ودائرة معارفه الكبرى الشاملة، وأن كل ما كان يحمله من فضلٍ وفكرٍ متفرع عنهما ومستمد منهما. وكان أبوه الإمام الصادق (ع) ـ وهو بحر العلم وينبوع المعرفة بإجماع المسلمين واتفاق الباحثين ـ طريقه الأوحد إلى تناول ذلك كله، وأستاذه الأكبر الذي لم يعرف أستاذاً غيره، وقد تلقَّى منه ما كان يحمله من أحاديث آبائه وأجداده المطهَّرين، وغرف من نميره المتدفق صفو العطاء والرَّواء، فكانت حصيلة تلك الأستاذية المثلى وذلك الإرث العظيم بروز هذا الإنسان الملائكي الفريد؛ مجسَّداً على الأرض بصورة الإمام موسى بن جعفر (ع)، ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وحيث يختار موضع إمامته ومستودع ولايته.

وعندما تلتقي كل هذه الخصائل والامتيازات ممثَّلة بشخص الإمام

(١) يراجع «الإمام جعفر الصادق (ع)» ١٩٢ ـ ١٩٣ في هذا المجلد.

الكاظم (ع) وبما يعنيه هذا الالتقاء والتمثيل من معان ودلالات، يكون تراثه الفكري الضخم المبلَّغ إلينا بواسطة ذلك العدد الوفير من الرواة والمحدِّثين والمدوِّنين على درجةٍ تفوق التصور قيمة وشأناً ورفعة، وبمقامٍ لا يسعنا التعبير عنه باسمٍ أصح أو أصدق من كونه تراث الإمامة وكنزها الموروث، بكل ما يُفتَرض للإمامة من قدسية وعمق غورٍ وسعة نظر؛ ولتراثها الواسع من اندياح مجالات وامتداد أبعاد.

❀ ❀ ❀

ومن هنا كان اهتمامنا في هذا البحث متوجهاً إلى تسجيل بعض الإشارات وإلقاء بعض الأضواء؛ على فقرات من ذلك التراث الزاهر؛ ولمحات من ذلك المأثور المتألق، للوقوف على جوانب من تلك المرامي والأغراض التي أراد الإمام إبلاغها إلى سامعيه ورواة حديثه؛ وإلى أجيال المسلمين من بعده؛ على مرِّ العصور وكرِّ الأزمان.

ويأتي في طليعة ما حمله ذلك المأثور عن الإمام موسى بن جعفر (ع) تأكيده المشدَّد وعنايته الفائقة بتكريم العقل وتقديسه، لكونه حجة الحجج وأصل الأصول في التكليف الدنيوي والحساب الأخروي، حيث لا يكمل الإيمان ولا تنضج البصيرة ولا يُضْمَن الفهم السليم والعمل القويم إلا بتحكيم العقل وبالتحرك الدقيق في ضوء دلالته وهداه. وكان مما قال في هذا الصدد:

«إن الله تبارك وتعالى بشَّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٦ ـ ١٧]. إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلَّهم على ربوبيته بالأدلّاء... إن الله يقول: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾

[ق: ٣٧] يعني العقل، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] يعني الفهم والعقل».

ثم قال: «إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول»[١]، ثم روى عن جدّه عليّ أمير المؤمنين (ع) قوله: «ما من شيء عُبد اللهُ به أفضل من العقل» و«ما قسم بين العباد أفضل من العقل»[٢].

وقال أيضاً:

«من أراد الغنى بلا مال؛ وراحة القلب من الحسد؛ والسلامة في الدين؛ فليتضرع إلى الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً»[٣].

ومن أقواله الذهبية في هذا الموضوع أيضاً:

«إن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه»[٤].

ولما كان المراد من العقل في هذه النصوص هو النضج المثمر والوجود الفاعل المؤثِّر ـ وليس ما يقابل الجنون الذي يعني فقدان السيطرة على الشعور المنضبط والإحساس المتَّزن ـ كان الإنسان المجرد من المعرفة والمحروم من التعلُّم وإن كمل عقله وحسن فهمه؛ محكوماً بالنقص الذي لا يُنْكَر ولا يُسْتَر؛ بسبب جهله المخلِّ بدوره الإنساني

---

(١) الكافي: ١/ ١٥ ـ ١٦ وتحف العقول: ٢٨٦ ـ ٢٨٨.
(٢) الكافي: ١/ ١٨ وتحف العقول: ٢٩٠ و٢٩٦.
(٣) الكافي: ١/ ١٨ وتحف العقول: ٢٨٩.
(٤) تحف العقول: ٢٩٦.

النافع لنفسه ومجتمعه، ولذلك أضاف الإمام إلى ما تقدم منه في تكريم العقل التنبيهَ على أهمية العلم وشأنه الكبير وأثره العظيم في بناء الأفراد والمجتمعات، وكان مما روي عنه في ذلك قوله:

«زاحموا العلماء في مجالسهم ولو حبواً على الرُّكَب، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»[1].

وقال: «تعلَّم من العلم ما جهلتَ، وعَلِّم الجاهل ما علمتَ»[2].

وقال: «مَنْ أكرمه الله بثلاث فقد لطف له: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر»[3].

وقال أيضاً: «قليل العمل من (العاقل) العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود»[4].

وقال: «محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي»[5].

وقال أيضاً: «إن كل الناس يبصر النجوم؛ ولكن لا يهتدي بها إلا مَنْ يعرف مجاريها ومنازلها. وكذلك أنتم تدرسون الحكمة؛ ولكن لا يهتدي بها منكم إلا مَنْ عمل بها»[6].

وكان من أقواله في تكريم العلم وتفضيله على نوافل العبادة

---

(١) تحف العقول: ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٩٤.

(٣) المصدر نفسه أيضاً: ٢٩٨.

(٤) الكافي: ١/١٧ وتحف العقول: ٢٨٩.

(٥) الكافي: ١/٣٩.

(٦) تحف العقول: ٢٩٢.

ومستحباتها هذه الكلمة الذهبية الخالدة: «فقيه واحد... أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همُّه ذات نفسه فقط، وهذا همُّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه...، ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابد»[1].

ولكي يكون العلم في جانبه الديني مَرْضياً عند الله تعالى ومحققاً هدفه الكبير في تعزيز الإيمان وترسيخ الاعتقاد والابتعاد عما يسخط الله عز وجل، نهى الإمام نهياً باتّاً عن الأخذ بالبدع؛ وحذَّر أشد التحذير من العمل بالرأي خلافاً لحكم الله ونصِّ رسوله (ص)، وفي ذلك يقول مخاطباً أحد أصحابه:

«لا تكوننَّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه (ص) ضلَّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه (ص) كفر»[2].

ولما كان القياس في بعض حالاته ضرباً من ضروب الابتداع؛ ولوناً من ألوان الأخذ بالرأي، فقد نهى (ع) أصرح النهي عن العمل بالقياس في تقرير حكم النظير والمشابه إن لم تكن العلَّة المشتركة منصوصة بصريح اللفظ، وجاء في الرواية عن سماعة بن مهران أنه قال للإمام ذات يوم: «إنَّا نجتمع فنتذاكر ما عندنا، فلا يَرِد علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء مسطَّر، وذلك مما أنعم الله به علينا بكم. ثم يَرِد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء؛ فينظر بعضنا إلى بعض؛ وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟ فقال: ما لكم وللقياس. إنما هلك مَنْ هلك قبلكم بالقياس»[3].

❀ ❀ ❀

---

(١) الاحتجاج: ٨٢١٥

(٢) الكافي: ١/ ٥٦.

(٣) الكافي: ١/ ٥٧.

وعندما يمتد بنا استعراض تراث الإمامة؛ بعد وقوفنا على ما عُني به الإمام من بيان دور العقل في مسيرة الإنسان والحياة؛ ودور العلم في بناء الأفراد والمجتمعات ونموها المتحرك المثمر، نلمس الاهتمام الكبير والوجود البارز للموضوعات الفلسفية والكلامية في هذا التراث أيضاً، حيث بحث الإمام شؤون الخلق والخالق؛ ومسائل التوحيد والصفات؛ وقضايا العدل الإلهي؛ وشبهات الجبر والقدر والتفويض؛ وغير ذلك مما ماثل وشاكل من فروع تلك الموضوعات ومداخلاتها الكثيرة المتشعبة، مما لا مجال لسرده في هذه الصفحات الضيقة المحدودة.

ومما رُوي عنه في هذه المسائل ـ على سبيل المثال ـ قوله لأيوب بن نوح لما كتب إليه يسأله عن الله عز وجل: أكان يعلم الأشياءَ قبل خلقها وتكوينها؛ أو لم يعلم ذلك حتى خلقها «فعلم ما خَلَق عندما خَلَق وما كوَّن عندما كوَّن؟ فوقَّع بخطه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء؛ كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء»[1].

وذُكِرَ عنده يوماً قومٌ يزعمون إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال:

«إن الله لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب؛ ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج إلى شيء بل يُحْتاج إليه... أما قول الواصفين: أنه ينزل ـ تبارك وتعالى ـ فإنما يقول ذلك مَنْ ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحركٍ محتاجٌ إلى مَنْ يحرِّكه أو يتحرَّك به، فمن ظنَّ بالله الظنون هلك»[2].

ومما أُثر عنه في مسألة العدل الإلهي نافياً مزاعم الجبريَّة:

(١) الكافي: ١/ ١٠٧.

(٢) الكافي ١/ ١٢٥ والاحتجاج: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

«إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون؛ فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذنه. وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى، وكما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧][(١)].

وقال في بيان أسباب تنوُّع معجزات الأنبياء وعدم تشابهها؛ لمَّا سُئل، فقيل له: «لماذا بعث الله موسى بن عمران (ع) بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر، وبعث عيسى (ع) بآلة الطب، وبعث محمداً (ص) بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن (ع):

«إن الله لما بعث موسى (ع) كان الغالب على أهل عصره السحر؛ فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله؛ وما أبطل به سحرهم؛ وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله بعث عيسى (ع) في وقتٍ ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله؛ وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله؛ وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله بعث محمداً (ص) في وقتٍ كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم».

فقال له السائل: «فما الحجة على الخلق اليوم؟».

«فقال: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه»[(٢)].

❀ ❀ ❀

(١) الاحتجاج: ٢١٠.
(٢) الكافي: ١/ ٢٤ _ ٢٥.

وعندما ننتقل من مسائل الكلام والفلسفة إلى شؤون الفقه وأحكام العبادات والمعاملات والإيقاعات والعقود؛ وسائر ما يدخل تحت عنوان الأحوال الشخصية والقضايا الجنائية، نجد أن الروايات عنه في هذه الشؤون قد تجاوزت نطاق العدِّ وأصبحت من الكثرة بمكان، وقد تكفلت بإيرادها كتب الحديث والفقه؛ وفي مقدمتها مصادر الحديث الكبرى الأربعة المشهورة لدى الشيعة الإمامية، وهي: كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ؛ وكتاب من لا يحضره الفقيه لعلي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ؛ وكتابا الاستبصار والتهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ.

ويظهر من بعض النصوص المأثورة عن الإمام أن هناك مَنْ كان يعترض عليه في أحكامه وفتاواه؛ فلا يجد مناصاً من إضافة شرحٍ وزيادة استدلالٍ؛ لإقناع خصمه بصواب قوله وصحة فتواه وكان من جملة ما رُوي في ذلك: أن محمد بن الحسن الشيباني سأله يوماً «بمحضرٍ من الرشيد وهم بمكة؛ فقال له: أيجوز للمحرم أن يظلِّل عليه محمله؟، فقال له موسى (ع): لا يجوز له ذلك مع الاختيار، فقال محمد بن الحسن: أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً؟، فقال له: نعم. فتضاحك محمد بن الحسن من ذلك، فقال له أبو الحسن موسى (ع): أفتعجب من سنة النبي (ص) وتستهزىء بها!، إن رسول الله (ص) كشف ظلاله في إحرامه؛ ومشى تحت الظلال وهو محرم، وإن أحكام الله يا محمد لا تقاس، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضل سواء السبيل»[١].

وروى الكليني أيضاً هذه المحاورة غير أنه ذكر أن السائل كان أبا

(١) الإرشاد: ٣١٨.

يوسف القاضي، وأورد في جواب الإمام له قوله: «إنا صنعنا كما صنع رسول الله (ص) وقلنا كما قال... كان يركب راحلته فلا يستظل عليها... وإذا نزل استظل بالخباء وفي البيت وفي الجدار»(١).

وفي لفظ آخر لهذا الخبر في بعض المصادر: «إن أبا يوسف أمره الرشيد بسؤال موسى بن جعفر (ع)، فقال: ما تقول في التظليل للمحرم؟، قال: لا يصلح، قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟، قال: نعم. قال: فما الفرق بين الموضعين؟، قال أبو الحسن: ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟، قال: لا، قال: فتقضي الصوم؟، قال: نعم، قال: ولِمَ؟، قال: هكذا جاء. قال أبو الحسن: وهكذا جاء»(٢).

واعترض عليه يوماً معترضٌ؛ لأنه رضي بمرور الناس أمامه وهو يصلي ولم يره مبطلاً للصلاة، فقال الإمام (ع).

«إن الذي كنتُ أُصلّي له كان أقرب إليّ منهم، يقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾(٣).

❀ ❀ ❀

وكما كانت عناية الإمام فيما تلقينا من تراثه المأثور قد بلغت مبلغاً كبيراً في معالجة شؤون الفكر الديني على صعيد علوم الكلام والتفسير والفقه والفرائض، كانت عنايته بقضايا السلوك الإنساني والتكافل

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ١٧١.
(٢) الاحتجاج: ٢١٤ والمناقب: ٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(٣) الكافي: ٣/ ٢٩٧ والمناقب: ٢/ ٣٧٣.
(٤) الكافي: ٢/ ٣٦٦.
(٥) الكافي: ٢/ ٣٦٨. والشجاع المذكور في الخبر ضربٌ من الأفاعي.

الاجتماعي والروابط الأخلاقية التي ترص الصفوف وتُحكم العلائق بين الناس قد بلغت مثل ذلك المبلغ كثرة ووفرة، وروى عنه الرواة في هذه الموضوعات من التعليمات والتوجيهات والتنبيهات ما لا يسعنا استيعابه وإثباته، وجاء في بعضها قوله:

«مَنْ قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يُجِرْه بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل»[١].

«مَنْ أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله عز وجل ساقها إليه؛ فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله عز وجل. وإن ردَّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلَّط الله عليه شُجاعاً من نارٍ ينهشه في قبره إلى يوم القيامة»[٢].

وروى عن جده رسول الله (ص) قوله: «مَنْ أصبح وهو لا يهمُّ بظلم أحدٍ غفر الله له ما اجترم»[٣].

وجاء في أقوال الإمام أيضاً: «إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس؛ هم الآمنون يوم القيامة. ومَنْ أدخل على مؤمنٍ سروراً فرَّح الله قلبه يوم القيامة»[٤].

وطلب أحد المؤمنين من الإمام أن يوصيه ويرشده «فقال له: احفظ لسانك تعزّ، ولا تمكِّن الناس من قيادك فتذل رقبتك»[٥].

(١) الكافي: ٢/ ٣٣٤.
(٢) الكافي: ٢/ ١٩٧.
(٣) الكافي: ٢/ ١١٣.
(٤) الكافي: ٢/ ٦٦٠.
(٥) الكافي: ٢/ ٦٧١.

ومن أقواله التوجيهية: «إذا كان ثلاثة في بيتٍ فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك مما يغمه»(١).

وقال أيضاً: «إذا كان الرجل حاضراً فكَنِّه، وإذا كان غائباً فسَمِّه»(٢).

ومن أقواله في هذا الباب: «لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب؛ فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً. وخافوا الله في السرِّ حتى تعطوا من أنفسكم النِّصْف، وسارعوا إلى طاعة الله، وأصدقوا الحديث، وأدوا الأمانة؛ فإنما ذلك لكم، ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم؛ فإنما ذلك عليكم»(٣).

ثم لم يكتف الإمام (ع) بالتوجيهات العامة التي خاطب بها جمهور المسلمين في حثهم على ضرورة التآخي والتماسك والتراحم والتعاطف؛ والسعي في قضاء الحوائج؛ والالتزام بصدق الحديث وأداء الأمانة، حتى خصَّ شيعته بزيادةٍ في الإخلاص والتمحيص، ليكونوا على مستوى ادعائهم الانتساب لأهل البيت (ع) ونهجهم في مطابقة الأفعال للأقوال؛ وفي حسن التصرف وسلامة النية ومحاسبة النفس، فقال عنهم ذات يوم:

«لو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم لم يبق منهم إلا ما كان لي. إنهم طال ما اتَّكوا على الأرائك فقالوا: نحن شيعة علي. إنما شيعة عليّ مَنْ صدَّق قولَه فعلُه»(٤).

ومن أقواله في ذلك أيضاً: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل

(١) الكافي: ٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨.
(٢) الكافي: ٨/ ٢٢٨.
(٣) الكافي: ٢/ ٤٥٣.
(٤) تحف العقول: ٣٠٧.

يوم، فإن عمل حَسَناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»[١].

ولم يغفل الإمام في مجموع إفاداته وأماليه عن إرشاد الناس إلى ضرورة حسن الاستثمار وجودة التصرف في أثمن ما يملك الإنسان في هذه الدنيا ـ مما لا يُعَوَّض فائته ولا يُرَدُّ ذاهبه ـ وهو الوقت، فحذَّرهم من إضاعته فيما لا جدوى فيه من ترَّهات الأعمال؛ وهدره فيما لا نفع به من توافه الشواغل وسفاهات الأفعال، وفي ذلك يقول:

«اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرِّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذَّاتكم في غير محرَّم»[٢].

ثم دلَّهم على أفضل ملجأ يلجأون إليه عند الشدة؛ وآمن حصنٍ يتحصنون فيه عند مداهمة الأخطار؛ وأنجع وسيلة يتوسلون بها للخلاص مما يطرأ عليهم من بلاء الدنيا وشرور الحياة، فقال حاثّاً وموجِّهاً:

«ما من بلاء ينزل على عبدٍ مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبدٍ مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع إلى الله عز وجل[٣]».

❀ ❀ ❀

(١) الكافي: ٢/ ٤٧١.
(٢) الكافي: ٨/ ٢٣٠.
(٣) الكافي: ٢/ ٣٣٦.

وعندما نستمر بالتطواف في رياض ذلك التراث؛ بعد فراغنا من استعراض جميع الجوانب السالفة الذكر التي أولاها الإمام (ع) الكثير أو الأكثر من اهتمامه وعنايته؛ مما يتعلق بمسائل التوحيد والألوهية؛ والإيمان والاعتقاد؛ والفقه والتفسير؛ والسلوك والأخلاق؛ وغير ذلك مما تقدمت بضعة مقتبسات منه ـ نجد في خلال ما بقي من ذلك المأثور ما لا يستهان به من الإشارات العلمية والأقوال الحكمية والتنبيهات المنطوية على ما يعزِّز العلاقات الإنسانية والروابط العاطفية؛ مضافاً إلى ما روى الرواة في تلك النصوص من لمحات الأدب ولمسات الاستشهاد بالشعر الفصيح المليح في بعض الأحيان.

ومن أمثلة ذلك هذه الإشارة العلمية التي رواها عبد الله بن سنان فقال:

«سمعتُ أبا الحسن (ع) يقول: طبايع الجسم على أربعة: فمنها الهواء الذي لا تحيا النفس إلا به وبنسيمه. ويُخرج ما في الجسم من داء وعفونة. والأرض التي قد تولِّد اليبس والحرارة. والطعام ومنه يتولد الدم، ألا ترى أنه يصير إلى المعدة فيغذيه حتى يلين، ثم يصفو فتأخذ الطبيعة صفوه دماً ثم ينحدر الثفل. والماء وهو يولِّد البلغم»[1].

كما أن من أمثلة أقواله الحكمية هذه الحكمة البالغة العظيمة المعاني والدلالات، وقد رواها عبد الرحمن بن الحجاج قال:

«قال لي أبو الحسن (ع): اتَّقِ المرتقى السهل إذا كان منحدره وعراً»[2].

---

(١) تحف العقول: ٣٠٦. والولد في اللغة العربية يعم الذكر والأنثى.

(٢) نثر الدر: ١/٣٥٨.

ولعل من أعمق ما رُوي عنه في تعزيز الروابط الزوجية والعلاقات العاطفية بين الآباء والأولاد الصغار قوله المأثور:

«ليس القبلة على الفم إلا للزوجة والولد الصغير»[١].

أما استشهاد الإمام بالشِّعر المحفوظ فتكفينا فيه الأمثلة الثلاثة الآتية:

أ - ذُكِرَ أن موسى الهادي قد همَّ به، فسأل الإمام أهل بيته: «بِمَ تُشيرون؟، قالوا: نرى أن تتباعد عنه... فإنه لا يُؤمَن شرُّه»، فقال مستشهداً ببيت كعب بن مالك الأنصاري:

زعمتْ سخينةُ أن ستغلب ربَّها وليغلبنَّ مُغالبُ الغَلاَّبِ[٢]

ب - ومن الشعر الذي كان يستشهد به:

نواصل مَنْ لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديقِ[٣]

ج - ورُوي أنه (ع) كان كثيراً ما ينشد هذا البيت:

فإنْ يكُ يا أُميم عَلَيَّ دينٌ فعمران بن موسى يستدينُ[٤]

❀ ❀ ❀

(١) تحف العقول: ٣٠٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨/١١٦ - ١١٧.

(٣) مختصر تاريخ العرب: ١٩٤.

(٤) يراجع في شواهد ذلك كتاب الكافي: ٣/١٨ و١٥٥ و١٩٧ و٣١٥ و٣٢٦ و٣٢٨ و٣٣٠ و٣٣٢ و٣٤٠ و٣٤٦ و٣٨٠ و٣٩٩ و٥١٠ و٥٣٩ و٨/٣٨٤.

هذه أمثلة ومقتطفات من تراث الإمامة الذي عُنيت بتدوينه كتب الحديث ومصادر الفكر الديني والثقافة الإسلامية؛ وكما بلَّغه الرواة الأوائل فيما أسندوه مشافهة عن الإمام موسى بن جعفر (ع) مما وعوه واستوعبوه فحدَّثوا بما سمعوا وحفظوا منه، وتعدُّ قائمة أسماء أولئك الرواة ـ وهم مآت كُثْر ـ هي المفتاح الأوحد لباب الاهتداء إلى كنوز ذلك التراث ونفائس مدينته الفاضلة، وكان لهؤلاء الفضل الأكبر على جميع الأجيال والقرون منذ عصرهم حتى اليوم؛ بما أنهوا إلينا من فكر الإمام وعلمه؛ وما أبلغونا به من ذلك الزاد الثقافي الهنيء والغذاء المريء، ويقول السيد أمير علي الهندي بعد أن يذكر وفاة الإمام الصادق (ع) والخسارة العلمية التي شملت الأمة بفقدان هذا الإمام الكبير:

«غير أن الحلقة العلمية ـ لحسن الطالع ـ لم تتوقف بوفاته، إذ طفقت تزدهر برئاسة ابنه موسى الملقَّب بالكاظم»[1].

وكانت هذه المرويات والمأثورات إحدى حسنات تلك الحلقة

---

(١) كما في كتاب عبد الله بن يحيى وقد جاء فيه قوله: «الحمد لله منتهى علمه»، فكتب الإمام إليه مجيباً على أسئلته؛ ثم ذكر الجملة المشار إليها وخاطبه معلِّقاً عليها: «لا تقولنَّ منتهى علمه؛ فإنه ليس لعلمه منتهى، ولكن قل: منتهى رضاه» تحف العقول: ٣٠٥.

العلمية المزدهرة التي ذكرها الباحث؛ وإحدى بركاتها الكبرى الخالدة.

ولما كان الإمام على امتداد أيام حياته من قاطني المدينة المنوَّرة، وكانت الرقعة الإسلامية في الكرة الأرضية يومذاك في أوج الاتساع والانتشار، لم يكن بإمكان السائلين والمستفهمين الراغبين في معرفة حكم الشرع ورأي الدين؛ أن يحضروا إلى المدينة لملاقاة الإمام وسماع ما يفتيهم به فيما يريدون معرفته والوقوف على وجه الصواب فيه، بل كان بين هؤلاء المؤمنين المنتشرين في أصقاع العالم الإسلامي من لا يجد وسيلة لذلك إلا مكاتبة الإمام للسؤال منه عما يخص شؤون دينه أو هموم دنياه ومشاكلها المستجدة على الدوام، وكان الإمام يتلقى تلك الكتب برحابة صدر؛ ويقرأها بإمعان؛ ويحرر لهم أجوبة ذلك كتابة أيضاً(١).

ويبدو من قراءة تلك المكاتبات والجوابات أن الإمام لم يكن يكتفي في بعض الأحيان بمجرد الرد على مورد السؤال وبيان الحكم الشرعي فيه، وإنما كان يتعدى هذا الجانب بعد الإجابة عليه إلى التنبيه على أمور أخرى ليست من صلب المطلب الذي حُرِّر الكتاب لأجله، ولكنها ذات مساس بصاحب الرسالة فيما يتعلق بوهم فكري قد سقط فيه(٢)؛ أو شأن دنيوي قد جهله أو غفل عما ينطوي عليه من نتائج غير محمودة العاقبة(٣).

❀ ❀ ❀

(١) كما في قضية الدرَّاعة التي أهداها الرشيد لحاجبه علي بن يقطين فبعث بها ابن يقطين هدية إلى الإمام، فردَّها الإمام إليه وكتب إليه يأمره بالاحتفاظ بها لأنه سيحتاج إليها في الأيام القادمة. ويراجع في تفاصيل أمر هذه الدراعة: الإرشاد: ٣١٣ ـ ٣١٤ والمناقب: ٢/٣٥٦ والفصول المهمة: ٢١٨ ـ ٢١٩ وبحار الأنوار: ٤٨/١٣٧ ـ ١٣٨ ونور الأبصار: ١٣٧.

وعلى كل حال؛ وعلى الرغم من جميع ما أسلفنا ذكره من النصوص المأثورة عن الإمام موسى بن جعفر (ع) وهي غيض من فيضه الزاخر وعبابه المتدفق، فليس لنا أن ندَّعي الاطلاع التفصيلي على تراث الإمامة الذي نحاول في هذه العجالة بحثه ومعرفة سبل الوصول إليه والوقوف عليه، إلا إذا استعرضنا ذلك الجمع الحاشد من الرواة عنه والمشافهين له، بحكم كونهم الباب الذي ينفتح مصراعاه على ذلك الموروث القيم الذي تلقيناه عن الإمام؛ وما زلنا نعيش حتى اليوم أفياء خيره ونعيمه؛ وظلال عطائه ونمائه، فيما نجده ماثلاً في المصادر الأولى التي حملت ذلك الإرث الخالد؛ وفيما تناقلته الأجيال المعنية جيلاً بعد جيل.

وأمرٌ يجب أن يسجَّل بفخر واعتزاز أن النوابغ البارعين من حضار مجلس الإمام وحلقة درسه؛ ومن المتلقين الواعين الذين سمعوا منه وشافهوه؛ قد بادروا أولاً بأول إلى تسجيل تلك الأمالي والمسموعات في مدوَّنات خصَّصوها لهذا الغرض سمَّاها بعضهم «الأصول»، وربما أضافوا فيها إلى تلك المشافهة من الإمام الكاظم (ع) ما رووه مباشرة أو إسناداً عن أئمة أهل البيت السابقين (ع)، وكان منهم من بوَّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها؛ فجعل كل ما يتعلق بموضوع منها في كتاب خاص مستقل باسمه ومحتواه.

ونقتصر فيما يأتي ـ رعايةً لما التزمنا به من الاختصار والإيجاز ـ على ذكر أولئك المؤلفين بالخصوص؛ وإثبات ما أورده مترجموهم من أسماء مؤلفاتهم ومصنفاتهم[1]، مع تسجيل أسمى مشاعر الاحترام

(١) عُني الباحث المرحوم الشيخ عناية الله علي القهبائي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري بجمع كتاب رجال الكشي (من مؤلفي النصف الأول من القرن =

والتقدير لهم؛ بحكم كونهم الممثِّلين حقاً لطلائع البحث والجمع والتدوين في التاريخ العربي الإسلامي، والرواد المتقدمين في هذا الميدان في المائة الهجرية الثانية:

أ

١ ـ أبان بن عثمان الأحمر، البجلي الكوفي، له من المؤلفات:

أ ـ أصلٌ.

ب ـ كتاب المغازي: وهو كتاب يجمع المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة، وهي كتاب واحد يجمع هذه الكتب. (مجمع: ١/ ٢٥ ـ ٢٧).

٢ ـ إبراهيم بن أبي البلاد، الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٣١).

٣ ـ إبراهيم بن أبي محمود، له من المؤلفات:

كتاب مسائل موسى (ع)، قدر خمس وعشرين ورقة.

(مجمع: ١/ ٣٦).

= الرابع) وكتاب رجال ابن الغضائري (من مؤلفي النصف الأول من القرن الخامس) وكتاب رجال النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠هـ وكتاب الرجال وكتاب الفهرست للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، فأورد هذه الكتب بألفاظها مع تمييز نصِّ كل واحد منها منفرداً مستقلاً عن غيره، وسمى هذا المجموع (مجمع الرجال)، وهو مطبوع في سبعة أجزاء.

وقد رجعنا إلى هذا الكتاب ـ؛ بما تضمن من نصوص تلك الكتب ـ في ضبط أسماء المؤلفين الرواة عن الإمام موسى بن جعفر (ع) وفي تبيين أسماء كتبهم ورمزنا له بـ«مجمع»، كما رجعنا في ذلك إلى فهرست ابن النديم أيضاً.

٤ - إبراهيم بن عبد الحميد، له من المؤلفات:

أ - أصلٌ.

ب- كتاب النوادر. (مجمع: ١/ ٥٣).

٥ - إبراهيم بن عثمان، اليماني:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٥٩).

٦ - إبراهيم بن مهزم، الأسدي، الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٧٤).

٧ - أحمد بن الحارث:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ١٠٠).

٨ - أحمد بن الحسن، الميثمي:

له كتاب نوادر. (مجمع: ١/ ١٠٢).

٩ - أحمد بن الفضل، الخزاعي:

له كتاب نوادر. (مجمع: ١/ ١٣٤).

١٠ - أحمد بن محمد بن أبي نصر، البزنطي، المتوفى سنة ٢٢١هـ، له من المؤلفات:

أ - كتاب الجامع.

ب- كتاب ما رواه عن الرضا (ع).

ج - كتاب المسائل.

د - كتاب النوادر. (الفهرست: ٢٧٦ ومجمع: ١/ ١٥٩ - ١٦١).

١١ ـ إسحاق بن جرير:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

١٢ ـ إسحاق بن عمار:

له كتاب نوادر. (مجمع: ١/ ١٩٥).

١٣ ـ إسماعيل بن جابر:

له كتابٌ. (مجمع: ١/٢٠٨).

١٤ ـ إسماعيل بن موسى بن جعفر (ع): له كتب مبوَّبة، منها:

أ ـ كتاب الجنائز.

ب ـ كتاب الحج.

ج ـ كتاب الحدود.

د ـ كتاب الدعاء.

هـ ـ كتاب الديات.

و ـ كتاب الرؤيا.

ز ـ كتاب الزكاة.

ح ـ كتاب السنن والآداب.

ط ـ كتاب الصلاة.

ي ـ كتاب الصوم.

ك ـ كتاب الطلاق.

ل ـ كتاب الطهارة.

م ـ كتاب النكاح. (مجمع: ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

١٥ ـ أُميَّة بن عمرو، الشعيري:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٢٣٨).

١٦ ـ أيوب بن الحر، الجعفي:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٢٤٥).

ب

١٧ ـ بشر بن سلمة، أبو صدقة:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٢٦٧).

١٨ ـ بكر بن محمد، الأزدي:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٢٧٧).

١٩ ـ بكر بن محمد بن جناح، أبو محمد، الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٢٧٨).

ث

٢٠ ـ ثابت بن دينار، أبو حمزة، الثمالي الكوفي، المتوفى سنة ١٥٠هـ، له من المؤلفات:

أ ـ تفسير القرآن.

ب ـ رسالة الحقوق التي يرويها عن الإمام علي بن الحسين (ع).

ج ـ كتاب نوادر. (مجمع: ١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

٢١ ـ ثعلبة بن ميمون، أبو إسحاق:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٣٠١).

ج

٢٢ ـ جميل بن دراج، النخعي، له من المؤلفات:

أ ـ كتابٌ من تأليفه رواه عنه جماعات من الناس وطرقه كثيرة.

ب ـ كتاب اشترك هو ومحمد بن حمران فيه.

ج ـ كتاب اشترك مع مرازم بن حكيم فيه. (مجمع: ٢/ ٥١ ـ٥٢)،

ح

٢٣ ـ الحسن بن أيوب:

له كتاب النوادر. (مجمع: ٢/ ٩٩).

٢٤ ـ الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين:

له كتاب مسائل. (مجمع: ٢/ ١٠٠).

٢٥ ـ الحسن بن راشد، أبو علي، البغدادي:

له كتاب الراهب والراهبة. (مجمع: ٢/ ١٠٧).

٢٦ ـ الحسن بن صالح بن حَيّ:

له كتاب. (مجمع: ٢/ ١١٦).

٢٧ ـ الحسن بن محبوب السراد ـ ويقال الزرّاد ـ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ عن ٧٥ عاماً من العمر، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب التفسير.

ب ـ كتاب الحدود.

ج ـ كتاب الديات.

د ـ كتاب الطلاق.

هـ ـ كتاب العتق.

و ـ كتاب الفرائض.

ز ـ كتاب المزاج(كذا).

ح ـ كتاب المشيخة.

ط ـ كتاب النكاح.

ي ـ كتاب النوادر ـ نحو ألف ورقة ـ. (مجمع: ٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

٢٨ ـ الحسن بن محمد بن سماعة، أبو علي، المتوفى سنة ٢٦٣هـ، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب البشارات.

ب ـ كتاب الجنائز.

ج ـ كتاب الحج.

د ـ كتاب الحدود.

هـ ـ كتاب الحيض.

و ـ كتاب الدلائل.

ز ـ كتاب الديات.

ح ـ كتاب الزهد.

ط ـ كتاب السهو.

ي ـ كتاب الشراء والبيع.

ك ـ كتاب الصلاة.

م ـ كتاب الطلاق.

ن ـ كتاب الطهور.

س ـ كتاب العبادات.

ع ـ كتاب الغيبة.

ف ـ كتاب الفرائض.

ص ـ كتاب القبلة.

ق ـ كتاب اللباس.

ر ـ كتاب المواقيت.

ش ـ كتاب النكاح.

ت ـ كتاب وفاة أبي عبد الله الصادق (ع).

(الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ٢/ ١٥٠ ـ ١٥٢).

٢٩ ـ الحسين بن أحمد، المنقري:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ١٦٧).

٣٠ ـ الحسين بن محمد، القمي:

له كتاب النوادر. (مجمع: ٢/ ١٩٦).

٣١ ـ الحسين بن المختار، القلانسي:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ١٩٨).

٣٢ ـ حفص بن البختري:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢١٠).

٣٣ ـ حفص بن غياث، النخعي الكوفي القاضي، المتوفى سنة ١٩٤هـ:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

٣٤ ـ حماد بن عثمان، الملقَّب بالنَّاب، الكوفي، المتوفى سنة ١٩٠هـ:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

٣٥ ـ حماد بن عيسى، الجهني البصري، المتوفى سنة ٢٠٩هـ عن نيف وتسعين سنة، وله من المؤلفات:

كتاب الزكاة.

كتاب الصلاة.

كتاب النوادر. (مجمع: ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

٣٦ ـ حنان بن سدير، أبو الفضل، الصيرفي الكوفي:

له كتاب في صفة الجنة والنار. (مجمع: ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

د

٣٧ ـ داوود بن الحصين:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

٣٨ ـ داوود بن زربي:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢٨٣).

٣٩ ـ داوود بن فرقد، الأسدي:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢٨٧).

٤٠ ـ داوود بن كثير، الرقي، له من المؤلفات:

أ ـ أصلٌ.

ب ـ كتاب المزار. (مجمع: ٢/ ٢٩١).

٤١ ـ دُرُست بن أبي منصور الواسطي:

له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢٩٥).

ز

٤٢ ـ زرارة بن أعين، الشيباني، المتوفى سنة ١٥٠هـ، له مؤلفات؛ منها:

كتاب الاستطاعة والجبر. (مجمع: ٣/ ٥٠ ـ ٥١).

٤٣ ـ زرعة بن محمد، الحضرمي:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ٥٢).

٤٤ ـ زياد بن مروان، أبو الفضل، القندي:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ٧٢).

س

٤٥ ـ سعد بن أبي خلف، الزامّ:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ٩٩ ـ ١٠٠).

٤٦ ـ سليمان بن جعفر، أبو محمد، الجعفري:

له كتاب فضل الدعاء. (مجمع: ٣/ ١٥٩).

٤٧ ـ سماعة بن مهران، الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ١٧٠ ـ ١٧١).

٤٨ ـ سيابة بن ناجية، المدني:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ١٨٢).

٤٩ ـ سيف بن عميرة، النخعي الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ١٨٦ ـ ١٨٧).

ش

٥٠ ـ شعيب بن يعقوب، العقرقوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ١٩٦ ـ ١٩٧).

ص

٥١ ـ صالح بن عقبة:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ٢٠٧).

٥٢ ـ صفوان بن يحيى، أبو محمد، بياع السابري، المتوفى سنة ٢١٠هـ، له مؤلفات كثيرة، ذكر بعضهم أنها بلغت ثلاثين،

منها:

أ ـ كتاب الآداب.

ب ـ كتاب البشارات ـ نوادر ـ.

ج ـ كتاب التجارات.

د ـ كتاب الحج.

هـ ـ كتاب الزكاة.

و ـ كتاب الشراء والبيع.

ز ـ كتاب الصلاة.

ح ـ كتاب الصوم.

ط ـ كتاب الطلاق.

ي ـ كتاب العتق والتدبير.

ك ـ كتاب الفرائض.

ل ـ كتاب المحبة والوظائف.

م ـ كتاب مسائل عن أبي الحسن موسى (ع) وروايات.

ن ـ كتاب النكاح.

س ـ كتاب الوصايا.

ع ـ كتاب الوضوء.

(الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ٣/ ٢٢٠ ـ ٢١).

ع

٥٣ ـ عبد الحميد بن سعيد (أو سعد):

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٦٨ ـ ٦٩).

٥٤ ـ عبد الرحمن بن الحجاج، الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٧٧).

٥٥ ـ عبد الكريم بن عمر (أو عمرو)، الخثعمي الكوفي، الملقَّب بكَرَّام:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ١٠١).

٥٦ ـ عبد الله بن جبلة، المتوفى سنة ٢١٩هـ، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب الرجال.

ب - كتاب الزكاة.

ج - كتاب الصفة في الغيبة.

د - كتاب الصلاة.

هـ - كتاب الطلاق.

و - كتاب الفطرة.

ز - كتاب مواريث الصلب.

ح - كتاب النوادر. (مجمع ٣/ ٢٧٠ - ٢٧١).

٥٧ - عبد الله بن حماد، الأنصاري:

له كتابان. (مجمع: ٣/ ٢٧٩).

٥٨ - عبد الله بن خداش، المهري البصري، أبو خداش:

له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ٢٨١).

٥٩ - عبد الله بن سنان، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب الصلاة الكبير.

ب - كتاب الصلاة الذي يُعْرَف بعمل يومٍ وليلة.

ج - كتاب في سائر الأبواب من الحلال والحرام. (مجمع: ٤/ ٢ - ٣).

٦٠ - عبد الله بن القاسم، الحضرمي:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٣٥ - ٣٦).

٦١ - عبد الله بن المغيرة، الكوفي الخزاز، قيل: إنه صنَّف ثلاثين كتاباً، منها:

أ ـ كتاب الزكاة.

ب ـ كتاب الصلاة.

ج ـ كتاب الفرائض.

د ـ كتاب في أصناف الكلام.

هـ ـ كتاب الوضوء.

(مجمع: ٤/ ٥٥).

٦٢ ـ عبدالله بن يحيى، الكاهلي:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٦٣).

٦٣ ـ عثمان بن عيسى، الرؤاسي الكوفي، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب الصلاة.

ب ـ كتاب القضايا والأحكام.

ج ـ كتاب المياه.

د ـ كتاب الوصايا.

(مجمع: ٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

٦٤ ـ علي بن أبي حمزة، البطائني الأنصاري، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب التفسير.

ب ـ كتابٌ جامع في أبواب الفقه.

ج ـ كتاب الزكاة.

د ـ كتاب الصلاة.

(مجمع: ٤/ ١٥٨).

٦٥ ـ علي بن جعفر بن محمد (ع)، أبو الحسن، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتابٌ في الحلال والحرام.

ب ـ كتاب ما سأل عنه أخاه الكاظم (ع).

ج ـ كتاب المناسك.

(مجمع: ٤/ ١٧٣).

٦٦ ـ علي بن الحسن، أبو الحسن، الطاطري، له مؤلفات كثيرة قيل إنها أكثر من ثلاثين كتاباً، منها:

أ ـ كتاب الإمامة.

ب ـ كتاب التوحيد.

ج ـ كتاب الحج.

د ـ كتاب الحيض.

هـ ـ كتاب الدعاء.

و ـ كتاب الصِّداق.

ز ـ كتاب الصلاة.

ح ـ كتاب الطلاق.

ط ـ كتاب الغيبة.

ي ـ كتاب الفرائض.

ك ـ كتاب فضائل أمير المؤمنين (ع).

ل ـ كتاب الفطرة.

م ـ كتاب القبلة.

ن ـ كتاب المتعة.

س ـ كتاب المعرفة.

ع ـ كتاب المواقيت.

ف ـ كتاب النفاس.

ص ـ كتاب النكاح.

ق ـ كتاب الوفاة.

ر ـ كتاب الولاية.

(مجمع: ٤/ ١٨٣).

٦٧ ـ علي بن سويد، التمَّار السائي:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

٦٨ ـ علي بن شجرة، الشيباني الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٢٠١).

٦٩ ـ علي بن عطية:

له كتابٌ، (مجمع: ٤/ ٢٠٩).

٧٠ ـ علي بن وهبان:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٢٣٣)،

٧١ ـ علي بن يقطين، المولود سنة ١٢٤هـ، والمتوفى سنة ١٨٠ أو ١٨٢هـ، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب ما سُئل عنه الصادق (ع) من الملاحم.

ب ـ كتاب مسائل من أبي الحسن موسى (ع).

ج ـ كتاب مناظرته للشاك بحضرة جعفر (ع).

(الفهرست: ٢٧٩ ومجمع: ٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

٧٢ ـ عمار بن موسى، أبو الفضل، الساباطي الكوفي:

له كتاب كبير «جيِّد معتمد». (مجمع: ٤/ ٢٤٥).

٧٣ ـ عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن أذينة، له من المؤلفات:

أ ـ كتاب الفرائض.

ب ـ كتابٌ يُعْرَف باسم كتاب عمر بن أذينة، وهو «نسختان إحداهما الصغرى؛ والأخرى الكبرى» (مجمع: ٤/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

٧٤ ـ عمر بن محمد بن يزيد، أبو الأسود، بيَّاع السابري: له كتابٌ في مناسك الحج وفرائضه وما هو مسنون في ذلك. (مجمع: ٤/ ٢٦٥).

٧٥ ـ عيسى بن يونس بُزُرْج:

له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٣٠٨).

غ

٧٦ ـ غالب بن عثمان:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٢).

ف

٧٧ ـ فضالة بن أيوب، الأزدي، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب الصلاة.

ب ـ كتاب نوادر.

(مجمع: ٥/ ١٧ ـ ١٨).

٧٨ ـ الفضل بن يونس، الكاتب، الكوفي البغدادي:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٣٤).

ق

٧٩ ـ القاسم بن محمد، الجوهري الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٥٠ ـ ٥١).

ل

٨٠ ـ ليث المرادي، أبو بصير:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٨٧).

م

٨١ ـ محمد بن إسماعيل بن بزيع، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب ثواب الحج.

ب ـ كتاب الحج.

(مجمع: ٥/ ١٥٢).

٨٢ ـ محمد بن بكر بن جناح:

له كتابٌ في النوادر. (مجمع: ٥/ ١٦٩).

٨٣ ـ محمد بن حكيم، الخثعمي:

له كتابٌ. ويحتمل أن يكون الكتاب من تأليف ابنه جعفر. (مجمع: ٢/ ٣٩ و٥/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

٨٤ ـ محمد بن خالد بن عمر، أبو عبد الله، الطيالسي، المتوفى سنة ٢٥٩هـ عن سبع وتسعين سنة:

له كتابٌ في النوادر. (مجمع: ٥/ ٢٠٧).

٨٥ ـ محمد بن سليمان، البصري الديلمي:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

٨٦ ـ محمد بن سنان، الكوفي، المتوفى سنة ٢٢٠هـ، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب الأظلّة.

ب ـ كتاب الحج.

ج ـ كتاب الشراء والبيع.

د ـ كتاب الصيد والذبائح.

هـ ـ كتاب الطرائف.

و ـ كتاب المكاسب.

ز ـ كتاب النوادر.

ح ـ كتاب الوصية:

(مجمع: ٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

٨٧ ـ محمد بن الصباح، الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٢٣٦).

٨٨ ـ محمد بن صدقة، أبو جعفر، العنبري البصري:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٢٣٦).

٨٩ ـ محمد بن عذافر، الصيرفي المدائني، المتوفى عن ثلاث وتسعين سنة:

له كتابٌ. (مجمع: ٥/ ٢٦٠).

٩٠ ـ محمد بن علي (أو ابن النعمان)، أبو جعفر، مؤمن الطاق، الأحول الكوفي البجلي، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين (ع).

ب ـ كتاب افعلْ لا تفعل، «وهو كتاب كبير حسن».

ج ـ كتاب الإمامة.

د ـ كتاب الجمل في أمر طلحة والزبير وعائشة.

هـ ـ كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول.

و ـ كتاب كلامه على الخوارج.

ز ـ كتاب مجالسته مع أبي حنيفة والمرجئة.

ح ـ كتاب المعرفة. (الفهرست: ٢٢٤ ومجمع: ٦/ ٧ ـ ٨).

٩١ ـ محمد بن فضيل:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ٢٢).

٩٢ ـ محمد بن فضيل، الكوفي الأزدي الصيرفي:

له كتابٌ. وله مسائل. (مجمع: ٦/ ٢٣).

ولعله ذو الرقم (٩١) نفسه.

٩٣ ـ محمد بن مرازم بن حكيم:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ٣٨).

٩٤ ـ محمد بن مسلم، الطحان، المتوفى سنة ١٥٠هـ.

له كتابٌ يُسَمَّى «الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام».

(مجمع: ٦/ ٥٣ ـ ٥٤).

٩٥ ـ مرازم بن حكيم، الأزدي:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ٨١).

٩٦ ـ المفضل بن عمر، الجعفي، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب علل الشرائع.

ب ـ كتاب فَكِّرْ؛ وهو كتابٌ في بدء الخَلْق والحثِّ على الاعتبار، وهو مطبوع أكثر من مرة باسم «توحيد المفضل».

ج ـ كتاب ما افترض الله على الجوارح.

د ـ كتاب وصية المفضل.

هـ ـ كتاب يوم وليلة. (مجمع: ٦/ ١٣١).

٩٧ ـ منصور بن يونس بُزُرج:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ١٤٦).

٩٨ ـ مهران بن أبي بصير (أو ابن أبي نصر)، السكوني:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ١٦٣).

٩٩ ـ موسى بن إبراهيم، المروزي، معلِّم ولد السندي بنُ شاهك:

له كتاب روايات عن الإمام موسى بن جعفر (ع) ذكر أنه سمعها منه

يوم كان محبوساً عند السندي، ويأتي مزيد كلام عنه في ختام هذا الفصل.

(مجمع: ٦/ ١٤٧).

١٠٠ ـ موسى بن بكر، الواسطي الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ١٥٢).

١٠١ ـ موسى بن سعدان الخيَّاط (أو الحنَّاط)، له مؤلفات، منها: كتاب الطرائف (أو الطوائف). (الفهرست: ٢٧٩ ومجمع: ٦/ ١٥٦).

ن

١٠٢ ـ نشيط بن صالح بن عبد الله، العجلي:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

١٠٣ ـ نصر بن قابوس، اللخمي:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ١٧٨).

١٠٤ ـ النضر بن سويد:

له كتابٌ في النوادر. (مجمع: ٦/ ١٨٠).

هـ

١٠٥ ـ هشام بن الحكم، أبو محمد، الكوفي الواسطي الشيباني، المتوفى سنة ١٧٩هـ وقيل أيام خلافة المأمون، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب الأخبار.

ب ـ كتاب اختلاف الناس في الإمامة.

ج ـ كتاب الاستطاعة.

د ـ كتاب الألطاف.

هـ ـ كتاب الألفاظ.

و ـ كتاب الإمامة.

ز ـ كتاب التدبير في الإمامة.

ح ـ كتاب التوحيد.

ط ـ كتاب الثمانية الأبواب.

ي ـ كتاب الحكمَيْن.

ك ـ كتاب الدلالات على حدوث الأشياء.

ل ـ كتاب الردّ على أرسطا طاليس في التوحيد.

م ـ كتاب الرد على أصحاب الاثنين.

ن ـ كتاب الرد على أصحاب الطبائع.

س ـ كتاب الرد على الزنادقة.

ع ـ كتاب الرد على المعتزلة.

ف ـ كتاب آخر في الرد على المعتزلة.

ص ـ كتاب الرد على المعتزلة في أمر طلحة والزبير.

ق ـ كتاب الرد على من قال بإمامة المفضول.

ر ـ كتاب الرد على هشام الجواليقي.

ش ـ كتاب الشيخ والغلام في التوحيد.

ت ـ كتاب علل التحريم.

ث ـ كتاب على شيطان الطاق.

خ ـ كتاب الفرائض.

ذ ـ كتاب في الجبر والقدر.

ض ـ كتاب القدر (وهو غير المتقدم).

ظ ـ كتاب المجالس في الإمامة.

غ ـ كتاب المجالس في التوحيد.

أب ـ كتاب المعرفة.

أج ـ كتاب الميدان.

أد ـ كتاب الميزان.

أهـ كتاب الوصية والرد على من أنكرها.

(الفهرست: ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ومجمع: ٦/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤).

١٠٦ ـ هشام بن سالم، الكوفي، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب أصلٍ.

ب ـ كتاب التفسير.

ج ـ كتاب الحج.

د ـ كتاب المعراج. (مجمع: ٦/ ٢٣٨).

ي

١٠٧ ـ يحيى بن أبي القاسم، أبو بصير، الأسدي، المتوفى سنة ١٥٠هـ، له:

أ ـ كتاب مناسك الحج.

ب ـ كتاب يوم وليلة.

(مجمع: ٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

١٠٨ ـ يحيى بن عبد الرحمن، الأزرق الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ٢٦١).

١٠٩ ـ يحيى بن عمران، الكوفي، وقيل له الحلبي لأن تجارته كانت إلى حلب:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).

١١٠ ـ يعقوب بن شعيب بن ميثم، الأسدي الكوفي التمَّار:

له كتابٌ. (مجمع: ٦/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

١١١ ـ يونس بن عبد الرحمن، أبو محمد، له مؤلفات كثيرة تجاوز عددها الثلاثين، وكان «كثير التصنيف والتأليف»، ومنها:

أ ـ كتاب الآداب.

ب ـ كتاب الاحتجاج في الطلاق.

ج ـ كتاب اختلاف الحج.

د ـ كتاب اختلاف الحديث.

هـ ـ كتاب الأدب والدلالة على الخير.

و ـ كتاب الإمامة.

ز ـ كتاب البداء.

ح ـ كتاب البيوع والمزارعات.

ط ـ كتاب التجارات.

ي ـ كتاب تفسير القرآن.

ك ـ كتاب ثواب الحج.

ل ـ كتاب جامع الآثار.

م ـ كتاب الجامع الكبير في الفقه.

ن ـ كتاب الحدود.

س ـ كتاب الديات.

ع ـ كتاب الرد على الغلاة.

ف ـ كتاب الزكاة.

ص ـ كتاب السهو.

ق ـ كتاب الشرائع.

ر ـ كتاب الصلاة.

ش ـ كتاب الصيام.

ت ـ كتاب الطلاق.

ث ـ كتاب العلل.

خ ـ كتاب علل الحديث ـ أو الأحاديث ـ، وهو غير السابق.

ذ ـ كتاب علل النكاح وتحليل المتعة.

ض ـ كتاب الفرائض الصغير.

ظ ـ كتاب فضل القرآن.

غ ـ كتاب اللؤلؤة في الزهد.
أب ـ كتاب المتعة.
أج ـ كتاب المثالب.
أد ـ كتاب مسائله عن أبي الحسن موسى (ع).
أهـ ـ كتاب المكاسب.
أو ـ كتاب النكاح.
أز ـ كتاب نوادر البيوع.
أح ـ كتاب الوصايا والفرائض.
أط ـ كتاب الوضوء.
أي ـ كتاب يوم وليلة.
(الفهرست: ٢٧٦ ومجمع: ٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧).

١١٢ ـ يونس بن يعقوب بن قيس، أبو علي، الجلاَّب الدهني: له كتاب الحج. (مجمع: ٦/ ٣١١).

الكنى

١١٣ ـ أبو جنادة الأعمى:
له كتابٌ. (مجمع: ٧/ ٢٠).

١١٤ ـ أبو شعيب المحاملي:
له كتابٌ. (مجمع: ٧/ ٥٣).

١١٥ ـ أبو يحيى المكفوف:
له كتابٌ. (مجمع: ٧/ ١١٠).

❀ ❀ ❀

وقبل أن نختم الحديث عن تراث الإمامة وبيان أهم جوانبه في الرواية والإسناد؛ ينبغي أن لا تفوتنا الإشارة إلى تلك الأحاديث التي جمعها أبو عمران موسى بن إبراهيم المروزي مما سمعه من الإمام ودوَّنه، وهو المجموع الذي أطلق عليه متداولوه من رجال الحديث اسم «مسند الإمام موسى بن جعفر»[1].

وكان هذا المروزيُّ معلِّمَ ولد السندي بن شاهك سجَّان الإمام، وقد توفي بعد سنة ٢٢٩هـ، ويبدو أنه سمع تلك الأحاديث من الإمام حينما كان محبوساً عند السندي، وقد حدَّث بها أبو عمران فسمعها منه محمد بن خلف بن عبد السلام المعروف بالمروزي أيضاً ـ لأنه كان يسكن محلة المراوزة ـ؛ المتوفى سنة ٢٨١هـ[2]، فكان هو همزة الوصل بين سامعها وجامعها الأول وبين من رواها بعد ذلك من الأجيال المتعاقبة.

وذكر النجاشي أنه يروي هذا الكتاب عن الحسين بن عبيدالله، عن إسماعيل بن يحيى بن أحمد العبسي، عن محمد بن أحمد بن أبي سهل الحربي، عن محمد بن خلف بن عبد السلام ـ وقد حدَّث بذلك يوم

(١) وقفت على نسخة مخطوطة منه في خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق، وعرَّفتُ بها تفصيلاً في بحثٍ نشرتُه في مجلة البلاغ الكاظمية (العدد ٧ من السنة ٦) في سنة ١٣٩٦هـ، وأظنها مكتوبة بخط الحافظ أبي المحاسن عمر بن علي القرشي المتوفى سنة ٥٧٥هـ. والراجح أنها منتخبات من كتاب موسى بن إبراهيم المذكور، فقد وردت عدة أحاديث يرويها المروزي هذا عن الإمام موسى بن جعفر (ع) في الكافي والاختصاص للمفيد وتاريخ بغداد وتهذيب الطوسي ـ وكلها متناسقة مع سياق أحاديث المخطوطة ـ ولكنها لم ترد فيها.

(٢) يراجع في ترجمة محمد بن خلف: تاريخ بغداد: ٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ واللباب: ٣/ ١٢٧ ومعجم البلدان: ٨/ ٩.

الجمعة بعد الصلاة لستٍّ بقين من المحرم سنة ثمان وسبعين ومائتين في جامع المدينة ـ عن موسى بن إبراهيم.

كما ذكر الشيخ الطوسي أنه يروي هذا الكتاب عن أحمد بن عبدون، عن أبي بكر الدوري، عن أبي الحسن محمد بن أحمد الجرمي، عن محمد بن خلف بن عبد السلام، عن موسى بن إبراهيم المروزي[(١)].

---

(١) يراجع في ترجمة موسى بن إبراهيم جامع الأحاديث: تاريخ بغداد: ١٣/٣٨ ومجمع الرجال: ٦/١٤٧.

وبعد:

فهذا هو موسى بن جعفر (ع) سابع المنتجبين في شاهق مقامه وسماء مجده: إمامٌ مفترض الطاعة بنصِّ أبيه الأكرم وإشارة جدِّه الأعظم (ص)، وصاحبُ الولاية الشرعية في رقاب المسلمين باجتماع شروط الولاية فيه وانحصارها به خاصةً دون غيره من معاصريه المتغلِّبين على الأمر بالقوة والجبروت، وملجأُ طالبي العلم والمعرفة ـ على اختلاف توجهاتهم المذهبية وتنوُّع مشاربهم الفكرية ـ بما ورث من أسلافه الميامين من علمٍ مرتبط الوشائج بوحي الله تعالى وكتابه المنزل؛ ومعرفةٍ متصلة الحلقات برسول الله (ص) وسنته الشريفة المباركة.

وقد تجلى بما لم يبق فيه أدنى شك أو ريب بأن من عاصرهم الإمام من خلفاء ذلك الزمان وحكام تلك الحقبة كانوا أبعد الناس عن تمثيل نهج الإسلام؛ وعن السير على هداه والالتزام بلوازمه، إذ تجردوا ـ بما ارتكبوا من شرور وآثام ـ من كل أهلية واستحقاق لأية مسؤولية إدارية في الدولة؛ ومن كل جدارة وكفاية لإشغال أي مركز يرتبط بمصالح العباد ومنافع البلاد، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وكيف يردع الجناة عن جناياتهم من يسير بسيرة الظلم والجور والبطش والإرهاب!!، وكيف ينفِّذ أحكام الله عز وجل مَنْ هو متمرد ذاتاً على تلك الأحكام

ومستعد لفعل أي محظور في سبيل مآربه الخاصة وشهواته الفردية ونزغات نفسه الأمَّارة بالسوء.

والحقُّ الذي لا مناص من إقرار الجميع به أن موسى بن جعفر بما اتفقت الكلمة عليه من علمه وفضله؛ وزهده وورعه؛ ومكارم أخلاقه وجميل آدابه؛ وسعة صدره وشدة حلمه، ومن تمتعه بكل مواهب القدّيسين وصفات الصدِّيقين. إن هذا الرجل العظيم ـ وقد تجمعت فيه جميع هذه المزايا والخصال ـ هو الإمام الشرعي في عصره على وجه الحصر والتعيين، وأن الواجب الديني يفرض الاعتقاد بإمامته على كل من يريد التمسك بالإسلام والانخراط في مسيرة المؤمنين الذين عمر الإيمان قلوبهم وتغلغل في دواخل نفوسهم، وأن معرفته ـ بهذه الخصائص ـ هي التنفيذ الصائب السليم للأمر النبوي بوجوب معرفة أهل كل زمانٍ لإمام ذلك الزمان كي لا يموتوا ميتة جاهلية.

والمستفاد من نصوص المؤرخين وأخبار المحدِّثين أن هذه المزايا والخصائص التي احتشدت في شخصية الإمام الكاظم (ع) وتركيبة ذاته القدسية الفريدة؛ قد اشتهرت بين الناس عامةً؛ وانتشر خبرها في مختلف الأصقاع والبلدان، فهيمنت على مشاعر الجميع؛ واستقرت في أعماقهم، بل انجذب إليها فيمن انجذب بعضُ مَنْ لم يُعْرَف عنه تمسكٌ حرفي بأحكام الدين وتكاليف الشرع، حتى بلغت الحال ـ فيما روى السروي ـ بالشاعر أبي نؤاس وقد لقي الإمام موسى بن جعفر (ع) في بعض الأيام فانفعل بهذا اللقاء أشد الانفعال؛ أن يندفع قائلاً:

إذا أبصرتك العينُ من غير ريبةٍ
وعارض فيك الشكُّ أثبتك القلبُ
ولو أن ركباً أمَّموك لقادهم
نسيمك حتى يستدلَّ بك الركبُ

جـعـلـتُـك حـسـبـي فـي أمـوري كـلـهـا
ومـا خـاب مَـنْ أضـحـى وأنـت لـه حَـسْـبُ[(١)]

❀ ❀ ❀

وليس لنا ما نقوله في خاتمة المطاف إلا أن نبتهل إلى الله تعالى مخلصين خاشعين، فنشكره على ما أولانا من نعمة الإيمان بدينه الأكمل وكتابه المنزل وحبيبه المرسل خاتم النبيين وسيد المرسلين وأوصيائه الأئمة المطهرين؛ حجج الله على العباد وأمنائه في البلاد؛ وحبله الموصول بين السماء والأرض؛ وسفينة النجاة في اللجج الغامرة.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وهو ولي التوفيق والتسديد.

---

(١) المناقب: ٢/٣٧٨ وبحار الأنوار: ٤٨/١٠٧.

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ستعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرض موجز لسيرة الإمام الثامن من أئمة الحق الأصفياء المطهرين، معدن العلم ومشعل الهدى ومنار الشريعة ومهوى أفئدة المسلمين، علي (الرضا) بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الإمام (بين ولادته وإمامته)، متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية، ومنها الولادة والنشأة. والكنية واللقب، والزوج والولد، مع إشارات عابرة إلى بعض ما عانى في تلك الحقبة من العمر، من جنايات الحكم ومظالم الحاكمين، التي عمَّت جميع أهل البيت وأتباعهم بلا استثناء، وخصت أباه منها بشدائدها الكبرى المتلاحقة التي ختمها الظالمون بتعمد قتله بالسم بعد التنقل به في غياهب السجون لمدة سنين.

وعقدتُ الفصل الثاني على تاريخ الإمام (بين إمامته وشهادته)، شارحاً فيه الأدلة على إمامته كما أرشدت إليها النصوص النبوية الشريفة؛ المتعاضدة الدلالة والموثقة السند والمتفق على تلقي مضامينها بين المسلمين بالإقرار والقبول، مما يبحث عنه طالب النص الذي يعتقد أن لا إمامة بدونه. ثم عرضتُ بعد ذلك ما تواترت به الشهادات والاعترافات بأهلية هذا الرجل للإمامة؛ وانفراده في وقته بالمواصفات المطلوبة التي أجمع جمهور المسلمين على وجوب اجتماعها في شخص

الإمام، إذ لا إمامة لديهم بغيرها. مع بيانٍ مقتضب لمجمل سِيَر مَنْ تقمَّص الخلافة والولاية العامة في عصره، لغرض التوعية والمقارنة والتذكير بحقائق الأمور.

ثم أوردتُ بشيء من الاستيعاب والتحليل ما ورد في المصادر من مواقفه إزاء أحداث زمانه ومفاجآت يومه، وخصوصاً مسألة ولاية العهد التي فرضها عليه المأمون فرضاً وألزمه بقبولها على كل حال، واستعرضتُ خلال بيان هذه المسألة أسباب قبول الإمام بذلك مع علمه بأنه لا يتم ولا يفضي إلى نتيجة مثمرة، ودوافع المأمون التي حملته على اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة في ضوء الأوضاع العامة المحيطة به، وفي ضوء مقتضيات مصالح الحفاظ على الخلافة، وكيف أنجز هذا الأمر باتقان ومثَّل أدواره وفصوله بدقة وإجادة، حتى بلغ غايته وحقق الهدف منه، فتخلص من وجود الإمام بالسم كما روى عدد من المؤرخين، ليعود بالحال إلى ما كانت عليه من قبل تحكماً وتسلطاً وضماناً لاستمرار الملك في بني العباس.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الإمامة) الذي تلقته الأمة من الإمام علي بن موسى (ع)، فذكرتُ فيه أولاً علم الإمام المعترف به من قبل جمهور أهل العلم والفضل والرواية على تعدد آرائهم واختلاف مذاهبهم منذ كان يفتي الناس في المسجد النبوي وهو في العشرين من العمر، وأشرتُ هناك إلى مصدر اقتباس ذلك العلم ومنبع نميره، وإلى ما تجلى منه للمسلمين شموخاً وتفرداً وإثارة للإعجاب. ثم أوردتُ شواهد ومقتطفات من ذلك التراث الذهبي الخالد الذي مَثَّل الفكر الإسلامي الناصع أصدق تمثيل، وجسَّد الهدي الديني القويم أفضل تجسيد، فرويتُ بعض ما أُثر عنه في تمجيد العقل وتكريم العلم والحث على التعلم، كما رويت بعض ما أُسند إليه في مسائل أصول الدين وعلم

الكلام، مع الإشارة إلى ما حدَّث به في أبواب الفقه وموضوعات الحياة الاجتماعية والشؤون السلوكية والأخلاقية للفرد والمجموع على السواء.

ولما كان الطريق الأوحد لوصولنا إلى ذلك الكنز الموروث ـ فيما أوردنا من شواهده وما لم نورد ـ هم الرواة الذين شافهوا الإمام وسمعوا منه فحفظوا حديثه ونقلوه إلى الأجيال من بعدهم، كان التعرف بهم ـ حتى بمجرد سرد الأسماء ـ تتمة مهمة لا ينبغي إغفالها، إن لم نقل بأنها جزء لا يتجزأ من مقتضيات الوفاء بواجبات البحث واستيعاب متطلباته.

وبالنظر إلى أن عدد هؤلاء الرواة غير قليل، فقد اقتصرنا ـ طلباً للاختصار ـ على ذكر المؤلفين منهم خاصة ممن نصَّ مترجموهم على أن لهم كتاباً مدوناً أو أكثر من كتاب، وتسمية تلك المؤلفات إن وقفنا على أسمائها في المصادر، تعبيراً منا عن الامتنان لهم والاعتزاز بدورهم الفاعل في المحافظة على ذلك التراث ونقله إلى من حدَّث عنهم على مر السنين، وتسجيلاً لما نكن لهم من احترام وتقدير لإسهامهم في ريادة عملية البحث والتدوين في أخريات المائة الثانية من الهجرة ومشاركتهم الطلائع المتقدمة من المصنفين في تاريخ الإسلام.

❀ ❀ ❀

وفي الختام ـ كما في البدء ـ أكرر حمد الله تعالى على جزيل آلائه وجميل نعمائه، وأبتهل إليه عز وجل أن يسدد الخطا على الطريق، ويمد بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العراق ـ بغداد ـ الكاظمية

محمد حسن آل ياسين

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

بين ولادته وإمامته

(إنه الوليد الذي تحدَّر من أصلاب الأنبياء والأولياء، فكان مجمع الشرف المؤيد والمجد المخلد، وسليل أولئك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً).

(ولقد نشأ في ذلك البيت الذي أذن الله عز وجل أن يرفع، كما نشأ آباؤه المنتجبون، يزق العلم زقاً، ويغترف المعرفة اغترافاً، فكان كما أراد الله تعالى له، تربية وأخلاقاً، وعلماً وفضلاً، وهدياً وسلوكاً، وتقى وورعاً).

(وعاش بين ولادته وإمامته حقبة طويلة من الزمن كانت شاقة عصيبة سوداء.... وقد أطبقت بشدائدها وآلامها على أئمة أهل البيت وأولادهم وسائر أهليهم، هولاً ورعباً، وإرجافاً وإرهاباً، وذعراً وتخويفاً).

❀ ❀ ❀

على صعيد المدينة المنورة الطيِّبة؛ دار هجرة الرسول الأعظم(ص) ودارة آله المنتجبين المطهرين، وفي يوم طافح بالخير

والمِنَح والبركات ـ وكان يومَ الخميس أو الجمعة في أغلب الظن[١] ـ، أطل على الدنيا عليٌّ بن موسى بن جعفر بمحياه الطلق الحبيب وعينيه الكحيلتين الآسرتين، فعمت الفرحة قلوب الطالبيين، وغمرت البهجة مشاعر الهاشميين، وانتشرت البشرى في كل حدب وصوب تعلن مولد هذا الشبل المؤمَّل، في ذلك العرين المبارك الحافل بالليوث والضراغم.

واختلف رواة التاريخ في تعيين يوم الولادة خلافاً كبيراً جداً لم يسمح لنا بترجيح أو تفضيل، فقيل: هو الحادي عشر من شهر ربيع الأول[٢]، وقيل: سادس شهر شوال[٣] وسابعه[٤] أو ثامنه[٥]، وقيل: حادي عشر ذي القعدة[٦]، كما قيل: حادي عشر ذي الحجة[٧].

كذلك اختلف المؤرخون في تحديد سنة الولادة فلم يتفقوا على قول، ولكني أُرجِّح أن تكون سنة ثمان وأربعين ومائة، لأن في رواتها مَنْ هم الأقدم عصراً وتاريخاً[٨].

---

(١) ورد ذلك في معظم المصادر التي ترجمت للإمام وذكرت تاريخ ولادته.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٣ والمناقب: ٤١٧/٢ وبحار الأنوار ٩/٤٩ و١٠ و١٣١ و٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٣ وعمدة الزائر: ٣١١.

(٣) وفيات الأعيان: ٤٣٢/٢ ومرآة الجنان: ١٢/٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨.

(٤) المصادر الثلاثة المتقدمة.

(٥) المصادر الثلاثة نفسها أيضاً.

(٦) بحار الأنوار: ٣/٤٩ و٩ و١٠ وجواهر الكلام: ٩٨/٢٠ وعمدة الزائر: ٣١١.

(٧) إثبات الوصية: ١٦٩ و١٨٠ ومطالب السؤول: ٦٦/٢ وبحار الأنوار: ٢/٤٩.

(٨) الكافي: ٤٨٦/١ والإرشاد: ٣٢٥ وتهذيب الطوسي: ٨٣/٦ وكامل ابن الأثير: ١٩٣/٥ وكفاية الطالب: ٣١٠ وسيَر أعلام النبلاء: ٣٨٧/٩ وتاريخ أبي الفدا: ٢٣٢ والفصول المهمة: ٢٢٦ وبحار الأنوار: ٢/٤٩ و٩ و١٠ وجواهر الكلام: ٩٨/٢٠ ونور الأبصار: ١٣٩ وعمدة الزائر: ٨٣١١

وقيل: سنة إحدى وخمسين ومائة[١]، وقيل: بل سنة ثلاث وخمسين[٢].

ويؤيد ما رجَّحناه في سنة الولادة نصٌّ بعضهم على أن الرِّضا عاش بعد أبيه عشرين سنة[٣] ـ ومن المعلوم أن أباه قد توفي في سنة ١٨٣هـ، وتوفي هو في عام ٢٠٣هـ كما يأتي ـ، مع النص على كون عمره الشريف في سنة وفاته خمساً وخمسين عاماً[٤].

وسرعان ما انتشر هذا النبأ السارُّ وقد سار به المخبرون، وكان الإمام الكاظم (ع) أول من أُبلغ بذلك وزُفَّت له بشائره، فبادر إلى الدخول على وليده السعيد، متناولاً إياه ـ وهو ملفوف بخرقة بيضاء ـ «فأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ودعا بماء الفرات فحنَّكه به»[٥] إجراءً لسنة جده الأكرم (ص)، وسماه علياً، ومنحه كنيته الخاصة «أبا الحسن» التي عُرِف بها عليٌّ في مقبل الأيام[٦]، حتى قيل أنه كان

---

(١) المناقب: ٢/٤١٧ ووفيات الأعيان: ٤٣٢٢ ومرآة الجنان: ٢/١٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وشذرات الذهب: ٢/٦ وبحار الأنوار: ٤٩/١٠.

(٢) إثبات الوصية: ١٦٩ و١٨٠ ومروج الذهب: ٣/٣٥٠ وعيون أخبار الرضا: ١٣ والمناقب: ٢/٤١٧ ومطالب السؤول: ٢/٦٦ ووفيات الأعيان: ٢/٤٣٢ والفوصل المهمة: ٢٢٦ ومرآة الجنان: ٢/١٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وشذرات الذهب: ٢/٦ وبحار الأنوار: ٤٩/٢ و٣ و٨ و٩ و١٠ و١٣١ و٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٣ وعمدة الزائر: ٣١١ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٣) الكافي: ١/٤٩١ والإرشاد: ٣٢٥ ومصادر أخرى تقدم ذكرها.

(٤) الكافي: ١/٤٨٦ والإرشاد: ٣٢٥ وتهذيب الطوسي: ٦/٨٣ ومصادر أخرى.

(٥) عيون أخبار الرضا: ١٤.

(٦) الكافي: ١/٤٨٦ والإرشاد: ٣٢٥ وتهذيب الطوسي: ٦/٨٣ والمناقب: ٢/٤١٧ والفصول المهمة: ٢٢٦ وبحار الأنوار: ٤٩/٢ و٣ و٧ و٨ و١١ و٢٩٢ وجواهر الكلام: ٢/٩٨ وعمدة الزائر: ٣١١ ونور الأبصار: ١٣٩.

إذا خاطب ولده ناداه: يا أبا الحسن[١].

❀ ❀ ❀

وحسب هذا الوليد شأناً وقدراً ـ وقد تحدر من أصلاب الأنبياء والأولياء وتربى في بيت الوحي والتنزيل ـ أنه كان مجمع الشرف المؤبد والمجد المخلد، وصاحب المقام المحمود الذي تقصر عنه الكلمات، وتعجز عن بلوغ شأوه بلاغة البلغاء وفصاحة الفصحاء. وأي شرف في الدنيا بل أي مجد عرفه بنو الأرض، يمكن أن يوازي شرف الرسالة الإلهية ومجد النبوة السماوية ومقام الإمامة الدينية والولاية الشرعية، بكل ما تعنيه هذه الكلمات من معان ودلالات، وبكل ما تومىء إليه من آفاق وأبعاد، ولذلك كان هذا الوليد نمطاً فريداً بين الصبيان والولدان، ومثالاً ممتازاً بين الأمثال والأقران، ويكفيه من كل ذلك أنه سليل أولئك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فلم تنجسهم الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسهم من مدلهمات ثيابها، وهو حفيد أولئك الذين بَاهَلَ بهم رسولُ الله (ص) أعداءه بأمر الله عز وجل واصطفائه وانتقائه، وابن ذلك الإمام العظيم الذي أجمعت الأمة على تفضيله وتقديسه فمنحته لقب «العبد الصالح» وسمته «كاظم الغيظ» اعترافاً بخصائصه الفذة وملكاته الفريدة في الورع والدين والسلوك.

وهكذا كان هذا المولود المبارك في خلاصة القول: فرعَ شجرة النبوة ودوحة الرسالة، وربيبَ مختلف الملائكة وموضع التنزيل، وزبدةَ معدن العلم وأهل بيت الوحي.

ولن تستطيع مصطلحات أهل الدنيا في مجموع ما تدل عليه من

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١١ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٥.

فخامة وضخامة وسمو، أن تصل إلى عشر معشار هذا الشرف الأصيل والمجد الأثيل والإشراق الزاهر الباهر.

❀ ❀ ❀

أما أمه فقال الصدوق عنها: إنها كانت «أُمَّ ولدٍ تُسَمّى تُكْتَم، عليه استقرَّ اسمها حين ملكها أبو الحسن موسى بن جعفر (ع)»، وروى عن أبي الحسن علي بن ميثم عن أبيه: أن حميدة المصفاة أمّ أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) اشترت جارية مولدة اسمها تكتم، وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة، فقالت لابنها موسى: قد وهبتُها لك فاستوصِ خيراً بها. فلما ولدت له الرضا (ع) سماها الطاهرة». ثم قال الصدوق: «والدليل على أن اسمها تكتم قول الشاعر يمدح الرضا (ع):

ألا إن خير الناس نفساً ووالداً ... ورهطاً وأجداداً عليُّ المعظَّمُ
أتتنا به للعلم والحلم ثامناً ... إماماً يؤدي حجةَ الله تُكْتَمُ[1]

وقيل في اسمها غير ذلك، وإن تسالم الجميع على أنها كانت تكنى «أُم البنين»[2].

وتشهد أكثر النصوص على أنها أفريقية نوبيَّة الأصل[3]، وقيل: أنها مُرْسيَّة مغربية[4]، وربما كانت تنحدر من أصول نوبيَّة. وزعم بعض

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١١، وعنه في بحار الأنوار: ٤٩/ ٥.

(٢) الكافي: ١/ ٤٨٦ والإرشاد: ٣٢٥ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨٣ والمناقب: ٢/ ٤١٧ والفصول المهمة: ٢٢٦ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٢ و٣ و٧ و٨ و١١ و٢٩٢ والجواهر: ٢٠/ ٩٨ وعمدة الزائر: ٣١١ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٣) المناقب: ٢/ ٤١٧ ومطالب السؤول: ٢/ ٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٨٧ والفصول المهمة: ٢٢٦ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٣ و٧ و٨ و١١.

(٤) إثبات الوصية: ١٦٨ ـ ١٦٩ والمناقب: ٢/ ٤١٧ ومطالب السؤول: ٢/ ٦٦ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٣ و٨ و٨١١

المتأخرين أنها فارسية الجذور[١]، ولكننا لم نجد في المصادر المتقدمة ومؤلفات القرون الأولى ما يؤيد هذا الادعاء من قريب أو بعيد.

❀ ❀ ❀

واشتهر هذا الصبي منذ بدء نشأته بلقبه المعروف «الرضا» حتى صار كالبديل عن اسمه، مع أنه كان يلقب أيضاً بـ«الصابر» و«الزكي» و«الوفي» و«الولي»[٢].

والمستفاد من النصوص التاريخية المتعددة أن «الرضا» يومذاك كان لقباً يمتاز به المرشح لإمامة العصر أياً كان، وأنه قد أُطلق فعلاً على مَنْ أريد عَدُّه الإمام الشرعي لزمنه قبل عصر علي بن موسى وبعده.

وروى الطبري في أخبار إرهاصات الدعوة العباسية ضد الأمويين أن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان هو المتقدم البارز بين العباسيين، «فلما قُتِل يزيد بن أبي مسلم بأفريقية ونقضت البربر، بعث محمد بن علي رجلاً إلى خراسان وأمره أن يدعو إلى الرضا ولا يسمي أحداً»[٣].

وروى أيضاً في أخبار ظهور ابن طباطبا صاحب أبي السرايا وثورته بالكوفة: أنه كان «يدعو إلى الرضا من آل محمد»[٤].

كما روى أيضاً في أخبار ثورة يحيى بن عمر العلوي بالكوفة في

(١) ينابيع المودة: ٣٨٤ وعقيدة الشيعة لدونلدسن: ١٧١.
(٢) مطالب السؤول: ٢/٦٦ وتذكرة الخواص: ٣٦١ والفصول المهمة: ٢٢٦ وبحار الأنوار: ٤٩/٣ و٨ ونور الأبصار: ١٣٩.
(٣) تاريخ الطبري: ٧/ ٤٢١.
(٤) تاريخ الطبري: ٨/٥٢٨ ومثله في كامل ابن الأثير: ٥/ ١٧٤.

سنة ٢٥٠هـ: أنه دخل الكوفة «واجتمعت إليه الزيدية، ودعا إلى الرضا من آل محمد، وكشف أمره»[(١)].

ثم روى في حوادث السنة نفسها: أنه ظهر بالري أحمد بن عيسى العلوي، وصلى «بأهل الري صلاة العيد، ودعا للرضا من آل محمد»[(٢)].

وعلى كل حال، فإذا كان (الرضا) لقباً لإمام العصر على الإجمال، فهو في الوقت نفسه ـ وباتفاق جميع المصادر ـ لقب خاص لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد (ع)، وتدل بعض الروايات على أن الإمام موسى بن جعفر (ع) هو الذي لقّب ابنه بذلك، وأنه كان يسميه الرِّضا أمام أصحابه وخاصته[(٣)]، أي أن ذلك لا يرتبط بولاية العهد وليس لها أي دور فيه، بل لا صحة لما زُعِم من أن المأمون هو الذي سماه الرضا من آل محمد (ص)[(٤)] واختار هذا اللقب له، إلا إذا كان المراد أن المأمون قد أطلق عليه ذلك اعترافاً منه بكونه إمام العصر وإعلاناً لهذه الحقيقة.

واختلف الكاتبون في رسم هذه الكلمة، فكان منهم من كتبها (الرضا) ومنهم من رسمها (الرضى) وآخرون ضبطوها بالشكل (الرَّضيّ)،

(١) تاريخ الطبري: ٩/ ٢٦٨.
(٢) تاريخ الطبري: ٩/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٣) بحار الأنوار: ٤٩/ ٤.
(٤) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٥٤ وفتوح ابن أعثم: ٨/ ٣٢٣ ومقاتل الطالبيين: ٥٦٣ والإرشاد: ٣٣٣ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٨٣ والإكمال لابن ماكولا: ٤/ ٧٥ وتذكرة الخواص: ٣٦١ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٢٢ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٧ و٢٥٠ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١٧٣ و١٧٤.

ونصَّ السمعاني وابن الأثير على أنه الرضا «بكسر الراء وفتح الضاد المعجمة»[١]، وقال ابن منظور في بيان ذلك: «الرِّضا ـ مقصور ـ: ضد السخط... وقد رَضِيَ يرْضى رِضاً ورُضاً ورِضواناً ورُضواناً.. ورَضِيتُ عنك وعليك رِضىً ـ مقصور ـ: مصدر محض، والاسم الرِّضَاءُ ـ ممدود ـ عن الأخفش»، ثم روى ابن منظور عن الجوهري قوله: «رَضَوْته أرضوه ـ بالضم ـ: إذا غلبته فيه، لأنه من الواو. وإنما قالوا: رَضِيتُ عنه رِضاً وإن كان من الواو، كما قالوا: شَبع شِبَعاً. وقالوا: رَضِيَ ـ لمكان الكسر ـ وحقُّه رَضُوَ»[٢].

❀ ❀ ❀

ونشأ علي بن موسى في ذلك البيت الذي أذن الله تعالى أن يرفع، كما نشأ آباؤه المنتجبون وأجداده المطهَّرون، يزق العلم زقاً، ويغترف المعرفة اغترافاً، فكان في الخلاصة كما أراد له الله، تربية وتوجيهاً، وفضلاً وأخلاقاً، وهَدْياً وسلوكاً، وتقى وورعاً.

وكان من أبرز ملامحه البدنية وشمائله الجسدية التي ذكرها المؤرخون: أنه أسمر اللون شديد السمرة، وعللوا ذلك بكون أمه سوداء، كما وصفوه أيضاً باعتدال القامة[٣].

ولما بلغ عنفوان الشباب وحلَّ عمر الزواج والاقتران، فضَّل أن تكون شريكة حياته أُمَّ ولدٍ ـ كأُمِّه ـ، وهي التي أنجبت له ولده الإمام الجواد محمد بن علي، ولعله كان الوحيد لأبيه، وقد ذكر عدد من المؤرخين وفي مقدمتهم الشيخ المفيد: أن الإمام الرضا لم يترك ولداً

---

(١) الأنساب: ٦/ ١٣٩ واللباب: ١/ ٤٧٠.

(٢) لسان العرب/ تركيب رضا.

(٣) الفصول المهمة: ٢٢٦ وينابيع المودة: ٣٨٥ ونور الأبصار: ١٣٩.

بعده إلا ابنه أبا جعفر محمد بن علي (ع)[١]. وصرح ابن حزم: بأن لعليّ الرضا: «علي بن علي ـ لم يعقب ـ، ومحمد بن علي... والعقب له»[٢]، وذكر مؤرخون آخرون: أن أولاده ستة: خمسة ذكور وبنت واحدة، وأن الذكور هم: محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين[٣]. ولا منافاة بين مجموع ذلك لأن القائلين بانحصار ذريته بالإمام الجواد إنما يعنون المعقب من أولاده، إذ يبدو أن الأربعة الباقين قد درجوا قبل أن يعقبوا، أو أن عقبهم قد درج فانقطع الاتصال النسبي بهم بعد ذلك.

ولما عهد المأمون بولاية عهده من بعده إلى الإمام الرضا (ع) أراد أن يزيد ذلك الارتباط دعماً وتلك العلاقة توثيقاً، فقرر أن يزوج ابنته من الإمام، لتكون هذه المصاهرة إحدى وسائل القرب والاتصال بين الطرفين، وتم هذا الزواج في رواية المؤرخين في أول سنة اثنتين ومائتين[٤].

وحدّث الآبي عن يحيى بن أكثم قال: «لما أراد المأمون أن يزوج علي بن موسى، قال لي: يا يحيى تكلم، فهبتُ أن أقول: أنكحتُ، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت الحاكم الأكبر، وأنت أَوْلى بالكلام فقال:

---

(١) الإرشاد: ٣٣٩ وكفاية الطالب: ٣١١ ومعجم ما استعجم: ٣/ ٧٨٧ وعمدة الطالب: ١٨٧ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٢٩٨.

(٢) جمهرة أنساب العرب: ٦١.

(٣) مطالب السؤول: ٢/ ٧٣ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٩٣ والفصول المهمة: ٢٤٦ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٢٢١ وينابيع المودة: ٣٦٤ ونور الأبصار: ١٤٧.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٣٥٥ والمناقب: ٢/ ٤١٧ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٩٣ ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٢ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٩ والفصول المهمة: ٢٤٢ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١١ و٢٢١ و٣٠٣ ونور الأبصار: ١٤٧.

«الحمد لله الذي تصاغرت الأمور لمشيئته، ولا إلٰه إلا الله إقراراً بربوبيته، وصلى الله على محمد عند ذكره. وأما بعد: فإن الله تعالى جعل النكاح سُنَّةً للأنام، وفصلاً بين الحلال والحرام، وإني قد زوجتُ ابنتي.. من علي بن موسى الرضا، وقد مهرتُها عنه أربعمائة درهم»(١).

وسُمِّيت ابنة المأمون هذه في أغلب المصادر: «أم حبيب» أو «أم حبيبة»(٢)، وانفرد الخطيب البغدادي بتسميتها «زينب»(٣)، وخالف المسعودي الجميع في ذلك وقال: «الصحيح في الرواية أن المأمون زوَّجه أخته أم حبيبة»(٤).

وأيا ما كان الأمر، فإن هذا الزواج لم يكتب له التوفيق والنجاح، إذ سرعان ما توفي الإمام ـ ولم يمر أكثر من عام على هذه المصاهرة ـ فانفرط عقد هذه الرابطة وأصبحت خبراً من أخبار التاريخ.

❀ ❀ ❀

وعاش علي بن موسى (ع) بين ولادته وإمامته حقبة غير قصيرة من الزمن، امتدت خمساً وثلاثين عاماً حافلاً بالأهوال، وكانت في مجملها حقبة عصيبة سوداء لم تستثن بسوئها أحداً من العلويين والطالبيين،

---

(١) نثر الدر: ٣/ ١١٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٦ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ وعيون أخبار الرضا: ٢٨٤ و٣٥٥ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٩٣ ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٢ وتذكرة الخواص: ٣٦١ والبداية والنهاية: ١/ ٢٤٩ والفصول المهمة: ٢٤٢ ومرآة الجنان: ٢/ ١١ والأئمة الاثنا عشر: ٩٧ وشذرات الذهب: ٢/ ٣ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١٣٢ و٢٢١ و٣٠٣ وينابيع المودة: ٣٨٥ ونور الأبصار: ١٤٧.

(٣) تاريخ بغداد: ٦/ ٦٣.

(٤) إثبات الوصية: ١٧٧.

ولكنها استهدفت بشدائدها وضغطت بآلامها في الدرجة الأولى على أئمة أهل البيت (ع) وأولادهم وأهليهم، رعباً وإرجافاً، وقلقاً وإرهاباً، وتهديداً وتخويفاً، وخصوصاً ما عانى الإمام موسى بن جعفر (ع) على يدي الرشيد وجلاوزته خلال السنين الأخيرة من حياته، من تكرار الاستدعاء إلى بغداد، ومن التنقل بين السجون والمعتقلات، في البصرة تارة، وفي أكثر من حبسٍ في بغداد تاراتٍ أخرى، حتى قرر الخليفة التخلص منه يوم كان في سجن السندي بن شاهك، فأوعز بدس السم إليه والقضاء عليه[1].

ومع أن الفاجعة قد وقعت وحققت هدفها اللئيم، وذهب الإمام موسى بن جعفر (ع) إلى ربه يشكو إليه جور الجائرين وبطش المستبدين، فسيكون الملتقى يوم القيامة حيث يجتمع الخصوم عند الله تعالى ويقف كل الناس للحساب، فينال الجناة أياً كانوا ـ خليفة وأتباعاً ـ جزاءهم العادل الذي نصَّ عليه صريحُ القرآن الكريم لمن يقتل مؤمناً متعمداً، وهو نار جهنم وعذاب الجحيم، خالدين فيها إلى الأبد السرمدي الذي لا أمد له ولا ختام، وبئس المثوى وبئس المصير.

وليس من الصعب علينا أن نتصور عنف المعاناة وشدة الحال على العيال والأولاد، حينما يؤخذ الإمام الكاظم (ع) من المدينة أسيراً مكبَّلاً ليُزج به في سجون العراق الرهيبة العواقب، وإذا كان السجن الأول قد انتهى بإطلاق السراح وحرية الحركة فإن السجون الأخرى المتأخرة لم

---

(١) يراجع في تفاصيل تلك السجون وجريمة دس السم كتابنا السالف في هذا المجلد الإمام موسى بن جعفر: ٦٨ ـ ٨٢ وصحيح مسلم: ٦/ ٢٢ ومسند أحمد: ٣/ ٤٤٦ والكافي: ١/ ٣٧٦ ومصادر أخرى مذكورة في ص٣١ من كتابنا السالف الإمام موسى بن جعفر (ع).

تكن كذلك. وكان الله في عون أولئك المذعورين المرعوبين، وهو عونهم قطعاً، مهما عنف البلاء وأطبق المجهول واشتد ظلام الليل.

واختتمت رحلة آلام الرضا بوفاة أبيه (ع) شوطاً من أشواطها الشائكة المجهدة، ليبدأ شوط جديد لم يكن أخف من سابقه عنفاً وعصفاً ولا أهون وقعاً وتأثيراً، كما سيتضح فيما يأتي من البحث.

الإمام علي بن موسى الرضا

بين إمامته وشهادته

«وانبرى علي بن موسى منذ أصبح الإمام الشرعي بعد وفاة أبيه للقيام بأعباء هذه المسؤولية العظمى، من دون أن يرهبه خوف ظالم، أو يصده لوم لائم».

«واضطرت الظروفُ الخليفةَ المأمون إلى التقرب من الإمام حفاظاً على الخلافة وليس تنازلاً عنها كما تصور الواهمون، فألزمه بقبول ولاية العهد، وأُبرم العقد، وأعلنت هذه الولاية في جميع الأمصار، فرضي مَنْ رضي وغضب من غضب. حتى إذا تحققت مآرب المأمون قرر السفر إلى بغداد. فتوفي الإمام في أثناء الطريق، واتُّهِمَ المأمون بدس السم إليه، ثم كاتب بني عمه العباسيين بأن علي بن موسى قد مات، وأن سبب نقمتهم وغضبهم عليه قد زال، فاستقبلوه في بغداد أفضل استقبال، وعادت الأوضاع المتوترة بينه وبينهم إلى سابق عهدها من الخضوع والإذعان».

❀ ❀ ❀

لما اختار الله تعالى لجواره عبده الصالح الحبيب المنتجب موسى بن جعفر (ع)، في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث

وثمانين ومائة، كان لا مناص للمؤمنين عامةً من البحث عن الإمام الذي يجمع شروط الأهلية والاستخلاف، تنفيذاً للتوجيه النبوي الذي ألزم كلَّ مسلم بوجوب معرفة إمام زمانه وإلا «مات ميتة جاهلية»[1].

واتجهت كل آراء طالبي المعرفة وأنظار الباحثين عن الحقيقة ـ بعد الفحص والتبيُّن والتدقيق ـ نحو الإقرار بعلي بن موسى الرضا إماماً شرعياً واجب الإتباع ومفترض الطاعة على جميع أهل الدين، تطبيقاً للقواعد المأثورة المتفق عليها لدى المسلمين، في اختيار الإمام وانتقائه، بالنص كما يؤمن فريق منهم أو باجتماع الصفات كما يرى فريق آخر.

وقد لخص المفيد محمد بن محمد بن النعمان البرهانَ على حصر الإمامة به دون مَنْ سواه من معاصريه بأربعة أدلة جمع فيها تلك الامتيازات كلها وهي:

١ ـ نصُّ أبيه (ع) عليه بالإمامة من بعده.

٢ ـ فضله على جماعة أخوته وأهل بيته.

٣ ـ ظهور علمه وحلمه وورعه.

٤ ـ اجتماع الخاصة والعامة على معرفة ذلك منه وفيه[2].

ولما كان أبوه هو الإمام الشرعي المسلَّم الإمامة في عصره كما أسلفنا بحثه وإثباته في كتابنا السابق، كان مَنْ نصَّ عليه ذلك الإمام وعيَّنه للإمامة من بعده هو الإمام قطعاً وحصراً ومن دون أي اعتراض أو تردد، بل ربما كان ذلك هو المنهج الثابت لدى عامة الناس في قبول

---

(١) الإرشاد: ٣٢٥.

(٢) «الإمام موسى بن جعفر (ع)» ٢٨٠ ـ ٢٩٧ في هذا المجلد.

الخلافات الإسلامية المتعاقبة، بدءاً بنصِّ أبي بكر على عمر، ومروراً بنصِّ معاوية على يزيد أو نصِّ الرشيد على ابنه الأمين، حيث دأب جمهور المسلمين على الإقرار بنص السابق على اللاحق والنظر إليه بعين الاعتبار والإلزام، مهما كانت السلبيات والملابسات، بل عدِّه دليلاً شرعياً قاطعاً على صحة الخلافة والإمامة وإمرة المؤمنين.

وعندما يكون موسى بن جعفر هو الإمام الحق في منطوق الدين ومصطلحه ومنهجه[١]، بعيداً عن أبهة الحكم وخزائن المال وسطوة الدولة، فإن مَنْ ينص عليه ذلك الإمام الحق بأنه الإمام من بعده يُعَدُّ كذلك لا محالة وبلا توقف أو تشكيك.

ووردت نصوص الإمام الكاظم على إمامة ابنه متواترة متضافرة صحيحة الأسانيد، وقد رواها عنه عدد غير قليل من أصحابه وخواصه وذوي قرباه[٢]، وهي متفقة مضموناً ومطلباً على كون ابنه عليّ ـ بالذات ـ هو الإمام من بعده.

وإذا كان ذلك هو النص المباشر من الإمام الكاظم على إمامة ابنه عليّ ـ وهو كافٍ كما أسلفنا في الإرشاد إلى المطلوب ـ، فإن الحديث النبوي في حصر «الأئمة من قريش» وأن عددهم «اثنا عشر»[٣]، وهو من

(١) يراجع في تلك النصوص: الكافي: ١/ ٣١١ ـ ٣١٩ وإثبات الوصية: ١٦٩ ـ ١٧١ وعيون أخبار الرضا: ١٤ ـ ٢٤ والإرشاد: ٣٢٦ ـ ٣٢٧ والفصول المهمة: ٢٢٥ ـ ٢٢٦ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١١ ـ ٢٨ و٢٧٥.

(٢) صحيح البخاري: ٩/ ٧٨ و١٠١ وصحيح مسلم: ٦/ ٣ و٤ وسنن الترمذي: ٤/ ٥٠١ وسنن أبي داوود: ٢/ ٤٢١ ومصادر أخرى أوردناها في هامش ص٣٠ من كتابنا السالف الإمام موسى بن جعفر (ع).

(٣) صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢ وسنن الترمذي ٥/ ٦٦٢ و٦٦٣ ومصادر أخرى مذكورة في كتبنا السابقة.

الأحاديث التي أجمع على روايتها وتصحيحها المسلمون، قد سبق نصَّ الإمام موسى بن جعفر وتقدَّمه زمناً وشأناً، وأنه لصريح كل الصراحة في تعيين هؤلاء الاثنى عشر أئمة للدين وولاة للأمر، واحداً بعد واحد وإماماً بعد إمام، من دون أن يكون في لفظه ودلالته ما يسمح بأي مواربة أو تأويل.

وكذلك القول في النص النبوي الشريف المجمع عليه في كونه (ص) قد ترك في أُمَّته من بعده الثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته، وفي أمره الأمة بالتمسك بهما أمناً من الضلال، لأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض[1].

مضافاً إلى مجموع الأحاديث النبوية العامة والخاصة المعنية بموضوع الإمامة والعترة أهل البيت، وقد أوردنا بعضها في كتبنا المعنيَّة بالأئمة (ع).

والمستفاد من ذلك كله ـ بمنتهى الاقتناع واليقين ـ أن هناك توجهاً نبوياً جليَّ القصد والهدف، هو تعيين الإمام واختياره من قِبَلِه بعيداً عن رغبات الناس وعواطفهم الشخصية، كما أن هناك توجيهاً محدَّداً منه (ص) لعموم المسلمين باتباع هؤلاء الذين اختارهم بالخصوص.

وهكذا يتضح في خلاصة القول لمن يقف على ما قدمنا ذكره من الأمر النبوي بوجوب معرفة إمام الزمان، والتحديد النبوي بكون الأئمة من قريش وكونهم اثنى عشر وحصر انتمائهم إلى العترة أهل البيت، والمرويات التي أوردها رجال الحديث في تسمية أولئك الأئمة الاثنى

---

(١) يراجع ما أخرجه الحافظ سليمان القندوزي الحنفي في ذكر النبي (ع) لأسماء الأئمة الاثنى عر مروياً عن ابن عباس وجابر بن عبدالله الأنصاري في ينابيع المودة: ٤٤٠ ـ ٤٤٣.

عشر بأسمائهم في بعض الأحاديث النبوية ومنهم علي بن موسى بن جعفر (ع).

نعم هكذا يتضح بكل ثقة وتبيُّن في ضوء هذا التوجه النبوي المطاع والتوجيه الواجب الأتباع أن إمام العصر بعد وفاة الإمام الكاظم هو ابنه علي بالذات، وليس في هذه النتيجة ـ المتفق عليها بفضل الاتفاق على تلك المقدمات ـ أي مجال لغمز أو لمز، وأي موضع لتردد أو توقف.

❀ ❀ ❀

وإذا كان ذلك هو مدلول النصوص النبوية أو مجمل فحواها ومحتواها في أقل تقدير، فقد أمر الله تعالى بوجوب طاعتها وتنفيذها على كل حال، في قوله تعالى عزَّ من قائل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وأصبح من الثابت اللازم على كل مسلم الإقرار بها حرفياً بلا اجتهاد أو تأويل، والعمل بمقتضاها بلا لفٍ أو دوران.

ومع ذلك كله، فقد يدفع التحزب والتعصب بعض الناس إلى رفض ما تقدم جملة وتفصيلاً، لأنهم وجدوا آباءهم على خلاف ذلك، وشاهدوا أسلافهم سائرين في طريق آخر، فقلَّدوهم في السير في ذلك الطريق بلا تمحيص أو تحقيق.

ولهؤلاء ـ على اختلاف مشاربهم ـ نقول:

إن فقهاء المسلمين من غير القائلين بالنص النبوي قد اتفقوا على تحديد شروط للإمامة لا بد من اجتماعها في الإمام المرشَّح ليكون أهلاً لهذا المقام، وقد جمع أشتاتها القلقشندي فيما رواه عن أصحابه الشافعية من إطباقهم على وجوب اعتبار أربعة عشر شرطاً في المؤهَّل

للإمامة، هي: الذكورة، البلوغ، العقل، البصر، السمع، النطق، سلامة الأعضاء، الحرية، الإسلام، العدالة فلا تنعقد إمامة الفاسق، الشجاعة، العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، صحة الرأي والتدبير، والنسب القرشي[١].

وإذا كان أغلب هذه الشروط معروفاً وواضحاً، فإن شرط العدالة إذ لا تنعقد الإمامة لفاسق، وكذلك شرط العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام، لم يكونا متحققَيْن من الناحية العملية إلا في الأندر من النادر ممن شغل هذا المركز وتربع في ذلك الدست.

وبمقدار تعلق الأمر بموضوعنا المعنيّ بالإمام الرضا (ع) نجد أنه قد عاصر خلال أيام إمامته ثلاثة من الخلفاء العباسيين كانوا قد ادعوا الإمامة وأمرة المؤمنين، فماذا قال المؤرخون ورجال الرواية في هؤلاء الثلاثة فيما أوردوا من سِيَرِهم وأخبارهم، من حيث الالتزام بالدين والورع، والتبحر في العلم والفقه، والتنزه عن الشرور والفجور:

١ ـ هارون الرشيد:

كان هو الحاكم المهيمن على عرش السلطة حين تولى الإمام الرضا (ع) مقاليد الإمامة الشرعية في سنة ١٨٣هـ، وقد اختصر الحافظ الذهبي الكلام فيه قال: إنه «صاحب أخبار وحكايات في اللهو واللذات المحظورة والغناء»[٢].

(١) مآثر الأناقة: ١/ ٣١ ـ ٣٧. ويراجع في هذه الشروط: الأحكام السلطانية للماوردي: ٤ وتفسير القرطبي: ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ والبحر المحيط: ١/ ٣٧٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٨٩ ـ ١٩٠.

وأخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك قال:

«لما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فراودها عن نفسها فقالت: لا أصلح لك، إن أباك قد طاف بي. فشغف بها فأرسل إلى أبي يوسف فسأله: أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين! أو كلما ادَّعتْ أمةٌ شيئاً ينبغي أن تُصَدَّق، لا تُصَدِّقها فإنها ليست بمأمونة».

«قال ابن المبارك: فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرَّج عن حرمة أبيه. أو من هذه الأَمَة التي رغبتْ بنفسها عن أمير المؤمنين. أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها قال: اهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصَيِّرْه في رقبتي»[(١)].

وأجمع المؤرخون في أخبارهم المتعددة على أن الرشيد كان حاقداً على العلويين عامةً بدون ذنب ارتكبوه؛ وأنه قتل عدداً منهم ظلماً وعدواناً بعد أن أودعهم الحبوس والطوامير المظلمة، كما كان حاقداً أشد الحقد بصورة خاصة على الإمام موسى بن جعفر (ع)، فسجنه لعدة سنوات متنقلاً به بين سجون البصرة وبغداد، ورُوِي أنه كتب مرة إلى واليه على البصرة عيسى بن جعفر بن المنصور حيث كان الإمام محبوساً عنده، يأمره بقتل الإمام وتخليصه منه، فاستعفى عيسى من القيام بهذه المهمة[(٢)]، فجلب موسى (ع) إلى بغداد متنقلاً به من سجن إلى سجن، حتى توفي في داخل حبسه باتفاق النصوص[(٣)]، وروى كثيرون القول بأن

(١) تاريخ الخلفاء: ١٩٣.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٠٢.

(٣) يراجع في ذلك على سبيل المثال: نثر الدر: ١/ ٣٦٠ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٤ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٤ وتذكرة الخواص: ٣٥٩ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ والعبر: ١/ ٢٢٢ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٥ وتهذيب =

وفاته كانت بدسّ السم إليه[١].

٢ ـ محمد الأمين:

ولي الحكم بعد وفاة أبيه في جمادى الأولى أو الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة[٢]، وبعد قرابة عام من تولّيه السلطة بدأ يفكر في الغدر بأخيه وعزله من ولاية العهد، و«كان العهد الذي كتبه الرشيد بين الأمين والمأمون وأودعه الكعبة: أن الغادر منهما خارج من الأمر، أيهما غَدَرَ بصاحبه، والخلافة للمغدور به»[٣].

وعيَّن الأمين ابنه موسى ولياً لعهده بعد غدره بأخيه[٤]، ثم تفاقم الوضع بين الأخوين صعداً حتى بلغ أسوأ أحواله، وكان ذلك ـ كما يقول الجهشياري وغيره ـ بتحريض الفضل بن الربيع الذي زيَّن للأمين خَلْعَ أخيه، «وعاون الفضلَ على ذلك عليُّ بن عيسى بن ماهان، فكتب إلى جميع العمال بالدعاء لموسى بن محمد بعد الخليفة وخلع المأمون... وسارت الركبان في الآفاق بغدر محمد وبحسن سيرة المأمون، فاستوحش الناس منه وانحرفوا عنه، وسكنوا إلى المأمون ومالوا إليه»[٥].

= التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ والأئمة الاثنا عشر: ٩٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٦٣ و٣٨٢.

(١) مروج الذهب: ٣/ ٢٧٣ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٣ و٣٨٤ والفخري: ١٧٢ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٥ والفصول المهمة: ٢٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وينابيع المودة: ٣٦٣ وإسعاف الراغبين: ٢١٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٤٩٨ ومروج الذهب: ٣/ ٣٠١.

(٣) مروج الذهب: ٣/ ٣٠٨ والفخري: ١٨٨.

(٤) المصدران المتقدمان.

(٥) الوزراء والكتاب: ٢٣٧ و٢٣٩ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٣٨ و١٤٢.

وسيَّر الأمينُ عليَّ بن عيسى بن ماهان في جيش عظيم نحو المأمون، والتحم الجيشان فهُزِم جيش الأمين وقُتِل علي بن عيسى، وأعلن المأمون قيامه بأمر الخلافة[(١)].

واستمرت الحرب بين الأخوين حتى «أُحيط بمحمد من الجانب الشرقي والغربي» من بغداد، ثم انتهى الأمر بقتل الأمين، فأُخِذ رأسه وبُعِث به إلى المأمون، وكان ذلك في أواخر المحرم أو في شهر صفر من سنة ١٩٧هـ أو ١٩٨هـ[(٢)].

ووصف الواصفون الأمين فقالوا: إنه كان «في نهاية الشدة والقوة والبطش والبهاء والجمال، إلا أنه كان عاجز الرأي ضعيف التدبير»[(٣)].

وكان يشرب المسكر، ويرقص مع وصائفه وخدمه، ويحب الغناء ويسمعه حتى وهو في أشد ساعات الضيق والمحنة، وكانت مجالس شربه وغنائه عامرة[(٤)].

وروى الطبري: أن الأمين لما ملك «طلب الخصيان وابتاعهم وغالى بهم، وصيَّرهم لخلوته في ليله ونهاره، وقوام طعامه وشرابه وأمره ونهيه» حتى قال فيه الشاعر مخاطباً الرشيد في قبره:

ألا يا مُزْمِنَ المثوى بطوسِ غريباً ما يفادى بالنفوسِ
لقد أبقيتَ للخصيان بعلاً تحمَّل منهم شؤم البسوسِ

---

(١) المعارف: ٣٨٥ ومروج الذهب: ٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) المعارف: ٣٨٦ وتاريخ الطبري: ٨/ ٤٧٧ و٤٩٨ ومروج الذهب: ٣/ ٣١١ ـ ٣٢٣ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٦٥ و١٦٧.

(٣) مروج الذهب: ٣/ ٣٠٧.

(٤) تاريخ الطبري: ٨/ ٤٧٦ و٥١٣ و٥٢٤ والأغاني: ٥/ ٧٧ و١٠/ ١٣٦ و١٥٠ و١٥١ و١٥٨ و١٥٩.

لـهـم مـن عـمـره شـطـرٌ وشـطـرٌ يـعـاقـر فـيـه شـرب الـخـنـدريـسِ

إلى آخر القصيدة[١].

كما روى الطبري أيضاً في أخبار الأمين: أنه لما ملك «وَجَّه إلى جميع البلدان في طلب المُلهِين وضمّهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق.. وأخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك، واحتجب عن أخوته وأهل بيته وقوّاده واستخف بهم، وقسم ما في بيوت الأموال وما بحضرته من الجوهر في خصيانه وجلسائه... وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه... وأمر بعمل خمس حَرّاقات في دجلة على خِلْقَة الأسد والفيل والعُقاب والحية والفرس، وأنفق في عملها مالاً عظيماً»، «وابتنى سفينة عظيمة أنفق عليها ثلاثة آلاف ألف درهم»[٢].

ومما أورد الطبري في ترجمة الأمين قول أبي نؤاس فيه:

احـمـدوا الله جـمـيـعـاً يـا جـمـيـع الـمـسـلـمـيـنـا
ثـم قـولـوا لا تـمـلـوا ربـنـا أبْـقِ الأمـيـنـا
صـيَّـر الـخـصـيـان حـتـى صـيَّـر الـتـعـنـيـن ديـنـا
فـاقـتـدى الـنـاسُ جـمـيـعـاً بـأمـيـر الـمـؤمـنـيـنـا!!![٣]

وكان من أبلغ ما رُثِيَ به هذا الحاكم قول الشاعر:

لِمَ نبكيك لماذا؟ للطربْ يا أبا موسى وترويج اللَّعِبْ
ولتَرْكِ الخمس في أوقاتها حَرَصاً منك على ماء العِنَبْ
لم تكن تصلح للملك ولم تُعْطِكَ الطاعةَ بالملك العربْ

إلى آخر القصيدة[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٠٨.
(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٠٩.
(٣) تاريخ الطبري: ٨/ ٥١٩.
(٤) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٠٠.

٣ ـ عبدالله المأمون:

تربع على أريكة الحكم بعد انتصاره على أخيه الأمين وقتله في سنة ثمان وتسعين ومائة[(١)]، وسرعان ما بادر إلى خلع أخيه القاسم بن الرشيد من ولاية العهد[(٢)] فظل بلا ولي للعهد بعض الوقت، ثم اختار لهذا المركز الإمام علي بن موسى الرضا (ع) ـ كما سيأتي بيانه في موضعه من البحث ـ.

وكان المأمون ـ فيما ترجم له ابن الطقطقي ـ «فطناً شديداً كريماً»، ويُعدّ من أفضل خلفاء بني العباس[(٣)].

ويقول القلقشندي فيه: إنه كان «كامل الفضل، مشاركاً في علوم كثيرة»، «وكان قد أحكم علم النجوم، وإليه يُنْسَب الزيج المأموني»، وفي أيامه نقلت «كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية اعتناء بها»[(٤)].

ولم يمنعه تقمصه الخلافة الإسلامية من ارتكاب المحرمات وفعل المحظورات، فقد كان يشرب الخمر[(٥)]، وقصص مجالس شرابه ولهوه مأثورة[(٦)]، ولعل من أغربها وأعجبها ما رواه الطبري في أخبار زواج المأمون ببوران في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين، وقد أفطر الخليفة في إحدى تلك الليالي «هو والحسن والعباس. . . حتى فرغوا من الإفطار وغسلوا أيديهم، فدعا المأمون بشراب فأُتيَ بجام ذهب فصبَّ

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ٣٢٨ والفخري: ١٩١.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٣٤٨.

(٣) الفخري: ١٩١.

(٤) مآثر الأناقة: ١/ ٢٠٩.

(٥) الأغاني: ١٠/ ١٣٠ و١٦١ و١٦٤ و٢٤٠.

(٦) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٧٨ و٦٥٦.

فيه وشرب، ومدَّ يده بجام فيه شراب إلى الحسن فتباطأ عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك، فغَمَزَ دينارُ بن عبد الله الحَسَنَ، فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين! أشربه بإذنك وأمرك؟! فقال له المأمون: لولا أمري لم أمدد يدي إليك، فأخذ الجام فشربه»[1].

ومات المأمون يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين[2].

وسجل بعض متعصبة القوم عدة مؤاخذات على المأمون ـ مع غضِّهم النظر عن شؤون لهوه وخمره ـ فقالوا:

«كانت مقاصد المأمون كلها جميلة، خلا ما نحا إليه من القول بخلق القرآن، والتشيع، وبث علوم الفلاسفة بين المسلمين»[3].

وأطلق ابن تغرى بردى على ما لم يعجبه من أوامر المأمون وأعماله عنوانَ (بِدَع المأمون) وقال شارحاً معدداً لذلك:

كتب المأمون ـ وهو يومئذٍ بالشام ـ إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم يأمره «أن يأخذ الجند بالتكبير إذا صلوا الجمعة، وبعد الصلوات الخمس، إذا قضوا الصلاة، أن يصيحوا قياماً ويكبروا ثلاث تكبيرات، ففعل ذلك في شهر رمضان، فقال الناس:

هذه بدعة ثالثة. قلتُ: البدعة الأولى لبس الخضرة وتقريب العلوية وإبعاد بني العباس، والثانية القول بخلق القرآن ـ وهي المصيبة

(١) تاريخ الطبري: ٨/٦٠٦ ـ ٦٠٧.

(٢) مروج الذهب: ٣/٣٢٨ و٣٦٥ والفخري: ١٩٥.

(٣) مآثر الأناقة: ١/٢١٣.

العظمى ـ، والثالثة هذه. ثم أباح المأمون أيضاً المتعة، فقال الناس: هذه بدعة رابعة»[١].

ولقد نسي هؤلاء المؤرخون جميعاً وهم يسردون عيوب المأمون وبدعه المزعومة المتعلقة بلبس السواد والخضرة وإبعاد بني العباس أو تقريبهم ـ وكأن ذلك أصل من أصول الدين وركن من أركان الإسلام ـ ما أشارت به أصابع الاتهام إلى الخليفة، من أمره بقتل كبير وزرائه الفضل بن سهل وهو في الحمام، ثم إيعازه أو المشاركة بنفسه في دس السم للإمام الرضا (ع)، على تفصيلٍ يأتي بيانه وذكر دوافعه في سياقه من البحث.

❀ ❀ ❀

هؤلاء هم الخلفاء الذين عاصرهم علي بن موسى الرضا خلال أيام إمامته، وهذا مختصر سلوكهم كما شاهده ورواه عنهم المؤرخون والمعنيون، فهل تمثل فيهم ما ذكره علماء الأحكام السلطانية متفقين من شروط التأهيل للإمامة والصفات المطلوبة في ذلك المؤهَّل، علماً وفقهاً، وزهداً وورعاً، وسلوكاً وخُلقاً، ونزاهة وعفة، وامتناعاً عن إراقة الدماء واستحلال الحرمات في سبيل تثبيت دعائم الملك الدنيوي الخارج على أحكام الدين وتعاليم الشرع.

ولو رجعنا إلى علي بن موسى الرضا (ع) فسألنا أولئك المحدِّثين والمؤرخين عمّا قيل فيه وأُثر عنه من علم وفضل، وتقى وزهد، ومناقب ومواهب، وكرائم ومكارم، فسيكون ملخص جوابهم على النحو الآتي:

علمه وفضله:

لعل أول ما يبرز في هذا الخصوص اعتراف المأمون المتربع على

(١) النجوم الزاهرة: ٢/ ٢١٣.

دست الخلافة بأنه نظر في ولد العباس وولد عليّ فلم يجد في وقته مثله في علمه ودينه، أو لم يجد أفضل ولا أحقَّ من علي بن موسى الرضا[١].

وقال معاصره إبراهيم بن العباس: «ما رأيت الرضا سُئل عن شيء قط إلا عَلِمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي»[٢].

وقال المقدسي وهو يذكر الإمام الكاظم وآباءه: «وولده علي بن موسى، كلهم أئمة مرضيون، وفضائلهم كثيرة مشهورة»[٣].

وقال ابن تيمية: «علي بن موسى له من المحاسن والمكارم المعروفة والممادح المناسبة للحالة اللائقة به ما يعرفه بها أهل المعرفة»[٤].

وقال الحافظ الذهبي: «كان علي الرضا كبير الشأن، أهلاً للخلافة»[٥].

وقال ابن طلحة الشافعي: «كانت مناقبه عليَّة، وصفاته سنية، ومكارمه حاتمية، وشنشنته أخزمية، وأخلاقه عربية، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته الكريمة نبوية. فمهما عُدَّ من مزاياه كان (ع) أعظم منه، ومهما فُصِّل من مناقبه كان أعلى رتبة منه»[٦].

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٧ ويأتي مزيد من ذكر المصادر عند الحديث عن ولاية العهد.
(٢) بحار الأنوار: ٤٩/ ٩٠ ونور الأبصار: ١٤١.
(٣) التبيين: ١١٠.
(٤) منهاج السنة: ٢/ ١٢٥.
(٥) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٩٢.
(٦) مطالب السؤول: ٢/ ٦٦.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: «علي بن موسى المرشح للخلافة، والمخطوب له بالعهد، كان أعلم الناس»[١].

وقال ابن الصباغ المالكي: «مناقب علي بن موسى الرضا من أجلّ المناقب، وأمداد فضائله وفواضله متوالية كتوالي الكتائب، وعجائب أوصافه من غرائب العجائب، وسؤدده ونبله قد حلَّ من الشرف في الذروة والغارب»[٢].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «كان يفتي في مسجد رسول الله (ص) وهو ابن نيف وعشرين سنة»[٣].

إلى أمثال ذلك مما قال القائلون وتحدَّث المتحدثون، وهو ماثل في المصادر ومأثور فيها جيلاً بعد جيل.

زهده وورعه:

جاء على ألسن الرواة في ذلك قولهم:

كان «قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح. وكان كثير الصيام»[٤]، «ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في كل شهر»[٥]، «وكان يختم القرآن في كل ثلاث»[٦]، و«كان لبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزين لهم»، و«كان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح»[٧].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٩١.
(٢) الفصول المهمة: ٢٤٥.
(٣) تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٧.
(٤) عيون أخبار الرضا: ٣١١ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٩٠ ـ ٩٣.
(٥) الفصول المهمة: ٢٣٣ ونور الأبصار: ١٤١.
(٦) المناقب: ٢/ ٤١١ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٩٠.
(٧) عيون أخبار الرضا: ٣٠٧ والفصول المهمة: ٢٣٣ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٨٩ ونور الأبصار: ١٤١.

تواضعه ومكارم أخلاقه:

حدّث معاصره إبراهيم بن العباس فقال: «ما رأيتُ ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا (ع): ما جفا أحداً بكلام قط، ولا رأيته قطع على أحدٍ كلامه حتى يفرغ منه، ولا رد أحداً عن حاجة يقدر عليها، وما مدَّ رجليه بين يدي جليس قط ولا اتَّكى قبله، ولا شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا قهقه في ضحكه بل كان ضحكه التبسم»(١).

وأخرج الكليني بسنده: إن الإمام الرضا (ع) في سفره إلى خراسان دعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقيل له: لو عزلتَ لهؤلاء مائدةً؟ فقال: «مَهْ، إن الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد. والجزاء بالأعمال»(٢).

وروى الصدوق عن ياسر الخادم قال: «كان الرضا (ع) إذا خلا جَمَعَ حشمه كلهم عنده، الصغير والكبير، فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم، وكان (ع) إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً حتى السائس والحجام إلا أقعده على مائدته»(٣).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: كان «أكرم الناس أخلاقاً»(٤).

وقال ابن الصباغ المالكي: «أما أخلاقه وسماته، وسيرته وصفاته، ودلائله وعلاماته، فناهيك من فخار، وحسبك من علو مقدار»(٥).

وروى الشبلنجي: إن الإمام الرضا «دخل يوماً حماماً، فبينما هو

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٣١١ وبحار الأنوار ٤٩/ ٩٠ ـ ٩١.
(٢) الكافي: ٨/ ٢٣٠.
(٣) عيون أخبار الرضا: ٦٩٣.
(٤) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٩١.
(٥) الفصول المهمة: ٢٤٦.

في مكان من الحمام إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال: صبَّ على رأسي.. فصبَّ على رأسه. فدخل مَنْ عَرَفَه فصاح: يا جندي هلكتَ! أتستخدم ابن بنت رسول الله (ص)، فأقبل الجندي يقبل رجليه ويقول: هلاّ عصيتني إذ أمرتُك. فقال: إنها لمثوبة، وما أردتُ أن أعصيك فيما أُثاب عليه»[١].

كرمه وسخاؤه:

روى الرواة فقالوا: «كان كثير المعروف والصدقة سراً، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة»[٢]، واشتهر ذلك عنه ومنه حتى عُدَّ «أسخى الناس»[٣].

وذكروا من أمثلة ذلك ما حدَّث به أحد الغفاريين ـ وكان لرجل عليه حق فتقاضاه منه وألح عليه به ـ، قال: فتوجهتُ إلى الإمام الرضا (ع) استرفده وأستعين به على الوفاء، «فإذا هو قد طلع عليَّ وحوله الناس، وقد قعد له السُّؤّال وهو يتصدق عليهم.. فدعا لي بطعام.. فلما فرغنا قال: ارفع الوسادة وخذ ما تحتها، فرفعتها فإذا دنانير»[٤] ـ إلى آخر النص ـ.

ولم يكن ذلك السخاء ـ كما قد يُتَصَوَّر ـ نابعاً من وفرة ما يصله من الأموال والوجوه الشرعية فقط، بل كان يضيف إليها ما يرده من غلات أمواله ومزارعه ومنافع أملاكه الخاصة التي أشير إليها في بعض

---

(١) نور الأبصار: ١٣٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٣١١ والفصول المهمة: ٢٣٣ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٩١ ونور الأبصار: ١٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٨٢٩١

(٤) الكافي: ١/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ والإرشاد: ٣٢٩ ـ ٣٣٠ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٩٧ ـ ٩٨.

المصادر[١]، ومنها ما كان بالعُرَيض[٢] ـ وهو موضع من أرجاء المدينة فيه أصول نخل [٣]ـ، وما كان بالحمراء[٤] ـ ولعلها حمراء الأسد التي كانت على ثمانية أميال من المدينة[٥] ـ. ونبّه ابن أبي الحديد وهو يتحدث عن لبسه الصوف طول عمره على أنه كان يفعل ذلك «مع سعة أمواله وكثرة ضياعه وغلاته»[٦] تقرباً إلى الله تعالى وزهداً في أناقة الملبس ونعمة العيش.

❁ ❁ ❁

وليس لديَّ ما أقوله بعد عرض جميع ما تقدم إلا الدعوة إلى مزيد من التأمل والتدقيق فيما ورد في مسرد تاريخ مدَّعي الخلافة وأمرة المؤمنين، وما رُوي في شأن الإمام علي بن موسى الرضا (ع)، في ضوء المقاييس الإسلامية الكبرى، القائمة على العلم والدين والسلوك والأخلاق.

ولا أظن أننا بحاجة ـ إذا ما أحسنّا المقارنة والتمحيص ـ إلى من يدلنا على معرفة الأوْلى من بين هؤلاء بالإمامة الشرعية، والأحرى منهم بالولاية الدينية، ليكون خليفة رسول الله (ص) في أمته ونائبه في رعيته، وذلك هو ما أجمله الحافظ الذهبي فيما سبق نقله من كلامه: من كون علي بن موسى الرضا «كبير الشأن أهلاً للخلافة» في عصره.

وإنه لهو الحق بعينه والصواب ذاته، إذ لا حقَّ غيره ولا صواب سواه.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٣٣٨ والمناقب: ٢/ ٣٩٦ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٨٨.
(٢) الإرشاد: ٣٢٩.
(٣) معجم ما استعجم: ٣/ ٩٣٨.
(٤) بحار الأنوار: ٤٩/ ٢٢٠.
(٥) معجم ما استعجم: ٢/ ٤٦٨.
(٦) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٧٣.

وانبرى علي بن موسى الرضا (ع) منذ أصبح ـ بعد وفاة أبيه ـ إماماً شرعياً للمسلمين، للقيام بلوازم هذه المسؤولية الكبرى وبواجباتها الخطيرة أحسن قيام، واضطلع بما يفترض عليه المقام من المهمات الدينية كما يجب ويرام، من دون أن يرهبه خوف ظالم، أو يصده لوم لائم.

ويبدو من سياق الروايات التاريخية أن الرشيد ـ مع ما عُرِفَ به من بغضٍ مستحكم لآل عليٍّ ـ قد هادن الإمام الرضا وغضَّ النظر عنه، فلم يبطش به ولم يلقه في غياهب السجون كما فعل بأبيه من قبل.

وجاء في الرواية عن صفوان بن يحيى: «إن خالد بن يحيى البرمكي قال لهارون الرشيد: هذا علي بن موسى الرضا قد تقدم وادعى الأمر لنفسه. فقال هارون: يكفينا ما صنعنا بأبيه، تريد أن نقتلهم جميعاً!»[1].

ويلخص الباحث الأردني الدكتور تاج الدين الجاعوني كل ظروف الاحتكاك والقطيعة بين الإمام الرضا والرشيد فيقول: إن «الإمام الرضا صمد لكل المؤامرات التي كانت تحاك من حوله، لقوة إيمانه ورسوخ

---

(١) إثبات الوصية: ١٧٣ والفصول المهمة: ٢٢٧ وبحار الأنوار: ١١٣/٤٩ ونور الأبصار: ١٤٦.

عقيدته واستقامة سلوكه وعلو همته وبُعد نظره، فكان يقول لأصحابه حين كانوا يحذِّرونه من مكر الماكرين ومؤامرة المتآمرين: مالي ولهم، والله لا يقدرون فيَّ على شيء».

«وكان من أشد الناس عداوة له البرامكة، متهمين إياه بالعمل على الإطاحة بملك العباسيين وادعاء الخلافة ـ خلافة المسلمين ـ لنفسه... لذا كان أصحابه يحذرونه دائماً ويلحون عليه باتخاذ الحيطة والحذر في دعوته اتقاءً لشر شانئيه وأعدائه، ولإبعاده عن مواطن الخطر، وطلبوا إليه مراراً وتكراراً التستر في دعوته، ولكن الرضا كان رابط الجأش مرتاح الضمير.. وبقي على سلوكه ونهجه في الدعوة إلى الله ومحاربة ما كان يراه فساداً وانحرافاً عن منهج الدين»(١).

ثم انتهت أيام الرشيد والحال على هذه الوتيرة من الإعراض والمهادنة، وكان للإمام الرضا (ع) طيلة هذه السنين مكان معروف في المسجد النبوي الشريف يقصده فيه المتعلمون والدارسون وطالبو الحديث، وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ وقد تقدم نقل ذلك عنه ـ: إنه كان يفتي الناس في مسجد رسول الله (ص) وهو ابن نيف وعشرين سنة.

وبموت الرشيد وحدوث المنازعات والفتن بين الأمين والمأمون تنفس الإمام الصعداء أكثر فأكثر، وحظي بمزيد من الأمن والحرية بما انفسح له من متَّسع في مجالات التعليم والتثقيف والرواية ومحاورة السائلين ومناقشة ذوي الآراء.

ولكن هذه الحرية لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما انتصر المأمون على

(١) جريدة الرأي الأردنية/ عدد يوم الجمعة ٥ ـ ٨ ١٩٩٤م/ ص ٧.

أخيه الأمين وقبض على أزمّة الأمور، فـ «كتب إلى الرضا (ع) يستقدمه إلى خراسان، فاعتلَّ عليه أبو الحسن بعلل كثيرة. فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم الرضا (ع) أنه لا محيص له وأنه لا يكف عنه»[١].

وروى الطبري: أن المأمون وجَّه على أثر هذه المكاتبات «رجاء ابن أبي الضحاك وفرناس الخادم لإشخاص علي بن موسى بن جعفر بن محمد... فحُمِل إليه مكرماً»[٢].

وروى أبو الفرج الأصبهاني: «أن المأمون وجَّه إلى جماعة من آل أبي طالب فحملهم إليه من المدينة، وفيهم علي بن موسى الرضا، فأُخِذ بهم على طريق البصرة حتى جاؤوه بهم، وكان المتولي لإشخاصهم المعروف بالجلودي من أهل خراسان، فقدم بهم على المأمون فأنزلهم داراً، وأنزل علي بن موسى الرضا داراً».

ووجَّه إلى الفضل بن سهل من يعلمه أنه يريد العقد للرضا في الخلافة أو ولاية العهد، «وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك، ففعل واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يعظِّم ذلك عليه ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه. فقال له: إني عاهدتُ الله أن أُخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرتُ بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل».

«فاجتمعا معه على ما أراد، فأرسلهما إلى علي بن موسى فعرضا ذلك عليه فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه، إلى أن قال له

(١) الكافي: ١/ ٤٨٨، ويراجع في ذلك أيضاً: الفخري: ٨١٩٢

(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٤٤ ومثله في مروج الذهب: ٣/ ٣٤٩ وعيون أخبار الرضا: ٢٨٣.

أحدهما: إن فعلتَ وإلا فعلنا بك وصنعنا، وتهدَّده. ثم قال له أحدهما: واللهِ أمرني بضرب عنقك إذا خالفتَ ما يريد».

«ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهدد، ثم قال له: إن عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدُّك، وقال: مَنْ خالف فاضربوا عنقه. ولا بد من قبول ذلك، فأجابه علي بن موسى إلى ما التمس» مشترطاً أن لا يأمر ولا ينهى ولا يقضي ولا يولّي ولا يعزل، فأجابه المأمون إلى ذلك كله[1].

وفي لفظ الكليني:

إن المأمون لما عرض عليه أن يتقلد أمر الخلافة «أبي الرضا (ع) ذلك، وجرت في هذا مخاطبات كثيرة، وبقوا في ذلك نحواً من شهرين، كل ذلك وأبو الحسن الرضا (ع) يأبى أن يقبل ما يعرض عليه».

«فلما كثر الكلام والخطاب في هذا قال المأمون: فولاية العهد. فأجابه إلى ذلك وقال له: على شروط أسألها، فقال المأمون: سَلْ ما شئتَ» فذكر الشروط المتقدمة، فأجابه المأمون إلى ذلك كله[2].

ولعل من أطرف ما يروى على هامش هذه المفاوضات ما حدَّث به موسى بن سلمة: أنه سمع ذا الرياستين خلال تلك الأيام يقول: «واعجباً وقد رأيتُ عجباً... رأيت المأمون أمير المؤمنين يقول لعلي بن موسى: قد رأيت أن أقلدك أمور المسلمين وأفسخ ما في رقبتي... ورأيت علي بن موسى يقول: يا أمير المؤمنين، لا طاقة لي بذلك ولا قوة. فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها، إن أمير المؤمنين يتفصّى منها

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٦٢ ـ ٥٦٣، وقريب منه في الإرشاد: ٣٣١ ـ ٣٣٣ وينابيع المودة: ٣٨٤ ونور الأبصار: ١٤٢ ـ ١٤٣، ومختصر منه في الأئمة الإثنا عشر: ٩٧.

(٢) الكافي: ١/٤٨٨ ـ ٤٨٩.

ويعرضها على علي بن موسى، وعلي بن موسى يرفضها ويأباها»[١].

وادعى بعض المدَّعين: أن ولاية العهد هذه كانت بإشارة من الفضل بن سهل على المأمون، وأن المأمون قد فعل ذلك لأنه لم يكن يقدر على خلاف الفضل. وقد ردَّ الصدوق هذا الادعاء قائلاً: «الصحيح عندي أن المأمون إنما ولاّه العهد وبايع له للنذر» الذي كان قد نذره. وكأنه يعني به ما تقدم نقله عن أبي الفرج الأصبهاني وغيره من قول المأمون للحسن بن سهل: «إني عاهدتُ الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرتُ بالمخلوع» يريد أخاه الأمين.

ثم زاد الصدوق المسألة إيضاحاً في تأكيد نفي أي ارتباط للفضل بذلك فقال: «إن الفضل بن سهل لم يزل معادياً ومبغضاً له (أي للإمام) وكارهاً لأمره، لأنه كان من صنائع آل برمك»[٢].

وهكذا يتجلى مدى البعد عن الصواب فيما وهم به المستشرق دونالدسن من كون الفضل هو المحرِّض للمأمون على هذا، ومن تعليله ذلك بما كان يحمل من ميول شيعية ودوافع فارسية[٣].

ومهما يكن من أمر، فقد تمَّ الاتفاق مع الإمام الرضا (ع) بقبول ولاية العهد، وجلس المأمون مجلساً خاصاً جمع فيه كبار أصحابه ورجال دولته، «وخرج الفضل بن سهل فأعلم الحاضرين برأي المأمون في علي بن موسى، وأنه ولاّه عهده... وأمرهم بلبس الخضرة، والعود لبيعته في الخميس الآخر».

«فلما كان ذلك اليوم ركب الناس من القوَّاد والقضاة وغيرهم من

---

(١) الإرشاد: ٣٣٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٩٨.

(٣) عقيدة الشيعة: ١٧١.

الناس في الخضرة، وجلس المأمون، ووَضَعَ للرضا وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس الرضا عليهما في الحضرة، وعليه عمامة وسيف. ثم أمر ابنه العباس بن المأمون فبايع له أول الناس»[١]، وكان ذلك لخمس خلون من شهر رمضان أو لليلتين خلتا منه سنة إحدى ومائتين[٢].

وقرىء في ذلك الاجتماع التاريخي الحاشد ما كتب المأمون من «عهد علي بن موسى العلوي المعروف بالرضا بالخلافة بعده، وهذه نسخته:

«هذا كتابٌ كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده، لعلي ابن موسى بن جعفر وليِّ عهده:

«أما بعد: فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام ديناً، واصطفى له من عباده رسلاً، دالِّين عليه وهادين إليه، يبشِّر أولهم بآخرهم، ويصدِّق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله إلى محمد (ع)، على فترةٍ من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فختم الله به النبيين، وجعله شاهداً لهم ومهيمناً عليهم، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فأحلَّ وحرَّم، ووعد وأوعد، وحذّر وأنذر، وأمر ونهى، لتكون له الحجة البالغة على خلقه، و﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]. فبلغ

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٦٣ والإرشاد: ٣٣٣ والفصول المهمة: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.
(٢) عيون أخبار الرضا: ٣٥٥ والمناقب: ٢/ ٤١٧ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٢٢ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٧ والفصول المهمة: ٢٤٢ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١١ و٢٢١ و٣٠٣.

عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلظة، حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده صلّى الله عليه. فلما انقضت النبوة، وختم الله بمحمد (ص) الوحي والرسالة، جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة وإتمامها وعزِّها، والقيام بحق الله فيها بالطاعة التي تقام بها فرائض الله وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، ويُجاهَد بها عدوُّه. فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله، وأَمْن السبل، وحقن الدماء، وصلاح ذات البين، وجمع الألفة. وفي إخلال ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم، واختلاف ملتهم، وقهر دينهم، واستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة، وخسران الدنيا والآخرة. فحَقٌّ على مَنْ استخلفه الله في أرضه وائتمنه على خلقه، أن يؤثر ما فيه رضا الله وطاعته، ويعدل فيما الله واقفه عليه وسائله عنه، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمَّله الله وقلَّده، فإن الله عز وجل يقول لنبيه داوود (ع): ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦] وقال عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ ـ ٩٣]، وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: «لو ضاعتْ سخلة بجانب الفرات لتخوَّفتُ أن يسألني الله عنها». وأيم الله إن المسؤول عن خاصة نفسه الموقوفَ على عمله فيما بين الله وبينه، لَمُتعرِّضٌ لأمر كبير وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة. وبالله الثقة، وإليه المفزع والرغبة في التوفيق، مع العصمة والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة».

«وأنظرُ الأئمة لنفسه وأنصحُهم في دينه وعباده وخلافته في أرضه مَنْ عَمِلَ بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه (ع) في مدة أيامه، واجتهد وأجهَدَ رأيه ونظَرَه فيمن يولِّيه عهده، ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علماً لهم، ومفزعاً في جمع أُلفتهم، ولَمِّ شعثهم، وحقن دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقتهم وفساد ذات بينهم واختلافهم، ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم، فإن الله عز وجل جعل العهد بالخلافة من تمام أمر الإسلام وكماله وعزِّه وصلاح أهله، وألهم خلفاءه من توسيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت منه العافية، ونقض الله بذلك مَرَّ أهل الشقاق والعداوة والسعي في الفرقة، والرفض للفتنة».

«ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقتها وثقل محملها وشدة مؤونتها، وما يجب على من تقلَّدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها، فأنصَبَ بدنَه وأسهر عينه وأطال فكره فيما فيه عزُّ الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة بهنيِّ العيش، علماً بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقى الله مُناصِحَه في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضلَ من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه، مناجياً لله بالاستخارة في ذلك، ويسأله إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره، ومُعْمِلاً في طلبه والتماسه من أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلي بن أبي طالب فِكْرَه ونظره، ومقتصراً فيمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمَّن خفي عليه أمره جهدَه وطاقته، حتى استقصى أمورهم بمعرفته، وابتلى أخبارهم مشاهدةً، وكشف ما عندهم مساءلة».

«فكانت خيرته ـ بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده ـ من البيتين جميعاً: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما رأى من فضله البارع وعلمه الناصع، وورعه الطاهر وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا وتسليمه من الناس. وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولِما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً، وحدثاً ومكتهلاً، فعقد له بالعقد والخلافة إيثاراً لله والدين، ونظراً للمسلمين، وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين».

«ودعا أميرُ المؤمنين ولدَه وأهل بيته وخاصته وقوّاده وخدمه، فبايعوه مسرعين مسرورين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ممن هو أشبك به رحماً وأقرب قرابة، وسماه (الرضا) إذ كان رضيّاً عند أمير المؤمنين».

«فبايِعوا معشر بيت أمير المؤمنين ومَن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين (الرضا) من بعده، على اسم الله وبركته وحُسن قضائه لدينه وعباده، بيعةً مبسوطة إليها أيديكم، منشرحة لها صدوركم، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيها، شاكرين لله على ما ألهم أمير المؤمنين من نصاحته في رعايتكم وحرصه على رشدكم وصلاحكم، راجين عائدَه في ذلك في جمع ألفتكم وحقن دمائكم ولَمّ شعثكم وسدّ ثغوركم وقوة دينكم ورغم عدوكم واستقامة أموركم. وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين، فإنه الأمرُ إن سارعتم إليه وحمدتم الله عليه عرفتم الحظ فيه، إن شاء الله تعالى».

وكتب الإمام الرضا (ع) تحت كتاب عهد المأمون ما نصه:

«الحمد لله الفعّال لما يشاء، لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وصلواته على نبيه محمد خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين».

«أقول ـ وأنا علي بن موسى بن جعفر ـ: إن أمير المؤمنين، عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قُطِعتْ، وأمَّن أنفساً فزعت، بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، متَّبعاً رضا ربِّ العالمين، لا يريد جزاءً من غيره، وسيجزي الله الشاكرين، ولا يُضيع أجر المحسنين. وإنه جعل إلَيَّ عهده، والإمرة الكبرى إن بقيتُ بعده، فمن حلَّ عقدةً أمر الله بشدِّها، أو فصم عروةً أحبَّ الله إيثاقها، فقد أباح حريمه وأحلَّ محرَّمه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام، منتهكاً حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف فصبر منهم على اللفتات، ولم يعترض بعدها على العزمات، خوفاً على شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية ورَصْد فرصةٍ تُنْتَهَز وباقيةٍ تُبتَدَر».

«وقد جلعتُ لله تعالى على نفسي إن استرعاني على المسلمين وقلَّدني خلافته، العمل فيهم عامةً وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصةً بطاعته وبسنة رسول الله (ص)، وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أبيح فَرْجاً ولا مالاً، إلا ما سفكَتْه حدودُه وأباحَتْه فرائضه، وأن أتخيَّر الكُفاة جهدي وطاقتي. جعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه، فإنه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الاسراء: ٣٤]. فإن أحدثتُ أو غيَّرت أو بدَّلت كنت للغِيَرِ مستحقاً وللنكال متعرضاً، وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والحَوْلِ بيني وبين معصيته، ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾» [الأنعام: ٥٧].

«لكنني امتثلتُ أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه، والله يعصمني وإياه، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً. وكتبتُ بخطي بحضرة أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ والفضل بن سهل، وسهل بن

الفضل، ويحيى بن أكثم، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين».

«ثم كتب فيه مَنْ حضر من هؤلاء». و«كتب الفضل بن سهل وزير المأمون ما صورته:

«رَسَمَ أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ قراءة مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه، بحرم سيدنا رسول الله (ص) بين الروضة والمنبر، على رؤوس الأشهاد، ومرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد، وهو يسأل الله أن يعرِّف أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق، بما أوجب أمير المؤمنين الحجة به على جميع المسلمين، وأبطل الشبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران، ١٧٩]، وكتب الفضل بن سهل في التاريخ المعيَّن فيه»[١].

۞ ۞ ۞

وبعد الفراغ من قراءة كتاب ولاية العهد «قال المأمون للرضا: قم فاخطب الناس وتكلَّم فيهم، فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

«إن لنا عليكم حقاً برسول الله (ص)، ولكم علينا حق به، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم».

---

(١) يراجع في نص كتاب المأمون بشأن ولاية العهد: صبح الأعشى: ٩/ ٣٦٢ ـ ٣٦٦ ومآثر الأناقة: ٢/ ٣٢٥ ـ ٣٣٢، ومعظمه في الفصول المهمة: ٢٣٩ ـ ٢٤٠. كما يراجع فيما كتبه الإمام الرضا (ع) والآخرون تحت كتاب المأمون: صبح الأعشى: ٩/ ٣٩١ ـ ٣٩٣ ومآثر الأناقة: ٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٦ والفصول المهمة: ٢٤٠ ـ ٢٤٢.

«ولم يُذكر عنه غيرُ هذا في ذلك المجلس»[١].

وروى المدائني فيما نُقِل عنه: أن الرضا (ع) لما جلس هذا المجلس «وخفقت الألوية على رأسه، فذكر بعض مَنْ حضر ممن كان يختص بالرضا أنه قال: كنت بين يديه في ذلك اليوم، فنظر إليَّ وأنا مستبشر بما جرى، فأومأ إليَّ أن ادنُ، فدنوت منه فقال لي من حيث لا يسمعه غيري: لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر له فإنه شيء لا يتم»[٢].

وروى ابن الطقطقي وحاجي خليفة فيما يؤيد ما ذكر المدائني: أن المأمون «لما عهد بالخلافة من بعده إلى علي بن موسى الرضا وكتب إليه كتاب عهده، كتب هو في آخر ذلك الكتاب: نعم، إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أن هذا الأمر لا يتم. وكان كما قال»[٣].

وعلى كل حال، فقد تم الأمر وأُعلن العهد والعقد، وما أن انفض حفل البيعة حتى أمر المأمون بأن يُخطَب للرضا في كل البلدان والأقاليم بولاية العهد، وبأن يزال السواد من الأعلام والملابس لتحل محله الخضرة، كما أمر أن تضرب له الدنانير والدراهم ويطبع عليها اسمه[٤].

ويحتفظ المتحف العراقي ببغداد بدينار المأمون الذي ضربه باسم ولي عهده الإمام علي الرضا بسمرقند سنة ٢٠٢هـ، وهو من الذهب[٥].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٦٤ والإرشاد: ٣٣٣ ـ ٣٣٤ والفصول المهمة: ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٢) الإرشاد: ٣٣٤.

(٣) الفخري: ١٩٢ ـ ١٩٣ وكشف الظنون: ١/ ٥٩١.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٧٦ وفتوح ابن أعثم: ٨/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ والوزراء والكتاب: ٢٥٦ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ ومقاتل الطالبيين: ٥٦٤ ـ ٥٦٥ وعيون أخبار الرضا: ٢٨٥ ـ ٢٨٦ والإرشاد: ٣٣٤ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٧ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٧ وتاريخ الخلفاء: ٢٠٥ ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٢ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١٣٤ وينابيع المودة: ٣٨٥ ونور الأبصار: ١٤٣.

(٥) مجلة المسكوكات/ العدد ٢/ ص٤.

وقال الباحث سمير شمّا في مقال له يُعنى بهذا الموضوع:

هناك درهم «يحمل اسم علي الرضا ولي عهد المأمون ضُرِبَ في أصبهان عام ٢٠٥هـ بعد وفاة علي الرضا بسنتين»، و«لم تظهر حتى الآن نقود عليها اسم علي الرضا عام ٢٠١هـ، وأول نقود وجِدت وعليها اسمه ضُرِبتْ عام ٢٠٢هـ. وقد ظهرت دراهم فضية ضربت في المحمدية (الري سابقاً) عام ٢٠٤ بعد موت علي بن موسى الرضا، فقدّر الدكتور جورج مايلز عالم النميات المشهور بكتابه عن تاريخ الري من نقودها أن المؤرخين أمثال الطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير أخطأوا في تاريخ موت علي بن موسى الرضا، وأنه يجب أن يكون قد مات في نهاية عام ٢٠٣... وقدّر الدكتور مايلز ان خبر الوفاة لم يصل إلى المحمدية إلا بعد دخول عام ٢٠٤ عندما كانت دراهم قد ضربت فيها باسم علي الرضا في أوائل عام ٢٠٤هـ».

وقال الباحث شمّا المذكور رداً على الدكتور مايلز:

«كان الدكتور مايلز بعيداً عن الواقع بما ظنه، لأن تاريخ موت شخص له أهمية علي بن موسى الرضا لا يمكن أن يخطىء به مشاهير المؤرخين. ووجود درهم مضروب عام ٢٠٤ لا يعني أن علياً كان لا زال حياً في ذلك العام، بل إن درهماً قد وجد يحمل اسمه من ضَرب عام ٢٠٥ ـ وهو الذي ننشر صورته ـ، وهذا الدرهم ضُرِبَ في مدينة أصبهان».

ثم قال الباحث المشار إليه:

«التفسير لوجود هذا الدرهم النادر: هو أن المأمون ـ إظهاراً لحزنه الحقيقي فعلاً أو الظاهري فقط ـ سمح لأتباع ومحبي الإمام الرضا أن يستمروا بضرب النقود باسمه بعد وفاته... وقد ضُربت للإمام علي بن موسى الرضا نقود في أصبهان وسمرقند وفارس وكرمان والمحمدية وفي السنوات ٢٠٢ و٢٠٣ و٢٠٤، أما في أصبهان فقد ضربت دراهم في عام ٢٠٥ أيضاً»(١).

وهكذا أصبح سك الدراهم والدنانير باسم ولي العهد إعلاناً صريحاً دوَّت أصداؤه في كل الأرجاء، ووجَّه المأمون ببيعة الرضا مع عيسى الجلودي إلى مكة المكرمة، فقدم الجلودي ومعه الخضرة وبيعة الرضا، فبايع الناس للرضا بمكة ولبسوا الأخضر، وحج بالناس في تلك السنة بأمر الخليفة إسحاق بن موسى بن جعفر، وقيل: إبراهيم بن موسى بن جعفر. وكتب المأمون إلى عامله على المدينة المنورة يأمره أن يخطب الناس ويدعوهم إلى بيعة الإمام الرضا، فسُمِع الخطيب على منبر رسول الله (ص) يدعو للخليفة ولولي عهده «علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي (ع)، وقال:

ستة آباءهُمُ ما هُمُ
هُمْ خير مَنْ يشرب صوبَ الغمامْ(٢)

---

(١) مجلة المسكوكات/ العدد ٤/ ص٤٥ ـ ٤٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣/ ١٧٧ وتاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٧ وتاريخ خليفة: ٢/ ٧٦٥ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ ومقاتل الطالبيين: ٥٦٥ وعيون أخبار الرضا: ٢٨٢ والإرشاد: ٣٣٤ ونثر الدر: ١/ ٣٦٣ والمناقب: ٢/ ٤١٥ والعقد الفريد: ٥/ ١٠١ ـ ١٠٢ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٩ والفصول المهمة: ٢٣٨ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١٤٦ ـ ١٤٧ و١٥٥ ونور الأبصار: ١٤٣.

وأقبل الشعراء من كل حدب وصوب ـ وفيهم كبار شعراء ذلك العصر ـ يتوافدون على الإمام الرضا (ع) لتلاوة قصائدهم بين يديه، مدحاً وإشادة، وذكراً لمناقبه وفضائله، ورثاء لأسلافه السابقين وفجائعهم الأليمة الدامية.

وروى الشيخ المفيد: أنه «كان فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل بن علي الخزاعي، فلما دخل عليه قال: إني قد قلت قصيدة وجعلت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فأمره بالجلوس حتى خفَّ مجلسه، ثم قال له: هاهنا. فأنشده قصيدته التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحيٍ مقفر العرصاتِ[١]

«حتى أتى على آخرها. فلما فرغ من إنشادها قام الرضا (ع) فدخل إلى حجرته، وبعث إليه خادماً بخرقة خزٍّ فيها ستمائة دينار، وقال لخادمه: قل له استعن بهذه على سفرك وأعذرنا. فقال له دعبل: لا والله ما هذا أردتُ ولا له خرجتُ، ولكن قل له: ألبسْني ثوباً من أثوابك، وردَّها عليه. فردَّها الرضا (ع) عليه وقال له: خذها، وبعث إليه بجبَّة من ثيابه».

«فخرج دعبل حتى ورد قم، فلما رأوا الجبة معه أعطوه بها ألف دينار، فأبى عليهم وقال: لا والله ولا خرقة منها بألف دينار. ثم خرج من قم فاتبعوه وقطعوا عليه الطريق وأخذوا الجبة، فرجع إلى قم وكلَّمهم

---

(١) يراجع في هذه القصيدة: «شعر دعبل بن علي الخزاعي» صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر: ٧١ ـ ٧٧ و٢٢١ ـ ٢٣٨، وديوان دعبل جمع الدكتور محمد يوسف نجم: ٣٥ ـ ٤٤ وديوان: دعبل بن عبد الصاحب عمران الدجيلي: ٨٥ ـ ٩٧. وذكر جامعو هذا الشعر في مجموعاتهم المشار إليها تفاصيل أماكن ورود أبيات هذه القصيدة كلاً أو بعضاً في الكتب والمصادر المعنية بذلك.

فيها فقالوا: ليس إليها سبيل، ولكن إن شئت فهذه ألف دينار، قال لهم: وخرقة منها، فأعطوه ألف دينار وخرقة من الجبة»[١].

وكان ممن وفد من الشعراء على الإمام الرضا (ع) إبراهيم بن العباس الصولي ـ وكان ودعبل صديقين لا يفترقان ـ، فأنشده قصيدته التي جاء في مطلعها:

أزالتْ عزاء القلب بعد التجلُّدِ ... مصارعُ أولاد النبي محمدِ[٢]

فوهب له الإمام «عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت باسمه، فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور نسائه، وخلَّف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره»[٣].

كما كان من جملة هؤلاء الوافدين الشاعر أبو نؤاس إذ دخل عليه فأنشده قائلاً:

مطهَّرون نقيات ثيابهم ... تُتْلى الصلاة عليهم أينما ذُكروا[٤]
من لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له في قديم الدهر مفتخَرُ
اللهُ لَما برا خلقاً فأتقنه ... صفّاكم واصطفاكم أيها البشرُ
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور[٥]

---

(١) الإرشاد: ٣٣٤ ـ ٣٣٥ وسير أعلام النبلاء: ٣٩١/٩.
(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٨٠ والمناقب: ٤١٦/٢ وبحار الأنوار: ١٤٨/٤٩ و٢٣٥.
(٣) الأغاني: ٦٣/١٠.
(٤) في بعض المصادر بدل (ثيابهم): (جيوبهم) (حياتهم)، وفي بعضها بدل (تتلى): (تجري)، وبدل (أينما): (كلما).
(٥) عيون أخبار الرضا: ٢٨١ والمناقب: ٤١٦/٢ ووفيات الأعيان: ٢/ج٤٣٣ ومرآة الجنان: ١٢/٢ والفصول المهمة: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ والأئمة الاثنا عشر: ٩٩ وبحار الأنوار: ١٤٨/٤٩ و٢٣٦ ونور الأبصار: ١٤٠.

وقال أبو نؤاس أيضاً في مدحه:

قيل لي: أنت أوحد الناس طراً ... في فنونٍ من الكلام النبيهِ
لك من جوهر الكلام بديع ... يثمر الدرَّ في يدي مجتنيهِ
فعلى ما تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمَّعْنَ فيهِ
قلتُ: لا أستطيع مدح إمامٍ ... كان جبريل خادماً لأبيه[1]

وكان لهذا الاختيار البارع لولاية العهد صدى استحسان كبير في جميع الحواضر الإسلامية، كما كان له رد فعل معاكس عند بعض أهل بغداد من العباسيين وأتباعهم وسائر أعداء أهل البيت أينما كانوا.

وجاء في روايات الطبري: «أن عيسى بن محمد بن أبي خالد، بينما هو فيما هو فيه من عَرْض أصحابه بعد منصرفه من عسكره إلى بغداد، إذ ورد عليه كتابٌ من الحسن بن سهل يُعْلِمه أن أمير المؤمنين المأمون قد جعل علي بن موسى بن جعفر بن محمد وليَّ عهده من بعده، وذلك أنه نظر في بني العباس وبني عليّ فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، وأنه سماه الرضا من آل محمد، وأمره بطرح لبس الثياب السود ولبس ثياب الخضرة، وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين. ويأمره أن يأمر مَنْ قِبَلَه من أصحابه من الجند والقواد وبني هاشم بالبيعة له، وأن يأخذهم بلبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك».

«فلما أتى عيسى الخبر دعا أهلَ بغداد إلى ذلك على أن يعجِّل لهم

---

(١) أخبار أبي نواس: ٢٩٣ وعيون أخبار الرضا: ٢٨١ والمناقب: ٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٣ وتذكرة الخواص: ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٥ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ومرآة الجنان: ٢/ ١٢ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١٧٥ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٢٣٥. وفي هذه المصادر اختلاف كثير في بعض ألفاظ الأبيات.

رزق شهرٍ، والباقي إذا أدركت الغلَّة، فقال بعضهم: نبايع ونلبس الخضرة، وقال بعضهم: لا نبايع ولا نلبس الخضرة ولا نُخْرِج هذا الأمر من ولد العباس، وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل، فمكثوا بذلك أياماً. وغضب ولد العباس من ذلك، واجتمع بعضهم إلى بعض وتكلموا فيه وقالوا: نولّي بعضنا ونخلع المأمون، وكان المتكلم في هذا والمختلف والمتقلّد له إبراهيم ومنصور ابنا المهدي».

ثم «أظهر العباسيون ببغداد أنهم قد بايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة، ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي، وأنهم قد خلعوا المأمون»، ولقَّبوا إبراهيم المبارك، وكانت بيعته أول يوم من المحرم سنة ٢٠٢، وقيل: خامسه. وغلب إبراهيم مع مَنْ تابعه من أهل بغداد على الكوفة وسواد العراق كله[١].

وذكر الرواة: «أن الحسن بن سهل أتاه ـ وهو مقيم بالمُبارَك في معسكره ـ كتابُ المأمون... يأمره أن يتقدم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها. فارتحل حتى نزل سمر، وكتب إلى حميد بن عبد الحميد أن يتقدم إلى بغداد حتى يحاصر أهلها من ناحية أخرى... ففعل ذلك حميد»، وخرج «حتى أتى الكوفة فأخذ أموالاً له كانت هنالك ومتاعاً، وولّى على الكوفة العباس بن موسى بن جعفر العلوي»[٢].

---

(١) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٥٤ ـ ٥٥٧ ويراجع أيضاً في هذه الأحداث والوقائع: فتوح ابن أعثم: ٨/ ٣٢٣ والمعارف: ٣٨٨ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ والوزراء والكتاب: ٢٥٦ وتاريخ بغداد: ٦/ ١٤٢ ـ ١٤٣ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٨٣ و١٨٩ ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٢ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٢٢ ـ ٢٣ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١٧٠ ـ ١٧٢ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٩٠ والعبر: ١/ ٢٦٦ ومرآة الجنان: ٢/ ١١ والأئمة الاثنا عشر: ٩٧ وشذرات الذهب: ٢/ ٢ ـ ٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

وحصل الهرج والمرج في بغداد، وأراد بعض الناس أن تشتمل خطبة الجمعة على الدعاء للمأمون «ثم من بعده لإبراهيم، فقالت العامة: لا تدعوا إلا إلى إبراهيم فقط. واختلفوا واضطربوا فيما بينهم، ولم يصلوا الجمعة، وصلى الناس فرادى أربع ركعات»[١].

❀ ❀ ❀

وعندما يبلغ البحث هذه النقطة الفاصلة فيه، إذ يصل مسلسل الاستخلاف نهاية مقدماته، ويأخذ طريقه الممهَّد نحو التنفيذ العملي على صعيد الدولة والأمة، وتصبح ولاية العهد بيعة شرعية ملزمة وموثقاً غليظاً ثابتاً، فإن من حق الكمال والاستيعاب أن نولي هذا الموضوع وقفة اهتمام وفحص، ونظرة تدقيق وتحليل، عسى أن نستكشف ما غمض من أسرار ذلك الحدث وخفاياه المجهولة، فنتعرف بدوافع المأمون الكامنة التي حملته على هذا الاختيار الخطير، ودوافع الإمام الرضا (ع) الحقيقية وراء ما أبداه من إذعان وقبول.

ولعل من أوضح الواضحات عند الناس عامة: أنه ليس من طبائع الأحوال الدنيوية وسنن النفوس البشرية أن يتنازل المأمون ـ بمحض اختياره ومن دن ضرورة قاهرة ـ عن سلطان بني العباس ومستقبلهم ـ وهم أبناؤه وإخوانه وذوو قرباه ـ فيقدم الخلافة هدية إلى أولاد عليّ ويحرم منها آله وبني عمومته على مرِّ الأجيال.

كما أن من أوضح الواضحات عند المثقفين من دارسي التاريخ والواقفين عليه: أنه لم يكن من المتجانس المنسجم مع سلوك علي بن موسى وسيرة آبائه الأئمة (ع) ـ وهم الزاهدون في الدنيا وزينتها

(١) البداية والنهاية: ١٠/٢٤٧.

والمعرضون عن زخارف الحياة وزبارجها، والعارفون من طريق الجفر والجامعة بكثير مما لا يعلمه غيرهم من أخبار الغيوب المأثورة عن النبي (ص) ـ أن يوافق على هذا العرض مهما صاحَبَه من إشارات التهديد والوعيد.

وإذن، فنحن بحاجة إلى الغوص قليلاً في الأعماق لنقترب من معرفة ما وراء تلك الظواهر من أسباب وأسرار، ولنقف على ما لم يقله القائلون في سردهم السطحي لهذا الحدث الكبير، ولنصل من ثَمَّ إلى ما يضع اليد على دوافع الطرفين ومنطلقاتهما فيما قرَّرا وفعلا وأنجزا في هذا المضمار الشائك المحفوف بالأهوال.

ولقد سبق منّا القول في بحوثنا السابقة المعنية بالأئمة المطهَرين، أنهم لم يكونوا في يوم من الأيام طلاّب حكم أو عشاق سلطة، ولم يُعرف عن أي واحدٍ منهم أن له هوىً في عرشٍ أو رغبةً في سلطان، مما تقدم الحديث عنه في بعض تلك الكتب وافياً مفصَّلاً مستغنياً عن الإعادة والتكرار، وفي ضوء ذلك لم تكن دوافع الإمام الرضا إلى الموافقة والقبول ذات اتصال بطلب الدنيا وشهوة الحكم على وجه القطع واليقين.

وورد في بعض النصوص المروية عن الإمام نفسه ما بيَّن لنا لمحاتٍ من تلك الدوافع فكفانا مؤونة الاحتمال والرجم بالغيب، وزادنا إدراكاً لحقيقة تلك الأسباب، ومنها ما روي عن الريَّان بن الصلت أنه دخل عليه فقال له: «يا ابن رسول الله، الناس يقولون إنك قبلتَ ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا!!، فقال (ع): قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خُيِّرتُ بين قبول ذلك وبين القتل اخترتُ القبول على القتل، ويحهم أما علموا أن يوسف (ع) كان نبياً ورسولاً، فلما دفعته الضرورة

إلى تولّي خزائن العزيز قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أني ما دخلتُ في هذا الأمر إلا دخول خارج منه. فإلى الله المشتكي، وهو المستعان»[١].

وفي رواية أخرى: أنه دخل عليه يوماً محمد بن عرفة فقال له: «يا ابن رسول الله، ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال: ما حمل جدي أمير المؤمنين (ع) على الدخول في الشورى»[٢].

ويدل مجمل فحوى هذين الجوابين على أن قبول الإمام بالتكليف لم يكن بسبب الطمع بترف الحياة وأبهة الملك، وإنما كان نزولاً على حكم الخشية من القتل، وتخلصاً من استمرار التهديد، وعملاً بوجوب حفظ النفس من الهلاك، كما فعل نبيُّ الله يوسف (ع) مكرهاً حينما أحاطه الخطر وأجبرته الضرورة على تولّي خزائن عزيز مصر. ثم استشهد في النص الثاني بقبول جده أمير المؤمنين (ع) المشاركة في الشورى على الرغم مما قد تحدثه تلك المشاركة من لبسٍ وبلبلة في الفهم العام، بما قد تُفَسَّر به من اعترافٍ من علي (ع) بما وقع بعد وفاة النبي (ص)، وبما قد يحمل بعض الجاهلين على التشكيك فيما هو بديهي لم يعترضه الريب منذ اليوم الأول في كونه الأولى بالخلافة وصاحب الحق الثابت فيها بالنص وبالصفات.

وإذا كان أمير المؤمنين (ع) قد أراد بقبوله الدخول في الشورى إعلام الأمة باعتراف خصومه بأهليته للخلافة، بعد أن كانوا يرفضون الإقرار بتلك الأهلية من قبل ـ كما هو مشروح في موضعه بإسهاب ـ،

(١) عيون أخبار الرضا: ٢٧٨.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٧٩ والمناقب: ٢/ ٤١٥.

فإن الإمام الرضا (ع) بقبوله هذا قد أثبت اعتراف خصومه بأهليته لإمامة الدين وولاية الأمر، وحملهم بسبب ذلك على إعلان هذه الحقيقة على رؤوس الأشهاد وفي جميع الأصقاع الإسلامية.

وعندما نقف على ما تقدم ونمعن النظر جلياً فيه، نجد أن المستشرق دونالدسن قد خفي عليه الهدف المذكور فابتعد عن الصواب كثيراً عندما فهم من قبول الإمام الرضا بولاية العهد ما يفيد «التنازل عن سياسة الأئمة الثلاثة الذين سبقوه» بدعوى «إن الإمام لا يتمكن من قبول ولاية العهد دون أن يتورط في السياسة»[(١)].

وإذا اتضحت لنا بما سلف بيانه دوافع الإمام الرضا (ع) الخفية للرضوخ والقبول بما عُرِض عليه، فإن دوافع المأمون إلى هذا التنازل وأسباب اختياره لهذا العلوي بالذات لم تكن بتلك الدرجة من الغموض والخفاء.

والذي سبر تاريخ المأمون ووقف على ظرفه الخاص يعلم أنه ليس من تلك الأسباب ما نُسِب إليه من حبٍّ لأهل البيت وتشيع للعترة النبوية، وإن جاز أن نفترض لذلك جذراً في أعماق نفسه وخلايا فكره، وربما حملته المصلحة السياسية والنظرة الاعتقادية الاعتزالية على التظاهر بذلك الحب والولاء علناً، وعلى التفوه به كثيراً أمام الجميع، بل ربما بلغت به الحاجة إلى هذا التظاهر حدَّ ما روي من أنه «كتب إلى الآفاق: بأن علي بن أبي طالب أفضل الخلق بعد رسول الله (ص)، وأنْ لا يُذكر معاوية بخير، ومن ذكره بخيرٍ أُبيح دمه وماله»[(٢)]، وإلى حدِّ قيامه بإدارة حوار مسهب مع من جمعهم من الفقهاء والقضاة في إثبات أفضلية

---

(١) عقيدة الشيعة: ١٧٢.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٦٦ والنجوم الزاهرة: ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٣.

علي (ع) على جميع الصحابة (يراجع نصُّ المحاورة في ملحق هذا الكتاب).

كما أنه لم يكن من الدوافع في أرجح الظن ما زعمه المأمون أمام الحسن والفضل ابني سهل ـ لإقناعهما وإسكاتهما ـ من اشتغال ذمته بما نذره أو عاهد الله عليه إن ظفر بأخيه أن يسلِّم الخلافة إلى من هو أهل لها، ولم يكن يومذاك في رأيه من هو أفضل وأولى بها من علي بن موسى الرضا (ع).

والحقيقة أن السبب الوحيد الفريد لهذا الإجراء المفاجىء المثير إنما هو الحرص على بقاء الحكم بيده، والحفاظ على الاستئثار بالخلافة له ولآله، من دون أن تتداخل معه أية نظرة موضوعية إلى اختيار الأفضل وانتقاء الأمثل، أو يشاركه أي اعتقاد بتحديد صاحب الحق الشرعي في هذا المركز وتشخيص الأجدر والأحرى به.

ولو ألقينا نظرة معمَّقة على خارطة الوطن الإسلامي بحواضره الكبرى وأقاليمه المهمة لرأينا الثورات والانتفاضات في تلك الحقبة من التاريخ قد شملت معظم تلك الأنحاء، وأن قادة تلك الحركات أو رموزها البارزين كانوا من العلويين، وأن تجاوب الناس معهم كان جيداً في عموم تلك الجهات بل شديداً جداً في بعض الأطراف منها، وأن الدولة غير قادرة بجيشها المتفرق وخليفتها القابع في أقصى الشرق في خراسان أن تدير المعركة على جميع الجبهات، وأن تضمن الفوز والانتصار في معاركها العسكرية في كل تلك الأماكن.

فإذا ذهبنا إلى الكوفة ـ وهي أقرب الحواضر إلى عاصمة الخلافة بغداد ـ شاهدنا محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد خرج فيها في سنة ١٩٩هـ داعياً إلى

الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة، «وهو الذي يقال له ابن طباطبا. وكان القيِّم بأمره في الحرب وتدبيرها وقيادة جيوشه أبو السرايا واسمه السَّريُّ بن منصور... قال بعضهم: كان خروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال البلدان... وتوجيه ذلك إلى الحسن بن سهل، فلما فعل ذلك تحدَّث الناس بالعراق بينهم إن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون... وأنه يُبْرِم الأمور على هواه... فغضب لذلك بالعراق مَنْ كان بها من بني هاشم ووجوه الناس، وأنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون، واجترأوا على الحسن بن سهل بذلك، وهاجت الفتن في الأمصار. فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا الذي ذكرتُ»[(١)].

«وأقام محمد بن إبراهيم بالكوفة، وأتاه الناس من نواحي الكوفة والأعراب وغيرهم»، وتمّ له الاستيلاء على الكوفة وما والاها، فأرسل الحسن بن سهل من بغداد جيشاً قوامه عشرة آلاف بين فارس وراجل بقيادة زهير بن المسيب، فالتحم الطرفان في معركة ضارية أسفرت عن هزيمة زهير وجيشه واستباحة عسكره وغنيمة ما كان معه من مال وسلاح ودواب وغير ذلك[(٢)].

ثم تم الاستيلاء إثر معارك أخرى على المدائن وديالى وأطراف البصرة ووساط، «وانتشر الطالبيون في البلاد، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة»[(٣)].

وإذا انتقلنا من الكوفة إلى البصرة والأهواز رأينا هناك زيد بن

(١) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٧٣ ـ ١٧٤.
(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٢٩ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٣) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٧٥.

موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومعه جماعة من أهل بيته، وقد خرج على الحكومة المركزية، وهو المعروف بزيد النار لكثرة ما أحرق من دور بني العباس وأتباعهم بالبصرة[١].

وإذا عرَّجنا على اليمن وجدنا فيها إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بني علي بن أبي طالب ثائراً داعياً إلى الله. ولما سمع والي اليمن من قبل المأمون وهو إسحاق بن موسى بن عيسى، «بإقبال إبراهيم بن موسى العلوي وقربه من صنعاء، خرج منصرفاً عن اليمن» فاستولى إبراهيم على اليمن بلا حرب[٢].

وإذا ألقينا عصا التجوال في مكة المكرمة شاهدنا محمد بن جعفر العلوي خارجاً على المأمون في سنة ١٩٩هـ، وداعياً إلى نفسه، فبايعه أهل الحجاز وتهامة بالخلافة، وكان هذا الرجل فيما وصفه به المؤرخون «شجاعاً عاقلاً فاضلاً»[٣].

ودانت المدينة المنورة لمحمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان قد دخلها بدون قتال[٤].

وثار الحسن الهرش في سنة ١٩٨هـ في خراسان حيث يقيم المأمون، وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد، فجبى الأموال وانتهب بعض عوائد الدولة وتغلغل في تلك الأطراف[٥].

(١) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٣٥ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٧٣ ـ ١٧٥.
(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٣٥ ـ ٥٣٦ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٧٧.
(٣) المعارف: ٣٨٩ وتاريخ بغداد: ٢/ ١١٣ ـ ١١٥.
(٤) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٣١ ـ ٥٣٤ ومروج الذهب: ٣/ ٣٤٩.
(٥) البداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٤.

هكذا كان الوضع العام في بلدان الخلافة وأقاليم المسلمين، وهكذا سادت الفوضى وعمَّ الاضطراب وتمزقت وحدة الدولة ووحدة الكلمة أفظع تمزق، وفعلت هذه الانتفاضات فعلها في شتى الأرجاء، ولم يعد بإمكان المأمون أن يظل واقفاً منها موقف المراقب المتفرج وهو يشاهد الكيان كله على أبواب الانفلات والانهيار إذا دامت الحال على هذا المنوال.

ولسنا هنا بصدد بحث دوافع تلك الثورات وأسبابها، ولا بصدد الترجمة للقائمين بها من العلويين، ولا بصدد الخوض في تفاصيل أحداثها ومعاركها كرّاً وفرّاً، فذلك خارج عن نطاق بحثنا هذا ولا نستطيع إجماله في سطور، وقد كفانا المؤرخون الذين عنوا بتاريخ هذه الحقبة مؤونة ذلك ومنهم الطبري في تاريخه: ٨/٥٢٨ ـ ٥٤٠ واليعقوبي في تاريخه: ٣/١٧٢ ـ ١٧٩ وابن قتيبة في المعارف: ٣٨٧ ـ ٣٨٨ والمسعودي في مروج الذهب: ٣/٣٤٨ ـ ٣٥٠ وابن الأثير في الكامل: ٥/١٧٣ ـ ١٧٨ وابن الطقطقي في الفخري: ١٩٥.

إن محل الشاهد في عرض هذه الأحداث على الإجمال بيان كون المأمون على علم بكل ذلك، وعلى علم بأن العلويين هم رموز هذا الزلزال العنيف ومشاعله المضيئة، ولهذا فكَّر وقدَّر في أمهد سبيل للنجاة من هذا المأزق الخطير، فلم يجد أضمن لبلوغ الغاية المتوخاة من تجريد الخصوم من سلاحهم الجاذب للجماهير وهو (الدعوة إلى الرضا من آل محمد)، فعمل مسرحية ولاية العهد لإطفاء الحريق وانقاذ الموقف والاطمئنان إلى سلامة المستقبل، وتظاهر بالحماس الشديد والإخلاص المطلق لهذا الاختيار الذي جاء في كتاب العهد أنه من فرائض الشرع وأحكام الدين، وقد نجح نجاحاً كبيراً بسبب ذلك في القضاء على خصومه ووأد حركاتهم في كل الأنحاء، وأن يهدم كل ما بنوا من كيانات

وتجمعات وحكومات محلية هنا وهناك، واستطاع بهذه الخطة أن يخدع الناس عامة حتى شمل ذلك أقرب الناس إليه من الوزراء والخاصة والحاشية، وأثار حفيظة ذوي قرباه في بغداد إلى حدِّ التنكر لبيعته، وانطلت هذه اللعبة الذكية على الجميع قاطبة باستثناء الإمام الرضا نفسه، بما همس في أذن بعض أصحابه ـ كما تقدم ـ من أن هذا الأمر لا يتم.

وجاء في ما يدعم ما بيَّناه من تحليل دوافع المأمون ما حدَّث به الكليني عن بعض الرواة من استنجاد الخليفة بالإمام الرضا (ع) بعد أن أصبح وليَّ عهده، أن يتدخل لإخماد تلك الانتفاضات القائمة يومذاك، وطلب منه أن يكتب إلى هذه النواحي الثائرة بأن تلقي السلاح وتدخل في الطاعة، فاعتذر الإمام عن تنفيذ هذا الطلب قائلاً: «إنما دخلتُ في هذا الأمر الذي دخلتُ فيه على أن لا آمر ولا أنهى ولا أوَلّي ولا أعزل» إلى آخر ما قال[1].

---

(١) الكافي: ٨/ ١٥١.

وبدأ الإمام الرضا (ع) عهده الجديد في بلاط المأمون عازفاً ـ كما قرر ـ عن ممارسة أي عمل يمت بصلةٍ إلى شؤون الدولة وإدارة الحكم ومسؤولية السلطة، مصراً على ما اشترطه منذ التفاوض معه من السلبية المطلقة وعدم التدخل في القضايا العامة، ومن الابتعاد الكامل عن بؤر السوء ومراكز المد والشد وحلبات اللف والدوران.

وكان الموقف الوحيد منه ـ وقد طفح الكيل وفاض الإناء ـ ما رواه الطبري في حوادث سنة ٢٠٢هـ من قيام الإمام بإخبار المأمون «بما فيه الناس من الفتنة والقتال... وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من الأخبار... وأن أهل بيته والناس (ببغداد) لما رأوا ذلك بايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة. فقال المأمون: إنهم لم يبايعوا له بالخلافة وإنما صيروه أميراً يقوم بأمرهم ـ على ما أخبره به الفضل ـ. فأعلمه أن الفضل قد كذَبه وغشَّه، وأن الحرب قائمة بين إبراهيم والحسن بن سهل، وأن الناس ينقمون عليك مكانه ومكان أخيه ومكاني ومكان بيعتك لي من بعدك. فقال: ومَنْ يعلم هذا من أهل عسكري؟. فقال له: يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وعدة من وجوه أهل العسكر... فسألهم عما أخبره فأبوا أن يخبروه حتى يجعل لهم الأمان من الفضل بن سهل ألاَّ يعرض لهم. فضمن ذلك لهم... فأخبروه بما فيه الناس من الفتن، وبينوا ذلك له، وأخبروه بغضب أهل بيته ومواليه وقواده عليه في

أشياء كثيرة... وإنه إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه... وسألوا المأمون الخروج إلى بغداد في بني هاشم والموالي والقواد، والجندُ لو رأوا عزتك سكنوا إلى ذلك وبخعوا بالطاعة»[١].

وفي نص آخر رواه الآبي: ان الرضا (ع) قال للمأمون: «إن النصح واجب لك والغش لا ينبغي لمؤمن، إن العامة تكره ما فعلتَ بي، وأن الخاصة تكره ما فعلتَ بالفضل بن سهل، فالرأي لك أن تنحينا عنك حتى يصلح أمرك»[٢]. قال الطبري:

«فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد، فلما أمر بذلك علم الفضل بن سهل ببعض ذلك من أمرهم، فتعنتهم حتى ضرب بعضهم بالسياط وحبس بعضاً ونتف لحى بعض. فعاوده علي بن موسى (أي عاود المأمون) في أمرهم وأعلمه ما كان من ضمانه لهم، فأعلمه أنه يداري ما هو فيه»[٣].

ويبدو أن المأمون بعد اقتناعه بما اطلع عليه قد وضع في نفسه خطة التخلص من هاتين العقبتين ـ الفضل بن سهل وعلي بن موسى (ع) ـ خلال هذه الرحلة الطويلة، لتنفتح أمامه أبواب بغداد بلا معارضة أو مجابهة، وكان ينتظر الفرصة السانحة لتنفيذ تلك الخطة والقضاء على كل واحد منهما في الوقت المناسب الذي لا يثير ضجة ولا يبعث على صخب وشغب.

وجاء في رواية الطبري:

إن المأمون لما ارتحل من مرو وأتى سرخس «شد قوم على الفضل بن

(١) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥، وقريب منه في كامل ابن الأثير: ٥/ ١٩١ والفخري: ١٩٤ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

(٢) نثر الدر: ١/ ٣٦٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٤.

سهل وهو في الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات، وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة اثنتين ومائتين. . . وهربوا، فبعث المأمون في طلبهم. . . فجاء بهم العباس بن الهيثم. . . فقالوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله. فأمر بهم فضربت أعناقهم. . . وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط، وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل، وأنه قد صيره مكانه. ووصل الكتاب بذلك إلى الحسن في شهر رمضان»(١).

وبموت الفضل بن سهل والخلاص من تبعة وجوده زالت إحدى العقبتين من طريق المأمون إلى إحراز رضا ذوي الشأن في بغداد، وبقيت العقبة الثانية ـ وهي الأشد خطراً والأكثر أهمية ـ ونعني بها علي بن موسى الرضا (ع) وولاية عهده.

وتحرك ركب المأمون من سرخس متجهاً إلى بغداد، وحدث ياسر الخادم فقال:

«لمَّا كان بيننا وبين طوس سبعة منازل اعتل أبو الحسن الرضا (ع)، فدخلنا طوس وقد اشتدت به العلة، فبقينا بطوس أياماً، فكان المأمون يأتيه في كل يوم مرتين، فلما كان في آخر يومه الذي قُبِض فيه كان ضعيفاً في ذلك اليوم. . . ثم أُغمي عليه وضعف فوقعت الصيحة. . . وجاء المأمون حافياً حاسراً يضرب على رأسه ويقبض على لحيته ويتأسف ويبكي»(٢).

---

(١) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥ وكامل ابن الأثير: ١٩١/٥ ـ ١٩٢. ويراجع في ملابسات قتل الفضل وتفاصيل ذلك: تاريخ اليعقوبي: ١٧٩/٣ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ والكافي: ١/ ٤٩٠ والإرشاد: ٣٣٦ ـ ٣٣٧ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٢٣ والبداية والنهاية: ٢٤٩/١٠ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣ ومآثر الأناقة: ٢١١/١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٣٥١ ـ ٣٥٢ وبحار الأنوار: ٢٩٩/٤٩.

ومع أن الروايات في سبب الوفاة لم تتفق على قول واحد، فإن حديث المؤرخين عن دس السم إليه متكرر في الكتب والمصادر، وقد أورده عدد غير قليل منهم على نحو الجزم واليقين[١]، ورواه آخرون مترددين مستعملين فيه كلمة (قيل) أو (يقال)[٢]، وأُثِر عن أبي عبد الله الحاكم وابن حجر العسقلاني أنهما اختارا عبارة (استشهد علي بن موسى)[٣] عند ذكر وفاته، ولا بد أنهما عنيا بالشهادة القتل بالسم.

وقال أبو الفرج الأصبهاني:

«اختُلِف في أمر وفاته وكيف كان سبب السم الذي سُقِيَه، فذكر محمد بن علي بن حمزة أن منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبد الله بن بشير أن المأمون أمره أن يطوّل أظفاره ففعل، ثم أخرج له شيئاً يشبه التمر الهندي وقال له: افركه واعجنه بيديك جميعاً، ففعل. ثم دخل على الرضا فقال له: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً. فقال له: هل جاءك أحد من المترفقين اليوم؟ قال: لا. فغضب وصاح على غلمانه، وقال له: فخذ ماء الرمان اليوم فإنه مما لا يستغنى عنه. ثم دعا برمان فأعطاه عبد الله بن بشير وقال له: اعصر ماءه بيدك، ففعل وسقاه المأمون الرضا بيده فشربه، فكان ذلك سبب وفاته، ولم يلبث إلا يومين حتى مات».

---

(١) مروج الذهب: ٣/٣٢٨ وعيون أخبار الرضا: ١٤ و٢٩٨ و٣٥١ والأنساب: ٦/١٣٩ والفخري: ١٩٣ ـ ١٩٤ وتهذيب التهذيب: ٧/٣٨٨ وبحار الأنوار: ٤٩/١٤٣ و٣٠٤ و٩٨/١٩٨ وكشف الظنون: ١/٥٩١ وينابيع المودة: ٣٨٥.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ١٨٠ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٢ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٩٣ وتذكرة الخواص: ٣٦٤ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٩٣ ومرآة الجنان: ٢/ ١٢ ومآثر الأناقة: ١/ ٢١١ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وشذرات الذهب: ٢/ ٦.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٩٣ وتهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٧.

ثم روى أبو الفرج عن محمد بن علي بن حمزة أيضاً أنه سمع محمد بن الجهم يقول: «إن الرضا كان يعجبه العنب، فأُخِذ له عنب وجُعِل في موضع أقماعه الأبر. . .، فأكل منه في علته فقتله، وذكر أن ذلك من لطيف السموم»[١].

وأضاف أبو الفرج إلى ما تقدم قائلاً: «ولما توفي الرضا لم يُظهر المأمون موته في وقته. . . ثم وجه إلى محمد بن جعفر بن محمد وجماعة من آل أبي طالب، فلما أحضرهم أراهم إياه صحيح الجسد لا أثر به، ثم بكى وقال: عز علي يا أخي أن أراك في هذه الحالة، وقد كنت أؤمل أن أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد. وأظهر جزعاً شديداً وحزناً كثيراً»[٢].

والحق إن اتهام المأمون بدس السم للإمام قوي القرائن وافر الرجحان، ولما كتب المأمون بعد وفاة الإمام الرضا إلى عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ـ وكان قد توارى في تلك الأيام ـ، «يعطيه الأمان ويضمن له أن يوليه العهد بعده كما فعل بعلي بن موسى»، كان مما أجابه به عبد الله:

«وصل كتابك وفهمتُه، تختلني فيه عن نفسي خَتْل القانص، وتحتال عليَّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي. وعجبت من بَذْلك العهد وولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أي شيء ظننت أني أرغب من ذلك؟ أفي الملك الذي قد غرتك نضرته وحلاوته؟. . . أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا ـ إلى آخر الكتاب»[٣].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٦٦ ـ ٥٦٧، ومثله في الإرشاد: ٣٣٨ ـ ٣٣٩ والمناقب: ٢/ ٣٢٢، وبتفصيل أكثر في إثبات الوصية: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٦٧، ومثله في الإرشاد: ٣٣٩.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٦٣٠.

وقال المجلسي بعد ذكر اختلاف الرواة والمؤرخين في أن الإمام هل مات حتف أنفه أو مضى شهيداً بالسم:

«الأشهر بيننا أنه (ع) مضى شهيداً بسم المأمون، ويُنسَب إلى السيد علي بن طاووس أنه أنكر ذلك، وكذا أنكره الإربلي في كشف الغمة»، وقال الإربلي: «بلغني ممن أثق به أن السيد رضي الدين علي بن طاووس ـ رحمه الله ـ كان لا يوافق على أن المأمون سقى علياً (ع) السم، ولا يعتقده، وكان كثير المطالعة والتنقيب والتفتيش على مثل ذلك»، ثم قال الإربلي: «والذي كان يظهر من المأمون من حنوه عليه وميله إليه... مما يؤيد ذلك ويقرره. وقد ذكر المفيد ـ رحمه الله ـ شيئاً ما يقبله عقلي ولعلي واهم؛ وهو أن الإمام (ع) كان يعيب ابنَيْ سهل ويقبح ذكرهما، إلى غير ذلك. وما كان أشغله بأمور دينه وآخرته واشتغاله بالله عن مثل ذلك... والله تعالى أعلم بحال الجميع وإليه المصير، وعند الله يجتمع الخصوم».

ثم قال المجلسي في رد هذه الملاحظات:

«ولا يخفى وَهَنَه، إذ الوقيعة في بني سهل لم يكن للدنيا حتى يمنعه عنه الاشتغال بعبادة الله تعالى، بل كان ذلك لما وجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع الظلم عن المسلمين مهما أمكن. وكون خلافة المأمون فاسدة أيضاً لا يمنع منه، كما لم يمنع بطلان خلافة المتقدمين إرشاد أمير المؤمنين إياهم لمصالح المسلمين في الغزوات وغيرها».

وعلق المجلسي على ما كان يتظاهر به المأمون من حب الإمام واحترامه فقال: إنه «كان أول أمره مبنياً على الحيلة والخديعة، لإطفاء نائرة الفتن الحادثة من خروج الأشراف والسادة من العلويين في الأطراف، فلما استقر أمره أظهر كيده. فالحق ما اختاره الصدوق والمفيد

وغيرهما من أجلة أصحابنا أنه مضى (ع) شهيداً بسم المأمون»[١].

ونستطيع أن نعد من جملة القرائن القوية المؤيدة لموضوع السم ما ترشدنا إليه الظروف الموضوعية المحيطة بالمأمون، وهو في طريقه إلى العراق لإخضاعه وإعادة الهيمنة على ما انفصل عنه وخرج عليه من حواضر وأقاليم وفي طليعتها عاصمة الخلافة بغداد.

كما أن من أوضح القرائن المؤيدة لذلك ما رواه المؤرخون من مبادرة المأمون إثر وفاة الإمام إلى الكتابة إلى أهل بغداد ومن فيها من بني العباس والموالي، يعلمهم موت علي بن موسى، ويسألهم الدخول في طاعته بعد أن زال ما نقموا عليه من ولاية عهد هذا الرجل الذي مات[٢]، ويعدهم أن يجعل الأمر من بعده في بني العباس[٣].

وعلى كل حال ومهما كان الأمر، فقد حُمَّ القضاء وحان الأجل، ورفع الله روح وليه الرضي الزكي المنتجب إلى جنانه العليا ودار كرامته الخالدة، وكان ذلك في الأرجح في شهر صفر وفي آخر يوم منه على وجه التحديد[٤]، ....

(١) بحار الأنوار ٤٩/ ٣١١ ـ ٣١٣.

(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٨ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٩٣ والفخري: ١٩٤ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٢٣ ـ ٢٤ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٩ وتاريخ الخلفاء: ٢٠٥.

(٣) النجوم الزاهرة: ٢/ ١٧٣.

(٤) تاريخ خليفة: ٢/ ٧٦٦ وفتوح ابن أعثم: ٨/ ٣٢٣ وتاريخ الطبري: ٨/ ٥٦٨ ومروج الذهب: ٣/ ٣٥٠ وإثبات الوصية: ١٨٠ والكافي: ١/ ٤٨٦ والإرشاد: ٣٢٥ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٩٣ وكفاية الطالب: ٣١٠ ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٣٢ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٩٠ ـ ٣٩١ والعبر: ١/ ٢٦٦ والبداية والنهاية: ١٠/ ٢٤٩ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ٢٣ ومرآة الجنان: ٢/ ١٢ والفصول المهمة: ٢٤٦ وتهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٧ و٣٨٨ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٣ و٢٩٢ و٢٩٣ و٩٨/ ١٩٨ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨ ونور الأبصار: ١٤٧ وعمدة الزائر: ٣١١.

وإن رُوِي غير ذلك وبأقوال شتى في بعض الكتب[١]، ولكنها روايات لا ترقى إلى مستوى ما ذكرناه ورجحناه.

وذهب الأكثر من مؤرخي الإمام إلى أن وفاته كانت في سنة ثلاث ومائتين[٢]، وهذا هو الثابت الصحيح، وقيل: في سنة اثنتين ومائتين[٣] ....

(١) كوفاته في سابع صفر (عمدة الزائر: ٣١١) أو في رابع عشر أو سابع عشر من صفر (بحار الأنوار: ٤٩/٢٩٣ وعمدة الزائر: ٣١١) أو في غرة شهر رمضان (بحار الأنوار وعمدة الزائر) أو في تسع أو سبع بقين من رمضان أو لليال منه (عيون أخبار الرضا: ١٣ و٣٥٥ وسير أعلام النبلاء: ٩/٣٩٣ وتهذيب التهذيب: ٧/٣٨٨ وبحار الأنوار: ٤٩/٣ و١٣١ و٢٩٣ و٣٠٤ و٩٨/١٩٨ وعمدة الزائر: ٣١١) أو في الثالث عشر أو العشرين من ذي القعدة (وفيات الأعيان: ٢/٤٣٢ ومرآة الجنان: ٢/١٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وبحار الأنوار: ٤٩/٢٩٣ و٩٨/١٩٨ وعمدة الزائر ٣١١) أو في الخامس من ذي الحجة (وفيات الأعيان: ٢/٤٣٢ ومرآة الجنان: ٢/١٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وينابيع المودة: ٣٨٥) أو في آخر شهر ذي الحجة (إثبات الوصية: ١٨٠ وأنساب السمعاني: ٦/١٣٩).

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٨٠ وتاريخ خليفة: ٢/٧٦٦ وفتوح ابن أعثم: ٨/٣٢٣ وتاريخ الطبري: ٨/٥٦٨ والكافي: ١/٤٨٦ ومروج الذهب: ٣/٣٥٠ وعيون أخبار الرضا: ١٣ و٢٩٨ و٣٥٥ والإرشاد: ٣٢٥ وتهذيب الطوسي: ٦/٨٣ وكامل ابن الأثير: ٥/١٩٣ وكفاية الطالب: ٣١٠ ووفيات الأعيان: ٢/٤٣٢ وتذكرة الخواص: ٣٦٤ ومطالب السؤول: ٢/٧٣ وسير أعلام النبلاء: ٩/٣٨٩ و٣٩٠ و٣٩٣ والعبر: ١/٢٦٦ واللباب: ١/٤٧٠ وأنساب السمعاني: ٦/١٣٩ والبداية والنهاية: ١٠/٢٤٩ و٢٥٠ وتاريخ أبي الفدا: ٢/٢٣ والفصول المهمة: ٢٤٦ ومرآة الجنان: ٢/١١ و١٢ ومآثر الأناقة: ١/٢١١ وتهذيب التهذيب: ٧/٣٨٧ و٣٨٨ والنجوم الزاهرة: ١٧٣٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وتاريخ الخلفاء: ٢٠٥ وشذرات الذهب: ٢/٦ وبحار الأنوار: ٤٩/٢ و٣ و٢٩٢ و٢٩٣ و٣٠٢ و٩٨/١٩٨ وتاريخ الخميس: ٢/٣٣٥ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٨ وينابيع المودة ٣٨٥ ونور الأبصار: ١٤٧ وعمدة الزائر: ٣١١.

(٣) الكافي: ١/٤٩١ وإثبات الوصية: ١٨٠ ووفيات الأعيان: ٢/٤٣٢ ومطالب السؤول: ٢/٧٣ ومرآة الجنان: ٢/١٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٨ وبحار الأنوار: ٤٩/٣ و٢٩٢ و٢٩٣ و٩٨/١٩٨ وعمدة الزائر ٣١١.

أو في السنة الواحدة بعد المائتين[١].

وأظهر المأمون من الفجيعة بموته والحزن والبكاء عليه ما كان يفترضه الظرف ويقتضيه الموقف، «وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى إلى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن فدفنه... في قرية يقال لها: سنا باذ، على دعوة من نوقان بأرض طوس، وفيها قبر هارون الرشيد، وقبر أبي الحسن (ع) بين يديه في قبلته»[٢].

وقبره اليوم في بقعته الطاهرة في مدينة (مشهد) أشهر من أن يذكر، ودأب المسلمون سابقاً ولاحقاً على شد الرحال من أطراف الأرض إلى هذا المثوى المقدس للزيارة والتبرك واستذكار التاريخ، وكان أبو بكر بن خزيمة إمام أهل الحديث في عصره وغيرُه من أئمة الحديث ومشايخ الرواية، يزورون هذا الضريح الكريم في جملة زائريه، تعظيماً للمدفون فيه، وتقرباً إلى الله تعالى في التضرع والتوسل والابتهال[٣].

❁ ❁ ❁

وعصفت الشجون وطفحت العواطف في نفوس شعراء ذلك العصر، فتباروا في تأبين الإمام، وكان في مقدمة أولئك المؤبنين المفجوعين الشاعر دعبل الخزاعي الذي رثاه بشعر كثير تناقله الرواة وتداولوه[٤]، ومنه قصيدته التي قال فيها:

---

(١) عمدة الزائر: ٣١١.

(٢) الإرشاد: ٣٣٩، ويراجع في (سناباذ) معجم البلدان: ٥/ ١٤٠.

(٣) تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٨.

(٤) يراجع في مراثي دعبل للإمام: المناقب: ٢/ ٤٢٤ و٤٢٥ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٣١٤ ـ ٣١٦ وشعر دعبل (جمع الأشتر): ٢٤٢ ـ ٢٤٣ و٢٥٧ و٢٦١ ـ ٢٦٤ و٢٧٢ وديوان دعبل (جمع نجم): ٥٦ وديوان دعبل (جمع الدجيلي): ١٠٨ ـ ١٠٩ و٩٩ و١٠١.

أرى أمـيـة مـعـذوريـن إن قـتـلـوا
ولا أرى لـبـنـي الـعـبـاس مـن عُـذُرِ
أولاد حـرب ومـروان وأسـرتـهـم
بـنـو مـعـيـطٍ ولاة الـحـقـد والـوغـر
قـوم قـتـلـتـم عـلـى الإسـلام أولـهـم
حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
اربَـعْ بـطـوس عـلـى قـبـر الـزكـي بـهـا
إن كـنـت تـربـع مـن ديـن عـلـى وطـر
قـبـران فـي طـوس: خـيـر الـنـاس كـلـهـم
وقـبـر شـرهـم، هـذا مـن الـعـبـر
مـا يـنـفـع الـرجـس مـن قـرب الـزكـي ومـا
عـلـى الـزكـي بـقـرب الـرجـس مـن ضـرر
هـيـهـات كـل امـرئ رهـن بـمـا كـسـبـت
لـه يـداه فـخـذ مـا شـئـت أو فـذرِ(١)

وحدث أبو الفرج الأصبهاني قال: «أنشدني علي بن سليمان الأخفش لدعبل بن علي الخزاعي يذكر الرضا والسم الذي سُقِيَه، ويرثي ابناً له، وينعى على الخلفاء من بني العباس:

على الكره ما فارقتُ أحمد وانطوى — عـلـيـه بـنـاء جـنـدلٌ ورزيـنُ
وأسكنته بيتاً خسيساً متاعه — وإني على رغمي به لضنين
ولولا التأسي بالنبي وأهله — لأسبل من عيني عليه شؤون

(١) عيون أخبار الرضا: ٣٥٩ ـ ٣٦٠ وبحار الأنوار: ٣١٨/٤٩ وشعر دعبل (جمع الأشتر): ١١١ ـ ١١٣. ووردت الأبيات الأربعة الأخيرة من القصيدة في المناقب: ٤١١/٢ ومعجم البلدان: ٧٢/٦ وديوان دعبل (جمع نجم): ١٧٩ وديوان دعبل (جمع الدجيلي): ١٠٥ ـ ١٠٦.

هـو الـنـفـس إلا أن آل مـحـمـدٍ ... لهم دون نفسي في الفؤاد كمين
أضرَّ بهم إرثُ النبي فأصبحوا ... يساهم فيه ميتة ومنون
دعتهم ذئاب من أمية وانتحت ... عليهم دراكاً أزمة وسنون
وعاشت بنو العباس في الدين عيشةً ... تحكم فيه ظالم وظنينُ
وسموا رشيداً ليس فيهم لرشده ... وهاذاك مأمون وذاك أمين
فما قبلت بالرشد منهم رعاية ... ولا لوليّ بالأمانة دين
رشيدهم غاو وطفلاه بعده ... لهذا رزايا، دون ذاك مجون
ألا أيها القبر الغريب محله ... بطوس عليك الساريات هتون
شككتُ فما أدري أمسقى بشربة ... فأبكيك أم ريب الردى فيهون
وأيهما ما قلت إن قلت شربة ... وإن قلت موت انه لقمين
أيا عجباً منهم يسمونك الرضا ... ويلقاك منهم كلحة وغضون
أتعجب للأجلاف أن يتحيفوا ... معالم دين الله وهو مبين
لقد سبقت فيهم بفضلك آية ... لديَّ ولكن ما هناك يقين(١)

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٧٠ ـ ٥٧١ وشعر دعبل (جمع الأشتر): ١٩١ ـ ١٩٣ وديوان دعبل (جمع الدجيلي): ١١٣ وديوان دعبل (جمع نجم): ١٥١ ـ ١٥٢. ووردت الأبيات ١١ و١٢ و١٤ في المناقب: ٢/ ٤٢٥ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٣١٥.
ويراجع في مراثي الشعراء الآخرين: عيون أخبار الرضا: ٣٥٩ والمناقب: ٢/ ٤١١ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٣١٧.

تُرَاثُ الإمَامَة

كان تراث الإمامة المأثور عن الإمام الرضا (ع) شامخاً كشموخ أصله الثابت الممتد الفروع عبر شواهق أسلافه الأصفياء الميامين، وعظيماً كعظمة مصدره الرفيع الأسمى الذي نزل به الروح الأمين، وجامعاً بحكم ذلك كله بين وحي السماء الذي تلقاه أهل البيت عن جدهم الأكرم (ص) وعطاء الإلهام والإشراق الروحي الذي منَّ الله تعالى به على هذه النخبة المختارة من بني البشر، لتكون على مستوى التأهيل والإعداد للقيادة والريادة في جميع ميادين المعرفة الإنسانية، فكراً وثقافة وتوجيهاً وتعليماً، وفي مختلف مجالات البناء الراسخ السليم للفرد والمجتمع بما يضمن استمرار نهوضهما واطراد تطورهما إلى الأمام وعلى الدوام.

وليس عجيباً أن يكون ذلك المأثور الرضوي بهذه الدرجة من المكانة والأهمية، وبتلك المثابة من علو الشأن وسمو المقام، بعد أن سمع المسلمون من نبيهم الأعظم (ص) إشادته بعلم علي (ع) وقضائه وفقهه، وشهادته بكونه أقضى الصحب وأعلمهم وأفقههم[1]، ومقولته

---

(١) مسند أحمد ٢٦/٥ وحلية الأولياء: ٦٦/١ والاستيعاب: ٣٦/٣ و٣٨ والرياض النضرة: ٢٠٤/٣ ومجمع الزوائد: ١٠١/٩ و١١٤.

المعروفة المشهورة: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[١]، وبعد أن روى لهم الرواة في الحديث الصحيح ـ كما يقول الترمذي ـ: إن النبي (ص) قام في أصحابه يوماً خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرهم به، وقد «حفظه مَنْ حفظه ونسيه مَنْ نسيه!!!» كما ينص المحدثون[٢]، وكان عليّ (ع) ممن حفظ تلك المغيَّبات ودوَّنها في جلد جَفْرٍ ـ كعادة من يكتب في تلك الأيام قبل عصر صناعة الورق ـ، ثم اشتهرت هذه المدونات على ألسن المحدثين والمؤرخين باسم (الجفر) أو (الجامعة)[٣]، وكان ذلك جزءاً من علم الأئمة الموروث بالغيب الذي يجهله الناس، مما يتداولون روايته ومناقلته فيما بينهم، خلفاً عن سلف وتالياً عن سابق.

وأجمعت كلمة مؤرخي الإمام الرضا (ع) وكتّاب سيرته على أنه استقى علومه ونهل معارفه من معين علم أبيه الإمام الكاظم (ع)[٤]، الذي اتفقت شهادات المعنيين من جميع الطوائف على كونه «الإمام القدوة» «من أئمة المسلمين»[٥]، وعلى كونه مجمع علم آل محمد الذين خصَّهم الله بكرائم خاصَّته، وأتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين.

---

(١) الاستيعاب: ٣/٣٨ وتاريخ بغداد: ٢/٣٧٧ و٤/٣٤٨ وأسد الغابة: ٤/ ٢٢ والرياض النضرة: ٣/ ٢٠٤.

(٢) صحيح البخاري: ٤/١٢٩ وسنن أبي داوود: ٢/ ٤١٠ وسنن الترمذي: ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ومسند أحمد: ٤/ ٢٥٤ و٥/ ٣٨٥ و٣٨٩ و٤٠١.

(٣) يراجع في الجفر والجامعة وما يتعلق بهما: كتابنا الإمام جعفر الصادق: ٧٩٩ ـ ٨٠٠ المجلد السابق من هذه الموسوعة.

(٤) اللباب: ١/ ٤٧٠ والعبر: ١/ ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٨٧ والبداية والنهاية: ١/ ٢٥٠ وتهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٧ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١٧٤.

(٥) منهاج السنة: ٢/ ٢٤ و١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤.

ويكفينا في معرفة مقام الإمام الرضا (ع) في العلم والفضل أن نستعيد في الذاكرة ما تقدم نقله من شهادات الحفاظ واعترافات الأعلام بأنه «كان من العلم والدين والسؤدد بمكان» وأنه الذي «أفتى وهو شاب في أيام مالك»، وأنه «كان يفتي بمسجد رسول الله (ص) وهو ابن نيف وعشرين سنة»[١].

وقد اشتهر ذلك عنه وشاع خبره في أوساط علماء الفقه ورجال الحديث لا في المدينة المنورة وحدها، بل في جميع مراكز العلم والحديث في العالم الإسلامي، وروى الحافظ ابن حجر الهيتمي عن كتاب تاريخ نيسابور: أن الإمام الرضا (ع) لما وصل هذه المدينة في طريقه إلى لقاء المأمون بمرو في سنة ٢٠٠هـ «وشق سوقها، وعليه مظلة لا يُرَى من وراءها، تعرض له الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى، فتضرَّعا إليه أن يريهما وجهه ويروي لهم حديثاً عن آبائه، فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكف المظلة.. فصاحت العلماء: معاشر الناس أنصِتوا، فأنصتوا. واستملى منه الحافظان المذكوران، فقال:

«حدثني أبي موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب (ع) قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله (ص) قال: حدثني جبريل قال: سمعت ربَّ العزة يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي».

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٦١ وسير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ وتهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٧.

«ثم أرخى الستر وسار، فعُدَّ أهلُ المحابر والدُّويِّ الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً»[١].

وقال الشيخ الصدوق والشيخ الندوزي الحنفي بعد إيراد النص المتقدم: «وفي روايةٍ: فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها»[٢].

وحدث الشيخ الشبلنجي قال: «قال أبو القاسم القشيري: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب، وأوصى أن يدفن معه في قبره»[٣].

ويبدو من سياق الروايات التاريخية أن الإمام قد أقام بين أهل الحديث بنيسابور ـ تلبية لطلبهم ـ مدة من الزمن، قبل أن يتابع سفره إلى مرو لملاقاة المأمون، ويروي سبط ابن الجوزي: أنه «لما وصل إلى نيسابور خرج إليه علماؤها مثل يحيى بن أبي يحيى وإسحاق بن راهويه ومحمد بن رافع وأحمد بن حرب وغيرهم، لطلب الحديث والرواية والتبرك به، فأقام بنيسابور مدة»[٤].

وروى الصدوق والآبي من أخبار الإمام في نيسابور: أنه «غدا في طلبه علماء البلد: أحمد بن حنبل ويس بن النضر ويحيى بن أبي يحيى وعدة من أهل العلم... فقالوا له: بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٢. وورد ذلك أيضاً في الفصول المهمة: ٢٣٦ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١٢٠ ـ ١٢١ و١٢٣ وينابيع المودة: ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ونور الأبصار: ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٧٥ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١٢٣ وينابيع المودة: ٣٦٤.

(٣) نور الأبصار: ١٤٢.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٦١.

سمعتَه من أبيك فقال: حدثني أبي... قال: حدثني أبي... قال: حدثني أبي... قال: حدثني أبي... قال: حدثني أبي... قال: سمعت أبي... قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»(١).

وعلى الرغم من كل ما تقدم من كلمات القوم في علم الإمام وإفتائه المسلمين بأحكام الله منذ إبان شبابه في مسجد جده الأعظم (ص)، ومن تلهف الرواة وإقبال المشايخ والحفاظ في نيسابور على سماع حديث الإمام والرواية عنه، فقد طالعنا ابن تيمية بما لا نستطيع وصفه بأقل من كونه الغريب العجيب المثير لأكثر من علامة استفهام، فزعم أن الرضا «لم يأخذ عنه أحدٌ من أهل العلم والحديث شيئاً»(٢).

ومع أن الذهبي لم يكن بتلك الدرجة من إنكار بديهيات التاريخ ووقائعه المسلَّمة، فاعترف بوجود من أخذ العلم والحديث عن الإمام، غير أنه وصف أولئك الرواة بالضعفاء، مع أن فيهم ـ فيما ذكر الحفاظ ـ رجالاً أمثال آدم بن أبي إياسي ومحمد بن رافع القشيري ونصر بن علي الجهضمي، ممن كانوا يعدون «من أئمة الحديث»(٣).

ومما يكشف وهم هذه المزاعم وزيفها إضافة لما سبق: ما رواه الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى قال: «خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله

(١) عيون أخبار الرضا: ١٢٥ ونثر الدر: ١/ ٣٦٢ وبحار الأنوار: ١٠/ ٣٦٧ وينابيع المودة: ٣٦٤.
(٢) منهاج السنة: ٢/ ١٢٥.
(٣) سير أعلام النبلاء: ٩/ ٣٨٨ وتهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٧.

أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا... إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا»(١).

وعلى كل حال، وأياً ما كانت دوافع هذه الأقاويل، فإنها لا تصمد أمام الحقائق الثابتة، ولا تقف بوجه ما أسلفنا روايته في الفصل السابق من شهادات أهل العلم والفضيلة، وفي مقدمتها اعتراف الخليفة نفسه بكون علي بن موسى أفضل الناس في ذلك الحين وأولاهم بالولاية من بعده، وكذلك إقرار الجميع بأنه كان مرجع المسلمين ـ منذ العشرينيات من عمره ـ في مسائل الدين وأحكام الشريعة.

ولن نحتاج إلى أكثر من اعتراف الخليفة وإقرار المسلمين دليلاً ناصعاً على عظمة مقام هذا الإمام، وبرهاناً واضحاً على عظمة تراثه الذي تلقفه أهل العلم وطلاب المعرفة ومرتادو الحقيقة المصفاة من الشوائب، فكان زادهم الهنيء وشرابهم الرويَّ ودليلهم الهادي الأمين، على مر الأيام وكرِّ السنين.

❀ ❀ ❀

ويعلم الباحثون والمعنيون كافة أن تراث الإمامة المروي عن الإمام الرضا (ع) قد شمل أكثر من جانب من جوانب الفكر الإسلامي، وغطى مساحة واسعة من شؤون المعرفة الإنسانية، وعُني بالإجابة عما كان يثير اهتمام السائلين ويدور في أذهان المتعلمين(٢)، وقد بلغ في الكثرة

---

(١) تهذيب التهذيب: ٧/ ٣٨٨.

(٢) ولم يكن ذلك كله مشافهة وسماعاً منه (ع) كما هو المتداول المألوف في تلك العصور، بل ورد أن السائلين في أطراف العالم الإسلامي ربما كانوا يرسلون له الأسئلة مكتوبة فيجيب عليها كتابة بخطه. ويراجع في أمثلة ذلك: الكافي: ٣/ ٥ =

والوفرة الحدَّ الذي تعجز هذه الصفحات المحدودة لبحثنا الماثل عن استيعابه أو الإلمام بكل أطرافه كما يقتضي الشرح والتفصيل، ولذلك سيكون دورنا هنا مقتصراً على الإشارة إلى ملتقطات من ذلك المأثور، والاكتفاء بشواهد منه للدلالة والبيان، لبداهة كون الذهب المستخرج من أحد الكنوز ـ وإن قلَّت كميته ـ حاكياً لما يضم ذلك الكنز من الجوهر في أعماقه بحكم توحد الجميع في النوع والذات والصفات.

ولسنا بحاجة في هذا السياق إلى استعراض ما روي عنه من تكريم مقام العقل ووجوب استعماله وإعماله في مجموع التصرفات الفردية والعمومية، مريداً به العقل الباعث على حسن التفكير وسلامة التدبير وجودة التدقيق في حساب الأضرار والمنافع للدنيا والآخرة، وليس العقل المقابل للجنون كما قد يتصور بعض البسطاء والساذجين، ولذلك يقابل (ع) العقل بالجهل، ويعد الجهل هو العدوَّ الأكبر للإنسان، ويقول في هذا المعنى: «صديق كل امرىء عقله وعدوُّه جهله»[1]، ويقول أيضاً وقد ذُكِر عنده العقل: «لا يُعْبَأ بأهل الدين ممن لا عقل له... إن الله خلق العقل فقال له.. وعزتي وجلالي، ما خلقتُ شيئاً أحسن منك ـ أو: أحبَّ إليَّ منك ـ، بك أؤاخذ وبك أُعطي»[2].

كما أننا لسنا بحاجة إلى تدوين ما روي عنه في قبح الجهل، وفضل العلم، والحثِّ على التعلم وعلى طلب المعرفة، والتشجيع على عدم التورع من السؤال لغرض الوصول إلى الحقيقة، وقد حدث

= و٢٨٢ و٤٠٧ و٤٥٤ و٤٦٥ و٥٤١ و٨/ ٢٤٧ وعيون أخبار الرضا: ٢٤٠ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٦٨ و٢٦٩ و٢٧٢.

(١) الكافي: ١/ ١١ وعيون أخبار الرضا: ١٤٣ و١٩٤ وتحف العقول: ٣٣٠.

(٢) الكافي: ١/ ٢٨.

المسلمين في الحض على ذلك بحديث جده الأعظم فقال: «قال رسول الله (ص): «العلم خزائن، ومفاتيحها السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنه يُؤجَر فيه أربعة:

السائل، والمعلِّم، والمستمع، والمحب لهم»»(١).

ولما كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى وأساس علوم الدين، ومصدر أصول العقيدة وأحكام الشرع، حثَّ الإمام (ع) على قراءة القرآن والتدبر فيه، والإمعان في معانيه ومبانيه، وقال في خلال حديثه عن كتاب الله الخالد:

«هو حبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدي إلى الجنة والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغثُّ على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جُعِل دليل البرهان، والحجة على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»(٢).

وكما أراد من المسلمين الارتفاع عن مستوى القراءة السطحية لألفاظ القرآن المجيد إلى درجة الفهم والإدراك لأفكاره ومطالبه، لأنه «دليل البرهان والحجة على كل إنسان»، ليزدادوا بهذا التدبر والتفكر إيماناً بربهم وتمسكاً بدينهم، فإنه أراد منهم أن يجعلوا عباداتهم التي يتقربون بها إلى الله تعالى على هذا المستوى أيضاً، في مصاحبتها للوعي والتعمق وحسن الخلق وصفاء النفس واستقامة السلوك مع الناس، حتى جاء في رواية معمر بن خلاد عنه أنه سمعه يقول: «ليس العبادة كثرة

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١٩٧ ـ ١٩٨ وبحار الأنوار: ١٠/٣٦٨.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٧١.

الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكر في أمر الله عز وجل»[١]، وجاء في رواية محمد بن عبيدالله: أنه سمع الرضا (ع) يقول: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً»[٢].

ولذلك لم يكن ينظر إلى الزهد المتطرف الذي يتداوله المتصوفة ويشيعونه بين الناس تلك النظرة الساذجة المعنيَّة بالشكل والصورة والمظهر، والقائمة على محاربة ما أحلَّ الله من ملذات الحياة وطيباتها باسم الورع والتقوى، لأن الإسلام قد أراد من الورع والزهد العناية بتربية النفس والعقل وتنمية الدوافع والروادع المنبعثة من أعماق الضمير والوجدان، وليس الحرمان من لذائذ الدنيا المحللة ومباحاتها المحببة.

ويروي الرواة: أنه «دخل عليه بخراسان قوم من الصوفية فقالوا له: إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولاّه الله من الأمر فرآكم أهل البيت أَولى الناس بأن تؤمُّوا الناس، ونظر فيك من أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس، فرأى أن يرد هذا الأمر إليك. والإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض».

قال الراوي: «وكان الرضا (ع) متكئاً فاستوى جالساً ثم قال: كان يوسف نبياً يلبس أقبية الديباج المزرَّرة بالذهب، ويجلس على متَّكآت آل فرعون. ويحكم! إنما يراد من الإمام قسطه وعدله، إذا قال صدق، وإذا حكم عدل، وإذا وعد أنجز. إن الله تعالى لم يحرم لبوساً ولا مطعماً،

---

(١) الكافي: ٢/ ٥٥ وتحف العقول: ٣٣٠.

(٢) الكافي: ٢/ ١١١.

وتلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾» [الأعراف: ٣٢][1].

❀ ❀ ❀

وعندما نريد الاستزادة والإفاضة في استعراض ذلك التراث الرضوي الخالد، ونغوص بوعي وتدبر في أعماقه، للوقوف على ما أودع الله فيه من كرائم الدرر ونفائس الجواهر، يطالعنا في مقدمة ذلك ما رُوِي عنه في تفسير القرآن الكريم وبيان حقائق معانيه وغوامض مطاويه، وخصوصاً شروح تلك الآيات المرتبطة بمسائل الكلام والفلسفة، مما يخفى المراد منها على كثير من أهل العلم فضلاً عن غيرهم، فيظنون فيها الظنون، ويتخرَّصون في شرحها ما يتوهمون صوابه رجماً بالغيب. ونورد على سبيل التمثيل لذلك بعض الشواهد والنصوص المروية في هذا الموضوع، ليكون القارىء على علم بما حمل ذلك التراث من هدى ورشاد:

روى الحسن بن علي بن فضال قال: «سألتُ الرضا علي بن موسى (ع) عن قول الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيُحْجَب عنه فيه عبادُه، ولكنه يعني أنهم عن ثواب ربهم محجوبون. قال: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؟ فقال: إن الله عز وجل لا يوصف بالمجيء والذهاب ـ تعالى الله عن الانتقال ـ، إنما يعني بذلك: وجاء أمرُ ربك والملكُ صفاً

---

(١) نثر الدر: ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ وشرح نهج البلاغة: ١١/ ٣٤ ـ ٣٥ والفصول المهمة: ٢٣٦ ـ ٢٣٧ وبحار الأنوار: ١٠/ ٣٥١ و٤٩/ ٢٧٦ ونور الأبصار: ١٤٥٢.

صفاً... قال: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] وعن قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وعن قوله عز وجل: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يسخر ولا يستهزىء ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة»[١].

وحضر الإمام يوماً مجلس المأمون «وقد اجتمع فيه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] الآية؟ فقالت العلماء: أراد الله الأمة كلها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟، فقال الرضا (ع): لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة».

فسألته العلماء: «أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أو غير الآل؟ فقال الرضا (ع): هم الآل. فقالت العلماء: فهذا رسول الله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته. فقال الرضا (ع): أخبروني هل تحرم الصدقة على آل محمد؟ قالوا: نعم. قال (ع): فتحرم على الأمة؟، قالوا: لا. قال: هذا فرق بين الآل وبين الأمة»[٢].

وفيما يُعدّ من تمام الحديث عما عُني به الإمام من مسائل الكلام والفلسفة، ومنها التوحيد والرؤية، والجبر والتفويض، والإرادة والمشيئة، نشير إلى كثرة المروي عنه في جميع هذه الجوانب، ونقتطف من ذلك الكثير ـ على سبيل المثال ـ ما دار بين الإمام وبين المحدّث

(١) عيون أخبار الرضا: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٢٦ ـ ١٢٧ وتحف العقول: ٣١٨ ـ ٣١٩.

أبي قرَّة صاحب ابن شُبرمة لما دخل على الرضا (ع) «فسأله عن الحلال والحرام والأحكام، حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرة: إنَّا روينا أنَّ الله قسم الرؤية والكلام بين نبيَّيْن؛ فقسم الكلام لموسى، ولمحمدٍ الرؤية. فقال أبو الحسن (ع): فمن المبلِّغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس أنه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أليس محمد؟، قال: بلى، قال: كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء، ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر؟ أما تستحون؟... أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر»!!.

«قال أبو قرة: فإنه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، فقال أبو الحسن (ع): إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى، حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] فآيات الله غير الله، وقد قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فإذا رأته الأبصار فقد أحطات به العلم ووقعت المعرفة. فقال أبو قرة: فتُكذِّب بالروايات؟، فقال أبو الحسن (ع): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذَّبتُها»[1].

وجاء في جملة محاورات أبي قرة المذكور مع الإمام سؤاله عن قول الله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] فقال أبو الحسن: قد أخبر الله تعالى أنه أسرى به، ثم أخبر

(١) الكافي: ١/٩٦ والاحتجاج: ٢/٣٧٥ ـ ٣٧٦ وبحار الأنوار: ١٠/٣٤٥.

لِمَ أسرى به فقال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، فآيات الله غير الله، فقد أعذر وبيَّن لِمَ فعل به ذلك وما رآه، وقال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦] فأخبر أنها غير الله»(١).

وسأل أبو قرة في بعض ما سأل الإمام عنه فقال: «فما بالكم إذا دعوتم رفعتم أيديكم إلى السماء؟ فقال أبو الحسن (ع): إن الله استعبد خلقه بضروب من العبادة... فاستعبد عباده بالقول والعلم والعمل والتوجُّه ونحو ذلك. استعبدهم بتوجيه الصلاة إلى الكعبة، ووجَّه إليها الحج والعمرة، واستعبد خلقه عند الدعاء والطلب والتضرع ببسط الأيدي ورفعها إلى السماء لحال الاستكانة وعلامة العبودية والتذلل له»(٢).

واستأثرت مسألة الجبر والتفويض ومقالة القائلين في التشبيه والصفات بمجموعة كبيرة من المناقشات والمساجلات بين الإمام الرضا (ع) وسائليه، وروى الكليني بسنده عن الحسن بن علي الوشاء: أنه سأل أبا الحسن الرضا (ع) فقال له: «الله فوَّض الأمر إلى العباد؟ قال: الله أعز من ذلك» فسأله: «فجبرهم على المعاصي؟، قال: الله أعدلُ وأحكم من ذلك»(٣).

وروى الآبي أن الفضل بن سهل سأل الإمام يوماً ـ وهما في مجلس المأمون ـ فقال: «يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر ثم يعذِّب. قال: فمطلقون؟ قال: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه»(٤).

وروى أيضاً فقال: «رُوِي عن بعض أصحابه أنه قال: دخلت عليه

(١) الاحتجاج: ٢/٣٧٦ ـ ٣٧٧ وبحار الأنوار: ١٠/٣٤٥ ـ ٣٤٦.
(٢) الاحتجاج: ٢/٣٧٧ وبحار الأنوار: ١٠/٣٤٦.
(٣) الكافي: ١/١٥٧.
(٤) نثر الدر: ١/٣٦١ والفصول المهمة: ٢٣٣ ونور الأبصار: ١٤٢.

بمرو فقلت له: يا ابن رسول الله، رُوِي لنا عن الصادق (ع) أنه قال: لا جبر ولا تفويض، أمرٌ بين أمرين، فما معناه؟. قال: من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله فوَّض أمر الخلق والرزق إلى خلقه فقد قال بالتفويض. والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك. فقلت: يا ابن رسول الله، فما أمرٌ بين أمرين؟، قال: وجود السبيل إلى إتيان ما أُمِروا به وترك ما نهوا عنه»(١).

وجاء في تتمة هذا الحديث في روايتي الصدوق والطبرسي:

«قلت له: فهل لله مشيئة وإرادة في ذلك؟ فقال: أما الطاعات فإرادة الله تعالى ومشيئته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيئته في المعاصي النهيُ عنها والسخط لها والخذلان عليها. قلتُ: فهل لله عز وجل فيها القضاء؟ قال: نعم، ما من فعلٍ يفعله العباد من خير أو شرٍ إلا ولله تعالى فيه قضاء. قلتُ: ما معنى هذا القضاء؟، قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»(٢).

وروى الطبرسي: أنه ذُكِر عند الإمام الرضا (ع) الجبر والتفويض فقال: «إن الله لم يُطَع بإكراه ولم يُعْصَ بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملَّكهم إياه والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يَحُلْ وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه»(٣).

❀ ❀ ❀

(١) نثر الدر: ١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.
(٢) عيون أخبار الرضا: ٧٠ ـ ٧١ والاحتجاج: ٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.
(٣) الاحتجاج: ٢/ ٣٩٩.

ثم كان للتحدث في موضوع الإمامة وما يتفرع عنها وجود بارز في ذلك التراث، وكان من حق المسلمين المحاورة فيها والسؤال عنها بإلحاف، لكونها إحدى المسائل المهمة الكبرى في الفكر الإسلامي على صعيديه الديني والدنيوي، وجاء في الرواية عن عبد العزيز بن مسلم قال:

«كنا مع الرضا (ع) بمرو، فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأرادوا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلتُ على سيدي (ع) فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسم ثم قال:

«يا عبد العزيز، جهل القوم وخُدِعوا عن آرائهم، أن الله عز وجل لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بيَّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره (ص): ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وأمرُ الإمامة من تمام الدين. ولم يمض (ص) حتى بيَّن لأمته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم عليّاً (ص) علماً وإماماً، وما ترك لهم شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بيَّنه. فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد ردَّ كتاب الله، ومن ردَّ كتاب الله فهو كافر به. هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم!، إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إن الإمامة خصَّ الله عز وجل بها إبراهيم الخليل (ع) بعد النبوة والخلَّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرَّفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ

لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فقال الخليل (ع) سروراً بها: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢ ـ ٧٣]، فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورَّثها الله تعالى النبي (ص) فقال جلَّ وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران، ٦٨] فكانت له خاصةً، فقلَّدها (ص) علياً بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله... فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟!!»[1].

وجاء مما يتعلق بشؤون الإمامة والأحاديث النبوية الواردة في فضل علي (ع) وعلوِّ مقامه: إن المأمون سأل الإمام الرضا (ع) يوماً فقال له: «يا أبا الحسن، أخبرني عن جدك علي بن أبي طالب بأي وجهٍ هو قسيم الجنة والنار؟، فقال: يا أمير المؤمنين، ألم تَرْوِ عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «حبُّ عليٍّ إيمان وبغضه كفر»، فقال: بلى. قال الرضا: فقسمةُ الجنة والنار إذا كانت على حبِّه وبغضه فهو قسيم الجنة والنار»[2].

وجاء مما يرتبط بشرف قربى أهل البيت وانتسابهم إلى رسول الله (ص) ما وردت به الرواية من أن المأمون والرضا (ع) كانا يوماً يسيران، «إذ قال له المأمون: يا أبا الحسن، إني فكرت في شيء

(١) الكافي: ١/١٩٨ ـ ١٩٩.
(٢) نثر الدر: ٣٦٤١.

فنتج لي الفكر الصواب فيه، فكرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية. فقال له أبو الحسن (ع): إن لهذا الكلام جواباً إن شئتَ ذكرتُه لك. وإن شئتَ أمسكتُ، فقال له المأمون: إني لم أقله إلا لأعلم ما عندك فيه. قال له الرضا (ع): أنشدك الله يا أمير المؤمنين، لو أن الله بعث نبيه محمداً (ص) فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الأكوام يخطب إليك ابنتك كنتَ مزوِّجه إياها؟ فقال: يا سبحان الله، وهل يرغب أحدٌ عن رسول الله (ص)؟. فقال له الرضا (ع): أفتراه كان يحل له أن يخطب إليَّ؟ قال: فسكت المأمون هنيئةً ثم قال: أنتم والله أمَسُّ برسول الله (ص) رحماً»[1].

وإتماماً للحديث عن الإمامة وتحديد ما يجب أن تكون عليه النظرة الموضوعية السليمة إلى الأئمة، نهى الإمام الرضا (ع) عن الغلو فيهم والإفراط في الاعتقاد بهم إلى حد الشطط والخروج عن الاعتدال والشذوذ في القول، وكان يعلن كفر الغلاة ويجاهر بالبراءة منهم، ويقول في ذلك:

«الغلاة كفار، والمفوضة مشركون» و«أنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدِّنا، كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ﴾ [المائدة: ١١٦]... إلى آخر الآيات ـ فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة... فنحن منه برآء في الدنيا والآخرة»[2].

وروى عنه الطبرسي قوله في الرد على الغلاة في خلال حديث طويل:

(١) بحار الأنوار: ١٠/٣٤٩ ـ ٣٥٠ و٤٩/١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٣٢٤ ـ ٣٢٥ و٣٢٦.

«إن من تجاوز بأمير المؤمنين (ع) العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين... فقام إليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله، صِفْ لنا ربك فإن مَنْ قِبَلَنا قد اختلفوا علينا، فوصفه الرضا (ع) أحسن وصفٍ ومجَّده ونزَّهه عما لا يليق به تعالى. فقال الرجل: إن معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أن هذه كلها من صفات عليّ (ع) وأنه هو الله رب العالمين. قال: فلما سمعها الرضا (ع) ارتعدت فرائصه وتصبَّب عرقاً وقال: سبحان الله عما يقول الظالمون والكافرون علواً كبيراً!! أوليس عليٌّ كان آكلاً في الآكلين وشارباً في الشاربين وناكحاً في الناكحين ومحدثاً في المحدثين؟، وكان مع ذلك مصلياً خاضعاً بين يدي الله ذليلاً، وإليه أوّاهاً منيباً، أفمن هذه صفته يكون إلهاً؟!!، فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلا وهو إله، لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث كل موصوف بها»[١].

وروى الحسين بن خالد أنه ذَكَرَ عند الإمام الرضا (ع) بعضَ القائلين بالجبر والتشبيه فقال الإمام: «يا ابن خالد، إنما وضع الأخبارَ عنا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغَّروا عظمة الله، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا ـ إلى آخر ما قال في ذمهم والبراءة منهم ـ[٢].

وروى ابن شهرآشوب السروي عن سليمان الجعفري قوله:

«كنت عند أبي الحسن الرضا (ع) والبيت مملوء من الناس يسألونه وهو يجيبهم، فقلت في نفسي: ينبغي أن يكونوا أنبياء» فأحسَّ الإمام بما

(١) الاحتجاج: ٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٨٢ والاحتجاج: ٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١.

جال في خاطري «فترك الناس ثم التفت إليَّ فقال: يا سليمان، إن الأئمة حلماء علماء يحسبهم الجاهل أنبياء وليسوا بأنبياء»[١].

❁ ❁ ❁

أما تراثه في الفقه وأحكام الشريعة فأشهر من أن يذكر، وقد تضمنت مصادر الأحاديث الفقهية عند الشيعة الإمامية مجموعة كبيرة من الروايات عن الإمام الرضا (ع) فيما يتعلق بهذه المسائل، كما نسب له الباحثون كتاباً سموه «فقه الرضا» أو «الفقه الرضوي»، وقد طبع أكثر من مرة، وذكر بروكلمان أن طبعته الأولى كانت في طهران في سنة ١٢٧٤هـ «مع مقدمة في الدفاع عن صحة نسبة الكتاب إلى علي الرضا»[٢]، وأشار الشيخ آقابزرك الطهراني إلى اختلاف الآراء والأقوال في تلك النسبة، وذكر أن «المولى مهدي بن أبي ذر النراقي كتب نسخة منه بخطه، وكتب عليها أنه كتبها من نسخة المكتبة الرضوية التي هي إمَّا خط الإمام الرضا أو مستنسخة من خطه (ع)»[٣].

كذلك نُسِب إلى ذلك التراث الرضوي المتعلق بالفقه والعقائد والأخلاق مجموعة من الأحاديث تسمى «صحيفة الرضا» أو «مسند الرضا» أو «الرضويات» «وقد أحصى بعض الأصحاب أحاديثها فوجدها [كما يقول الشيخ الطهراني] مائتين وأربعن حديثاً، وهي... مروية عنه بأسانيد متعددة... وينتهي السند في جميعها إلى أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر بن سليمان... عن أبيه أحمد بن عامر عن الرضا (ع) في سنة ١٩٤»، وهذه النسخة مروية «بإسناد الشيخ أمين الدين ثقة الإسلام

(١) المناقب: ٢/ ٣٩١ وبحار الأنوار: ٤٩/ ٥٧.

(٢) تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٣٣٦.

(٣) الذريعة: ١٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المفسر المتوفى ٥٤٨، أملاها يوم الخميس غرة رجب ٥٢٩ عن أبي الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري ـ أدام الله عزَّه ـ قراءةً عليه بالحضرة الغروية غرة شهر الصيام ٥٠١، عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحاتمي الزوزني في ٤٥٢، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني، عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد حفدة العباس بن حمزة النيشابوري في ٣٨٧، عن أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي بالبصرة قال: حدثني أبي ٢٦٠، قال: حدثني علي بن موسى الرضا (ع) ١٩٤».

ثم قال الشيخ الطهراني: «والنجاشي ترجم عبد الله بن أحمد بن عامر وذكر له الكتاب معبراً عنه بالنسخة عن الرضا»، وقد طبعت هذه الصحيفة «ضمن مجموعة في بمبئي، أولها حديث (لا إلٰه إلا الله حصني. . .) وآخرها: (وأما زينة القلب فالصبر والصمت والشكر. . .)، وطبعت بإيران. وعند الشيخ هادي كاشف الغطاء نسخة أظن أن فيها زيادات فراجعها»، ونسخة خط محمد القائني التي كتبها بمشهد الرضا في عاشر شهر رمضان ٩٤٨ عند الشيخ شير محمد الهمداني في النجف، ونسخة ثمينة في مكتبة أمير المؤمنين عليها كتابة بتاريخ ١١٠٣هـ[١].

وكان ابن ماكولا قد أشار إلى هذا الكتاب في ترجمة الإمام الرضا (ع) فقال: «له نسخة يرويها عن آبائه»[٢]، كما ذكره بروكلمان وأخبر أنه مطبوع على الحجر في لكنو [الهند] ١٨٨٣م[٣]. وروى الشيخ الطهراني أن هذه الصحيفة قد طبعت باسم «مسند الرضا» في آخر مسند

(١) الذريعة: ١٥/ ١٧ ـ ١٨.
(٢) الإكمال: ٤/ ٧٥.
(٣) تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٣٣٦.

زيد في مطبعة المعارف العلمية بمصر سنة ١٣٤٠»[١].

وتعبِّر هذه الصحيفة أو المجموعة تعبيراً جلياً عن عناية الإمام بالحديث الشريف واهتمام أصحابه بتدوين ما يسمعون منه فيما يحدثهم به ويدلهم عليه، وفيما يجيبهم على أسئلتهم المختلفة المعنية بعلم الحديث وتصحيح إسناده وكيفية الترجيح إذا اختلفت الأحاديث وتضاربت في الموضوع الواحد، وجاء في إحدى الروايات: أنه «سئل الرضا (ع) يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه، وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله (ص) في الشيء الواحد، فقال: إن الله عز وجل حرَّم حراماً وأحل حلالاً وفرض فرائض، فما جاء في تحليل ما حرَّم الله أو تحريم ما أحل الله أو دَفْعِ فريضةٍ في كتاب الله رَسْمُها بيِّنٌ قائم بلا ناسخ نسخ ذلك، فذلك مما لا يسع (أو: لا يُسْمَع) الأخذ به، لأن رسول الله (ص) لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، [بل] كان في ذلك كله متبعاً مسلِّماً مؤدياً عن الله، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾» [الأنعام: ٥٠].

فسُئل: أنه: قد «يَرِد عنكم الحديث في الشيء عن رسول الله (ص) مما ليس في الكتاب وهو في السنة، ثم يرد خلافه؟ فقال: وكذلك قد نهى رسول الله (ص) عن أشياء نهيَ حرامٍ فوافق في ذلك نهيُه نهيَ الله تعالى، وأمر بأشياء فصار ذلك الأمر واجباً لازماً كعدل فرائض الله تعالى ووافق في ذلك أمرُه أمْرَ الله تعالى. فما جاء في النهي عن رسول الله (ص) نهيَ حرامٍ ثم جاء خلافه لم يسع استعمال ذلك، وكذلك فيما أمر به، لأنَّا لا نرخِّص فيما لم يرخص فيه رسول الله ولا نأمر

(١) الذريعة: ٢١/٢٦ و٢٧.

بخلاف ما أمر رسول الله (ص) إلا لعلّة خوفٍ ضرورةً. فأما أن نستحل ما حرم رسول الله (ص) أو نحرم ما استحل رسول الله (ص) فلا يكون ذلك أبداً، لأنا تابعون لرسول الله (ص) مسلمون له، كما كان رسول الله (ص) تابعاً لأمر ربه عز وجل مسلماً له، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

«وأن رسول الله (ص) نهى عن أشياء ليس نهي حرامٍ بل إعافةٍ وكراهة، وأمر بأشياء ليس أمر فرضٍ ولا واجب بل أمْرَ فضلٍ ورجحان في الدين ثم رخص في ذلك للمعلول وغير المعلول، فما كان عن رسول الله (ص) نَهْيَ إعافةٍ أو أمر فضلٍ فذلك الذي يسع استعمال الرخص فيه إذا ورد عليكم عنّا فيه الخبران. . وكان الخبران صحيحن معروفين باتفاق الناقلة فيهما، يجب الأخذ بأحدهما أو بهما جميعاً أو بأيهما شئت وأحببت، موسع ذلك لك من باب التسليم لرسول الله (ص)».

«فما ورد عليكم من خبرين مختلفين فأعرضوهما على كتاب الله، فما كان في كتاب الله موجوداً حلالاً أو حراماً فاتبعوا ما وافق الكتاب، وما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على سنن النبي (ص)، فما كان في السنة موجوداً منهياً عنه نهي حرامٍ أو مأموراً به عن رسول الله (ص) أمْرَ إلزامٍ، فاتبعوا ما وافق نهي رسول الله (ص) وأمره. وما كان في السنة نهيٍ إعافة أو كراهةٍ ثم كان الخبر الآخر خلافه فذلك رخصة فيما عافه رسول الله (ص) وكرهه ولم يحرِّمه، فذلك الذي يسع الأخذ بهما جميعاً أو بأيهما شئت»[١].

وجاء في رواية أخرى تتعلق ببعض جوانب علم الحديث عن أحمد بن عمر الحلال قال:

(١) عيون أخبار الرضا: ١٩١ ـ ١٩٢.

«قلت لأبي الحسن الرضا (ع): الرجل من أصحابنا يعطيني الكتاب ولا يقول ارْوِه عني، يجوز لي أن أرويه عنه؟ قال: إذا علمت أن الكتاب له فاروه عنه»[١].

❀ ❀ ❀

وإذا تجاوزنا هذه الموضوعات الكبرى في العقيدة والشريعة وفقه القرآن والحديث، لنقف على أمثلة من تلك المأثورات الرضوية في مجمل شؤون الأخلاق والسلوك، وفي نبذ الكسل والحث على العمل وطلب الرزق، وفي الدعوة إلى برِّ الوالدين وصلة الرحم ورعاية الإخوان في الدين، وفي جميع ما يرتبط بحسن السيرة وطيب المعاشرة ولين الجانب مع الناس، فإن المروي عنه في هذه الأمور كثير جداً، وكله متَّجه إلى تربية النفس وصفاء الروح ونقاء الضمير وتعميق الأخوة الإنسانية التي تشيع الخير وتشد الوشائج وترص الصفوف.

وجاء في شواهد ما أُسند إليه من التوجيه نحو بناء الخلق الكريم بمعناه الواسع الشامل قوله (ع) وقد سئل عن خيار العباد: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتُلوا صبروا، وإذا غضبوا عفوا»[٢].

وقال:

«التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تُعْطاه»[٣].

وقال:

---

(١) الكافي: ١/ ٥٢.

(٢) تحف العقول: ٣٣٢.

(٣) الكافي: ٢/ ١٢٤.

«قال رسول الله (ص): «عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة»»[١].

وقال أيضاً:

«قال رسول الله (ص): «اصطنع الخير إلى مَنْ هو أهله وإلى مَنْ هو غير أهله، فإن لم تُصِب من هو أهله فأنت أهله»»[٢].

وقال:

«من فرَّج عن مؤمن فرج الله قلبه يوم القيامة»[٣].

وسئل عن القناعة فقال:

«القناعة تجمع إلى صيانة النفس وعزِّ القدر طَرْحَ مؤن الاستكثار والتعبد لأهل الدنيا، ولا يسلك طريق القناعة إلا رجلان: إما متقلل يريد أجر الآخرة، أو كريم متنزه عن لئام الناس»[٤].

وقال (ع) في صلة الرحم:

«صِلْ رحمك ولو بشربة من ماء، وأفضل ما تُوصَل به الرُّحَم كفُّ الأذى عنها»[٥].

وقال في تكريم العمل والكد في سبيل العيال.

(١) بحار الأنوار: ١٠/ ٣٦٩.
(٢) عيون أخبار الرضا: ٢٠٢.
(٣) الكافي: ٢/ ٢٠٠.
(٤) نثر الدر: ١/ ٣٦١.
(٥) تحف العقول: ٣٣٢.

«إن الذي يطلب من فضلٍ يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله»[١].

وقال في الحث على رعاية الولد والعناية بأمره:

«الولد الصالح ريحان من رياحين الجنة»[٢].

وجاء عنه في برِّ الوالدين ما رواه معمر بن خلاد قال: «قلتُ لأبي الحسن الرضا (ع): أدعوا لوالديّ إذا كانا لا يعرفان الحق؟ قال: ادْعُ لهما وتصدق عنهما، وإن كانا حيَّيْن لا يعرفان الحق فدارهما، فإن رسول الله (ص) قال: إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق»[٣].

❀ ❀ ❀

وعندما نستمر في التنقل بين رياض ذلك التراث ودوائر ثمره وعطائه، فنصل في جولتنا إلى خارج دائرة مسائل الدين والفرائض والأحكام والأخلاق، تطالعنا ـ بزهوٍ وإشراق ـ تلك الرسالة القيمة الرائدة في الطب[٤]، التي اشتهرت باسم «الرسالة الذهبية» أو «المذهَّبة»[٥]، ويقال إنه كتبها للخليفة المأمون، وقد عُنِيت في مجملها ـ كما يقول الشيخ آقابزرك الطهراني ـ بشؤون «حفظ صحة البدن وتدبيره بالأغذية والأشربة والألبسة والأدوية الصالحة والفصد والحجامة والسواك والحمَّام والنورة وغير ذلك»، وأوردها المجلسي بنصها وتمامها

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ٣٦٨.

(٣) الكافي: ٢/ ١٥٩.

(٤) كشف الظنون: ١/ ٨٧٦ وهدية العارفين: ١/ ٦٦٨ والذريعة: ١٥/ ١٤١.

(٥) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣/ ٣٣٦ ومعجم المؤلفين: ٧/ ٢٥٠.

في مجلد السماء والعالم من البحار[١]، وقال الشيخ الطهراني: إن نسخ الكتاب شائعة مشهورة «وطبع قبل سنين في بمبئي»، ويعزى أول انتشار هذا الكتاب إلى «رواية محمد بن الحسن بن جمهور العَمّي البصري بسنده عن الإمام الرضا (ع)، وقد عده الشيخ الطوسي في الفهرست وابن شهرآشوب من تصانيف العمي. وقيل: إنه أول كتاب دُوِّنَ في الإسلام في علم الطب وحفظ صحة الأبدان، فإن ما بلغنا عن النبي (ص) في متفرقات الطب قد جمعها ودونها الشيخ أبو العباس المستغفري المتوفى ٤٣٢، وكذا ما جمعه ابن بسطام في كتاب طب الأئمة».

وأضاف الشيخ المذكور إلى ما تقدم قائلاً: «ولكونه أول ما كتب في الطب في الإسلام قدَّره المأمون... وأمر بكتابته بماء الذهب، وسماه بالذهبية... وكتبوا عليه شروحاً من لدن القرن الخامس حتى اليوم... بما يبلغ ستة عشر كتاباً»[٢].

❀ ❀ ❀

كذلك ينبغي أن لا يفوتنا ـ ونحن نتنقل في تلك الرياض الزاهرة ـ أن نتوقف مستمتعين بقراءة ذلك الشعر الأصيل الجميل، الذي كان ينشده الإمام في مجالسه ويستشهد به خلال أحاديثه، وأن نتلمس بإعجاب باهر ما حباه الله تعالى به من رفعة الذوق وحسن الاختيار وجودة الانتقاء، كما تجسِّده لنا الشواهد الآتية:

١ ـ قال المأمون لعلي الرضا (ع): أنشِدنا أحسن ما رويتَ في السكوت عن الجاهل وعتاب الصديق، فقال:

---

(١) يراجع بحار الأنوار: ٦٢/ ٣٠٨ وما بعدها.

(٢) الذريعة: ١٠/ ٤٦ ـ ٤٧، ويراجع في الشروح الذريعة: ١٣/ ٣٦٤ و١٥/ ١٤٢.

إنــي لــيــهــجــرنــي الــصــديــق تــجــنــبــاً
فــأرى بــأن لــهــجــره أســبــابــا
وأراه إن عــاتــبــتــه أغــريــتــه
فــأرى لــه تــرك الــعــتــاب عــتــابــا
فــإذا بُــلــيــتُ بــجــاهــل مــتــحــكــم
يــجــد الأمــور مــن الــمــحــال صــوابــا
أولــيــتُــه مــنــي الــســكــوت وربــمــا
كــان الــســكــوت عــن الــجــواب جــوابــا[1]

٢ ـ وروى القرظي عن أبيه قال: «حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاً له، فأنشأ الرضا يقول:

أعــذر أخــاك عــلــى ذنــوبِــهْ واصــبــر وغــطّ عــلــى عــيــوبِــهْ
واصــبــر عــلــى سفــه الــسفــيــ ـه ولــلــزمــان عــلــى خــطــوبــه
ودع الــجــواب تــفــضــلاً وكِــلِ الــظــلــوم عــلــى حــســيــبــه[2]

٣ ـ جاء في الرواية أنه كان (ع) يتمثل بهذا البيت:

تــضــيء كــضــوء ســراج الــســلــيــ ـط لــم يــجــعــل الله فــيــه نــحــاســا[3]

٤ ـ روى محمد بن يحيى بن عباد عن عمه قال: «سمعت الرضا (ع) يوماً ينشد شعراً، وقليلاً ما كان ينشد شعراً:

كــلــنــا نــأمــل مــداً فــي الأجــلْ والــمــنــايــا هــن آفــات الأمــل
لا تــغــرنــك أبــاطــيــل الــمــنــى والــزم الــقــصــد ودع عــنــك الــعــلــل

(١) نور الأبصار: ١٤٥.
(٢) الفصول المهمة: ٢٢٩ ونور الأبصار: ١٤٢.
(٣) المناقب: ٢/ ٣٩٤.

إنـمـا الـدنـيـا كـظـل زائـل   حـل فـيـه راكـب ثـم رحـل[١]

٥ - ورُوِي - أنه (ع) - كان ينشد كثيراً:

إذا كنت في خير فلا تغترر به   ولكن قل اللهم سلم وتمّمِ[٢]

٦ - ورُوِي - أيضاً - أنه كان يتمثل بهذا البيت:

وإن الضغن بعد الضغن يفشو   عليك ويخرج الداء الدفينا[٣]

---

(١) البداية والنهاية: ١٠/ ٢٥٠ وبحار الأنوار: ٤٩/ ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٩/ ١١١.

(٣) المناقب: ٢/ ٣٩١.

ومن حق التاريخ وأمانة البحث ـ وقد قمنا بهذه الجولة الواسعة الممتعة في تلك الجنائن الرضوية الغناء، فانتعشت نفوسنا بعبير أزاهيرها المعبَّقة بأريج الخلود، وابتهجت قلوبنا ببدائع حدائقها المتوهجة بنضرة النعيم، واقتبست عقولنا المزيد من الغذاء والثراء من عطاء قطوفها الدانية وثمارها الزاهية ـ أن نقف وقفة أخرى لأداء الواجب والاعتراف بالجميل، فنزجي أسمى آيات الإكبار والإقرار بالفضل، لأولئك الذين سمعوا ذلك التراث فوعوه ورووه، وأنصتوا لمحدِّثهم العظيم إنصات الحافظ المدرك فأنهوا إلينا ما حدَّث به وأفاد، وحضروا تلك المجالس حضور المتعلِّم الحريص فاستوعبوا ما تعلموه؛ وقيَّدوه بالرواية وبالكتاب خوفاً عليه من الضياع والنسيان.

وإذا كان من أضعف الإيمان، وأدنى درجات الشكر والامتنان ـ حينما يضيق المجال عن تعريف كل واحد من هؤلاء بما يقتضيه واجب التعريف من ترجمة وبيان ـ أن نقدم مسرداً بأسماء أولئك الكرام الذين أوصلوا إلينا علم النبوة ونور الرسالة وأقباس الوحي والتنزيل، ولكن مجرد السرد لتلك الأسماء وهي كثيرة جداً واستيفاءها بالكمال والتمام قد يعدُّ خروجاً على ما التزمنا به من اختصار وتلخيص، وقد لا ينسجم من ثَمَّ مع منهجنا الثابت الذي قصرناه على الأهم الأهم من شؤون السيرة وخطوطها الكبرى العريضة.

ولما كان الإهمال المطلق لذكر هؤلاء جميعاً قد لا يخلو من غمط ومصادرة لحقوقهم التاريخية المشروعة، بل قد يخل بشمولية البحث ومنهجيته، رأيت الأكثر التصاقاً بلباب الموضوع والأبعد عن شائبتي الإهمال والتطويل، أن اقتصر على إيراد أسماء مَنْ نُسِب إليه كتاب أو أكثر من أولئك الرواة مع ذكر أسماء مؤلفاتهم المنصوص عليها في المصادر المعنية، كما فعلنا مع الرواة عن بعض الأئمة الذين تقدم الحديث عنهم في كتبنا السابقة، فنجمع في هذا العرض بين حق هؤلاء في الذكر والتنويه، وفي الالتزام بما تمسكنا به من رعاية الاختصار والإيجاز.

ونورد فيما يأتي فهرس أسماء أولئك الرواة النوابغ الذين مثلوا الفصيل المتقدم من طلائع البحث والتدوين، وأسماء ما نسب لهم المؤرخون من كتب ومصنفات مثَّلت الريادة والسبق في ميادين التأليف في أواخر القرن الثاني الهجري ومطلع القرن الثالث منه[1]:

١ - إبراهيم بن أبي البلاد، أبو إسماعيل، الكوفي المعمَّر:

له كتابٌ (مجمع: ١/ ٣١).

---

(١) عُنِيَ الباحث المرحوم الشيخ عناية الله علي القهبائي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري بجمع كتاب رجال الكشي (من مؤلفات النصف الأول من القرن الرابع) وكتاب رجال ابن الغضائري (من مؤلفات النصف الأول من القرن الخامس) وكتاب رجال النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠هـ وكتابَي الرجال والفهرست للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، فأورد هذه الكتب بألفاظها مع تمييز نصِّ كل واحدٍ منها منفرداً مستقلاً عن غيره. وسمّى كتابه الذي جمع هذه الكتب (مجمع الرجال)، وهو مطبوع في سبعة أجزاء.
وقد رجعنا إلى هذا الكتاب المتضمن لنصوص تلك الكتب في ضبط أسماء المؤلفين من الرواة عن الإمام الرضا (ع) وفي تبيين أسماء كتبهم، ورمزنا له بـ (مجمع)، كما رجعنا في ذلك إلى فهرست ابن النديم أيضاً.

٢ ـ إبراهيم بن أبي محمود، الخراساني:
له كتاب مسائل (مجمع: ١/ ٣٧).

٣ ـ إبراهيم بن صالح:
له كتاب (مجمع: ١/ ٤٩ ـ ٥٠).

٤ ـ إبراهيم بن عبد الحميد:
له كتاب (مجمع: ١/ ٥٣).

٥ ـ إبراهيم بن هاشم القمي:

له مؤلفات منها:

أ ـ كتاب قضايا أمير المؤمنين (ع).

ب ـ كتاب النوادر(*) (مجمع: ١/ ٨٠).

٦ ـ أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، المولود سنة ١٥٧هـ:

له نسخة(**) يرويها عن الرضا (ع) (مجمع: ١/ ١١٩).

٧ ـ أحمد بن عمر الحلال، الكوفي الأنماطي:

(*) قال الشيخ آقابزرك الطهراني: «النوادر: عنوان عام لنوعين من مؤلفات الأصحاب في القرون الأربعة الأولى للهجرة، كان يُجْمَع فيها الأحاديث غير المشهورة، أو التي تشتمل على أحكام غير متداولة أو استثنائية ومستدركة لغيرها»، ولا تعد النوادر «أصلاً مروياً ولا نسخة مروية، بل هي مجموعة مسائل نادرة» الذريعة: ٢٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨.

(**) قال الشيخ آقابزرك الطهراني: «النسخة: عنوان عام لبعض رسائل صغيرة من مؤلفات القرون الأولى، تحتوي على مسائل وأحكام عملية ودينية، فهي من مصادر التشريع... يرويها الراوي لها عن المصنف مع الواسطة أو بلا واسطة، فيُعَبّر عنها بـ (نسخة فلان عن فلان)... فلعل (النسخة) اسمٌ لكتابٍ جُمِعَتْ به أحكام تأسيسية وضعها الإمام وأملاها على الراوي، في قبال (الأصل) الذي هو كتاب جمعت فيه أحكامٌ إمضائية نقلها الراوي... المصنِّف للأصل... ثم عرضها على الإمام وأخذ تأييده لها» الذريعة: ٢٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

له كتاب مسائل (مجمع: ١/ ١٣٢).

٨ ـ أحمد بن الفيض (أو الفضل) الخزاعي:
له كتاب نوادر (مجمع: ١/ ١٣٤).

٩ ـ أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر البزنطي، المتوفى سنة ٢٢١هـ.

له مؤلفات منها:

أ ـ كتاب الجامع.
ب ـ كتاب ما رواه عن الرضا (ع).
ج ـ كتاب المسائل.
د ـ كتاب النوادر.
هـ ـ كتاب آخر في النوادر (الفهرست: ٢٧٦ ومجمع: ١/ ١٥٩ ـ ١٦١).

١٠ ـ أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، أبو جعفر:

له مؤلفات منها:
أ ـ كتاب الأظلة.
ب ـ كتاب التوحيد.
ج ـ كتاب الحج.
د ـ كتاب الطب ـ الصغير ـ.
هـ ـ كتاب الطب ـ الكبير ـ.
و ـ كتاب فضل النبي (ص).
ز ـ كتاب فضائل العرب.
ح ـ كتاب المتعة.
ط ـ كتاب المسوخ.

ي ـ كتاب المكاسب.

ك ـ كتاب الناسخ والمنسوخ

ل ـ كتاب النوادر ـ وكان غير مبوب فبوبه داوود ابن كوزة (أو كوذة) ـ. (الفهرست: ٢٧٨ ومجمع ١/ ١٦٣ ـ ١٦٥).

١١ ـ أحمد بن يوسف الكوفي مولى بني تيم الله، كان منزله بالبصرة وتوفي ببغداد: له كتاب روايات (مجمع: ١/ ١٧٤).

١٢ ـ إدريس بن عيسى (أو: ابن عبد الله) الأشعري القمي، أبو القاسم: له كتاب مسائل (مجمع: ١/ ١٧٨).

١٣ ـ إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد (ع): له كتاب (مجمع: ١/ ٢٢٢).

١٤ ـ إسماعيل بن مهران:

له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب أصل.

ب ـ كتاب ثواب القرآن.

ج ـ كتاب خطب أمير المؤمنين (ع).

د ـ كتاب صفة المؤمن والكافر.

هـ ـ كتاب العلل.

و ـ كتاب الملاحم.

ز ـ كتاب النوادر (الفهرست: ٢٧٩ ومجمع: ١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

١٥ ـ إسماعيل بن همام البصري الكندي، أبو همام:

له كتاب (مجمع: ١/ ٢٢٧).

١٦ ـ أيوب بن نوح بن دراج الكوفي النخعي:

له كتاب روايات، ومسائل، ونوادر (مجمع: ١/ ٢٤٨).

١٧ ـ بكر بن صالح الضبي الرازي:

له كتاب في درجات الإيمان ووجوه الكفر والاستغفار والجهاد (مجمع: ١/ ٢٧٥).

١٨ ـ بكر بن محمد الأزدي الغامدي المعمَّر:

له كتاب (مجمع: ١/ ٢٧٧).

١٩ ـ جعفر بن بشير البجلي، المتوفى سنة ٢٠٨هـ.

له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب الصلاة.

ب ـ كتاب الصيد والذبائح.

ج ـ كتاب المشيخة.

د ـ كتاب المكاسب (مجمع: ٢/ ٢٥).

٢٠ ـ الحسن بن زياد:

له كتاب (مجمع: ٢/ ١١٠).

٢١ ـ الحسن بن علي بن زياد الخزاز، ويعرف بالوشَّا، أبو محمد:

له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب ثواب الحج والمناسك.

ب ـ كتاب مسائل الرضا (ع).

ج ـ كتاب النوادر (مجمع: ٢/ ١٢٩).

٢٢ ـ الحسن بن علي بن فضَّال الكوفي، أبو محمد، المتوفى سنة ٢٢٤هـ:

له مؤلفات، منها:

أ - كتاب الانتهاء والمبدأ.

ب- كتاب البشارات.

ج - كتاب تفسير القرآن.

د - كتاب الديات.

هـ - كتاب الرجال.

و - كتاب الرد على الغلاة.

ز - كتاب الزهد

ح - كتاب الزيارات.

ط - كتاب الشواهد من كتاب الله.

ي - كتاب الصلاة.

ك - كتاب الطب.

ل - كتاب المتعة.

م - كتاب الملاحم.

ن - كتاب الناسخ والمنسوخ.

س- كتاب النوادر.

(الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ٢/ ١٣٤ - ١٣٧).

٢٣ - الحسن بن علي بن يقطين:

له كتاب مسائل (مجمع: ٢/ ١٤٠).

٢٤ - الحسن بن محبوب السراد الكوفي البجلي:

له مؤلفات كثيرة، منها:

أ - كتاب تفسير القرآن.

ب- كتاب الحدود.

ج ـ كتاب الديات.
د ـ كتاب الطلاق.
هـ ـ كتاب العتق.
و ـ كتاب الفرائض.
ز ـ كتاب المزاج.
ح ـ كتاب المشيخة.
ط ـ كتاب النكاح.
ي ـ كتاب النوادر ـ نحو ألف ورقة ـ.
(الفهرست: ٢٧٥ و٢٧٦ ومجمع: ٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

٢٥ ـ الحسين بن زياد:

له كتاب الرضاع (مجمع: ٢ج١٧٥).

٢٦ ـ الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد الكوفي الأهوازي:

له مؤلفات كثيرة لعلها تجاوزت الثلاثين، ومنها:

أ ـ كتاب الأشربة.
ب ـ كتاب الأيمان والنذور والكفارات.
ج ـ كتاب البشارات.
د ـ كتاب التجارات والإجارات.
هـ ـ كتاب تفسير القرآن.
و ـ كتاب التقية.
ز ـ كتاب الحج.
ح ـ كتاب الحدود.
ط ـ كتاب حقوق المؤمنين.
ي ـ كتاب الخمس.

ك ـ كتاب الدعاء.

ل ـ كتاب الديات.

م ـ كتاب الرد على الغلاة.

ن ـ كتاب الزكاة.

س ـ كتاب الزهد.

ع ـ كتاب الشهادات.

ف ـ كتاب الصلاة.

ص ـ كتاب الصوم.

ق ـ كتاب الصيد والذبائح.

ر ـ كتاب الطلاق.

ش ـ كتاب العتق والتدبير والمكاتبة.

ت ـ كتاب الفرائض.

ث ـ كتاب المؤمن.

خ ـ كتاب المثالب.

ذ ـ كتاب المروة والتجمل.

ض ـ كتاب المزار.

ظ ـ كتاب المكاسب.

غ ـ كتاب الملاحم.

أب ـ كتاب المناقب.

أج ـ كتاب النكاح.

أد ـ كتاب الوصايا.

أهـ ـ كتاب الوضوء (الفهرست: ٢٧٧ ومجمع: ٢/ ١٧٦ ـ ١٧٩).

٢٧ ـ الحسين بن مهران:

له كتاب مسائل (مجمع: ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

٢٨ ـ الحسين بن يزيد النخعي النوفلي: له:

أ ـ كتاب التقية.

ب ـ كتاب السنة (مجمع: ٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

٢٩ ـ حماد بن عثمان الناب، المتوفى سنة ١٩٠هـ.

له كتاب (مجمع: ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

٣٠ ـ حمدان بن سليمان النيسابوري:

له كتاب (مجمع: ٢/ ٢٣٢).

٣١ ـ داوود بن سليمان بن يوسف (أو جعفر) القارىء القزويني، أبو أحمد:

له نسخة يرويها عن الرضا (ع) (مجمع: ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).

٣٢ ـ داوود بن علي اليعقوبي:

له كتاب (مجمع: ٢ج٢٧٥).

٣٣ ـ داوود بن القاسم الجعفري، أبو هاشم:

له كتاب (مجمع: ٢/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

٣٤ ـ داوود بن النعمان:

له كتاب (مجمع: ٢/ ٢٩٤).

٣٥ ـ دعبل بن علي الخزاعي الشاعر، المتوفى سنة ٢٤٦هـ، له من المؤلفات:

أ ـ كتاب طبقات الشعراء.

ب ـ كتاب الواحدة (الفهرست: ١٨٣ ومجمع: ٢/ ١٩٦).

٣٦ ـ الريان بن الصلت الأشعري البغدادي الخراساني:

له كتاب جمع فيه كلام الرضا (ع) في الفرق بين الآل والأمة. (مجمع: ٣/ ٢٣).

٣٧ ـ زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري القمي:

له كتاب مسائله للرضا (ع) (مجمع: ٣/ ٥٦ ـ ٥٧).

٣٨ ـ زكريا بن إدريس بن عبد الله الأشعري القمي، أبو جرير:

له كتاب (مجمع: ٣/ ٥٨ ـ ٥٩).

٣٩ ـ زكريا بن محمد المؤمن، أبو عبد الله:

له كتاب (مجمع: ٣/ ٦٢).

٤٠ ـ سعد بن سعد الأحوص بن سعد بن مالك الأشعري القمي:

له كتاب مسائل الرضا (ع) (مجمع ٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

٤١ ـ سليمان بن جعفر الجعفري:

له كتاب فضل الدعاء (مجمع: ٣/ ١٥٩).

٤٢ ـ سهل بن اليسع بن عبد الله الأشعري القمي:

له كتاب (مجمع: ٣/ ١٨١).

٤٣ ـ صفوان بن يحيى البجلي الكوفي، بياع السابري، أبو محمد، المتوفى سنة ٢١٠هـ.

له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب الآداب.

ب ـ كتاب بشارات المؤمن.

ج - كتاب التجارات - وهو غير كتاب الشراء والبيع الآتي -.

د - كتاب الحج.

هـ - كتاب الزكاة.

و - كتاب الشراء والبيع.

ز - كتاب الصلاة.

ح - كتاب الصوم.

ط - كتاب الطلاق.

ي - كتاب العتق والتدبير.

ك - كتاب الفرائض.

ل - كتاب المحبة والوظائف.

م - كتاب مسائل وروايات.

ن - كتاب النكاح.

س- كتاب الوصايا.

ع - كتاب الوضوء (الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ٣/ ٢١٩ - ٢٢١).

٤٤ - العباس بن معروف القمي، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب الأدب.

ب- كتاب النوادر (مجمع: ٣/ ٢٥٠).

٤٥ - العباس بن هلال الشامي:

له نسخة عن الرضا (ع) (مجمع: ٣/ ٢٥٢).

٤٦ ـ عبد الجبار بن المبارك النهاوندي:

له كتاب (مجمع: ٤/ ٦٦).

٤٧ ـ عبد الحميد بن سعد (أو سعيد):

له كتاب (مجمع: ٤/ ٦٨ و٦٩).

٤٨ ـ عبد الرحمن بن أبي نجران عمرو بن مسلم التميمي الكوفي، أبو الفضل:

له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب البيع والشراء.

ب ـ كتاب زيادات على كتاب محمد بن قيس في القضايا.

ج ـ كتاب المطعم والمشرب.

د ـ كتاب النوادر.

هـ ـ كتاب يوم وليلة (مجمع: ٤/ ٧٣ ـ ٧٤).

٤٩ ـ عبد السلام بن صالح الهروي، أبو عبد الله وأبو الصلت:

له كتاب وفاة الرضا (ع) (مجمع: ٤/ ٨٨).

٥٠ ـ عبد العزيز بن المهتدي الأشعري القمي:

له كتاب (مجمع: ٤/ ٩٢ ـ ٩٣).

٥١ ـ عبد الله بن الصلت مولى بني تيم الله بن ثعلبة، أبو طالب:

له كتاب تفسير القرآن (مجمع: ٤/ ٧ ـ ٨).

٥٢ ـ عبد الله بن علي العلوي:

له نسخة رواها من الرضا (ع) (مجمع: ٤/ ٣٠).

٥٣ ـ عبد الله بن محمد الحجال، أبو محمد:

له كتاب (مجمع: ٤/ ٤٦).

٥٤ ـ عبد الله بن محمد الحضيني العبدي الأهوازي:

له كتاب مسائل من الرضا (ع) (مجمع: ٤/ ٤٨).

٥٥ ـ عبد الله بن المغيرة الخزاز الكوفي، مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، صنف ثلاثين كتاباً، ومنها:

أ ـ كتاب في أصناف الكلام.

ب ـ كتاب الزكاة.

ج ـ كتاب الصلاة.

د ـ كتاب الفرائض.

هـ ـ كتاب الوضوء (مجمع: ٤/ ٥٥).

٥٦ ـ عبيس بن هشام الناشري الأسدي، أبو الفضل، المتوفى سنة ٢٢٠هـ أو قبلها بسنة، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب جامع الحلال والحرام.

ب ـ كتاب الحج.

ج ـ كتاب الصلاة.

د ـ كتاب الغيبة.

هـ ـ كتاب المثالب.

و ـ كتاب النوادر (مجمع: ٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ و٤/ ١٢٨).

٥٧ ـ عثمان بن عيسى الكلابي الرواسي العامري الكوفي، له مؤلفات؛ منها:

أ ـ كتاب الصلاة.

ب ـ كتاب القضايا والأحكام.

ج ـ كتاب المياه.

د ـ كتاب الوصايا (مجمع: ٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

٥٨ ـ علي بن أسباط بن سالم الكندي الكوفي، بياع الزطي، أبو الحسن، له مؤلفات؛ منها:

أ ـ كتابُ أصلٍ وروايات.

ب ـ كتاب تفسير القرآن.

ج ـ كتاب الدلائل.

د ـ كتاب المزار.

هـ ـ كتابٌ مشهور في النوادر (مجمع: ٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

٥٩ ـ علي بن إسماعيل الميثمي المتكلم، أبو الحسن، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب الاستحقاق.

ب ـ كتاب الطلاق.

ج ـ كتاب الكامل في الإمامة.

د ـ كتاب المتعة.

هـ ـ كتاب مجالس هشام بن الحكم.

و ـ كتاب النكاح (الفهرست: ٢٢٣ ومجمع: ٤/ ١٦٧).

٦٠ ـ علي بن جعفر بن محمد (ع)، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب في الحلال والحرام.

ب ـ كتاب مسائل لأخيه موسى بن جعفر (ع) سأله عنها.

ج ـ كتاب المناسك (مجمع: ٤/ ١٧٣).

٦١ ـ علي بن حديد بن حكيم الكوفي الأزدي المدائني:
له كتاب (مجمع: ٤/ ١٧٥).

٦٢ ـ علي بن الحسن بن رباط:
له كتاب الصلاة (مجمع: ٤/ ١٧٩).

٦٣ ـ علي بن الحكم بن الزبير الكوفي النخعي:
له كتاب (مجمع: ٤/ ١٩٢).

٦٤ ـ علي بن سيف بن عميرة الكوفي النخعي، أبو الحسن:
له كتاب كبير (مجمع: ٤/ ٢٠٠).

٦٥ ـ علي بن عبد الله بن عمران القرشي المخزومي المعروف بالميموني، أبو الحسن:
له من المؤلفات:

أ ـ كتاب الحج.

ب ـ كتاب الرد على أهل القياس. (مجمع: ٤/ ٢٠٤).

٦٦ ـ علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين (ع):
له كتاب في الحج. (مجمع: ٤/ ٢٠٨).

٦٧ ـ علي بن علي بن رزين الخزاعي، أخو دعبل الشاعر، المولود سنة ١٧٢هـ، والمتوفى سنة ٢٨٣هـ، فكان عمره مائة وإحدى عشر سنة:

له كتاب كبير عن الرضا (ع) (مجمع: ٤/ ٢١٠ ـ ٢١١).

٦٨ ـ علي بن مهدي بن صدقة بن هشام الرقي الأنصاري، أبو الحسن: له نسخة يرويها عن الإمام الرضا (ع) (مجمع: ٤/ ٢٢٦).

٦٩ ـ علي بن مهزيار الأهوازي، صاحب المؤلفات والمصنفات، ومنها:

أ ـ كتاب الأشربة.
ب ـ كتاب الأنبياء.
ج ـ كتاب البشارات.
د ـ كتاب التجارات والإجارات.
هـ ـ كتاب التجمل والمروءة.
و ـ كتاب تفسير القرآن.
ز ـ كتاب التقية.
ح ـ كتاب الحج.
ط ـ كتاب الحدود.
ي ـ كتاب حديث بدء إسلام سلمان.
ك ـ كتاب حروف القرآن.
ل ـ كتاب الخمس.
م ـ كتاب الدعاء.
ن ـ كتاب الديات.
س ـ كتاب الرد على الغلاة.
ع ـ كتاب الزكاة.
ف ـ كتاب الزهد.
ص ـ كتاب الشهادات.
ق ـ كتاب الصلاة.
ر ـ كتاب الصوم.
ش ـ كتاب الصيد والذبائح.

ت ـ كتاب الطلاق.

ث ـ كتاب العتق والتدبير.

خ ـ كتاب الفضائل.

ذ ـ كتاب فضائل المؤمنين وبرهم.

ض ـ كتاب القائم.

ظ ـ كتاب المثالب.

غ ـ كتاب المزار.

أب ـ كتاب المكاسب.

أج ـ كتاب الملاحم.

أد ـ كتاب المواريث.

أهـ ـ كتاب النذور والأيمان والكفارات.

أو ـ كتاب النوادر.

أز ـ كتاب الوصايا.

أح ـ كتاب الوضوء.

أط ـ كتاب وفاة أبي ذر (مجمع: ٤/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠).

٧٠ ـ علي بن النعمان الأعلم النخعي:

له كتاب (مجمع: ٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).

٧١ ـ عمران بن محمد بن عمران بن عبد الله الأشعري:

له كتاب (مجمع: ٤/ ٢٧٢).

٧٢ ـ محسّن بن أحمد البجلي، أبو أحمد:

له كتاب (مجمع: ٥/ ٩٦).

٧٣ ـ محمد بن أبي عمير ـ واسم أبي عمير: زياد ـ أبو أحمد، المتوفى سنة ٢١٧هـ، وذُكِر أن له أربعة وتسعين مؤلفاً، منها:

أ ـ كتاب الاحتجاج في الإمامة.

ب ـ كتاب اختلاف الحديث.

ج ـ كتاب الاستطاعة والأفعال.

د ـ كتاب الإمامة.

هـ ـ كتاب البداء.

و ـ كتاب التوحيد.

ز ـ كتاب الحج.

ح ـ كتاب الرد على أهل القدر والجبر.

ط ـ كتاب الرضاع.

ي ـ كتاب الصلاة.

ك ـ كتاب الصيام.

ل ـ كتاب الطلاق.

م ـ كتاب فضائل الحج.

ن ـ كتاب الكفر والإيمان.

س ـ كتاب المتعة.

ع ـ كتاب مسائله من أبي الحسن الرضا (ع).

ف ـ كتاب المعارف.

ص ـ كتاب المغازي.

ق ـ كتاب الملاحم.

ر ـ كتاب مناسك الحج.

ش ـ كتاب النكاح.

ت ـ كتاب النوادر ـ كبير حسن ـ.

ث ـ كتاب يوم وليلة (مجمع: ٥/ ١١٩ ـ ١٢٢).

٧٤ ـ محمد بن أحمد بن قيس بن غيلان الكوفي:

له كتاب (مجمع: ٥/ ١٣٩).

٧٥ ـ محمد بن إسحاق بن عمار الصيرفي الكوفي:

له كتاب (مجمع: ٥/ ١٤٧).

٧٦ ـ محمد بن أسلم الجبلي الطبري الكوفي، أبو جعفر:

له كتاب (مجمع: ٥/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

٧٧ ـ محمد بن إسماعيل بن بزيع الكوفي:

له كتاب في الحج (مجمع: ٥/ ١٥٢).

٧٨ ـ محمد بن أورمة القمي: له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب الأشربة.

ب ـ كتاب الأيمان والنذور.

ج ـ كتاب التجارات والإجارات.

د ـ كتاب التجمل والمروءة.

هـ ـ كتاب تفسير القرآن.

و ـ كتاب التقية.

ز ـ كتاب الجنائز.

ح ـ كتاب الحج.

ط ـ كتاب الحدود.

ي ـ كتاب حقوق المؤمن وفضله.

ك ـ كتاب الخمس.

ل ـ كتاب الدعاء.

م ـ كتاب الديات.

ن ـ كتاب الرد على الغلاة.

س ـ كتاب الزكاة.

ع ـ كتاب الزهد.

ف ـ كتاب الشهادات.

ص ـ كتاب الصلاة.

ق ـ كتاب الصيام.

ر ـ كتاب الصيد والذبائح.

ش ـ كتاب الطلاق.

ت ـ كتاب العتق والتدبير.

ث ـ كتاب الفرائض.

خ ـ كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين (ع).

ذ ـ كتاب المثالب.

ض ـ كتاب المزار.

ظ ـ كتاب المكاسب.

غ ـ كتاب الملاحم.

أب ـ كتاب المناقب.

أج ـ كتاب النكاح.

أد ـ كتاب الوصايا.

أهـ ـ كتاب الوضوء (مجمع: ٥/ ١٦١ ـ ١٦٢).

٧٩ ـ محمد بن الحسن بن جمهور العَمّي البصري: له مؤلفات ومرويات، منها:

أ ـ كتاب أدب العلم.

ب ـ كتاب الرسالة المذهَّبة عن الرضا (ع).

ج ـ كتاب صاحب الزمان.

د ـ كتاب الملاحم.

هـ ـ كتاب نوادر الحج.

و ـ كتاب الواحدة في الأخبار والمناقب والمثالب ـ وجزَّأه ثمانية أجزاء ـ.

ز ـ كتاب وقت خروج القائم (ع).

(الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ٥/ ١٨٤ ـ ١٨٥).

٨٠ ـ محمد بن خالد البرقي، أبو عبد الله، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب التأويل والتعبير.

ب ـ كتاب التبصرة.

ج ـ كتاب تفسير القرآن.

د ـ كتاب التنزيل.

هـ ـ كتاب حروب الأوس والخزرج.

و ـ كتاب الخطب.

ز ـ كتاب الرجال ـ فيه ذِكْرُ مَنْ روى عن أمير المؤمنين (ع).

ح ـ كتاب العلل.

ط ـ كتاب العويص.

ي ـ كتاب في علم الباري.

ك ـ كتاب المحاسن.

ل ـ كتاب مكة والمدينة.

م - كتاب النوادر.

ن - كتاب يوم وليلة: (الفهرست: ٢٧٦ ومجمع: ٥/٢٠٦).

وقال ابن النديم: «قرأتُ بخط أبي علي بن همام قال: كتاب المحاسن للبرقي يحتوي على نيف وسبعين كتاباً، ويقال على ثمانين كتاباً، وكانت هذه الكتب عند أبي علي بن همام:

«كتاب المحبوبات، كتاب المكروهات، كتاب طبقات الرجال، كتاب فضائل الأعمال، كتاب أخصّ الأعمال، كتاب التحذير، كتاب التخويف، كتاب الترهيب، كتاب الخيرة والصفوة، كتاب الأحاديث، كتاب معاني الأحاديث والتحريف، كتاب الفروق، كتاب الاحتجاج، كتاب اللطائف، كتاب المصالح، كتاب تعبير الرؤيا، كتاب صوم الأيام، كتاب السماء، كتاب الأرضين، كتاب البلدان، كتاب ذكر الكعبة، كتاب الحيوان والأجناس، كتاب أحاديث الجن والإنس، كتاب فضائل القرآن، كتاب الأزاهير، كتاب الأوامر والزواجر، كتاب ما خاطب الله به خلقه، كتاب الأنبياء والرسل، كتاب الجمل، كتاب جدول الحكمة، كتاب الأشكال، كتاب القرائن، كتاب البرائر، كتاب الرياضة، كتاب الأوائل، كتاب التاريخ، كتاب الأسباب، كتاب المآثر، كتاب الأصفية، كتاب الأفانين، كتاب الرواية، كتاب النوادر». (الفهرست: ٢٧٦ ـ ٢٧٧).

٨١ ـ محمد بن سليمان الديلمي البصري:

له كتاب (مجمع: ٥/٢١٩ ـ ٢٢٠).

٨٢ ـ محمد بن سنان، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب الأظلة.

ب - كتاب الحج.

ج - كتاب الشراء والبيع.

د - كتاب الصيد والذبائح.

هـ ـ كتاب الطرائف.

و ـ كتاب مسائل عن الرضا (ع).

ز ـ كتاب المكاسب.

ح ـ كتاب النوادر.

ط ـ كتاب الوصية (مجمع: ٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).

٨٣ ـ محمد بن سهل بن اليسع الأشعري القمي:

له كتاب مسائل عن الرضا (ع) (مجمع: ٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣).

٨٤ ـ محمد بن صدقة البصري:

له كتاب (مجمع: ٥/ ٢٣٦).

٨٥ ـ محمد بن عبد الحميد بن سالم العطار الكوفي، أبو جعفر:

له كتاب (مجمع: ٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

٨٦ ـ محمد بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين (ع):

له نسخة يرويها عن الرضا (ع) (مجمع: ٥/ ٢٦٨).

٨٧ ـ محمد بن عمر بن محمد بن يزيد:

له كتاب (مجمع: ٦/ ١٣).

٨٨ ـ محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين البغدادي، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب الإمامة.

ب ـ كتاب الأمل والرجاء.

ج ـ كتاب بُعْد الإسناد.

د ـ كتاب التجمل والمروءة.

هـ ـ كتاب تفسير القرآن.

و ـ كتاب التوقيعات.

ز ـ كتاب ثواب الأعمال.

ح ـ كتاب الرجال.

ط ـ كتاب الزكاة.

ي ـ كتاب الضياء.

ك ـ كتاب الطرائف.

ل ـ كتاب الفيء والخمس.

م ـ كتاب قرب الإسناد.

ن ـ كتاب اللؤلؤ.

س ـ كتاب المسائل المجرَّبة.

ع ـ كتاب المعرفة.

ف ـ كتاب النوادر.

ص ـ كتاب الواضح المكشوف في الرد على أهل الوقوف.

ق ـ كتاب الوصايا (الفهرست: ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ومجمع: ٦/ ١٧ ـ ١٨).

٨٩ ـ محمد بن الفرج الرخجي:

له كتاب مسائل (مجمع: ٦/ ٢١).

٩٠ ـ محمد بن الفضيل الأزدي الصيرفي:

له كتاب ومسائل (مجمع: ٦/ ٢٣).

٩١ ـ محمد بن القاسم بن الفضيل:

له كتاب (مجمع: ٦/ ٢٤ ـ ٢٥).

٩٢ ـ المرزبان بن عمران الأشعري القمي:

له كتاب (مجمع: ٦/ ٨٢).

٩٣ ـ معاوية بن سعيد الكندي:

له مسائل عن الرضا (ع) (مجمع: ٦/ ٩٩).

٩٤ ـ معمر بن خلاد:

له كتاب الزهد (مجمع: ٦/ ١١٤).

٩٥ ـ معن بن خالد:

له كتاب (مجمع: ٦/ ١١٦).

٩٦ ـ مقاتل بن مقاتل البلخي:

له كتاب (مجمع: ٦/ ١٣٥).

٩٧ ـ موسى بن رنجويه، أبو عمران:

له كتاب (مجمع: ٦/ ١٥٥).

٩٨ ـ موسى بن القاسم بن معاوية بن وهب البجلي الكوفي، له مؤلفات قد تبلغ الثلاثين، منها:

أ ـ كتاب أخلاق المؤمن.

ب ـ كتاب الأدب.

ج ـ كتاب الأيمان والنذور.

د ـ كتاب الجامع.

هـ ـ كتاب الحج.

و ـ كتاب الحدود.

ز ـ كتاب الديات.

ح ـ كتاب الزكاة.

ط ـ كتاب الشهادات.

ي ـ كتاب الصلاة.

ك ـ كتاب الصيام.

ل ـ كتاب الطلاق.

م ـ كتاب مسائل الرجال.

ن ـ كتاب النكاح.

س ـ كتاب الوضوء (مجمع: ٦/ ١٥٩ ـ ١٦٠).

٩٩ ـ ياسر مولى حمزة بن اليسع الأشعري القمي:

له مسائل عن الرضا (ع) (مجمع: ٦/ ٢٤٦).

١٠٠ ـ يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد:

له كتاب (مجمع: ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

١٠١ ـ يعقوب بن يزيد الكاتب: له مؤلفات، منها:

كتاب النوادر (مجمع: ٦/ ٢٦٩ و٢٧٦).

١٠٢ ـ يونس بن عبدالرحمن، صاحب آل يقطين، أبو محمد:

له مؤلفات كثيرة تربو على ثلاثين كتاباً، منها:

أ ـ كتاب الآداب.
ب ـ كتاب الاحتجاج في الطلاق.
ج ـ كتاب اختلاف الحج.
د ـ كتاب اختلاف الحديث.
هـ ـ كتاب الأدب والدلالة على الخير.
و ـ كتاب الإمامة.
ز ـ كتاب البداء.
ح ـ كتاب البيوع والمزارعات.
ط ـ كتاب التجارات.
ي ـ كتاب تفسير القرآن.
ك ـ كتاب ثواب الحج.
ل ـ كتاب جامع الآثار.
م ـ كتاب الجامع الكبير في الفقه.
ن ـ كتاب جوامع الآثار.
س ـ كتاب الحدود.
ع ـ كتاب الديات.

ف ـ كتاب الرد على الغلاة.
ص ـ كتاب الزكاة.
ق ـ كتاب السهو.
ر ـ كتاب الشرايع.
ش ـ كتاب الصلاة.
ت ـ كتاب الصيام.
ث ـ كتاب الطلاق.
خ ـ كتاب العلل الكبير.
ذ ـ كتاب علل الحديث.
ض ـ كتاب علل النكاح وتحليل المتعة.
ظ ـ كتاب الفرايض الصغير.
غ ـ كتاب الفرايض (الكبير).
أب ـ كتاب فضل القرآن.
أج ـ كتاب اللؤلؤة في الزهد.
أد ـ كتاب المتعة.
أهـ ـ كتاب المثالب.
أو ـ كتاب مسائل عن أبي الحسن (ع).
أز ـ كتاب المكاسب.
أح ـ كتاب النكاح.
أط ـ كتاب نوادر البيوع.
أي ـ كتاب الوضوء.
أك ـ كتاب يوم وليلة (الفهرست: ٢٧٦ ومجمع: ٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧).

١٠٣ ـ يونس بن يعقوب:

له كتاب الحج (مجمع: ٦/ ٣١١).

وبعد:

فهذا هو الإمام الرضا في علياء سماواته ورفيع درجاته، وهذا هو ثامن المطهَّرين المنتجبين في إشراق سيرته ولمعان تاريخه، وهذا هو معدن العلم وسليل الوحي في نفيس تراثه وقيم توجيهاته، وهذا هو سراج الإيمان ومثال الإسلام في ورعه وتقواه، وفي مكارم أخلاقه وكرائم سماته.

وقد شهد له العدو والصديق والبعيد والقريب بأنه أفضل الناس فقهاً، وأعلاهم كعباً، وأسماهم درجة وشأناً، كما اتفقوا بإجماع الكلمة على أنه الأَوْلى بالإمامة، والأحق بالخلافة، والأجدر بولاية الأمر وقيادة الأمة.

وحينما يكون هذا الاتفاق والإجماع هو خاتمة المطاف وخلاصة الكلام ومحصّلة البحث، فلن نكون بحاجة إلى مزيد برهان أو إضافة شرح أو إفاضة حديث، بل يكفينا من كل ذلك أن نردد بتدبرٍ ونقرأ بابتهال صادق وخشوع غامر:

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾

[آل عمران: ٥٣ و١٩٣].

ملحق الكتاب

احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل عليّ (ع)

روى أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، عن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل؛ قال:

«بعث إليَّ يحيى بن أكثم وإلى عدة من أصحابي ـ وهو يومئذٍ قاضي القضاة ـ فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أُحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب، فسموا مَنْ تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين.

«فسمَّينا له عدة، وذكر هو عدة، حتى تم العدد الذي أراد، وكتب تسمية القوم، وأمر بالبكور في السحر، وبعث إلى من لم يحضر فأمره بذلك. فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظرنا، فركب وركبنا معه حتى صرنا إلى الباب، فإذا بخادم واقف. . . فأُدخلنا، فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها، فلم نستتمها حتى خرج الرسول فقال: ادخلوا، فدخلنا فإذا أمير المؤمنين جالس على فراشه. . . فوقفنا وسلَّمنا، فردَّ السلام وأمرنا بالجلوس. . . فلما استقَّر بنا المجلس قال. . . أحببتُ أن أنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه ودينه الذي يدين الله به.

قلنا: فليفعل أمير المؤمنين؛ وفقه الله.

فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن عليَّ بن أبي طالب خير خلق الله بعد رسوله (ص) وأَوْلى الناس بالخلافة.

قال إسحاق: قلت يا أمير المؤمنين؛ إن فينا مَنْ لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة.

فقال: يا إسحاق؛ اختر إن شئت أن أسألك وإن شئت أن تسأل.

قال إسحاق: فاغتنمتها منه فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين.

قال: سَلْ.

قلت: من أين قال أمير المؤمنين أن عليَّ بن أبي طالب أفضلُ الناس بعد رسول الله وأحقُّهم بالخلافة بعده؟

قال: يا إسحاق؛ خَبِّرْني عن الناس بِمَ يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان؟

قلتُ: بالأعمال الصالحة.

قال: صدقتَ. فأخبرني عمن فضل صاحبَه على عهد رسول الله (ص)؟، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله أيلحق به؟

قال: فأطرقتُ.

فقال لي: يا إسحاق؛ لا تقل نعم، فإنك إن قلتَ نعم أوجدتُك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاة وصدقة.

قلت: أجل يا أمير المؤمنين؛ لا يلحق المفضولُ على عهد رسول الله (ص) الفاضلَ أبداً.

قال: يا إسحاق، فانظر ما رواه لك أصحابك ومَنْ أخذتَ عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب، فِقْس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر، فإن رأيتَ فضائل أبي بكر تشاكل فضائل

علي فقل أنه أفضل منه. لا والله ولكنْ قِسْ إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدتَ لهما من الفضائل ما لعلي وحده فقل أنهما أفضل منه. لا والله ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، فإن وجدتها مثل فضائل علي فقل أنهم أفضل منه. لا والله ولكن قس إلى فضائله فضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله (ص) بالجنة؛ فإن وجدتها تشاكل فائله فقل أنهم أفضل منه.

ثم قال: يا إسحاق؛ أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟

قلت: الإخلاص بالشهادة.

قال: أليس السبقَ إلى الإسلام؟

قلت: نعم.

قال: اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى، يقول: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١١]إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمتَ أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟

قلت: يا أمير المؤمنين؛ إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

قال: أخبرني أيهما أسلم قبل، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال.

قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة.

فقال: نعم، فأخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله (ص) دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟

قال: فأطرقتُ.

فقال لي: يا إسحاق؛ لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله (ص)؛ لأن رسول الله (ص) لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى.

قلت: أجل، بل دعاه رسول الله (ص) إلى الإسلام.

قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول الله (ص) حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله؛ أو تكلَّف ذلك من نفسه؟

قال: فأطرقتُ.

فقال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى التكلُّف، فإن الله يقول: «وما أنا من المتكلفين».

قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله.

قال: فهل من صفة الجبار جل ذكره أن يكلِّف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟

قلت: أعوذ بالله.

فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق أن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم وقد كُلِّف رسول الله (ص) دعاء الصبيان إلى ما لا يطيقونه؛ فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول (ص)، أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل؟

قلت: أعوذ بالله.

قال: يا إسحاق؛ فأراك إنما قصدت لفضيلة فضَّل بها رسول الله (ص) علياً على هذا الخلق أبانه بها منهم ليُعرَف مكانه وفضله. ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً.

قلت: بلى.

قال: فهل بلغك أن الرسول (ص) دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول إن علياً ابن عمه؟

قلت: لا أعلم؛ ولا أدري فعل أو لم يفعل.

قال: يا إسحاق؛ أرأيتَ ما لم تَدْرِه ولم تعلمه هل تُسْأل عنه؟

قلت: لا.

قال: فدَعْ ما قد وضعه الله عنا وعنك.

ثم قال: أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟

قلت: الجهاد في سبيل الله.

قال: صدقتَ، فهل تجد لأحدٍ من أصحاب رسول الله (ص) ما تجد لعلي في الجهاد؟

قلت: في أي وقت؟

قال: في أي الأوقات شئتَ.

قلت: بدر.

قال: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحدٍ إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى بدر؟

قلت: نيف وستون رجلاً من المشركين.

قال: فكم قتل عليٌّ وحده؟

قلت: لا أدري.

قال: ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين؛ والأربعون لسائر الناس.

قلت: يا أمير المؤمنين، كان أبو بكر مع رسول الله (ص) في عريشه.

قال: يصنع ماذا؟

قلت: يدبِّر.

قال: ويحك! يدبر دون رسول الله؛ أو معه شريكاً، أم افتقاراً من رسول الله (ص) إلى رأيه؟، أي الثلاث أحبُّ إليك؟

قلت: أعوذ بالله أن يدبِّر أبو بكر دون رسول الله (ص) أو أن يكون معه شريكاً أو أن يكون برسول الله (ص) افتقار إلى رأيه.

قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك؟ أليس مَنْ ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممن هو جالس؟

قلت: يا أمير المؤمنين؛ كل الجيش كان مجاهداً.

قال: صدقتَ، كُلٌّ مجاهد، ولكن الضاربَ بالسيف المحاميَ عن رسول الله (ص) وعن الجالس أفضلُ من الجالس، أما قرأت في كتاب الله: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهِديْن.

قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟

قلت: نعم.

قال: فكذلك سبق الباذلُ نفسَه فَضْلَ أبي بكر وعمر.

قلت: أجل.

قال: يا إسحاق؛ هل تقرأ القرآن؟

قلت: نعم.

قال: اقرأ عليّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [النساء: ١]، فقرأتُ منها حتى بلغتُ: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ ـ ٨].

قال: على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات؟

قلت: في عليّ.

قال: فهل بلغك أن علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنما نطعمكم لوجه الله؟

قلت: أجل.

قال: وهل سمعتَ الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟

قلت: لا.

قال: صدقتَ، لأن الله جل ثناؤه عرف سيرته. يا إسحاق؛ ألستَ تشهد أن العشرة في الجنة؟

قلت: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: أرأيتَ لو أن رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله؛ أكان عندك كافراً؟

قلت: أعوذ بالله.

قال: أرأيتَ لو أنه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا؛ أكان كافراً؟

قلت: نعم.

قال: يا إسحاق، أرى بينهما فرقاً. يا إسحاق؛ أتروي الحديث؟

قلت: نعم.

قال: فهل تعرف حديث الطير؟

قلت: نعم.

قال: فحدِّثني به.

قال: فحدَّثته الحديث.

فقال: يا إسحاق، إني كنتُ أكلِّمك وأنا أظنك غير معاند للحق؛ فأمَّا الآن فقد بان لي عنادك. إنك توافق أن هذا الحديث صحيح؟

قلت: نعم؛ رواه مَنْ لا يمكنني ردُّه.

قال: أفرأيتَ أن مَنْ أيقن أن هذا الحديث صحيح ثم زعم أن أحداً أفضل من علي؛ لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله (ص) عنده مردودة عليه، أو أن يقول: إن الله عز وجل عرف الفاضل من خلقه وكان المفضولُ أحبَّ إليه، أو أن يقول: إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول. فأي الثلاثة أحبُّ إليك أن تقول؟

فأطرقتُ.

ثم قال: يا إسحاق؛ لا تقل منها شيئاً، فإنك إن قلت منها شيئاً استتبتُك. وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأَوْجُه فقله.

قلت: لا أعلم، وأن لأبي بكر فضلاً.

قال: أجل، لولا أن له فضلاً لما قيل أن علياً أفضل منه، فما فضله الذي قصدتَ إليه الساعة؟

قلت: قول الله عز وجل: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فنسبه إلى صحبته.

قال: يا إسحاق، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك، إني وجدتُ الله تعالى نسب إلى صحبة مَنْ رضيه ورضي عنه كافراً وهو قوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧ ـ ٣٨].

قلت: إن ذلك صاحب كان كافراً، وأبو بكر مؤمن.

قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث.

قلت: يا أمير المؤمنين؛ إن قدر الآية عظيم، إن الله يقول: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

قال: يا إسحاق؛ تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك، أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضىً أم سخطاً؟

قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله (ص) خوفاً عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه.

قال: ليس هذا جوابي، إنما كان جوابي أن تقول: رضى أم سخط؟

قلت: بل رضىً لله.

قال: فكان الله جل ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضى الله عز وجل وعن طاعته.

قلت: أعوذ بالله.

قال: أو ليس قد زعمتَ أن حزن أبي بكر رضىً لله؟

قلت: بلى.

قال: أو لم تجد ان القرآن يشهد أن رسول الله (ص) قال له: (لا تحزن) نهياً له عن الحزن.

قلت: أعوذ بالله.

قال: يا إسحاق، إن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به. وحدِّثني عن قول الله:

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٤٠] مَنْ عنى بذلك: رسول الله أم أبا بكر؟

قلت: بل رسول الله.

قال: صدقتَ. قال: فحدِّثني عن قول الله عز وجل: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٦] أتعلم مَنِ المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضع؟

قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين.

قال: الناس جميعاً انهزموا يوم حنين فلم يبق مع رسول الله (ص) إلا سبعة نفر من بني هاشم: علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله؛ والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله؛ والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء، حتى أعطى الله لرسوله الظفر. فالمؤمنون في هذا الموضع علي خاصة ثم من حضره من بني هاشم.

قال: فمَنْ أفضل: مَنْ كان مع رسول الله (ص) في ذلك الوقت أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟

قلت: بل من أنزلت عليه السكينة.

قال: يا إسحاق، مَنْ أفضل: من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تمَّ لرسول الله (ص) ما أراد من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه وأن يقي رسول الله (ص) بنفسه، فأمره رسول الله (ص) بذلك، فبكى علي (ع)، فقال له رسول الله (ص): «ما يبكيك يا علي أجزعاً من الموت؟». قال: لا؛ والذي بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفاً عليك، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم. قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا

رسول الله، ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجى بثوبه، وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون أنه رسول الله (ص)، وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجلٌ ضربةً بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه، وعلي يسمع ما القوم فيه من تلف نفسه، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار، ولم يزل علي صابراً محتسباً، فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى أصبح، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمد؟ قال: وما علمي بمحمد أين هو. قالوا: فلا نراك إلا كنت مغرِّراً بنفسك منذ ليلتنا.

يا إسحاق؛ هل تروي حديث الولاية؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: اروه. ففعلتُ.

قال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يُوجِب لهما عليه؟

قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي؛ وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله (ص): «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه».

قال: وفي أي موضع قال هذا؟، أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟

قلت: أجل.

قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير. كيف رضيتَ لنفسك بهذا، أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك، أكنتَ منكراً عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟

فقلت: اللهم نعم.

قال: يا إسحاق، أفتنزّه ابنك عما لاتنزه عنه رسول الله (ص)؛ ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم، إن الله جل ذكره قال في كتابه: ﴿اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم.

يا إسحاق، أتروي حديث: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قد سمعته وسمعتُ من صححه وجحده.

قال: فمن أوثق عندك: مَنْ سمعتَ منه فصححه أو من جحده؟

قلت: من صححه.

قال: فهل يمكن أن يكون الرسول (ص) مزح بهذا القول؟

قلت: أعوذ بالله.

قال: فقال قولاً لا معنى له فلا يُوقَف عليه.

قلت: أعوذ بالله.

قال: أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمّه؟

قلت: بلى.

قال: فعليٌّ أخو رسول الله لأبيه وأمه؟

قلت: لا.

قال: أو ليس هارون كان نبياً وعليٌّ غير نبي؟

قلت: بلى.

قال: فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هارون، فما معنى قوله: **(أنت مني بمنزلة هارون من موسى)**؟

قلت له: إنما أراد أن يطيِّب بذلك نفسَ عليٍّ لما قال المنافقون إنه خلَّفه استثقالاً له.

قال: فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له؟

قال: فأطرقتُ.

قال: يا إسحاق؛ له معنى في كتاب الله بَيِّنٌ.

قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟

قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لأخيه هارون: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: ١٤٢].

قلت: يا أمير المؤمنين؛ إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي؛ ومضى إلى ربه، وأن رسول الله (ص) خلَّف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته.

قال: كلا؛ ليس كما قلتَ. أخبرني عن موسى حين خلَّف هارون؛ هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل؟

قلت: لا.

قال: أو ليس استخلفه على جماعتهم؟

قلت: نعم.

قال: فأخبرني عن رسول الله (ص) حين خرج إلى غزاته هل خلَّف إلا الضعفاء والنساء والصبيان فأنى يكون مثل ذلك؟. وله عندي تأويل

آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه؛ ولا أعلم أحداً احتج به، وأرجو أن يكون توفيقاً من الله.

قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟

قال: قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٥]، فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى: وزيري من أهلي وأخي أشدُّ به أزري وأُشركه في أمري؛ كي نسبِّح الله كثيراً ونذكره كثيراً. فهل يقدر أحدُ أن يُدْخِل في هذا شيئاً غير هذا، ولم يكن ليبطل قول النبي (ص) وأن يكون لا معنى له.

قال: فطال المجلس وارتفع النهار. فقال يحيى بن أكثم القاضي: يا أمير المؤمنين، قد أوضحتَ الحق لمن أراد الله به الخير؛ وأثبتَّ ما لا يقدر أحد أن يدفعه.

قال إسحاق: فأقبل علينا وقال: ما تقولون؟

فقلنا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله.

فقال: والله لولا أن رسول الله (ص) قال: «اقبلوا القول من الناس» ما كنتُ لأقبل منكم القول. اللهم قد نصحتُ لهم القول، اللهم إني قد أخرجتُ الأمر من عنقي، اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب عليٍّ وولايته»[1].

---

(١) العقد الفريد: ٥/ ٩٢ ـ ١٠١.

المصادر والمراجع

* الأئمة الاثنا عشر/ لابن طولون الدمشقي، بيروت ١٣٧٧ هـ.
* أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ/ للدكتور إبراهيم علي شعوط، القاهرة ١٣٩٦ هـ.
* أبجد العلوم/ لصدِّيق القنوجي، دمشق ١٩٨٨ م.
* أبو الشهداء/ لعباس محمود العقاد ـ الطبعة الأولى ـ، القاهرة (مكتبة سعد).
* الاحتجاج/ للطبرسي، النجف ١٣٥٠ هـ.
* الأحكام السلطانية/ للماوردي ـ المطبعة المحمودية، القاهرة (بلا تاريخ).
* الأخبار الطوال/ لأبي حنيفة الدينوري، القاهرة ١٩٦٠ م.
* الاختصاص/ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان، طهران ١٣٧٩ هـ.
* الإرشاد/ للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، طهران ١٣٠٨هـ.
* الاستيعاب/ لابن عبد البرّ ـ هامش الإصابة ـ، القاهرة ١٣٥٨ هـ.
* أسد الغابة/ لابن الأثير، القاهرة ١٢٨٥ هـ.
* إسعاف الراغبين/ للشيخ محمد الصبان ـ هامش نور الأبصار، القاهرية ١٣٥٦ هـ.
* الإصابة/ لابن حجر، القاهرة ١٣٥٨ هـ.
* الأعلام/ للزركلي، بيروت ١٣٨٩ هـ.
* الأغاني/ لأبي الفرج الأصبهاني ج٤، القاهرة (طبعة مصوّرة).
ج١، «الجزء ١٥»، ج١٧، القاهرة ١٣٨٩ هـ، «الجزء ٢١»، ج٢٤، القاهرة ١٣٩٤ هـ.
* أغاليط المؤرخين/ للدكتور محمد أبو اليسر عابدين، دمشق ١٣٩١هـ.
* اكتوبر/ مجلة/ العدد ٣٣٤، القاهرة ١٩٨٣ م.
* الأمالي/ للشريف المرتضى، القاهرة ١٣٧٣ هـ.

* الإمام الحسن بن علي (ع) [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين ﷺ/ المؤلفات] بيروت.
* الإمام الحسين بن علي (ع) [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين ﷺ/ المؤلفات] بيروت.
* الإمام الصادق/ لمحمد أبو زهر ـ مطبعة مخيمر ـ، القاهرة (بلا تاريخ).
* الإمام الصادق ملهم الكيمياء/ للدكتور محمد يحيى الهاشمي ط٢، دمشق ١٩٥٩ م.
* الإمام علي بن أبي طالب (ع) /[موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين ﷺ/ المؤلفات] بيروت.
* الإمامة/ [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين ﷺ/ المؤلفات] بيروت.
* الإمامة والسياسة لابن قتيبة ـ طبعة مصطفى محمد ـ، القاهرة (بلا تاريخ).
* الأمان/ لعلي رضي الدين آل طاووس، النجف ١٣٧٠ هـ.
* الأمثال/ لأبي عبيد القاسم بن سلام، بيروت ١٤٠٠ هـ.
* إنباه الرواة/ للقفطي، القاهرة ١٣٦٩ هـ.
* الأنساب/ للسمعاني، الهند ١٣٨٢ هـ.
* أنساب الأشراف/ للبلاذري «الجزء الرابع، القدس ١٩٣٦ م.
* إيضاح المكنون «يراجع: ذيل كشف الظنون».
* بحار الأنور/ لمحمد باقر المجلسي ج٣، طهران ١٣٧٦ هـ، «الجزء ٤٥»، «الجزء ٤٦»، طهران ١٣٨٥ هـ، «الجزء ٧٤»، طهران ١٣٨٦ هـ.
* البحر المحيط/ لابن حيان الأندلسي، القاهرة ١٣٢٨ هـ.
* البداية والنهاية/ لابن كثير الدمشقي، القاهرة ١٣٥١ هـ.
* بغية الوعاة/ للسيوطي، القاهرة ١٣٢٦ هـ.
* بهجة المجالس/ لابن عبد البر القرطبي، القاهرة ١٩٦٧ م.
* البيان والتبيين/ للجاحظ، القاهرة ١٣٥١ هـ.
* تاج العروس/ لمحمد مرتضى الزّبيدي، القاهرة ١٣٠٦ هـ.
* تاريخ/ أبي الفدا، القاهرة ١٣٢٥ هـ.
* تاريخ الأدب العربي/ لبروكلمان ـ الترجمة العربية ج١، القاهرة ١٩٥٩ م.
* تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي، بيروت (طبعة مصورة).
* تاريخ التمدن الإسلامي/ لجرجي زيدان، القاهرة ١٩٣ م.

* تاريخ الخلفاء/ للسيوطي، القاهرة ١٣٥١ هـ.
* تاريخ/ خليفة بن خياط، دمشق ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٨ م.
* تاريخ الخميس/ للديار بكري، القاهرة ١٢٨٣ هـ.
* تاريخ/ الطبري، القاهرة، ١٩٦٠ م، ١٩٦٣ م، ١٩٧٣ م.
* تاريخ/ اليعقوبي، النجف ١٣٥٨ هـ.
* التبيين/ لموفق الدين المقدسي، الموصل ١٤٠٢ هـ.
* تحف العقول/ لابن شعبة الحراني، النجف ١٣٨٣ هـ.
* تذكرة الحفاظ/ للذهبي، الهند ١٣٧٥ هـ.
* تذكرة الخواص/ لسبط ابن الجوزي، النجف ١٣٦٩ هـ.
* تفسير/ القرطبي، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
* التهذيب/ للطوسي محمد بن الحسن، طهران ١٣٩٠ هـ.
* تهذيب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني، الهند ١٣٢٥ هـ، ١٣٢٦ هـ.
* تفسير/ الرازي، القاهرة (المطبعة البهية).
* التوحيد/ للإمام الصادق (ع) (نشرة المدرس بالحرم المكي)، بيروت ١٣٧٦ هـ.
* الثقات العيون ـ القرن السادس، بيروت ١٣٩٢ هـ.
* ثمرات الأوراق/ لابن حجة الحموي ـ هامش المستطرف ـ، القاهرة ١٣٦١ هـ.
* جابر بن حيان/ للدكتور زكي نجيب محمود ـ سلسلة أعلام العرب ـ، القاهرة ١٩٦١ م.
* جابر بن حيان وخلفاؤه/ للدكتور محمد محمد فياض ـ سلسلة إقرأ ـ، القاهرة ١٩٠ م.
* جامع الرواة/ للأردبيلي، طهران ١٣٣٨ هـ ش.
* جواهر الكلام/ للشيخ محمد حسن النجفي ـ ج ٢٠ ـ، النجف ١٣٨٩ هـ.
* حديث الثقلين/ إصدار دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة ١٣٧٤ هـ.
* حلية الأولياء/ لأبي نعيم، بيروت ١٣٨٧ هـ.
* الحماسة/ لأبي تمام ـ بشرح المرزوقي ـ، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
* الحماسة البصرية/ لابن أبي الفرج البصري، الهند ١٣٨٣ هـ.
* حياة الحيوان/ للدميري، القاهرة ١٢٩٩ هـ، ١٣٥٦ هـ.

* خزانة الأدب/ للبغدادي، القاهرة ١٣٥٦ هـ.
* دائرة المعارف الإسلامية/ لجمهرة من المستشرقين ـ الترجمة العربية ـ، طهران (طبعة مصورة).
* الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور/ لزينب فواز، القاهرة ١٣١٢ هـ.
* دلائل الإمامة/ للطبري الإمامي، النجف ١٣٦٩ هـ.
* دلائل النبوة/ للبيهقي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
* ديوان/ الفرزدق ـ طبعة الصاوي ـ، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
* ذخائر العقبى/ لمحب الدين الطبري ـ طبعة مصورة ـ، طهران ١٣٨٧ هـ.
* الذريعة/ للشيخ آقابزرك الطهراني ج ٤، طهران ١٣٥٥ م، ١٣٦٠ م، ج ٥، ١٣٦١ م.
* الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ لمحمد محسن الطهراني ج٤، طهران ١٣٦٠ هـ.
* ذيل كشف الظنون (إيضاح المكنون)/ لإسماعيل البغدادي، تركيا ١٣٦٦ هـ.
* ذيل المذيل/ للطبري، القاهرة ١٩٧٧ م.
* ربيع الأبرار/ للزمخشري، بغداد ١٤٠٠ هـ.
* رجال/ الشيخ الطوسي، النجف ١٣٨١ هـ.
* رجال/ النجاشي، الهند ١٣١٧ هـ.
* زهر الآداب/ للحصري القيرواني، القاهرة ١٩٢٥ م.
* زهرة المقول/ لابن شدقم، النجف ١٨٠ هـ.
* روضات الجنات/ للخوانساري، إيران ١٣٩١ هـ.
* زيد بن صوحان/ لمحمد حسن آل ياسين، «مخطوط».
* زين العابدين/ للشيخ الدكتور عبد الحليم محمود، القاهرة ١٩٧٨ م.
* زين العابدين/ لعبد العزيز سيد الأهل، بيروت ١٣٧٢ هـ.
* سر السلسلة العلوية/ لأبي نصر البخاري، النجف ١٣٨٢ هـ.
* سمو المعنى في سمو الذات/ للعلائلي، القاهرة ١٣٥٨ هـ.
* سنن/ ابن ماجة، القاهرة ١٣٧٢هـ.
* سنن/ أبي داوود، القاهرة ١٣٧١ هـ.
* سنن/ الترمذي، القاهرة ١٣٥٦ هـ.
* سنن/ النسائي ـ شرح السيوطي ـ، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
* سير أعلام النبلاء/ للذهبي، القاهرة ١٩٥٦ م، بيروت ١٤٠٦ هـ.
* السيرة الحلبية/ لعلي بن برهان الحلبي، القاهرة ١٣٥١ هـ.

* شخصيات إسلامية/ لعبد الرحمن الشرقاوي ـ دار إقرأ ـ، بيروت (بلا تاريخ).
* شذرات الذهب/ لابن العماد الحنبلي، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
* شرح الشواهد الكبرى/ للعيني ـ هامش الخزانة ـ، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
* شرح شواهد المغني/ للسيوطي بيروت ١٣٨٦ هـ.
* شرح الصحيفة السجادية/ لابن معصوم المدني، إيران ١٣٣٤ هـ.
* شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد، القاهرة ١٣٧٥ هـ، ١٣٧٨ هـ.
* الشرف المؤبَّد/ للشيخ يوسف النبهاني، بيروت ١٣٠٩ هـ.
* صبح الأعشى/ للقلقشندي، القاهرة (دار الكتب).
* الصحاح/ للجوهري، القاهرة ١٣٧٦ هـ.
* صحيح/ البخاري ـ طبعة محمد علي صبيح ـ، القاهرة (بلا تاريخ).
* صحيح/ مسلم ـ طبعة محمد علي صبيح ـ، القاهرة (بلا تاريخ).
* الصحيفة السجّادية/ للإمام زين العابدين (ع)، بغداد ١٤٠٨ هـ.
* صفة الصفوة/ لابن الجوزي، الهند ١٣٨٩ هـ.
* صلة الخلف/ للروداني ـ مجلة معهد المخطوطات، الكويت ١٤٠٥ هـ.
* الصواعق المحرقة/ لابن حجر الهيثمي، القاهرة ١٣١٢ هـ.
* طبقات/ ابن سعد، ليدن ١٣٢٢ هـ.
* طبقات/ خليفة بن خياط، دمشق ١٩٦٦ م.
* طبقات أعلام الشيعة/ لآقابزرك الطهراني ـ نوابغ الرواة ـ القرن الرابع، بيروت ١٣٩٠ هـ.
* طبقات الفقهاء/ لأبي إسحاق الشيرازي، بغداد ١٣٥٦ هـ.
* العباب الزاخر/ للصغاني، مخطوط.
* العبر/ للذهبي ـ ج ١ ـ، بيروت ١٤٠٥ هـ.
* عدة الرجال/ للسيد محسن الأعرجي، طهران ١٤١٥ هـ.
* العقد الفريد/ لابن عبد ربّه الأندلسي، القاهرة ١٣٧٥ هـ.
* عقيدة الشيعة/ لدونلدسن ـ الترجمة العربية، القاهرة ١٣٦٥ هـ.
* عمدة الزائر/ للسيد حيدر الحسني، بيروت ١٣٩٩ هـ.
* عمدة الطالب/ لابن عنبة الداوودي النسابة، النجف ١٣٥٨ هـ.
* عيون الأخبار/ لابن قتيبة، القاهرة ١٩٦٣ م.
* الغدير/ للشيخ عبد الحسين الأميني، النجف ١٣٦٤ هـ.
* غريب الحديث/ لابن الجوزي، بيروت ١٤٠٥ هـ.

* غاية النهاية في طبقات القراء/ لابن الجزري، القاهرة ١٣٥٢ هـ.
* الفائق/ للزمخشري ـ الطبعة الثانية ـ، القاهرة (بلا تاريخ).
* الفتوح/ لابن أعثم الكوفي، الهند ١٣٨٨ هـ.
* فتوح البلدان/ للبلاذري، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
* الفخري/ لابن الطقطقي ـ الطبعة الثانية ـ، القاهرة ١٩٣٨ م.
* فرج المهموم/ لعلي رضي الدين آل طاووس، النجف ١٣٦٨ هـ.
* الفرزدق/ للدكتور شاكر الفحام، دمشق ١٣٩٧ هـ.
* الفصل/ لابن حزم ـ طبعة مصوّرة ـ، بيروت ١٣٩٥ هـ.
* الفصول المهمة/ لابن الصباغ المالكي، النجف ١٣٧٠ هـ.
* الفسر/ لابن جني، بغداد ١٣٩٠ هـ.
* الفهرست/ لابن النديم، طهران ١٣٩١ هـ.
* الفهرست/ للطوسي، النجف ١٣٥٦ هـ.
* القاموس المحيط/ للفيروز آبادي، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
* الكافي/ للكليني محمد بن يعقوب، طهران ١٣٧٥ هـ.
* الكافي/ لمحمد بن يعقوب الكليني، طهران ١٣٧٥ هـ.
* كامل الزيارات/ لابن قولويه، النجف ١٣٥٦ هـ.
* الكامل (في التاريخ) / لابن الأثير، القاهرة ١٣٤٨ هـ، ج٥، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
* الكامل/ للمبرد ـ طبعة نهضة مصر ـ، القاهرة (بلا تاريخ).
* كذبة فارسية/ لعبد الحميد العلوجي، بغداد ١٩٨٦ م.
* كشاف اصطلاحات الفنون/ للفاروقي التهانوي، القاهرة ١٣٨٢ هـ.
* كشف الظنون/ لحاجي خليفة، تركيا ١٣٦٠ هـ.
* كشف الغمة/ لعلي بن عيسى الأربلي، إيران ١٢٩٤ هـ.
* كشف المحجة/ لعلي رضي الدين آل طاووس، النجف ١٣٧٠ هـ.
* كفاية الطالب/ للكنجي الشافعي، النجف ١٣٥٦ هـ.
* الكنى والألقاب/ للشيخ عباس القمي، صيدا ١٣٥٨ هـ.
* لباب الآداب/ لأسامة بن منقذ، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
* لزوم ما لا يلزم/ لأبي العلاء المعري، القاهرة ١٣٣٣ هـ.
* لسان العرب/ لابن منظور محمد بن المكرّم، بيروت ١٣٧٤ م.
* لسان الميزان/ لابن حجر، الهند ١٣٢٩ هـ.

* لطائف المعارف/ للثعالبي، القاهرة ١٣٧٩ هـ.
* مآثر الإنافة/ للقلقشندي، الكويت ١٩٦٤ م.
* مرآة الجنان/ لليافعي، الهند ١٣٣٧ هـ.
* مجمع الأمثال/ للميداني، القاهرة ١٣٥٢ هـ.
* مجمع الرجال/ للقهبائي، إيران ١٣٨٤ هـ.
* مجمع الزوائد/ لابن حجر، بيروت ١٩٦٧ م.
* المحاسن والمساوىء/ للبيهقي، القاهرة ١٣٨٠ هـ.
* المحبّر/ لمحمد بن حبيب، الهند ١٣٩١ هـ.
* المحتسب/ لابن جني، القاهرة ١٣٨٦ هـ.
* مختصر تاريخ العرب/ للسيد أمير علي الهندي ـ الترجمة العربية ـ، القاهرة ١٩٣٨ م.
* مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع/ لابن خالويه، القاهرة ١٩٣٤ م.
* مروج الذهب/ للمسعودي، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
* المستقصى/ للزمخشري، الهند ١٣٨١ هـ.
* مسند/ أحمد بن حنبل، بيروت ١٣٨٩ هـ.
* مطالب السؤول/ لمحمد بن طلحة الشافعي، النجف ١٣٧١ هـ.
* المعارف/ لابن قتيبة، القاهرة ١٩٦٠ م.
* معالم العلماء/ لابن شهراشوب السروي، طهران ١٣٥٣ هـ.
* معاني القرآن/ للفراء ـ ج ٣ ـ، القاهرة ١٩٧٢ م.
* معاني القرآن/ للفراء، القاهرة ١٣٧٤ هـ.
* معاهد التنصيص/ لعبد الرحيم العباسي، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
* معجم الشعراء/ للمرزباني، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
* المعجم الكبير/ للطبراني ج٢، بغداد ١٣٩٨ هـ، ج٣، بغداد ١٣٩٩ هـ.
* معجم المؤلفين/ لعمر رضا كحالة، دمشق ١٣٧٦ هـ.
* مقاتل الطالبيين/ لأبي الفرج الأصبهاني، القاهرة ١٣٦٨ هـ.
* مقتل الحسين/ لأخطب خوارزم، النجف ١٣٦٧ هـ.
* المقدمة/ لابن خلدون، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
* الملل والنحل/ للشهرستاني ـ هامش الفصل ـ، بيروت ١٣٩٥ هـ.
* المناقب/ لابن شهرآشوب السروي، إيران ١٣١٧ هـ.
* المنتخب من ذيل المذيل/ للطبري، القاهرة ١٩٧٧ م.

* المنمق/ لمحمد بن حبيب، الهند ١٣٨٤ هـ.
* منهاج السنة/ لابن تيمية، بولاق ١٣٢١ هـ.
* النابس ـ القرن الخامس، بيروت ١٣٩١ هـ.
* نثر الدر/ للآبي ـ ج١ ـ، القاهرة ١٩٨٠ م.
* النجوم الزاهرة/ لابن تغرى بردى، القاهرة (طبعة مصورة).
* النزاع والتخاصم/ للمقريزي، القاهرة ١٩٣٧ م.
* نزهة المجالس/ للصفوري، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
* نسب قريش/ للمصعب الزبيري، القاهرة ١٩٥٣ م.
* النصائح الكافية/ لمحمد بن عقيل الحضرمي، بغداد ١٣٦٧ هـ.
* نصوص الردّة في تاريخ الطبري/ [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين ﷺ/ المؤلفات] بيروت.
* نظرية الإمامة/ للدكتور أحمد محمود صبحي، القاهرة ١٩٦٩ م.
* نهج البلاغة/ تعليق الشيخ محمد عبده ـ طبعه البابي الحلبي، القاهرة (بلا تاريخ).
* نوادر/ أبي علي القالي، القاهرة ١٣٤٤ هـ.
* نور الأبصار/ للشبلنجي، القاهرة ١٣٥٦ هـ.
* هدية العارفين/ لإسماعيل البغدادي، تركيا ١٩٥١ م.
* الوافي بالوفيات/ للصفدي، بيروت ١٣٨١ هـ.
* الوزراء والكتاب/ للجهشياري، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
* وفيات الأعيان/ لابن خلكان، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
* وقعة الجمل/ لمحمد بن زكريا الغلابي، بغداد ١٣٩٠ هـ.
* وقعة صفين/ لنصر بن مزاحم، القاهرة ١٣٨٢هـ.
* ينابيع المودة/ للقندوزي الحنفي، استانبول ١٣٠٢ هـ.

المحتويات

الإمام محمد بن علي «الباقر» (ع)

الإمَام محمد بن علي «الباقر» (ع) بين ولادته وإمامته ١١
الإمام محمد بن علي «الباقر» (ع) بين إمامته وشهادته ٢٣
الإمام الباقر (ع) ٣٠
عِلمُه ٣٠
عبادته وورعه ٣٢
كرمه وسخاؤه ٣٣
الخلفاء المدّعون للإمامة في عصر إمامة الباقر (ع) ٣٥
الوليد بن عبد الملك ٣٥
سليمان بن عبد الملك ٣٥
عمر بن عبد العزيز ٣٧
يزيد بن عبد الملك ٣٩
هشام بن عبد الملك ٤١
تُراثُ الإمامة ٥٦
الرواة عن الإمام الباقر (ع) ٨٣
ومن النساء ١١٧

الإمام جعفر الصادق (ع)

الإمَام جعفر بن محمد «الصادق» (ع) بين ولادته وإمامته ١٢٥
الإمام الصادق (ع) بين إمامته وشهادته ١٣٥

الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) ١٤٠
علمه وفقهه ١٤٠
زهده وعبادته ١٤٢
كرمه ومكارم أخلاقه ١٤٥
الخلفاء المدّعون للإمامة في عصر الإمام الصادق (ع) ١٤٩
هشام بن عبد الملك ١٤٩
الوليد بن يزيد ١٥٠
يزيد بن الوليد ١٥٠
إبراهيم بن الوليد ١٥١
مروان الحمار ١٥١
أبو العباس السفّاح (أول ملوك بني العباس) ١٥٢
أبو جعفر المنصور ١٥٣
تراث الإمامة ١٨٨
١ و٢ ـ كتابا «الجفر» و«الجامع» ٢٤٠
٣ ـ كتاب التوحيد ٢٥١
٤ ـ كتاب الاهليلية ٢٥٥
كتب غير صحيحة النسبة ٢٥٦

الإمام موسى بن جعفر (ع)

الإمام مُوسَىٰ بن جَعْفَر (ع) بَينَ ولادتِه وإمَامَتِه ٢٦٦
الإمَام مُوسَىٰ بن جَعفَر (ع) بَيْن إمَامَتِه وشَهادَتِه ٢٧٩
المنصور (عبد الله بن محمد) ٢٨٤
المهدي (محمد بن عبد الله) ٢٨٦
الهادي (موسى بن محمد) ٢٨٩

الرشيد (هارون بن محمد) ٢٩٠
الإمَام موسى بن جعفر (ع) ٢٩٢
علمه وفقهه ٢٩٢
عبادته وورعه ٢٩٣
مكارم أخلافه ٢٩٤
كرمه وسخاؤه ٢٩٦
تُراثُ الإمَامَةِ ٣٣٧

الإمام علي بن مُوسى الرِّضا (ع)

الإمَام عَليٌّ بن مُوسَىٰ «الرِّضَا» (ع) بَينَ ولادَتِه وإمَامَتِه ٣٩٤
الإمَام عليٌّ بن مُوسَى الرِّضا (ع) بَينَ إمَامَتِه وشَهادَتِه ٤٠٦
هارون الرشيد ٤١١
محمد الأمين ٤١٣
عبد الله المأمون ٤١٦
علمه وفضله ٤١٨
زهده وورعه ٤٢٠
تواضعه ومكارم أخلاقه ٤٢١
كرمه وسخاؤه ٤٢٢
تُرَاثُ الإمَامَة ٤٦٢
ملحق الكتاب احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل عليّ (ع) ... ٥١٩
المحتويات ٥٤١